



تصدره كلية الآداب
جامعة ذمار

الآداب

الآداب

العدد الثالث مارس

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية - العدد الثالث مارس 2007م

- الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب
- المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم
- القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ مؤرخاً
- الخصائص المناخية لحماية عتمة الطبيعية
- الأدب المقارن ونبض العصر
- مواطن التفريق بين الزوجين في الشريعة الإسلامية
- غزال المقدشيت شاعرة ومصلحة اجتماعية



ومواضيع
أخرى

(الغموض في قصيدة الشاعر أليوت) لوهبة سييدة

3rd Issue March, 2007

Arts



تصدرها كلية الآداب

الهيئة الاستشارية

- أ. د. أمين عبد الله الحميري
أ. د. أحمد عبد صالح
أ. د. عبد العزيز المقالح
أ. د. أحمد عبد الله الصويغ
أ. د. عبد الوهاب راوح
أ. د. أحمد باطناج
د. مهيوب غالب أحمد
د. مارس أحمد سعيد

المراسلات

جامعة ذمار - كلية الآداب
صندوق بريد: 87246 ذمار - اليمن
تلفاكس 06 509584
البريد الإلكتروني: arts96@yahoo.com

مجلة الآداب

- جميع الحقوق محفوظة .
- لا يحق إعادة نشر المواد المنشورة في
- المجلة دون استئذان إدارتها .
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في
- المجلة دون ذكر المصدر .

الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تبنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
العدد الثالث مارس 2007 م

الإشراف العام

أ. د. أحمد محمد الحضرائي

رئيس التحرير

د. محمد حزام العماري

نائب رئيس التحرير

د. مسعد أحمد النجار

مدير التحرير

أ. د. كريم زغير المالكي

أعضاء هيئة التحرير

- أ. د. صادق ياسين الحلو
أ. د. صيري مسلم حمادي
أ. د. صباح محمد العزاوي
د. عبد القادر عساج محمد
د. إسماعيل سليم السشامي
د. مديحة محمد رشاد

التدقيق اللغوي

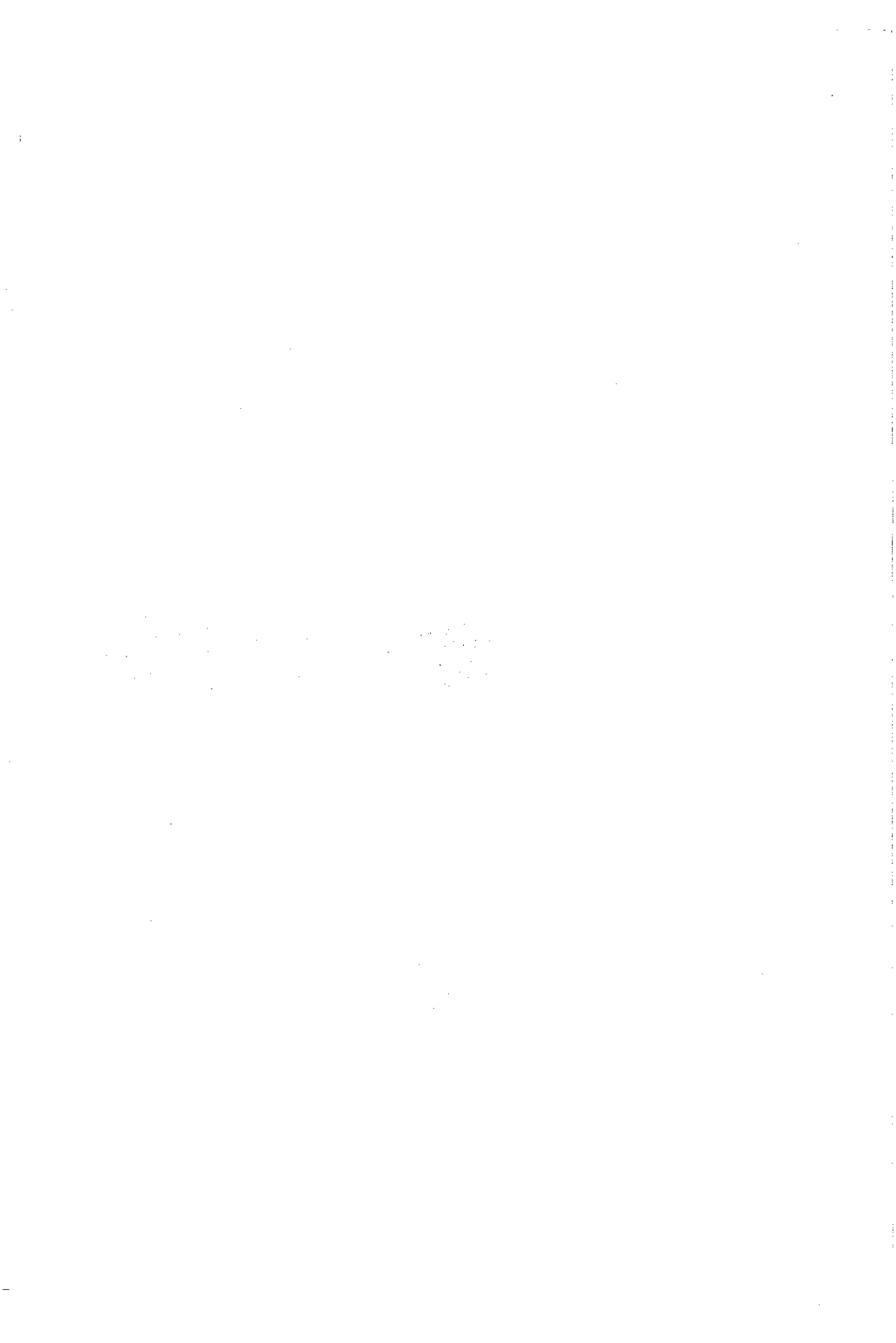
- د. أحمد عبد الله النشمي
د. عبد الله الهتاري

سكرتير التحرير

مشعل ناصر شرهان

الصف والإخراج

جميل محمد العميسي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قواعد النشر بالمجلة

مجلة الآداب مجلة علمية محكمة أكاديمية تعنى بالعلوم الإنسانية تصدرها كلية الآداب ، وترحب بالبحوث والدراسات التي تتميز بالأصالة والخبرة ، وتسهم في إضاءة أفق التلقي بألق المعارف الإنسانية ، وتقبل لنشر الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص الإبداعية وفقا للشروط الآتية :

1- تخضع الأبحاث المقدمة للنشر للتحكيم من قبل محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص على نحو سري وفي ضوء ذلك إذا طلب المحكم إجراء بعض التعديلات على البحث ، فيبلغ الباحث لإجراء التعديلات المشار إليها .

2- لا يقبل نشر البحوث التي تتجاوز 20 صفحة A4 .

3- تقدم المواد مصقوفة على الحاسوب الآلي وترسل بثلاث نسخ مع قرص مدمج CD .

4- يكون توثيق الهوامش في نهاية المادة ، ويراعى في ترتيب المراجع توثيقا دقيقا وترقيما موحدًا وعلى النحو الآتي :

(أ) الكتب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، اسم المطبعة ، رقم الطبعة ، مكان الطبع ، تاريخ الطبع ، رقم الصفحة .

(ب) الدوريات : اسم المؤلف ، اسم المقال ، العدد ، المطبعة ، مكان الطبع ، التاريخ ، رقم الصفحة .

(ج) الرسائل الجامعية : اسم صاحب الرسالة ، عنوانها ، الجامعة والكلية ، تاريخ إجازتها، رقم الصفحة .

5- تتولى المجلة إبلاغ أصحاب الأبحاث المجازة بقبول أبحاثهم للنشر .

6- تنشر المجلة ملخصات الرسائل الجامعية المجازة ، وتقارير المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية وعروض الكتب في مجالات الأدب واللغات الإنسانية والعلوم النفسية والاجتماعية .

7- تنشر المجلة الأبحاث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية .

8- تمتنع المجنة عن نشر أية مادة سبق نشرها أو قبولها للنشر .

9- أصول الأبحاث المرسنة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

10- يقدم الباحثون الذين ينشرون لأول مرة سيرة علمية مختصرة عن أنفسهم .

11- يرفق ملخص للبحث باللغة العربية على ألا يزيد عدد كلماته عن 200 كلمة .

توجه المراسلات والبحوث باسم رئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي :

جامعة نمار - كلية الآداب

اليمن - نمار

تلفاكس : 06 509584

العنوان البريدي : ص . ب : 87246 كلية الآداب

E-mail : arts96_2006@yahoo.com

الأداب مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب جامعة ذمار

العدد (3) - مارس 2007م

فهرس المحتويات

أ. د. أحمد محمد الحضرائي	7	كلمة المشرف العام
رئيس جامعة ذمار		
د. محمد حزام العماري	9	❖ كلمة رئيس التحرير
د. مهيبوب غالب احمد	11	❖ الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد
د. ناصر صالح جيتور	35	❖ " المشامسة " بين الخبر والأثر
أ. د. عادل محي الدين الأنوسي	69	❖ ظواهر يمنية مدانة ((ذمار النموذجاً))
أ. د. صادق ياسين الحلو	81	❖ المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم
د. كريم زغير المالكي	97	❖ القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ ((مؤرخاً))
د. سعد إبراهيم العلسوي	117	❖ التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي
د. عبدالقادر عساج محمد	149	❖ مقاربة سوسيو-عرقية
د. عصام السالم	159	❖ الخصائص المناخية لحماية عتمة الطبيعية
أ. هناء دعسقان	159	❖ دراسة جغرافية لتقنيات حصاد مياه الأمطار في محافظة تعز بحث مشترك
د. عبد الرحمن علي راشد	199	❖ قسم علم النفس الواقع والطموح
د. عبد الرزاق محمود الهيتي	213	❖ المرأة والتنمية في المجتمع اليمني "بحث في حجم المشاركة" بحث مشترك
د. عبد السلام أحمد الحكيمي	243	❖ الأدب المقارن ونض العصر
أ. د. صبري مسلم حمادي	243	❖ التطور الدلالي للألفاظ الدالة على مراتب الحب
د. عبد الكريم مصلح البهجة	253	❖ غزال المقد شيدة شاعرة ومصلحة اجتماعية
أ. عبد القوي العفيري	271	❖ الجانب الديني عند العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث
د. عبد الكريم عبد الحميد الخلف	281	❖ التضمين النحوي " دراسة ونقد "
د. عبد الله عبد القادر الطويل	289	❖ مواطن التفريق بين الزوجين في الشريعة الإسلامية
د. محمد سرحان التمر	305	❖ الغموض في قصيدة الشاعر إيوت " نوحه سيده "
د. إسماعيل سليم الشامي	323	

● المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .

● ترتيب المواد في المجلة يخضع لاعتبارات فنية .



كلمة المشرف العام

ضمن توجيهات الجامعة إلى الكليات بإصدار مجلات علمية تنشر بها البحوث العلمية الأصيلة وبحث ما هو جديد يدخل في تطوير المجتمع بشتى المجالات ولكي تكون الجامعة دائماً في المشاركة مع المجتمع وخاصة البحوث الإنسانية التي تتمثل بمعالجة القضايا التي تهتم الناس .

إن جاءت مبادرة كلية الآداب بإعادة صدور عددها الثالث الذي كان متوقفاً منذ سنوات وقد أطلعت على البحوث فيها التي تتعلق بالتاريخ واللغة وعلم النفس والجغرافيا والآداب الإنجليزي وعلوم القرآن وعلم الاجتماع مما أثار إعجابي لإمتلاكها العمق في البحث العلمي في العلوم الإنسانية ومشاركة العديد من الباحثين سواء من خارج الجامعة أو من داخلها وهذا يمثل إدامة التواصل العلمي بين الجامعات والمراكز البحثية ، ووجدنا غزارة البحوث في هذا العدد ، مثل بداية ناجحة وتفوق في أول قدم يطء على ساحتها .

لذا أهيب بجميع الباحثين بالتوجه إلى كتابة البحوث العلمية التي ترفد المسيرة العلمية في بلدنا (اليمن) وتسير في تطور الجانب الأكاديمي لخلق الطاقات العلمية الشابة التي تسهم في دعم المسيرة خدمة إلى الأجيال .
وفي هذه المناسبة أبارك الجهود التي أسهمت في أنجاح هذا العدد وإخراجه على الوضع الحالي .

آملين بذل مزيداً من العطاء ؟؟؟

والله موفق ؟؟؟

المشرف العام على المجلة

رئيس جامعة ذمار

أ.د. أحمد محمد الحضراتي



كلمة رئيس التحرير

أنه لمن دواعي الفبطة والسعادة أن مجلة كلية الآداب بجامعة ذمار الفقيه تعود إلى الإصدار بثوب جديد تحمل بين دفتيها العديد من الأنشطة الفكرية والتخصصات العلمية لمبية رغبات الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية وغيرها .

والغاية التي تنشده الكلية من إعادة إصدار المجلة هي أن تكون مرجعاً واسعاً يرد إليها الباحثون والمفكرون في المجالات الفكرية خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية بحيث تكون المجلة عوناً كبيراً لنشر أنشطتهم الفكرية والبحثية .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعرب عن عميق شكري وتقديري لجميع الباحثين الذين لم يبخلوا على المجلة بدراساتهم وابحاثهم وبذلك أخرج هذا العدد إلى النور ، ولذا أهيب بجميع الزملاء الباحثين من جامعتنا الموقرة والجامعات اليمنية والعربية وغيرها . أن يرفدوها بنتائجهم الفكرية الأصيلة لتبقى دائماً إحدى روافد أنتاج المعرفة ، وفي المستوى الذي نطمح إليه لما فيه خير وطننا الغالي اليمن) وامتنا العربية المجيدة .

كذلك يسعدني باسم هيئة التحرير أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخ الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحضراتي رئيس الجامعة المشرف العام على المجلة على تشجيعه ودعمه بإعادة إصدار مجلتنا هذه الذي طال انتظارها .

وختاماً نقول إلى الملتقى في الأعداد القادمة شاكرين سلفاً لمن سيشاركنا بنتاجه الفكري وآرائه السديدة وملاحظته البنائة خدمة للعلم والعلماء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟؟؟

د. محمد حزام العماري

عميد كلية الآداب والألسن

رئيس التحرير

الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد



د . مهيبوب غالب احمد *

توطئة

إن الموضوع الذي اخترته، هنا، شديد الاتساع-نسبياً- في الزمان. وإن مادة هذا البحث، هي: جنوبي شبه الجزيرة العربية وعلاقتها التجارية مع بعض بلدان الوطن العربي، خلال الحقبة الزمنية المذكورة سابقاً. غير أنه من الضروري الإشارة إلى مناطق: شمال شرق أفريقيا، وفارس (بسبب سعة رقعة المساحة التي حكمتها الإمبراطورية الفارسية في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.) ومناطق حوض البحر المتوسط، لارتباطها أيضاً بالتجارة مع بعضها البعض. أي أنه لا مندوحة من أن نشير إلى تلك المنطقة على سعتها باعتبار أن جنوب شبه الجزيرة العربية لم يكن فقط منتجاً لسلعة البخور لكنه كان وسيطاً تجارياً، بين شبه القارة الهندية وشمالى شرق أفريقيا وبين مناطق حوض البحر المتوسط. فقد أقيمت شبكة واسعة من المستوطنات، سواء داخل شبه الجزيرة العربية، أو خارجها. وفضلاً عن ذلك امتدت تجارة العرب الجنوبيين القدماء إلى مناطق حوض بحر إيجة، أي إلى بلدان العالم الإغريقي- الروماني.

* استاذ مشارك ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة ذمار .

وقد ظهرت المناطق الحضارية في جنوبي شبه الجزيرة العربية مع نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد (خريطة رقم واحد). وقد اكتسبت صفات؛ منها مناطقية خاصة بها ومنها حملتها معها من تلك المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية وثقافية أو بسبب هجرات متبادلة في ما بينهما. وتشهد عدة حقائق على أنه خلال حقبة زمنية طويلة حافظت الدول اليمنية القديمة في أثناء علاقاتها مع تلك المناطق في العالم القديم على خصائص كل منطقة على حدة. على أن بعض الآراء تشير إلى أن مؤسسي الحضارة اليمنية القديمة قد وصلوا من هناك. مثال ذلك حضرموت، التي تأثرت فيها الحضارة بخصائص حضارة جنوبي بلاد الرافدين (1).

وعند بداية الألف الأول قبل الميلاد، حدث تطور واضح في تقنية السري، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع إنتاج المحاصيل الزراعية. ومن ثم تحولت تلك المحاصيل إلى سلع تجارية. ومن المهم أن نعرف الدور المهم الذي لعبته تقنية زراعة الأشجار، التي تعطي محصول الطيوب. لقد اشتهرت سلعة اللادان والمر والكندر والطيوب الأخرى، وأصبحت تجد لها إقبالا شديداً في كل بلاد الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط. وكانت تلك الطيوب تستخدم في المعابد في أثناء تأدية الطقوس الدينية، وفي تحنيط الموتى، ودخلت في تحضير العقاقير الطبية وبذلك كانت قيمتها مرتفعة جداً.

سبأ على طريق العلاقات التجارية الدولية:

شكل إنتاج الطيب مصدراً مهماً لثروة الدولة اليمنية القديمة، لا بل تشير بعض المصادر الكلاسيكية إلى أنها شكلت مصدر دخل خرافي لها. عندها خلع البعض عليها تسمية "العربية السعيدة". حيث إن تصدير الطيوب قد ساعد على زيادة التبادل التجاري وتوسيع العلاقات الثقافية. وسبب ذلك أن السبأيين في تلك الحقبة الزمنية كانوا أسياة تجارة ضخمة نقلتها قوافل وصل عدد القافلة الواحدة منها إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف جمل. أي أن النصف الأول من الألف الأول ق.م. كان عصر الدولة السبأية، بلا منازع - تقريباً-. حينئذ كان على رأس الدولة حاكم يدعى؛ "مكرب" (2). فالمكرب هو لفظ من الجذر "كرب"، وقد عرف المكرب بأنه "لقب رئيس حلف قبلي في العصور المتقدمة" (3)، كما عرف بأنه "مُجمَع" (4)، وفي رأي ثالث؛ أن "المكرب كلمة مشتقة من الجذر كرب بمعنى:

جمع أو حشد، والمكرب المجمع... ويتميز الملك عن المكرب بترؤسه فقط (لشعب) واحد. وفي هذا السياق فإنه يمكن القول : بأن لفظة مكرب، تعني هنا: مُجَمِّع الشعوب أو موحدتها" (5). ويعتقد أحد المستشرقين ؛ أن لقب مكرب يعني رئيس مجموعة من الشعوب (6).

وفي رأينا أن المكرب ظهر في حقبة زمنية معينة ارتبط بخصائص هذه المنطقة الدينية والاجتماعية وربما الاقتصادية. ومن المحتمل أن هذا المنصب، يشبه منصب لوجال (كبير) الذي حكم في المدن السومرية في عصر ظهورها المبكر. وهو؛ حاكم موحد جمع بين السلطتين الدينية والديوية، في حقبة تاريخية مبكرة وفي بعض المراحل التاريخية اللاحقة، من التاريخ القديم لبلاد العرب الجنوبيين.

لقد شهدت حقبة المكاربة في جنوب شبه الجزيرة العربية أحداثاً مهمة من أجل التطور اللاحق، أهمها: التوسع الكبير لأراضي الدولة السبئية في الربع الثاني من الألف الأول ق.م (من نجران وحتى السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب ومن سواحل البحر الأحمر حتى حضرموت) ، وسيطرتها على المنطقة وعلى التجارة و ما يتبعها من تأثيرات اقتصادية وثقافية ونحو ذلك. بمعنى تشكل جهاز دولة معقد، لعبت بواسطته سبأ ، في ما بعد دوراً محورياً في المنطقة (7). نعتقد أنه على أساس معطيات عدة نقوش عربية جنوبية، فإن هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الدولة السبئية تتميز بنمو واضح للعبودية (8)، وتطور الملكية الخاصة للأرض، ونمو دور التجارة، على أساس تخصص كل مقاطعة على حدة، ومن ثم ظهور مراكز تجارية ضخمة (9).

لذلك فقد وضع هذا النهوض الاقتصادي الدولة السبئية، على طريق العلاقات التجارية الدولية، منذ القرن العاشر قبل الميلاد. أي أنها بدأت تقيم علاقات تجارية وربما دبلوماسية مع بلدان شرق البحر المتوسط. يظهر ذلك من خلال سجلات الملك سليمان (عليه السلام) ، عندما ذكر أن ملكة سبأ قد زارته في القدس (10). وأنها حملت إليه هدايا فاخرة و عطور بكميات كبيرة. ويشير بعض المختصين بأنها حملت كذلك 120 مثقالاً من الذهب والأحجار الكريمة (11). نحن نعرف أنه في تلك الحقبة الزمنية حكمت سبأ نساء ، لكننا لا نعرفهن بالأسماء، كما تشير الأسطورة إلى بعض التسميات. ولكننا نعرف-كذلك-

أن سبأ في ذلك الوقت كانت مصدرة لسلعة تجارية نادرة، كانت مهمة في شرق البحر المتوسط، نقصد بها سلعة البخور (الطيوب).

من المحتمل أنه في ذلك الوقت كانت بعض القبائل العربية الجنوبية ومنها السبائية، قد بدأت تستوطن بعض أراضي أثيوبية، وتحديدًا تلك المنطقة التي سميت بعد حوالي 800 سنة، باسم أكسوم. بمعنى اجتاز السبائيون ومعهم بعض القبائل العربية الجنوبية البحر الأحمر، في تلك الحقبة الزمنية، وسيطروا على الساحل الإريتري، وتابعوا صعوداً حتى تيغراي، حيث شيّدوا المدن هناك ومنها أكسوم. وأقاموا أول دولة في أفريقيا، شكلت في ما بعد أسس مملكة الأحباش. وفي وقت غير متأخر عن القرن الثامن ق.م. بدأت الدولة السبائية تقيم علاقات مع الدولة الآشورية. فقد أشار الملك تجلت بالاصر الثالث في حولياته سنة 733 قبل الميلاد؛ أنه من ضمن الأراضي التي حاربها مناطق سبئية. أما سرجون الثاني فقد دون في حولياته (715 ق.م.)؛ أنه كان يحصل على هدايا من حاكم سبئي اسمه: ينع أمر. وأخيراً وجد في أحد النقوش التي تعود إلى عهد سينحاريب (685 ق.م.) إشارة إلى حاكم سبئي آخر. إلا أنه لم يذكر اسمه. مما يعني أن تلك الهدايا أو -ربما- رشاوى، كانت تعطى مقابل مرور القوافل التجارية العربية الجنوبية بصورة آمنة، وأن السبئيين، في ذلك الوقت، كانوا قد خرجوا إلى المسرح الدولي للتعامل المباشر مع الجيران القريبين منهم والبعيدين.

في القرن السابع قبل الميلاد تعقد الوضع السياسي في بلاد العرب الجنوبية، وخاصة بالنسبة للممالك السبائية، والقتبانية والحضرية. إذ أن المملكة الأوسانية (حاضرتها كانت في وادي مرخة، تسمى حالياً " هجر أبو زيد")، في تلك الأثناء سيطرة -تقريباً- على كل أراضي جنوبي بلاد العرب⁽¹²⁾. فحصرت بذلك المملكة السبائية في المناطق الجبلية. وتم لأوسان السيطرة الكاملة -تقريباً- على قتبان بصورة كاملة، وجزء من أراضي حضرموت. فضلاً عن ذلك فقد واجهت سبأ من الشمال تمرد كل من؛ دولة مدينة نجران ودولة مدينة نشان، الأمر الذي عقد الوضع السياسي والعسكري للسبئيين.

في تلك الفترة برز مكرب/ ملك سبئي كان يدعى كرب إل وتر بن ذمارعلى، وتمكن من تشكيل تحالف عسكري - قبلي، ضم إلى جانب القبائل السبائية كل من قبائل

حضر موت وقبائل قتبان. وكان على رأس القبائل القتبانية الملك "ورو إل"، وعلى رأس القبائل الحضرمية الملك "يدع إل". ونحن هنا لسنا بصدد تتبع تلك المعارك التي جرت في ما بعد بين سبأ وحلفائها من جهة وبين الدولة الأوسانية من الجهة الأخرى، إذ أن ذلك ليس مجال حديثنا هنا. المهم أن الحرب انتهت لمصلحة السبئيين والحلف التابع لهم، ومن ثم تمكن المكرب/ الملك كرب إل وتر من بسط سيطرته على معظم الأراضي في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وإن لفترة محددة. بمعنى أن السبئيين بعد تحقيق انتصارهم على أوسان أقاموا نظام مراقبة على طرق القوافل التجارية في معظم أراضي شبه جزيرة العرب، على الأقل خلال النصف الثاني من القرن السابع وبداية القرن السادس ق.م. فضلاً عن ذلك راقبت مملكة سبأ بعض من تلك المناطق الساحلية، التي كانت تنتج البخور. على أن المناطق الرئيسية، التي تركزت فيها زراعة أشجار البخور والمر والورس والقرفة، كانت تقع ضمن الأراضي الحضرمية، حول خليج القمر وقريبة من ساحل البحر العربي، وفي جزيرة سقطرى.

وبالنتيجة أصبحت طرق التجارة الداخلية والخارجية، وكذلك معظم الأراضي الأوسانية، تحت سيطرة السبئيين أو في الأقل تحت تأثيرهم، في وقت كان الطلب على سلعة البخور يزداد في مناطق الشرق الأدنى. الأمر الذي أمن دخلاً اقتصادياً كبيراً للدولة السبئية، بالرغم من أنه لم يستمر طويلاً. فضلاً عن ذلك كانت كل من قتبان وحضرموت مرتبطة بالدولة السبئية، بحكم الدور الرئيسي الذي لعبته الأخيرة في تحطيم القدرة العسكرية لأوسان عدو الجميع⁽¹³⁾. وباختصار كانت مأرب حاضرة السبئيين تسيطر على طرق القوافل الكبرى التي تربط الجنوب العربي بمصر وعزة في الغرب وبلاد الرافدين في الشرق، حيث كان يحكم الآشوريون. وكان السبأيون يصدرون إنتاجهم الخاص وكذلك البخور والطيوب والتوابل والعمود، بوصفهم وسطاء لهذه السلع، إلى تلك المنطقتين.

الصراع السبئي القتباني- ظهور الدولة العينية

عند ملتقى القرنين السابع والسادس ق. م.، بدت قتبان وكأنها استعادت عافيتها، وبذلك دخلت في صراع مكشوف مع حليفة الأمس (سبأ). يتضح ذلك من خلال بعض المصادر النقشية وكذلك المراجع، التي تشير إلى تحالف قتباني مع بعض المدن في وادي

الجوف) تأسست من هذه المدن في ما بعد دولة معين) ، ضد المملكة السبئية (14). وبالرغم من أن المملكة القتبانية قد لحقت بها هزيمة عسكرية، إلا أن موازين القوى بدأت تتغير لصالح خصوم السبئيين. إن وجود مدن الجوف، منذ نهاية العصر الحجري الحديث (وربما منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد) ، كمنة، هرم، يثيل، قرناو، وغيرها من مدن وادي الجوف، قد لعب دوراً حاسماً في ظهور الدولة المعينية. على أن أهمية مدينة نشان في أعالي ذلك الوادي، كان استثنائياً بالنسبة للمملكة السبئية. فلقد حافظت هذه المدينة على علاقات تحالفية مع سبأ خلال مرحلة حكم المكرب الملك كرب إل وتر (15).

في مرحلة ما من القرن السادس ق.م- ربما عند منتصفه-. حدث نزاع عسكري بين سبأ ودولة مدينة نجران، في أقصى شمالي وادي الجوف. الأمر الذي أضعف -على ما يبدو- نفوذ سبأ في تلك المنطقة، مما أتاح الفرصة لدولة مدينة نشان للإفلات عن سبأ. فلاحظت بقية مدن وادي الجوف، تغير في موازين القوى هناك لغير صالح السبئيين. وبذلك أسست كل من مدينة يثيل ومدينة قرنا و (عرفت في ما بعد بمدينة معين) اتحاداً سياسياً تجارياً بينهما، ومن ثم أصبح ذلك الاتحاد القوى الرئيسة في وادي الجوف. أما بقية المدن وهي التي ذكرت سابقاً فقد انضمت الواحدة تلو الأخرى إلى ذلك الاتحاد. في القرن السادس ق.م. عرفنا أول ملك معين، كان يدعى؛ عمياس نابط. استطاع هذا الملك أن يدرج أول هجوم سبئي على المدن المعينية بعد تأسيس دولة معين، ودافع ببسالة عن مدينة يثيل (16). وهكذا ظهرت معين كنتيجة لاتحاد مدينتين تجاريتين، هما: قرناو ويثيل.

على عكس بقية الدول اليمنية القديمة، التي تشكلت نتيجة توحيد مجموعة من القبائل، فقد تشكلت معين بنتيجة اتحاد سياسي- اقتصادي. كما أن الدولة المعينية على خلاف البقية لم يحكمها مكرب. وفضلاً عن ذلك فقد كانت سلطة الملك مقيدة وصلاحياته محددة ، بأعمال بروتوكولية (شكلية). بمعنى أن ملوك معين، وعلى عكس ملوك سبأ، نادراً ما كانوا يذكرون بنقوش البناء (17). وبالرغم من المعابد الكثيرة التي بنيت في وادي الجوف (حيث أراضي معين) فإنه فقط ذُكر الملك المعيني في واحدٍ منها (18).

لقد كانت معين دولة صغيرة لم تشغل كل أراضي وادي الجوف، ولكنها لعبت دوراً مهماً في تاريخ اليمن القديم واقتصاده. فقد تركزت بين يدي المعينين، في المرحلة اللاحقة (أي في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.) ، كل التجارة الخارجية مع دول حوض البحر المتوسط، وجزءاً لا بأس به من التجارة الداخلية. وربما المعينون في بداية نشاطهم، لم يرافقوا القوافل التجارية باتجاه الشمال، إذ كانت ترافق حمولة تلك القوافل القبائل البدوية الفاطنة في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، مقابل مبالغ تدفعها القوافل؛ إما عينية أو نقدية. على أن المعينين عند نهاية الربع الثالث من الألف الأول ق.م. امتلكوا شبكة واسعة من العلاقات التجارية مع مناطق شمالي الجزيرة العربية والشرق الأدنى كاملة-تقريباً-.

تظهر الوثائق التي تم العثور عليها بين أطلال معبد الرصاف بالقرب من قرناو، أنه عثر بينها على سجل لعدة نساء، خلع عليه الباحثون اسم "سجل المحضيات"⁽¹⁹⁾، مما يعني أنهن لعبن أدواراً مهمة في ذلك الوقت. وفي هذا السجل إشارة إلى أن التجار المعينيين في ذلك الوقت كانوا يتاجرون مع مصر وغزة وصيدة⁽²⁰⁾. من المرجح أن التجارة كانت تتم بصورة فردية بشكل عام، إلا أننا نعرف عن اثنتين أو ثلاث قوافل كبيرة- على الأقل- اتجهت نحو الشمال. ففي أحد النقوش، (وجد في أطلال مدينة براقش)⁽²¹⁾ ، حديث عن إحدى تلك القوافل، حيث يقول إن: 1- " عم صديق، بن حم عث من عشيرة يفيين وسعد بن ولج (؟) من عشيرة ذفجان، الاثنتين من كبراء (مسؤولي) تجار القوافل ... ، وقاموا برحلتين تجاريتين ... إلى مصر وآشور وبلاد ما وراء النهر..."⁽²²⁾، 2- وعندما نقلوا ممتلكاتهم فإن إلههم عشتار ذو قبضم (؟) ... من مصر في أثناء الحرب التي جرت بين مذاي⁽²³⁾ والمصريين...

عند ملتقى القرنين الرابع و الثالث قبل الميلاد تمكن المعينون من إقامة شبكة واسعة من المستوطنات التجارية على طول شبه الجزيرة العربية، كانت أبرزها المستوطنة المعينية في تمنع، (حاضرة قتبان- المعينيين بتمنع 'm'nm/btmn) ، في الجنوب ومستوطنة العلا (دنان) ، إلى الشمال من يثرب في الشمال. في شمال غربي الحجاز، وفي أراضي الأمير اللحياني وجد ما يشبه البورصة التجارية، في الوقت الحالي.

عن ذلك تتحدث نقوش كثيرة وجدت بين أطلال قرية العلاء، وهي التي أسماها المختصون في التاريخ القديم باسم: "ددان". كما تم العثور هناك على مقابر عديدة لتجار معينيين يمثلون عصور زمنية مختلفة. وفضلاً عن ذلك فإن النقوش التي وجدت في ددان (تم العثور على حوالي مائتي نقش معيني) تذكر عدد من الملوك المعينيين ومعبد معيني، كان في نفس الوقت عبارة عن مركز تموين نقدي للعمليات التجارية هناك⁽²⁴⁾. وباختصار كانت المستوطنة المعينية في ددان عبارة عن مجتمع صغير للجالية المعينية هناك، يرأسها كبير⁽²⁵⁾.

ويمكن القول، أنه بعد خروج المعينين إلى أسواق الشرق الأدنى القديم، بوقت ليس بالبعيد فإنهم واجهوا منافسة شديدة من تجار يمثلون مناطق مختلفة؛ من غزة ومن جرهاة ومن الجزر اليونانية- وربما من أولئك الذين أسكنهم كسرى فارس: قورش في مناطق دجلة- بحسب ديودور الصقلي (XVII، 110، 4-5) ومن غيرها. لقد وصل هؤلاء التجار إلى شبه الجزيرة العربية إما عن طريق البحر (استخدموا القناة التي شقها دارا الأول وربطت بين النيل والبحر الأحمر)، أو عبر البر. وعلى العموم لم تشكل تلك المنافسة خطراً فعلياً على التجارة المعينية في ذلك الوقت، ولكنها ظهرت كمنافس حقيقي في ما بعد. لقد كان لموقع بلاد العرب الجنوبيين الملائم، باعتباره، مصدراً لسلعة البخور إلى مناطق العالم القديم، ووسيطاً تجارياً بين الهند ومناطق حوض البحر المتوسط، أن لعب هذا الموقع أدواراً مهمة في التبادل التجاري والثقافي بين حضارات جنوب آسيا والشرق الأدنى وحوض المحيط الهندي ومنطقة حوض البحر المتوسط. وساعدت كذلك الظروف المناخية بلاد العرب الجنوبيين أن تحتكر لنفسها هذا الدور.

بمعنى؛ لقد كانت معرفة نظام الرياح الموسمية (الرياح التجارية) التي تهب في شمالي المحيط الهندي، في الشتاء وفي الصيف، تساعد السفن التجارية على الإبحار مباشرة من الموانئ الغربية للهند، إلى موانئ الشواطئ الجنوبية الغربية لشبه جزيرة العرب، وكان يتم الإبحار في هذا الاتجاه في الشتاء والربيع، وفي الاتجاه المعاكس صيفاً. الأمر الذي وظفه العرب الجنوبيون بصورة فعالة في المساهمة الحضارية مع بقية دول العالم القديم في حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط. وبذلك استفاد الهنود والعرب

من هبوب الرياح هذه، والاتجار مع شمالي شرق أفريقيا، فضلاً عن استفادة العرب من تجارة الترانزيت (المرور) .

ومع ذلك لم تستمر تجارة الهند وبلاد العرب الجنوبيين، مهنة خاصة بقاطني هاتين المنطقتين، فلقد أثارت تلك التجارة دولاً إقليمية مختلفة، حاولت أن يكون لها دولاً تابعة على طريق التجارة بين الهند والعربية الجنوبية وشمالي شرق أفريقيا. ففي بداية القرن السادس ق.م. وبأمر من فرعون مصر نينخو فُتِح من جديد الطريق البحري من مصر عبر البحر الأحمر حتى المحيط الهندي، كما دار حول أفريقيا الفينيقيون بناءً على طلب الفرعون ذاته⁽²⁶⁾. وخلال هذه الرحلة تم البحث عن خط مناسب من النيل إلى البحر الأحمر⁽²⁷⁾. وعنه كتب شارل عيساوي يقول: "كان هذا التركيز على الصناعة والتجارة أمراً فريداً من نوعه في العصور القديمة"⁽²⁸⁾. وأشار غوردون تشايلد "إلى أن نسبة الذين عملوا بالصناعة والتجارة من الفينيقيين كانت أكبر بكثير من الذين عملوا بها في مصر وابل وأشور وبلاد الرافدين حيث كانت الزراعة تسيطر على مجمل النشاط الاقتصادي"⁽²⁹⁾. وقد انعكس ذلك الهيكل الاجتماعي على المؤسسات السياسية الفينيقية. وبعد أن سيطر الفرس على مصر أرسل الملك دارا الأول، عند ملتقى القرنين السادس والخامس ق.م.، أحد البحارة الإغريق (كان يدعى سكيلاك) ، مع بعثة مرافقة لغرض التأكد من الخط البحري بين الهند ومصر. وقد وُفق سكيلاك بالإبحار عبر نهر الغسانج (الهند) والمرور بالمحيط الهندي ثم البحر الأحمر قرب سواحل الجزيرة العربية وحتى مصر. وقد استغرقت هذه الرحلة حوالي ثلاث سنوات⁽³⁰⁾. ثم استكمل شق قناة تربط بين النيل و البحر الأحمر في عهده أيضاً. ويجب أن نضيف أنه في عهد الإمبراطورية الفارسية، التي امتدت إلى الشرق كله، "ربطت الطرق وخطوط البريد الممتازة بين الأقاليم المختلفة والحاضرة. كما تم توحيد القياس والوزن وسك عملات ذهبية وفضية موحدة لكل الأقاليم"⁽³¹⁾. ونتيجة لذلك، شهدت التجارة اتساعاً كبيراً. وهنا يقول غيرشمان: "لقد تجاوز حجم التجارة في القرنين السادس والخامس ق.م. أي مقدار عرف في ما سبق في منطقة الشرق القديم، غير أن أهم ما تميزت به التجارة هو أنها كانت تركز بالأساس على المنتجات العادية المستخدمة في الحياة اليومية، وعلى الأدوات المنزلية والملبوسات

الرخيصة ، ... ومن ثم اتجه تطور الصناعة إلى خدمة كل طبقات المجتمع في الإمبراطورية " (32). كما يبدو أن التجارة مع الأقاليم الأخرى كانت على نطاق أوسع من ذي قبل، خاصة مع الهند وجنوبي الجزيرة العربية واليونان (33).

ازدهار القوافل التجارية الدولية- معرفة طرق الملاحة البحرية في المحيط الهندي :

شهدت الحضارة اليمنية القديمة خلال القرنين الرابع- والأول ق.م . نهوضاً اقتصادياً وثقافياً ملحوظاً، ومعها ازدهرت التجارة الدولية. وفي هذه الحقبة الزمنية برز دور المعينيين في التجارة، على المستويين الداخلي والخارجي. وقد عكس ذلك النهوض الاقتصادي والثقافي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ؛ فضلا عن زيادة الإنتاج الزراعي والحرفي وتطور العلاقات الاجتماعية. على أن ما وجده الباحثون من مصادر لا يشير إلى تلك التغيرات بصورة مباشرة، ولكنه يفهم من خلال المعايير الحقوقية. وتظهر النقوش التوسع الكبير في ملكية الأراضي، وزيادة عدد الأشجار المثمرة والمنتجة، مثل أشجار النخيل وأشجار البخور والطيب الأخرى. ونلاحظ كذلك أن التشريعات الحقوقية قد ركزت على ثلاثة اتجاهات: أولاً- تدعيم نظام الضرائب والعطايا أو تغييره، التي تدفع لمصلحة المعابد وجهاز الدولة المحلي أو المركزي. ثانياً- تحديد القواعد القانونية من أجل استخدام الأراضي أو قنوات مياه الري. ثالثاً- تنظيم قواعد التجارة: أي العلاقة بين البائع والمشتري ضبط ضرائب أو رسوم التجارة .

وكان لزيادة الطلب على البخور في منطقة حوض البحر المتوسط وبلاد الرافدين أن استدعى نمو وتائر لإنتاج هذه السلعة (34). وفي هذه الحقبة الزمنية ازدادت حدة الصراع بين سبأ وقتبان من أجل السيطرة على طرق القوافل التجارية. ونتيجة لشدة الصراع اضطرت قتبان أن تسخر كل إمكانياتها لهذه الحرب (35). على أن الخط الرئيس لنقل البخور من حضرموت، كان يمتد عبر الأراضي القتبانية (36)، ثم عبر سبأ. مع العلم أن قتبان كانت تنتج كميات ليست بالكثيرة من البخور، وتنقل عبر سبأ، أيضاً. في حضرموت كان البخور يجمع تحت الرقابة الصارمة من ملوك الدولة (37). ومن ثم فإن مناطق إنتاج البخور في شرق البلاد كانت مغلقة ليس أمام الأجانب ولكن أمام مواطني الدولة ذاتها (38) ، أي : أن منطقة إنتاج البخور كانت محصورة ملكيتها لحوالي ثلاثة

ألاف أسرة، وكان يتم جمع المحصول وفق طقوس محددة (39) ، إذ أن الظروف البيئية كانت قاتلة. لذلك كان يتم إرسال إما عبيد إلى هناك أو بعض المحكومين بجنح مختلفة (40). هكذا كانت أهمية البخور بالنسبة لخزينة الدولة الحضرمية.

استدعت ضرورة اقتسام ضرائب مرور التجارة بين كل من سبأ وقتبان الرغبة لدى الحضارم في التحرر من قيود ذلك الخط التجاري الذي كان يمر عبرهما. حيث بدأت حضرموت عن طريق بري آخر نحو الشرق باتجاه الخليج حتى مدينة الجر هائيين. فقد كتب في زمنه استرا بون يقول: "مارس الجر هائيون التجارة ، عبر الطرق البرية، وبالأخص السلع العربية والطيب" (41).

إذ أن الجر هائيين كانوا ينقلون البخور إلى جنوب بلاد الرافدين، وحاولوا في وقت من الأوقات أن ينافسوا المعينيين في مناطق حوض البحر المتوسط. عند منتصف القرن الثالث ق.م. وقد تجرأ أول البحارة البطالمة على البدء بعمليات استكشافية للساحل الغربي من الجزيرة العربية، وأشاروا إلى أن: "اللدان وبقية السلع التي تدخل ضمن الطيوب تصدر إلى فلسطين من قبل المعينيين والجر هائيين" (42). ولذلك فإن المر الذي كان يصدر إلى العالم الإغريقي والروماني من بلاد العرب الجنوبية، كانوا يسمونه المر المعيني أو الجر هائي، على الرغم من أن المر سواءً كان المعيني أم الجر هائي لا ينتج إلا في حضرموت وقتبان (43).

بذلك يمكن القول إنه؛ عند منتصف القرن الثالث ق.م. كان المعينيون قد شغلوا الموقع الرئيس في تجارة البخور، الذي ينتج في بلاد العرب الجنوبية، مع بلدان حوض البحر المتوسط ومصر. ومن ثم تمكن المعينيون من إخراج الجر هائيين من المنافسة التجارية مع تلك المناطق (44). وعندها بدأت تعمل المستوطنات المعينية والبورصات التجارية في شبوة (حاضرة حضرموت) وفي تمنع (حاضرة القتبانيين) ، وفي شعوب بالقرب من صنعاء، وقد كان ذلك على مستوى جنوبي بلاد العرب و في شمالي شبه الجزيرة العربية وفي غيرها من مناطق حوض البحر المتوسط كما انتشرت في واحة؛ ددان ويثرب، وربما في غزة ومصر ، بل وفي جزيرة ديلوس-كما سنرى لاحقاً-. أبرز تلك المستوطنات- كما لاحظنا سابقاً- ددان في واحة العلا (45). كذلك كان لمستوطنة

تمتع أهمية كبيرة ؛ إذ أنها مثلت مجتمع معيني مصغر هناك، كان يرأسه كبير⁽⁴⁶⁾، وقد تمت الإشارة لهذه المستوطنة في قانون قنبان التجاري، حيث "تساوى مواطنو الدولة المعينية مع مواطني قنبان في الحقوق التجارية"⁽⁴⁷⁾.

وبعدها تغلغل التجار المعينيون في بلدان حوض البحر المتوسط (مصر وغزة والجزر اليونانية) ، وعاشوا هناك لفترات طويلة. وقد عثر على تابوت الكاهن المعيني زيد إيل بن زيد من عشيرة ضيران المعينية، الذي ربما كان واحداً " من الكهنة المصريين، الذين كانوا يجلبون المر واللبن والطيب لمعابد الآلهة المصرية أيام حكم بطليموس بن بطليموس"⁽⁴⁸⁾. كما يفهم من خلال بقية النص أن زيداً كان شخصية مهمة وكاهناً في مجمع "ساربيس"⁽⁴⁹⁾. وتم العثور، كذلك، على نقوش معينية مختصرة على طريق القوافل التجارية في وادي الحمامات الذي يمتد من النيل إلى ميناء القصير⁽⁵⁰⁾. فضلاً عن ذلك فقد تم العثور على نقش معيني ثنائي اللغة (باللغة المعينية واللغة اليونانية) على مذبح في جزيرة ديلوس، سوق النخاسة المعروف في العالم القديم آنذاك⁽⁵¹⁾.

وقد بلغت العمليات التجارية المعينية أوج ازدهارها خلال القرنين الرابع والثاني ق.م. ووصلت قوافلها، كما لاحظنا، حتى مناطق بحر إيجه. وفي هذه الأثناء لم تستطع أن تبقى هذه التجارة مهنة عربية جنوبية خاصة، إذ برز لها منافسون من مناطق مختلفة. فقد كتب ارثوسفين في عصره يقول؛ إن التجار المسافرين إلى جنوب بلاد العرب، من أجل البخور هم من إيلات⁽⁵²⁾. ثم أكد ذلك في وقت لاحق بليني الأكبر⁽⁵³⁾. ربما هنا أثرت الحوافز التي كان يقدمها للتجار البطالمة (حكام مصر) ، وفي ما بعد الإدارة الرومانية في مصر على زيادة هذه التجارة . حيث كانت القوافل التجارية تنطلق بآلاف الجمال.

ونستطيع معرفة طريق القوافل التجارية، من مكان جمع الإنتاج وحتى منطقة استهلاكه، من خلال المعلومات التي قدمها لنا الكتاب الكلاسيكيون (أريان، ثيوفراست ، ارثوسفين وبليني الأكبر). أي أن كل ما يجمع في حضرموت ينقل إلى الحاضرة الحضرمية شبوة، حيث توجد ما يشبه البورصة، وبعد فصل ضرائب المعبد (تصل إلى حوالي الثلث -أحياناً) ، يبدأ المزاد، في وجود التجار القادمين من معين وجرهاء وغزة.

بعد ذلك يتم تعبئة البضاعة المشتراة، في شوالات جلدية، وتسوق عبر طريقين مختلفين: في القرنين الرابع والثالث ق.م. الأول ينطلق من شبوة حتى "جرهاء" على الخليج، وكانت تقطعه القوافل بحوالي أربعين يوماً. من هناك كان الجرهبانيون يحملون البضاعة باتجاهين مختلفين-أيضاً-؛ عن طريق البحر أو عن طريق البر، نحو جنوبي بلاد الرافدين، ومن هناك تنقل البضاعة على قوارب جلدية، عبر مجرى النهر، إلى الشمال. والطريق الآخر؛ يقطع شبه الجزيرة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، حتى غزة، حيث يبتاع البضاعة التجار المصريون⁽⁵⁴⁾.

وكان المركز الثاني لبيع الطيب والمر واللدان هو؛ تمنع- الحاضرة القتبانية. وبالرغم من أن أشجار البخور والمر وغيرها كانت في أراضي قتبان قليلة، إلا أن القتبانيين منذ القرن الرابع ق.م.، تمكنوا من احتكار تجارة البخور والقرفة التي كانت تصل من الصومال، على قوارب حتى الموانئ القتبانية. وكانت البضاعة بعد بيعها على التجار المعيبين والجرهبانيين وغيرهم من التجار القادمين إلى تمنع، تعبا في شوالات جلدية. ومن تمنع كان يبدأ طريق القوافل الرئيس الثاني، حتى يصل غزة؛ وكانت الرحلة تستغرق فيه 70 يوماً. وكانت القوافل التجارية تعبر مارب ومنها إلى وادي الجوف، وتر في الحاضرة المعينية يثيل ومنها إلى نجران فقرية الفاو (حاضرة كندة ومذحج) ، ثم العلا (دنان) إلى البتراء، وبعد ذلك إلى غزة (خريطة رقم اثنين) . مع العلم أنه في مرحلة من المراحل وجد فرع لهذا الخط التجاري امتد من بتراء شرقاً باتجاه بادية الشام ومنطقة الفرات.

في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد. وقد أثر تنظيم القوافل التجارية بشكل واضح على هذا الطريق، وتم اختصاره إلى 65 يوماً (بدلاً من 70 يوماً) . وعلى طول المسافة هذه ، كان لابد من الدفع مقابل الخدمات المختلفة ، التي كانت تقدم للقوافل: "...وكان يدفع قسط محدد للكهنة وكتبة القصر ، كما يتم الدفع للمراقبين والحرس ، وللبوابين والخدم . ثم بعد ذلك تدفع القوافل مقابل المياه والكأ للجمال والطعام للناس المرافقين للقوافل ومحطات الوقوف قسماً آخر. فضلاً عن الدفع مقابل مرور التجارة في المناطق المختلفة التي يمر بها طريق القوافل. وقد كان يكلف حمل الجمل الواحد، من

منطقة الإنتاج وحتى منطقة الاستهلاك حوالي 688 ديناراً رومانياً، عدا عن الدفع للملتزمين الرومان. وبذلك كان يصل سعر الرطل الواحد من الطيوب إلى 6 دنائير" (55). وكان يجب أن تكون حدود لكل ذلك، أي أن تجارة البخور، عن طريق القوافل البرية أضحت غير مجدية .

وقد نفذ الأنباط في شمالي غرب شبه الجزيرة العربية سياسة جمركية، اقتضت الحصول - قدر الإمكان - على مبالغ كبيرة من ضرائب مرور التجارة في منطقتهم، وفي الوقت نفسه عمل البطالمة في مصر ومن بعدهم الرومان، على تغيير طريق التجارة، وإرسال كل البضائع عن طريق البحر، حيث تمت السيطرة الإغريقية والمصرية على الملاحة البحرية وكذلك على التجارة. وبذلك بدأ عصر جديد في دراسات طرق الملاحة البحرية، المتجهة من الغرب نحو شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي. ففي عهد الاسكندر المقدوني، الذي سمع كثيراً عن الثروات في جنوبي شبه جزيرة العربية، بعد سيطرته على مصر في عشرينيات القرن الرابع ق.م.، أرسل بعثة بحرية من البحر الأحمر للدوران حول شبه جزيرة العرب (56). ثم انطلقت بعد ذلك عدة بعثات من أسفل الفرات نحو مصر (57). على أن تلك البعثات لم تحقق أهدافها التي أرسلت من أجلها وهي الدوران حول خليج عمان. وبالرغم من ذلك حصل عالم البحر المتوسط، بفضل تلك البعثات على معلومات موثوق بها عن إمكانية الإبحار حول الشواطئ الغربية والجنوبية لشبه جزيرة العرب . وإذا أضفنا إلى ذلك إبحار نيارخ وانيسيكريت، اللذين قدما للملاحة البحرية، خرائط موثوقاً بها عن الملاحة من مصب نهر السند حتى مدخل مضيق هرمز (58)، فإن البحارة الإغريق هم أول من فتحوا الطريق البحري إلى الهند في القرن الرابع ق.م، على الرغم من مرورها قرب السواحل، لأن الرياح التجارية كانت إلى ذلك الوقت لم تكتشف بعد. وقد رأى أولئك البحارة أشجار البخور، التي كانت تنمو في مزارع ملوك حضرموت، قرب خليج القمر (59).

واتخذ فيما بعد، ملوك مصر من الأسرة البطلمية (60) الخطوات التالية لا سيما عند منتصف القرن الثالث ق.م، فيأثناء حكم بطليموس الثاني حيث قام واحد من أقاربه، يدعى أريستون، برحلة حول ساحل شبه جزيرة العرب، وتتبع بدقة الخط البحري حتى عدن (61).

وفي النصف الثاني من القرن الثالث ق.م، وضع شخص مجهول خريطة ملاحية كاملة حتى الصومال⁽⁶²⁾. على أن التجارة البحرية الإغريقية المصرية عند شواطئ شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث قبل الميلاد كانت قد بدأت. ولم تتمكن تلك الرحلات البحرية إلا من الوصول إلى ميناء عدن، الذي كان يخضع حينئذٍ لفتبان، وكان يتم هناك تفريغ السفن الهندية وتعبئة المصرية⁽⁶³⁾.

انتقال القوافل التجارية من البر إلى البحر اختفاء مملكة معين

استفادت فتبان وحضرموت من انتقال تجارة البخور إلى البحر باعتبارهم دولاً تمتد حتى سواحل البحر العربي في الجنوب ومنطقة باب المنذب في الجنوب الغربي. لقد نمت مدن وموانئ جديدة على السواحل؛ يذكر منها موزع واكيليس جنوب الساحل الشرقي للبحر الأحمر وعدن وقتنا وخورروري على ساحل البحر العربي. وكانت اكيليس ميناءً تجاريًا وقتبانياً مهماً مع الصومال، أما قنا فقد كان يصدر منها البخور الحضرمي⁽⁶⁴⁾. بهذا الشكل وحتى منتصف القرن الثاني ق.م. وكان البحارة والتجار الإغريق والمصريون قد عرفوا بشكل جيد الملاحة في البحر الأحمر وخليج عدن. فقد كانوا يصلون بسفنهم حتى سواحل الصومال وعدن، حيث كان يتم تفريغ سفن الهنود واليمنيين وإعادة شحن البضاعة على سفنهم والعودة إلى مصر. في هذه الأثناء كان الأسطول الحربي المصري يجوب مياه البحر الأحمر لحماية السفن التجارية من القراصنة هناك .

في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وجهت ضربة كبيرة لاحتكار اليمنيين تجارة الترانزيت بين الهند ومصر. أي أنه في العام 116 أو 115 ق.م . عشر البحار الإغريقي Euduxus ، مع أحد البحارة الهنود جنحت سفينته -على ما يبدو- جنوبي البحر الأحمر ، حيث لم تكن تملك معلومات عن نظام الرياح الموسمية (التجارية) التي تهب في المحيط الهندي ، ومع ذلك قام برحلة إلى الهند والعودة⁽⁶⁵⁾. و بعد ذلك كُلف القبطان "هاتيبال" ، بتعميم كل التجارب السابقة، ولخص أكثر الخطوط اقتصاداً في وقته من مصر إلى الهند مباشرة في وسط البحر بعيداً عن السواحل العربية⁽⁶⁶⁾. وبالنتيجة، بعد حوالي مئة عام ، وفي الخط الذي أسسه افد وكس الكيزيكي، كانت تمخر عباب المحيط الهندي أكثر من 120 سفينة تجارية إلى الهند والعودة⁽⁶⁷⁾.

ونتيجة ذلك حرمت بلاد العرب الجنوبية من احتكار تجارة المرور. لقد كان لإقامة خطوط ملاحية بحرية منتظمة ومؤسسة على خرائط موثوق بها ومن ثم مبنية على نظام الرياح الموسمية (التجارية) أثره في ذلك، وقد أن سمح، مع الوقت، لحضرموت، وفي ما بعد لقتبان أن يتخلصا من وساطة المعينيين والسبئيين، أن يشحنوا منتجاتهم من الطيوب والبخور على السفن الإغريقية والمصرية من الموانئ المخصصة لذلك. وبالنسبة للدولة المعينية كان يعني ذلك انهيار كامل لحياتها الاقتصادية. بمعنى أن المعينيين اعتمدوا فيما اعتمده في نشاطهم الاقتصادي على التجارة البرية، فحينما تحولت القوافل التجارية إلى البحر، فإنها بذلك وجهت ضربة اقتصادية ماحقة لاقتصاد معين. ومن ثم عجلت بنهاية دولة معين. وعندما سيطرة روما على سورية ومصر في القرن الأول قبل الميلاد وتعدد الوضع أكثر. أي أن الإمبراطورية الرومانية أقدمت على اتخاذ خطوات مهمة في سبيل وضع التجارة الشرقية تحت رقابتها، وهي التي كانت تدر لها مبالغ ضخمة على شكل ضرائب. وقد ازدادت ضرائب التجارة بشكل ملحوظ، باستخدام الوسائط البحرية في نقل البضائع، التي كانت تنطلق من جنوب بلاد العرب والهند مباشرة إلى الموانئ المصرية. وفي ذلك الوقت بدأ الرومان يدعون حقهم في السيطرة على كل ضرائب التجارة البحرية في شمال المحيط الهندي والبحر الأحمر⁽⁶⁷⁾.

وبالنسبة لبدأ الصراع بين دول جنوب شبه الجزيرة العربية يشتد، بسبب تضاؤل التجارة واقتصارها على تلك الدول التي كانت تمتلك مسواتل بحرية. وكانت أسباب الصراع تدور حول؛ كيفية السيطرة ليس على تجارة اللبان، ولكن على الأراضي التي تنتج اللبان، فضلاً عن المناطق، التي توجد بها موانئ التصدير (قنا، عدن وموزع). في غضون ذلك، وفي نهاية القرن الأول ق.م. حاولت الإمبراطورية الرومانية اتخاذ خطوات من أجل السيطرة على المناطق الساحلية، في بلاد العرب الجنوبية، وتحديدًا مناطق حضرموت، التي كانت تنمو فيها أشجار البخور. وبذلك قام الأسطول الحربي الروماني بعمليات عسكرية من البحر والبر. وإذا كانت المعلومات التي وصلتنا من بليني موثوقاً بها، فإن أسطول الإمبراطور أغسطس، قد قام بتلك العمليات الحربية عند السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، أي أنه ضرب عدن⁽⁶⁸⁾. أما صاحب كتاب

الطواف فيشير إلى أن الرومان سيطروا لبضعة من الوقت على عدن⁽⁶⁹⁾. وكانت حملة اليوس جالوس ذروة تلك المحاولات، عندما ترأس حملة عسكرية ضخمة انطلقت من ميناء القصير في مصر نحو بلاد العرب، من أجل السيطرة على مناطق إنتاج الطيوب. إلا أن تلك الحملة باءت بالفشل ولم تحقق أهدافها.

الخلاصة

عرفت بلاد العرب الجنوبيين مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، زراعة مزدهرة، واستخدمت أساليب متطورة في الري الصناعي. وإلى جانب الزراعة، انتشرت فيها زراعة أشجار البخور والمر والورس والقرفة وغيرها في شرق المملكة الحضرية وفي أراضي أوسان وبعض أراضي قتبان وفي جزيرة سقطرى. ومن ثم أدت هذه المنطقة دوراً مهماً في التجارة بين الشرق والغرب، في التاريخ القديم. كان عدد الأسر المالكة لأشجار البخور في حضرموت يصل إلى حوالي ثلاث آلاف أسرة .

وخلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد برز السبئيون كقوة في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وقد أقامت علاقات تجارية ودبلوماسية مع بلدان الشرق الأدنى القديم، وسيطروا على تجارة البخور التي كانت تجد إقبالاً شديداً في تلك البلدان. الأمر الذي عكس نفسه على مجمل نواحي الحياة في المملكة السبئية، فبنت جهاز دولة متطور وبنيت المدن وعاش سكانها في رفاه ملحوظ، ذكره الكتاب الكلاسيكيون وكذلك الكتب الدينية. فضلاً عما ذكرته المصادر النقشية .

وعند منتصف الألف الأول قبل الميلاد وبعد صراع مزير بين السبئيين والقبتانيين وبعض مدن وادي الجوف، ضعفت على أثرها المملكة السبئية، فاختلفت موازين القوى في جنوبي شبه جزيرة العرب، وظهرت نتيجتها دولة معين في وادي الجوف وسيطرة شينا فشيئا على تجارة العرب الجنوبيين الداخلية والخارجية.

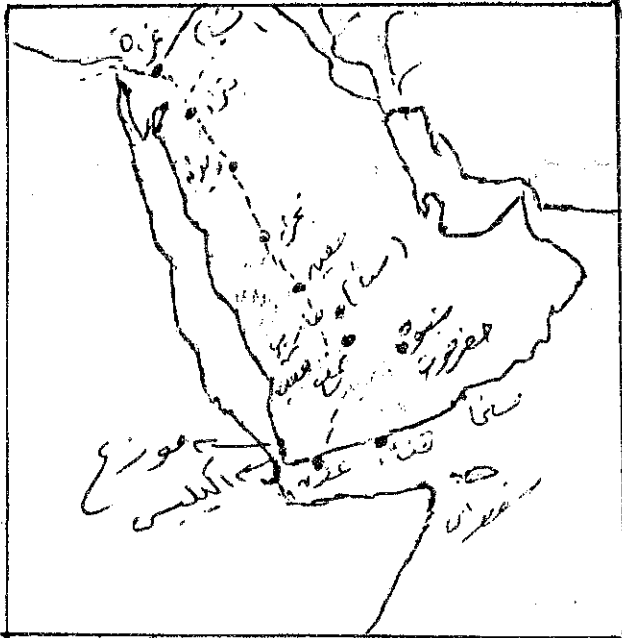
أقام المعينيون شبكة واسعة من المستوطنات التجارية؛ في تمنع وشعوب وددان وغزة وربما كانت لهم جالية كبيرة في مصر. فضلاً عن وصولهم إلى جزر بحر إيجة .

تاجر العرب الجنوبيون بالبخور والمر والورس والقرفة، وهي منتجات كانت تنتج في بلادهم، وتاجروا كذلك بمنتجات كانوا يجلبونها من الهند وشمال شرق أفريقيا. وقد درت

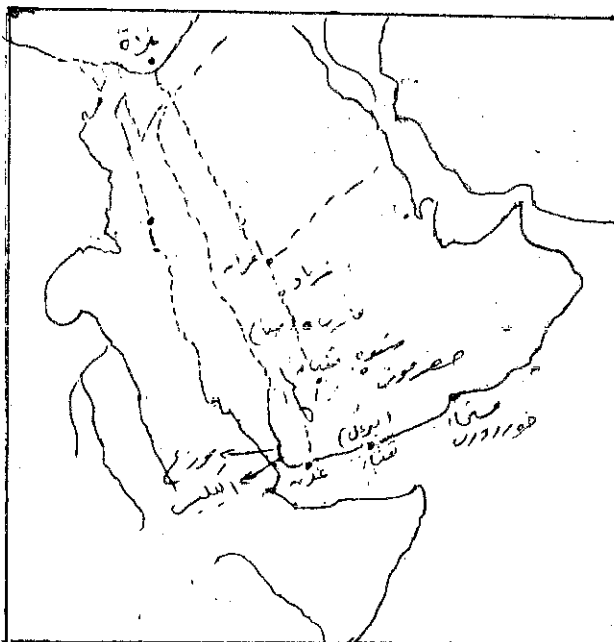
تلك التجارة على لدول العربية الجنوبية القديمة ثروة كبيرة، بالغ في تقديرها الرحالة اليونانيون والرومان، وكتبوا عنها كثيراً. فوصلت أخبار تلك الثروة إلى مسامع ملوكهم وأباطرتهم، فأثار ذلك رغبتهم في السيطرة على مناطق إنتاج تلك السلع. وقد حاول من وقت لآخر تجار من جرهام وغزة وصيدة أن ينافسوا المعينيين في احتكارهم للتجارة، لكنهم أزيحوا مع مرور الوقت.

وفي الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد، ازداد الطلب على سلعة البخور والمر، الأمر الذي أدى إلى أن تجمع تلك السلعة مرتين في العام، بعد أن كانت تجمع مرة واحدة. ووصل سعر الرطل الواحد من المر إلى 6 دنانير في مناطق الإمبراطورية الرومانية، وسعر الجمل إلى 688 دينار. وحدثت محاولات عدة في تنفيذ رغبة الأباطرة الرومان في السيطرة على مناطق إنتاج البخور، فضلاً عن السيطرة على طرق التجارة. اتبع أولئك الأباطرة في البداية الأساليب العسكرية للاستيلاء على تلك المناطق، وعندما فشلوا استخدموا الطرق الثقافية والدبلوماسية.

تأثر العرب الجنوبيون بتلك المناطق التي أقاموا معها روابط تجارية واجتماعية (زواج وخلافه) ، وكانوا سادة القوافل التجارية البرية. فقد تم العثور على لقي أثرية في قرية الفاو والعلا (ددان) وفي غزة ومصر وجزيرة ديلوس، شملت نقوش سبئية ومعينية، على التوالي ومذابح (التار) لآلهة السبئيين والمعينيين. كما تم العثور على بقايا معابد وبورصات تجارية، كلها تدل على التأثير والتأثر الذين كان بين العرب الجنوبيين وسكان مناطق الشرق القديم. بعد تحول الطرق التجارية من البر إلى البحر، تضررت الدول العربية الجنوبية القديمة، التي تقع أراضيها بعيدة عن السواحل البحرية. فاكتفى البعض منها مثل الدولة المعينية وضعف البعض الآخر مثل سبأ ، و بذلك سيطر على التجارة وطرق القوافل البحرية المصريون والإغريق ثم الرومان، واكتفى العرب الجنوبيون بما كانوا ينتجون من البخور والمر واللدان وغير ذلك، في كل من حضرموت وقتبان. فضلاً عن ذلك كانوا يحصلون على ضرائب تجارة الترانزيت القادمة من شبه القارة الهندية وشمالى شرق أفريقيا .



خريطة رقم (1) بلاد العرب الجنوبية في بداية الألف الأول قبل الميلاد
المصدر: كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ



خريطة رقم (2) جنوب شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد

الهوامش :-

- (1) p32، no.9،1985، Znanie cila·Bayer G. Raybun in Hadramayt
- (2) حول نظام الدولة في سبأ أنظر ؛ جلب باوير، في المبشر في التاريخ القديم، العدد الثاني الصادر في جامعة موسكو لعام1964، 64-65.
- (3) أنظر المعجم السبئي1982، ص78.
- (4) بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديم، تونس1985، ص398.
- (5) الصليحي، على محمد؛ المكرب، الموسوعة اليمنية، صنعاء1992، ص902.
- (6) Rick، Roma1989، Stephen: Lexicon of Inscriptional Qatabanian، p87.
- (7) أنظر؛ لوندن، دولة مكربي سبأ(الإيبونيم السبئي) ، الصادر باللغة الروسية في موسكو1971، ص136 و ص204-205.
- (8) على الرغم من أن التمايز لطبقي لم يكن واضحاً بعد بما فيه الكفاية. إذ أن الطبقة الأبوية للعبودية كانت هي السمة الغالبة في العلاقات بين الطبقات. وكان العبد يعد أحد أفراد المجموعة الأسرية.
- (9) لوندن، أبراهام، المعطيات الاقتصادية- الاجتماعية للنقوش السبئية النثرية خلال حقبة المكاربة، المبشر في التاريخ القديم،- العدد الثالث الصادر في جامعة موسكو- لعام1962، ص25.
- (10) الكتاب المقدس، كتاب الملوك الثالث10،1-15. ربما حدثت تلك الزيارة سنة945 قبل الميلاد؛ كذلك؛ ذكرت هذه الزيارة في سورة النمل، الآيات22-24.
- (11) كريستيان جوليان رويان، سبأ والسبأيون، في حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء2005، ص23.
- (12) أنظر لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع؛ ناصر صالح حبتور، توحيد اليمن قديماً بين ذكر إله وكرب إله، في مجلة سبأ الصادرة عن أقسام التاريخ في جامعة عدن_العدد12، يوليو2003، ص15-28؛ قارن كذلك: اسمها ن الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية(اليمن القديم)، جامعة عدن ط1-2002، ص147-150؛ كذلك؛ مهيبوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية (الكتاب الأول: التاريخ السياسي)، صنعاء-ط1-2003، ص71-73.
- (13) ناصر صالح حبتور، توحيد اليمن...، المرجع السابق، ص15-28؛ قارن كذلك: اسمها ن الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم... المرجع السابق، ص147-150؛ كذلك؛ مهيبوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري...، المرجع السابق، ص71-73؛ عبدالله حسن الشيبه، كرب إله وتر الكبير أول موحد لليمن، ندوة جامعة عدن، فبراير2001.
- (14) أنظر النقش الموسوم بـ(RES 3946)؛ قارن كذلك؛ بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، ط2، بيروت1985، ص56؛ كذلك؛ مهيبوب غالب احمد، العلاقات الدولية لليمن القديم في بداية الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة = كلية التاريخ- جامعة موسكو1986، الفصل الثالث، ص19-24؛ كذلك؛ اليمن القديم من دول القبائل إلى الدولة الواحدة، مجلة اليمن الجديد، العدد الخامس- السنة الـ19، صنعاء1990؛ كذلك؛ كريستيان جوليان رويان، تأسيس إمبراطورية السيطرة السبئية على الممالك الأولى(القرن الثامن- القرن السادس ق.م.)، في؛ اليمن في بلاد منكة سبأ، تعريب؛ بدر السدين عر ودكي، معهد العالم

العربي- باريس ودار الأهلالي، دمشق، (الطبعة العربية 1999)، ص 89- 97، كذلك: اسمهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم...، المرجع السابق، ص 147-150؛ كذلك: مهيبوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري...، المرجع السابق، ص 71-7.

(15) هذا التحالف معروض، باختصار، في النقتين RES 3945 and RES 3946.

(16) أنظر النقش RES 2980. حتى وقت غير بعيد كانت النقوش المعينية غير معروفة، إذ أن بعض من تلك النقوش كانت معروفة على شكل صور منسوخة بخط اليد لدى العالم الفرنسي؛ يوسف هاليفي. فقد نسخها له اليمني: حاييم حبشوش في سبعينيات القرن التاسع عشر (1870)، وصور وجدت لدى الباحث المصري؛ محمود توفيق، والتي نشرها في منتصف القرن الماضي العالم يحي نامي في أعداد مختلفة من مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، تحت عنوان: نقوش سامية من جنوب بلاد العرب.

وقد تمكن المستشرق الروسي؛ بطرس غريازنيفتش من السفر إلى الجوف وصور القسم الأكثر من تلك النقوش، كانت موجودة في حائط مدينة براقش (وهي التي كانت تسمى- سابقاً يثيل). وتم نشر تلك النقوش مع انطباعات المستشرق المذكور في كتاب عن المدن المعينية حمل عنوان: " البحث عن المدن المطمورة"، الفصل " براقش" ص 215-233، موسكو 1982؛ قارن كذلك: جلب باوير، النقوش المعينية من أطلال براقش/ الآثار الكتابية ومشكلات تاريخ وثقافات شعوب الشرق، الندوة التاسعة التي عقدت في معهد الإستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية- قسم ليننجراد. "شبه جزيرة العرب في التاريخ القديم" /، موسكو 1973، ص 18-32.

(17) أنظر النقش RES 3015.

(18) أنظر النقش RES 2831.

(19) أنظر: جلب باوير، "كشف المحضيات" من معين، " المؤتمر الاتحادي الثامن حول الشرق القديم، والمكسر لذكرى الأكاديمي ف. استر وفه/ 1889/2/2-1965/9/15، موضوعات بحثية، موسكو 6-9 فبراير 1979، ص 13-15.

(20) فمثلاً في واحد من تلك النقوش/ م. 392 السطر التاسع من الطبعة الإيطالية للنقوش المعينية/ نقرأ الآتي: "بحوم إل بن = حوحو من عائلة رتع، عشيرة (أو بدنة حسب الوقت الحالي) غبان أهدى الإله عشتار وفي ما بعد اشترى لنفسه امرأة (اسمها تحبس) من مصر". مع العلم أن عشيرة غبان كانت تمثل أكبر اتحاد تجاري معيني.

(21) أنظر النقش: RES 3022.

(22) تحت مسمى أشور؛ ربما، يجب أن يفهم ليس أراضي الدولة الآشورية، ولكن منطقة جنوب بلاد الرافدين، أما ما وراء النهر (عبر النهر)، - أغلب الظن- هي؛ بحسب مصطلحات الحقبة الأخمينية، منطقة سورية وشرق البحر المتوسط. قارن: دندمايف م.ا.، التاريخ السياسي للدولة الأخمينية، موسكو 1985، الحاشية بعنوان: " ما وراء النهر"، ص 312.

(23) غير معروف، ما ذا يعني مسمى: مذاي (أو مزاي) هل هم الفرس في مصر أو القبائل النوبية الجنوبية، قد هاجمت الشمال.

وبشكل عام فإن جوهر النقش يسمح أن نحدد زمنه عند نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق.م.

(24) أنظر : عبدالله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم - مابين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، ط1 ، بيروت 1999 ، ص 364 .

(25) قارن النقش RES 3346.

(26) كان ذلك في عام 600 قبل الميلاد تقريباً؛ أنظر: IV-42: The Persian Wars: Herodotus

، translated by George Rawlinson with an introduction by Francis R.B.Godolphin

Modern Library; 255

، (New York; Modern Library

: p.306. ، 1947

(27) لمحات من تاريخ أفريقيا، موسكو 1978، ص 125.

(28) شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ط1 - 1991، ص 60.

(29) Gordon Child، What Happened in History، A Pelican Book (Harmondsworth، Eng.:

Penguin Books، 1942)، p. 146.

(30) نفسه.

(31) شارل عيساوي، المرجع السابق.

(32) R. Ghishman، Iran (London: "n.pb."، 1952)، pp.186 and 181-188.

(33) Mikhail Rostovtsev، The Social and Economic History of Hellenistic

World، 3 vols. (Oxford: Clarendon Press، 1941)، vol. 1، pp.83-90.

(34) بحسب بليني الأكبر (XII، 58): عادة كان يجمع البخور مرة واحدة في العام، بسبب قلة الطلب عليه؛ حالياً (في عصر الكاتب) ، وقد استدعى الطمع بالمال إلى أن يجمع مرتين في العام.

(35) أنظر: باوير ولوندين، تاريخ اليمن القديم، ترجمة: أسامة عبد الرحمن النور، عدن 1984.

(36) أنسار بليني الأكبر (XII، 63: " إن نقل البخور - المجمع في حضرموت - لا يمكن أن يتم إلا عبر قنبان".

(37) كتب بليني يقول (XII، 63): "إن البخور الذي يجمع في حضرموت ينقل على الجمال إلى شبوة (عاصمة البلد)، وهو ما فتحت من أجله عدة أبواب. وقد أكدت القوانين الملكية على ضرورة مراقبة الطرق بصرامة. أنظر كذلك: "كتاب الطواف حول البحر الإريتري"، الترجمة الروسية، في مجلة المبعشر في التاريخ القديم لعام 1940، العدد الثاني الفقرة 28 .

(38) بليني الأكبر (XII، 54-52).

(39) نفسه؛ قارن كذلك: محمد السيد محمد عبد الغني، مصادر القرنين الأول والثاني للميلاد حول مناطق إنتاج وتصدير اللبان العربي "رؤية نقدية"، في مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع - المجلد الأول، القاهرة 1999، ص 111.

(40) أنظر: كتاب الطواف، المصدر السابق، الفقرة 29، حيثما يقول: "يجمع اللادان عبدة الحكومة وأولئك الذين يرسلون إلى هناك كعقاب لهم. لأن تلك الأماكن ليست صحية تماماً...".

(41) أنظر استرابون، جغرافيا (III، XVI، 3، 2)، قارن كذلك: أريان، الهند، 32، 7 (المبشر في التاريخ القديم

1940:2) ؛ بوليني، التاريخ العام...، موسكو 1890-1899، الكتاب الثالث عشر.

(42) ديودور الصقلي، المكتبة، III، 42، 5.

- (43) أنظر بليني الأكبر (69، XII).
- (44) نفسه، (80، XII).
- (45) أنظر: النقش RES 3346.
- (46) أنظر النقش رقم 9 الذي أصدره محمود الغول السطرين الأول والثاني. كذلك أنظر الصفحة الخامسة من هذا البحث.
- (47) النقش RES 4337.
- (48) أنظر النقش المعيني على التابوت الذي وجد في مصر والموسوم بـ RES3427. وهو كما يبدو كان في ذلك الوقت يحكم في مصر بطليموس الأول.
- (49) حول مجمع ساربيس، أنظر: عاصم احمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، غاد يكو القاهرة- ط2-1991، ص77-87.
- (50) غالينيشف ف. س.، نتائج الرحلات الأثرية (النقشية) في وادي الحمامات، "شرق- غرب جمعية القسم الأثري الروسي"، المجلد الثاني، الجزء 1-2، 1888.
- (51) "في هذا النقش المعيني (RES 3570)، يذكر أن اثنين معينيين؛ أقاما نصب (مذبح) للإله ودد وآلهة معينة أخرى في جزيرة ديلوس" السطر 2-3.
- (52) ارثوسفين، في جغرافية استرابون (IV، XVI، 4).
- (53) أنظر؛ بليني (64، XII).
- (54) أنظر إن شنت: علاء الدين عبد المحسن شاهين، التأثيرات الحضارية بين مصر الفرعونية وشبه الجزيرة العربية في العصر الحديدي: دراسة نقدية، في مجلة المؤرخ العربي- العدد الحادي عشر، المجلد الأول، القاهرة 2003، ص14.
- (55) بليني XII، 64-65؛ قارن كذلك: نايجل غروم، طيوب اليمن، في كتاب؛ اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عر ودكي، معهد العالم العربي- باريس ودار الأهالي، دمشق، (الطبعة العربية 1999، ص73-74.
- (56) أنظر: أريان، الهند، المصدر السابق، الفقرة: 43، 7؛ كذلك: ثيوفراست، IX، 3-4، 8، حيثما يجري الحديث عن" أن المشاركين في هذه الرحلة قد ابحروا من جرينبول في خليج السويس".
- (57) أنظر؛ أريان، حملة الاسكندر المقدوني، موسكو- ليننجراد 1962، (VII، 20، 10-6).
- (58) أريان، الهند، المصدر السابق، 21-32.
- (59) أنظر الحاشية رقم أربعين.
- (60) أنظر: خفستوف، ميخائيل، تاريخ التجارة الشرقية لمصر الإغريقية- الرومانية، قازان 1907.
- (61) أنظر: ديودور الصقلي، المصدر السابق، 21-48، 4 وبالذات 42، 1-2 ز
- (62) نفسه؛ قارن كذلك: لمحات من تاريخ أفريقيا، المصدر السابق، ص53.
- (63) لاحظ عن هذا: جلب باوير، عن موقع جنوب شبه الجزيرة العربية في التجارة البحرية في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.، مجلة مروى، العدد الثاني، ص209-227.
- (64) نفسه، كذلك: استرابون (4، 42، XVI)؛ كذلك: بليني الكتاب السادس، 104، 152؛ كذلك: كتاب الطواف...
- الفقرات 16-17، 21، 24-25، 27-30.

- (65) عن رحلة Euduxus kiziki أنظر: استرابون(III:II، 4) .
- (66) أنظر كتاب الطواف، الفقرة 57؛ وكذلك: بلييني، 101:VI .
- (67) كتب استرابون(II،V،12) يقول: "عرفت أن حوالي 120 سفينة يقومون برحلات من ميناء القصير (ميسوس هر موسى على البحر الأحمر) إلى الهند..." .
- (67) أنظر؛ كتاب الطواف، الفقرة 31؛ كذلك: بلييني، (VI، 84) .
- (68) بلييني، الكتاب الثاني الفقرة 168 .
- (69) كتاب الطواف، الفقرة 26 .



"المثامنة" بين الخبر والأثر



د. ناصر صالح حبتور*

تردد اسم "المثامنة" في كتب الإخباريين العرب وبخاصة اليمنيين منهم ، فما هي مصادر أخبارهم؟ وما هو الزمن الذي عاشوا فيه ؟ ثم من هم "المثامنة" عند الإخباريين؟ وهل لهم من ذكر في النقوش ؟ والملاحظ أن مواقفهم قد تلوّنت في الروايات الإخبارية بين القوة والضعف، بين الإقدام والانهزام، فما هي حقيقة ذلك ؟ وهل هناك مقدمات وأمثلة تؤيد الدور الذي نسب لهم ؟ ثم ما هي مؤشرات المقارنة بين ما أورده الأخبار مع ما أورده الآثار النقشية ؟

أولاً - مصادر تاريخ (المثامنة):-

خبر "المثامنة" كهيئة ذات دور في التاريخ اليمني أورده الإخباريين العرب ونخص بالذكر منهم كل من لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (280هـ - 360هـ) ، ونشوان بن سعيد الحميري (ت573هـ) ، أما غيرهما من الإخباريين فلا تتعدى رواياتهم ما ذكره الهمداني ونشوان باستثناء ابن رسول الذي أورد عدد من الأبيات التي يرى أنها من جملة من عرف باسم "المثامنة" وفي نظرنا فإن روايات الإخباريين عن "المثامنة" لا تعد أكثر من تدوين لروايات شفوية وصلت إليهم بعد بضعة من القرون التي تفصل بين الحدث وتدوينه وهي فترة طويلة ، ثم أن روايات الإخباريين

* عميد كلية التربية شبوة - جامعة عدن.

جاءت بعد زمن احتدم فيه الصراع القحطاني - العدناني ومن هنا دخلت المبالغات ووضع الأخبار بهدف إثبات فضل هذا الطرف على الآخر⁽¹⁾ ، وفي هذا الشأن أكد بن خلدون وابن حزم القول بأن أخبار التبابعة وأنسابها لا يصح منها إلا القليل وعزيا ذلك إلى بعد العهد بين الأحداث وتدوينها⁽²⁾ ، ومن هنا فإن علينا أخذ الرواية بحذر بل أن علينا التدقيق والتمحيص ، ثم إن علينا البحث في المصادر الأصلية (النقوش) عن حقيقة وواقع "المثامنة" ، وجمع ما يؤخذ به من هذا وذلك - المصادر والمراجع - يمكن أن تتكامل الفكرة ومن ثم يمكن تقديم صورة هي أقرب إلى حقيقة وواقع "المثامنة" والدور الذي نسب لهم .

ثانياً : اسم (المثامنة) :-

أطلق الإخباريون العرب اسم "المثامنة" على عدد من العشائر أو البيوتات اليمنية المتنفذة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي وذلك عند تدوينهم لتاريخ تلك المرحلة، وإذا جننا إلى مصدر ذلك الفعل لوجدنا أنه مشتق من الفعل الثلاثي "ث م ن" المرتبط بالعدد ثمانية⁽³⁾ ، نشوان بن سعيد : منتخبات في أخبار اليمن - نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد - منشورات المدينة - صنعاء ط3 1986 ص16] ، وطالما أنه ارتبط بالعدد ثمانية فمما لا شك فيه بأن الهدف من التسمية بذلك الاسم إنما كان الغرض منه تبيان عددهم سواءً ثمانية كما هو عند الغالبية أو ثمانون كما جاء في بعض الروايات⁽⁴⁾ أما ماهية الثمانية فقد عرفوا عند الأغلبية أنهم ثمانية (أبيات) التي تعني أسر أو عشائر تنتمي إلى قبائل كبيرة ، وفي شعر لعقمة ذي جدن وصفهم بسـ (أملاك) التي مفردها ملك⁽⁵⁾ ، اما ابن رسول فقال: إنهم ثمانية أقيال، وحيث أن القيل لا يكون قبلاً إلا بعشيرته وقدراته العسكرية والإدارية فإن الراجح لدينا بأنه لا فارق بين جوهر المسميات آنفاً فالهدف الإشارة إلى جماعة من الناس كبر عددها أم صغر لكنها تتميز بتقاربها نسبياً ويتصدرها أحد أفرادها.

لم يورد المعجم السبئي شيئاً من مشتقات المصدر (ث م ن) باستثناء ما يرتبط بالعدد ثمانية وليس له علاقة بأفراد أو مجموعة لها مهام محددة كما أورد الإخباريون ،

الأمر الذي يؤكد بأن هذه المجموعة من الأسر اليمنية إنما عرفت لدى الإخباريين المسلمين باسم "المثامنة" من منطلق تبيان عددها.

ثالثاً - زمن (المثامنة) :-

لم يشير الإخباريون إلى زمن محدد لظهور "المثامنة" وكل ما أورده الهمداني ونشوان يستشف منه عدم تيقنهم من الزمن الذي ظهر فيه "المثامنة" اسماً أو ممارسة للدور الذي نسب إليهم ولاسيما تنصيب وعزل الملوك ومع ذلك فسناقش بقدر المتاح تلك الإيماءات لزمن "المثامنة".

لم يحدد ولم يعلق نشوان بن سعيد على التحديد الزمني الذي أورده لدى سرده لبعض أبيات علقمة ذي جدن إذ أورد نشوان البيت الشعري الآتي:-

وذو مقار وذو صرواح ثامنهم أولاد أملاكنا في دهرنا الخالي

فمن ذلك البيت يتضح لنا أن علقمة قد أشار إلى الماضي بشكل عام الذي يمكن أن يشمل فترة زمنية تمتد إلى عهدي سبأ وحمير حيث أن أشعاره عبارة عن رثاء على ملك حمير⁽⁶⁾ ولكثرة أشعاره في بكاء خراب وتدهور حضارة اليمن عرف بـ"النواحة" وبيته آنف الذكر لا يساعد على معرفة الزمن الذي عاش فيه "المثامنة".

التحديد الثاني لزمن "المثامنة" أورده الهمداني فعندما عدد "المثامنة" أتبعه بقوله " وهم ثمانية أبيات افترق فيها الملك بعد ذي نواس وقيل ذي نواس في الخرفة الأولى⁽⁷⁾ وإذا عدنا إلى ذلك القول فإننا نقف على الحقائق التالية: -

1- عدم تيقن الهمداني من الزمن الذي عاش فيه "المثامنة" أو الذي افترق فيه ملك حمير.

2- ترجيحه للروايات التي تربط ظهورهم بفترة حكم ذو نواس وما تلاها.

إذا أردنا أن نرسم صورة لمرحلة ظهور واستقامة الأمر للمثامنة من خلال ما أورده الإخباريون لوجدنا أنها تتسم بالآتي :-

- انهيار الدولة المركزية اليمنية (الحميرية)

- استقلالية الأقبال بمناطقهم (تفرق ملك حمير)

- صراع ديني وأطماع أجنبية في اليمن

- ربما كان ذو نواس قد ظهر في بداية ظهور "المثامنة".

وحيث أن الإخباريين قد حددوا استقامة الأمر للمثامنة مع بداية ظهور ذي نواس وافتراق ملك اليمن فإن ذلك يعني بأن أمر "المثامنة" قد استقام في القرن السادس الميلادي بالإضافة إلى مطلع القرن السابع حتى دخول اليمن في ظل الدولة الإسلامية، وستكون هذه المرحلة مرحلة لموضوع البحث ، وهذه الفترة وفقا للمعطيات النقشية تلونت بين الضعف والقوة ، فالقوة التي تعني إعادة توحيد الأرض والإنسان وقيام حكم مركزي ولو نسبيا نعتقد بأنها تجسدت بشكل متفاوت أيضا سوء في زمن استمرارها أو اتساعها، وتجسدت في أربع من المراحل الزمنية بلغت في مجموعا التقريبي أربعين سنة وهي على الشكل التالي :

- 1- مرحلة حكم الملك الحميري (معد كرب يعفر) وقد تجلت من خلال قيادته لحملة عسكريه إلى شمال الجزيرة شاركت فيها العديد من القبائل اليمنية عام 516م⁽⁸⁾ ويعتقد أن حكمه كان في الفترة بين (510-516م) (سيأتي ذكر القبائل لاحقا) .
- 2- مرحلة حكم الملك الحميري يوسف أسار(ذو نواس) وهي الفترة الممتدة بين (516-525).

3- مرحلة حكم الملك الحبشي ابرهه الواقعة بين (542- 560) تقريبا

- 4- مرحلة حكم الملك سيف بن ذي يزن في حوالي (565- 570م) : تلك هي فترات القوة النسبية حيث تجسدت خلالها وحدة الأرض والإنسان بدرجات متفاوتة خلال القرن السادس الميلادي، أما بقية سنين الفترة موضوع الدراسة فقد تميزت بالضعف وتجزؤ اليمن، ويمكن أن نحددها بأربع فترات زمنية فصلت فيما بين أقسامها فترات القوة النسبية أعلاه، وهذه الفترات ينطبق عليها قول الإخباريين بافتراق الملك ،وتؤكد ظروفها مقدار تجزؤ اليمن وانهيار دولته المركزية ، وهي وفق الآتي:

- 1- المرحلة الأولى (500- 510) أي المرحلة التي سبقت حكم الملك معد كرب يعفر.
- 2- المرحلة الثانية (525- 542) وهي المرحلة التي أعقبت مقتل الملك يوسف حتى ظهور ابرهه.
- 3- المرحلة الثالثة (560- 564) تقريبا وهي المرحلة التي أعقبت وفاة ابرهه حتى ظهور الملك سيف بن ذي يزن .

4- المرحلة الرابعة (570-630) تقريبا وهي التي أعقبت موت الملك سيف حتى دخول اليمن في ظل الإسلام .

وفي ما يلي تفصي لأهم سمات الأوضاع التي ميزت كل فترة من فترات الضعف أعلاه:

أ- مرحلة الضعف الأولى (500-510) تميزت هذه المرحلة بمظاهر الضعف الآتية:

1- كان اليزنيون عام 510م يسيطرون على النصف الشرقي من المملكة الحميرية ويدونون نقوشا تشير إلى استقلاليتهم بتلك المناطق وذلك من خلال عدم الإشارة إلى ملوك تلك المرحلة⁽⁹⁾.

2- انتشار الأحباش في مناطق عدة من اليمن خصوصا مناطق ظفار وتهامة ونجران كما أكدت ذلك نقوش اليزنيين⁽¹⁰⁾

3- انتشار المبشرين والتجار الأجانب وسيطرتهم الاقتصادية والروحية

4- احتدام الصراع النصراني اليهودي الذي تزكاه الدول الكبرى الأجنبية

5- وصف الإخباريون الملك الذي سبق ذا نواس بأنه مغتصب للعرش للحميري وأنه من أبناء المقاول⁽¹¹⁾.

6- كان يحكم نجران رجل يحمل لقب ملك كما أورد ذلك الإخباريون⁽¹²⁾.

بد مرحلة الضعف الثانية وقد تلت وفاة الملك يوسف عام 525م وانهيار الدولة المركزية : حيث دخل الأحباش اليمن محتلون لكن نفوذهم انحصر في المراكز الكبيرة من الهضبة الغربية وتهامة في بادئ الأمر بينما تمركز اليزنيون في مشرق اليمن، ثم تمكن الأحباش من اجتذابهم بتعيين زعيمهم (سميفع أشوع) ملكا لليمن تحت النفوذ الحبشي⁽¹³⁾ ، ولكن حكمه لم يدم طويلا ، فقد جاء ابرهه إلى الحكم حوالي 542م في ظل انتشار التمرد القبلي فتعامل مع المتمردين بشئ من الحنكة حيث لم يقم يدك معاقل الثائرين وإنما قبل تراجعهم ودخولهم في طاعته⁽¹⁴⁾.

ج- مرحلة الضعف الثالثة والرابعة : وهما اللتان تلتا نهاية حكم الأحباش ووفاة الملك

سيف بن ذيزن، وفيهما يمكن الجزم بالآتي :

- 1- أنهما فترتا ضعف وانهييار للحكم المركزي
- 2- طغى في الأولى التدخل والنفوذ الأجنبي ، وبداية ضعفه ونهايته، وساد الثانية الاحتلال الفارسي وتمركزه في المراكز الكبيرة بينما استقلت أغلب المناطق اليمينية الأخرى، وهذا الوضع لا يساعد على مجرد التفاهم بين الأقبال ما بالكم بتنصيب أو عزل الملوك ، وجدير بالإشارة إلى أن نتائج ضعف الملوك والتشتت وتدخل الغير تتشابه في كل البلدان والأزمان⁽¹⁵⁾

رابعا - (المثامنة) عند الإخباريين:-

- حدد الإخباريون عدداً من الأبيات - العشائر - التي أسموها بـ"المثامنة" فمن هم "المثامنة" ؟ . لقد أورد الهمداني أربع روايات لتحديد أسماء "المثامنة" وهي وفق الآتي:-
- 1- رواية أخذها عن ثقافته ولهذا فهي تنسب إليه وقد حملت هذه الرواية أسماء لسبعة من الأبيات فقط⁽¹⁶⁾ .
 - 2- رواية جاءت في قصيدة أنشدها له " أحمد بن إبراهيم بن الحابي " باعتبار أنها من قصائد علقمة بن ذي جدن ، لكن الهمداني علق على ذلك بقوله "ولست أعرفها في شعر علقمة⁽¹⁷⁾ .
 - 3- رواية في قصيدة شعر سمعها من بعض عرب صنعاء باعتبار أنها من قصائد علقمة أيضا، لكنه علق على ذلك بقوله " ولم يذكرها لعلقمة وقال هي لبعض حمير"⁽¹⁸⁾ .
 - 4- رواية أخذها من شعر وصفه بأنه من الشعر المشهور لعلقمة⁽¹⁹⁾ .
- أما نشوان بن سعيد الحميري فقد أورد روايتين وفق الآتي:
- 1- رواية في شعر له
 - 2- رواية في شعر نسبه لعلقمة بن ذي جدن⁽²⁰⁾ .

وفيما يخص ابن رسول فقد أورد روايتين تباينت فيما أوردتاه من أسماء، ولتحديد أسماء "المثامنة" في كل رواية من الروايات الآتفة نوجزها في الجدول الآتي :-

مجموع ورود الاسم في كل الروايات	روايتا ابن رسول		روايتا نثوان		روايات الهمداني			
	الرواية الثانية (2)	الرواية الأولى (1)	في شعر لعقمة ذو جدن (2)	في شعر نسبه لنفسه (1)	رواية في شعر قال أنه من الشعر المشهور لعقمة (4)	رواية في شعر قال إنه لبعض حمير (3)	رواية في شعر لعقمة لم يكن للهمداني به علم (2)	رواية الهمداني ذاته (1)
8	ثعلبان	ثعلبان	ثعلبان	ثعلبان	ثعلبان	ثعلبان	ثعلبان	ثعلبان
8	جدن	جدن	جدن	جدن	جدن	جدن	جدن	جدن
8	عشكران	عشكران	عشكران	عشكران	عشكران	عشكران	عشكران	عشكران
8	مقار	مقار	مقار	مقار	مقار	مقار	مقار	مقار
7	-	سحر	سحر	سحر	سحر	سحر	سحر	سحر
7	خليل	-	خليل	خليل	خليل	خليل	خليل	خليل
5	-	صرواح	صرواح	صرواح	-	-	صرواح	صرواح
5	-	حزفر	حزفر	حزفر	حزفر	حزفر	-	-
3	مناخ	-	-	-	-	-	مناخ	مناخ
2	-	-	-	-	قيبان	قيبان	-	-
2	يزن	يزن	-	-	-	-	-	-
1	معاقر	-	-	-	-	-	-	-

ومن خلال الجدول أعلاه يمكن ملاحظة المسائل الآتية :-

1- أورد الهمداني سبعة أبيات (عشائر) فقط ولكن بأفقيه يعتقد إن غياب البيت الثامن في رواية الهمداني إنما يرجع إلى خطأ ربما حدث أثناء عملية النسخ والطباعة⁽²¹⁾ ويقترح بأفقيه أن يكون البيت الثامن الذي سقط في رواية الهمداني إنما هو (ذومقار) نتيجة لأن الهمداني أوردته ضمن الروايات التي أخذها عن آخرين ، كما إن الهمداني أورد في رواياته الأربع أسماء لتسعة أبيات كان منها ستة متفق عليها في الروايات الأربع أما الثلاثة أبيات الأخرى فقد ذكر كل منها في روايتين من الروايات الأربع التي رواها والثلاثة الأبيات هي ذو حزفر وذو صرواح وذو قيفان، وهذا التباين يؤكد أن الحقيقة نسبية لكل رواية .

2- اختلاف رواية الهمداني (1) مع الرواية التي أوردتها في شعر قال بأنه من الشعر المشهور لعقمة ذو جدن (4) فبينما أورد الهمداني (ذومناخ) و (ذوصرواح) فسي قائمة "المثامنة" فإن تلك الرواية استبعدتهم ووضعت الحزافر وذو قيفان بدلا عنهم في الوقت الذي يجب أن تتطابق الروايتان لأن الأولى 'أخذها عن ثقاته والثانية من شعر عقمة الذي وصفه بالمشهور وهذا التباين يؤكد نسبية الحقيقة في الروايتين

3- اتفاق الهمداني في روايته (1) مع ما أورده في شعر لعقمة (2) قال بأنه لا يعلم عنه شيئا، والغريب هنا أن تتفق الرواية الأولى المأخوذة عن ثقافته مع الرواية الثانية التي أخذها من شعر لعقمة قال أنه لا يعرف عنه شيئا، وتختلف مع رواية أخذها من شعر لعقمة وصفه بالمشهور، وهذا يؤكد مدى ضعف الروايات الناتجة عن بعد العهد بين الحدث والتدوين .

4- اختلاف ما أورده نشوان في الشعر المنسوب لعقمة مع ما أورده الهمداني في شعر لذات الشاعر سواء ما وصفه بالشعر المشهور لعقمة أو شعر لم يكن له به علم.

5- ابن رسول جاء بأسماء وعدد الأبيات التي ذكرها كل من الهمداني ونشوان وأضاف إليها كل من (ذو يزن) و (ذو معافر) (22) .

على الرغم من التباين سواء في أسماء أو عدد الأقبال الذين تكونت منهم هيئة "المثامنة" فإن جميع الأسماء المذكورة أعلاه كانت لبيوتات ممن وردت أسماءهم في النقوش مما يعني إن ذكر الإخباريين لهم إنما كان نتيجة وصدى لمكانته ودور حملة تلك الأسماء من أقبال اليمن في التاريخ اليمني القديم وتحديدًا في العصور التي سبقت الزمن الذي حدده الإخباريون لظهور المثامنة.

يشير بافقيه بأنه على الرغم من إشارة الإخباريين للمثامنة بـ "أقبال حمير" إلا أن سبعة منهم ينتمون إلى سبأ (أقبال سبأ) (ذوخليل، ذوجدن، ذوصرواح، ذو مقار، ذو حزفر، ذو عثكلان) ، وثلاثة من المناطق الجنوبية والشرقية (ذو معافر، ذو الكلاع، ذو يزن) ، أما ذو ثعلبان فمن نجران⁽²³⁾ ويصل بافقيه إلى نتيجة مفادها إن هؤلاء الأقبال ("المثامنة ") من زعماء الأطراف، وأن افتراق الملك يعني انتفاض الأطراف واستقلالها⁽²⁴⁾ ، وإذا أخذنا بالقول أعلاه الذي يتجسد في الواقع في فترات الشتات فإن ذلك يعني إن افتراق الملك يقصد به استقلال مارب والجوف ونجران والمشرق والكلاع والمعافر، فماذا بقي من اليمن غير حقل جهران وحقل صنعاء من الهضبة الغربية، وحتى هذه المنطقة وفقا للظروف التي سادت فترات الضعف كما مر بنا فإنها إن لم تكن مستقلة فإنها واقعة تحت الاحتلال الحبشي ثم الفارسي ويؤكد ذلك ما ذهبنا إليه من تقاطر لليمنيين على مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في وفود مستقلة عن بعضها البعض

قُدمت من مختلف مناطق اليمن لا يجمع بينها إلا الانتماء لليمن والرغبة في دخول الإسلام لإخراجهم من جحيم التجزئة إلى نعيم التوحيد ولم شمل الأرض والإنسان.

خامساً (المثامنة) في النقوش:-

لاشك في أن أسماء " المثامنة " كما أوردها الإخباريون آنفا بغض النظر عن التصحيف الطفيف الذي لحق بها موازنة بما أورده النقوش فإنما يدل على صدق لواقع تناقلته الأجيال رغم ما طرأ من زيادة أو نقصان عبر القرون اللاحقة ، والآن سنحاول التعرف على "المثامنة" كما جاء ذكرهم في النقوش وذلك وفق الآتي :

1- ذو ثعلبان " ثعلبت ":-

(ث ع ل ب ت) في النقوش هذه الأسرة لم يرد لها ذكر في النقوش باعتبارها من الأسر ذات الشأن والنفوذ في تاريخ اليمن القديم، والاسم (ث ع ل ب ت) ورد مرة واحدة يتقدمه لفظ (بني) وليس (ذو) الدال على المكانة الرفيعة في إطار السلطة والمجتمع، وكان ورود اسم بني ثعلبة قد جاء في نقش يعود للعام 516م تحدث عن حملة عسكرية قام بها آخر ملك حميري حمل اللقب الملكي الحميري الطويل وذلك بمناسبة قيادته لحملة عسكرية إلى شمال الجزيرة العربية وذكر بأن من رافقه القبائل الآتية: سبأ وحمير، والرحبة، وحضرموت، ويح وعراب كندة ومذحج، وبنو ثعلبة، ومذر، وقد اعتبر بعض المؤرخين أن بني ثعلبة الذين ساندوا الملك (معد كرب يعفر) هم بني ثعلبة القبيلة الشمالية التي ساندت الملك الحميري نتيجة لأواصر تربطها مع الكثيرين ممن كانوا في حروب مع اللخمين⁽²⁵⁾ . ومن الملاحظ أن الدكتور السقاف عندما استعرض أسماء القبائل اليمنية في النقوش لم يتعرض لاسم هذه القبيلة ربما باعتبارها قبيلة شمالية وليست جنوبية⁽²⁶⁾ ، أما الدكتور مكياش فقد أشار لها في بحثه ولكنه لم يحدد أصلها ربما لأن موضوعه كان عاماً وهو أسماء القبائل في النقوش الجنوبية⁽²⁷⁾ ومن هنا فليس أممنا إلا ما أورده الإخباريون عن هذه القبيلة النجرانية التي اعتبروها من وراء إدخال الحبشة إلى اليمن عند نهاية الربع الأول من القرن السادس الميلادي⁽²⁸⁾ وخلصنا القول أن ذا ثعلبان لا يوجد لها أثر في النقوش كأسرة أو قبيلة ذات دور وفعل في التاريخ

اليمني ولكن ذلك لا ينفي احتمال أن تكون ثعلبية من العشائر النجرانية التي حضت بدعم الأحباش في فترة ما بعد وفاة الملك يوسف (525).

2 ذو جدن (جدم) :-

الجدنيون (ج د ن م) في النقوش من القبائل اليمنية الشهيرة في التاريخ اليمني القديم، وهم "من أعيان سبأ ولهم ذكر في النقوش منذ أقدم العهود إلى أحدثها⁽²⁹⁾] بل يمكن القول بأن " الاسم (جدن) كمكان أو أقبيلة معروف من أقدم الأزمنة التاريخية اليمنية.. أي من العصر السبئي الأول (عصر المكربين)"⁽³⁰⁾ . كما يضيف الإريائي قوله: " (بنو جدن) من القبائل أو الكيانات التي أصبح لها فيما بعد وزن كبير ، وخاصة في العصر الأخير ، و"هم من الأسبؤ/ "المثامنة" كبار عشائر سبأ الذين كانوا من طبقة مساوية للأقبائل/ الأدواء بل وكانوا يتقدمون عليهم في بعض المراحل على الأقل"⁽³¹⁾، أما المقر الرئيسي لبني جدن فهو (وادي حباب) من أودية خولان بالقرب من صرواح⁽³²⁾. ومن العصر السبئي القديم يوجد عدد من نقوش الصيد الديني المدونة بالحرف القديم وبطريقة (خط المحراث) وفيها دون عدد من بني جدن نقوشاً أشاروا فيها إلى صيدهم، كما أشاروا إلى رحلة صيد كانت برفقة المكرب السبئي الشهير كرب إل وتر بن ذمار علي⁽³³⁾ الذي عاش في مطلع القرن السابع قبل الميلاد، وفي حوالي 230 ميلادي نجد اثنين من بني جدن يدونان نقوشاً يصفان فيه يريم أيمن وأخيه كرب إل وتر ملكي سبأ بأنهما سيديهما كما يشكران الإله المقه على عودتهما سالمين من إحدى الحملات ويطلبان منه أن يمنحهما ثمار وافرة من أوديتهم ، وكلمة أوديتهم لاشك في أنها تشير إلى المكاة التي يحتلها بنو جدن وذلك من خلال أملاكهم الواسعة⁽³⁴⁾ .

ومن عهد الملك السبئي الشرح يحضب الثاني وأخيه بأزل بين حوالي 250م فإن أحد النقوش يشير إلى قيل بكيل ومعه (يآذف بن جدن) و(خذوة) ويصف النقش الاثنيين بأنهما مقتويين للملك الشرح يحضب أي أنهما من قادة الملك وهنا نقف على المكاة العسكرية التي يحتلها بنو جدن⁽³⁵⁾ ، أما النقش Ja 665 الذي دونه أحد القادة الكبار من بني جدن وهو سعد تالب يتلف بن جدن في حوالي 300م فانه يشير لنفسه باللقب (كبير) القبائل البدوية ويفصلها بـ (أعرب ملك سبأ وكندة ومذحج وحررم وكل أعراب سبأ

وحمير وحضرموت ويمنت وبعض من نشق ونشان وبلغ عدد الجيش السذي قياده 750 مقاتل بالإضافة إلى 70 فارس وقد حارب في حضرموت وكان النصر حليفه⁽³⁶⁾ .

وفي عام 542م أشار أبرهة إلى أنه أرسل سرية لمحاصرة اليزنيين في جبل كدور وكان على رأس السرية جدنيان⁽³⁷⁾ . وهنا نصل إلى نتيجة مفادها إن الجدنيين قد استمروا في احتلال مكانة رفيعة في إطار الحكم والمجتمع سواء في العهد السبئي أم الحميري وكانت آخر إشارة لهم في القرن السادس تشير إلى قيادتهم لبعض الفرق العسكرية ضمن القوى المؤيدة لأبرهة، ولا غرابة في ذلك فهم كانوا من القوى التابعة لليزنيين في فترة المد اليزني ولهذا فقد مالوا إلى أبرهة وكانوا على رأس القوة التي ساندت أبرهة⁽³⁸⁾ .

3- ذو عثكلان (عثكلن)-

بنو عثكلان (ع ث ك ل ن) في النقوش من الطبقة الحاكمة أو الارستقراطية إن جاز لنا التعبير ويشكلون قبلاً من القبائل السبئية التي جاء ذكرها في عدد من نقوش المسند ولاسيما في فترة ما بعد الميلاد ، ففي أحد النقوش ذكر صاحبه بأنه ينتمي إلى عشيرة "يشر"⁽³⁹⁾ من أتباع (آدم) بن عثكلان⁽⁴⁰⁾ لقد وقف بنو عثكلان إلى جانب ملوك سبأ ضد الحميريين في عهد الملك الشرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بين ، حيث أشار مجموعة من بني عثكلان إلى نذر قدموه للإله المقه بمناسبة مساندتهم لسيدهم الشرح يحضب وأخيه في حرب خلالها هزموا وأذلوا (كرب إل ذو ريدان) وأشعب وأنصار حمير ولدعم الذين كانوا قد شنوا حرباً ضد سيدهم الشرح يحضب⁽⁴¹⁾ كما أشار مقدم النقش النذري أعلاه إلى بني عثكلان بأنهم أسياده (م ر أ ه م و) ، وفي ذلك إشارة إلى المكانة التي يحتلها بنو عثكلان في عهد الملك الشرح يحضب الثاني ، وفي نقش نذري آخر تقدم به ثلاثة من بني عثكلان يرجع إلى عهد الملك السبئي كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ بن وهب إل يحز " أي لحوالي 170م فقد طلب مقدموه من الإله المقه أن يمنحهم ثماراً وافرة من أراضيهم وطلبوا أولاداً ذكوراً ، وفي إشارتهم إلى أراضيهم بصيغة الجمع دليل على المكانة التي يحتلونها في إطار نظام الحكم آنذاك⁽⁴²⁾ ، ومن عهد الملك الحميري شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت أي في حوالي

300م نجد أن بني عثكلان لم يتضرروا من زوال مملكة سبأ وقيام مملكة حمير حيث نجد منهم عددا يشاركون في حملة عسكرية مع شعبهم " سبأ كهلان " إلى داخل وادي حضرموت ، وهم بقدر ما يشيرون إلى شعبهم فإن ذلك يعد دلالة على سمو ورفعة موقعهم الاجتماعي كما أشاروا إلى أنهم طلبوا من الإله المقه الحظوة لدى الملك و ثماراً وافرة من أرضهم التي حدوها في مأرب والرحبة (صنعاء) أي أن أملاكهم وفقاً لهذا النقش تمتد من مأرب إلى الرحبة وهذا يعد دليلاً على تفذهبهم وارتباطهم بمركز السلطة آنذاك .

أما أقرب نقش للمرحلة التي نحن بصدد دراستها فهو النقش الموسوم (Fa74) وهو مؤرخ بعام 614 من التاريخ الحميري الموافق لعام 499 من التاريخ الميلادي ويتحدث عن بناء وترميم مساكن وقد تضمن هذا النقش ذكراً لعدد من الأذواء مثل " ذهصبح ، ذ معفرم ، وما يعتقد أنه "ذرعين" أما سطره الحادي عشر فيشير إلى أحد أفراد بني عثكلان ذاكراً بأنه " ذو عثكلان " وبغض النظر أن كانت (ذو) تعني المكانة المقابلة لكلمة قيل أو أنها تشير إلى مجرد الانتساب والانتماء لبني عثكلان فإن المهم في موضوعنا انه لا يزال من ينتسب إلى بني عثكلان الذين يتمتعون بذكر وثقل اجتماعي بدليل ذكركم إلى جانب الأذواء المشار لهم آنفاً وأن الكل يرتبط ببناء يخص ملك يحمل اللقب الملكي الحميري الطويل .

4- ذو مقار(مقرم):-

يشير بإفقيه إلى أن الاسم مقار في النقوش هو (مقرم)⁽⁴³⁾ وفي هذا الخصوص نود القول بأن الاسم بذات الصيغة النقشية (مقرم)⁽⁴⁴⁾ لم يزل يطلق على إحدى عشائر خليفة في منطقة عتق من محافظة شبوة وهذا لا يعني القول أنهم امتداد أو فرع لأولئك الأذواء ولكن ما سنجزم به هو إن اسم هذه العشيرة على أقل تقدير يعد امتداد للاسم الذي عرفت به الأسرة الارستقراطية مقرم في النقوش أو مقار عند الهمداني ونشوان الذان يعداتها من المثامنة.

لاشك في أن ذو مقار أو آل مقرم يشكلون إحدى العشائر التي كانت تتمتع بامتيازات واسعة في تاريخ اليمن القديم وتقع مئاويهم في مدينة نشان بالجوف⁽⁴⁵⁾، وجاء

ذكرهم في عدد من النقوش ومنها نقرأ نقشاً بدون تاريخ دونه " لحيعت بن مقرم " ذكر فيه أنه أصلح (ساقيته) (حرته) من أجل ري نخيله⁽⁴⁶⁾ وفي إشارته لمأتي (قنوات) الماء والنخيل بضمير الملكية لدليل على المكانة التي يحتلها هذا الشخص من آل ذي مقار ، وأما النقشان الخشبيان فالأول منها يتحدث عن (بلطبين) من النقد هما ثمن محصول (أرض) قيدت دينا .. لصالح بني مقار⁽⁴⁷⁾ ، أما الثاني فيتحدث عن عدد من الموالى التابعين لعدد من الأسر المتنفذة ومن جملتهم خمسة عشر من الموالى التابعين لبني مقار⁽⁴⁸⁾ . وإذا عدنا إلى ما ورد من دلالة في النقشين الخشبيين نجد فيهما تأكيد على مكانة ذو مقار التي تتمثل في : أن هذا البيت يمتلك الأراضي التي تدر محصولاً فائضاً عن الحاجة مما يستدعي بيعه ديناً ، وأنهم أيضاً يتعاملون بالنقد في البيع والدين ، وأنهم يمتلكون أتباعاً إلى حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي نجد أن " عبد يدم وسعدم بني حيوم " يدونان نقشاً عن حالة عراك⁽⁴⁹⁾ ولكن الذي يهمنا في النقش أن صاحباً النقش وصفا أنفسهما بأنهما من بني حيوم وأنهما مقتويي بني مقار، واللقب (مقتوي) وجمعه (مقتت) في لغة اليمن القديمة و (مقتون) في العربية الشمالية، وهم عادة من خيرة القادة العسكريين ... بل وينوب المقتوي في بعض الأحيان عن الملك في قيادة الخميس (جيش الملك والمملكة الرسمي)⁽⁵⁰⁾ على أن ذلك لا يقتصر على الملك وقادته ولكن بعض الأقبال يمنحون بعضاً من أتباعهم لقب مقتوي⁽⁵¹⁾ .

يبدو أن مكانة بني مقار بارزة وعالية وذلك لتعاملهم كالمملوك في تعيين مقتويين (قادة) لقيادة فرقهم أو على الأقل تعيين مقتويين كمعاونين⁽⁵²⁾ ، بل إن علو ورفعة مقام هؤلاء تتجلى - إذا صدق احتمال تحديد تاريخ النقش - من خلال تعيين ذو مقار مقتويين في زمن تبابعة كبار العهد الحميري مثل ذمار على يهبر وابنه ملكي كرب وصولاً إلى أكبرب أسعد (أسعد الكامل) .

5- ذو سحر "سحر" :-

(س ح ر) اسم مفرد لهذه الأسرة وجمعه (أ س ح ر ن)⁽⁵³⁾ أي الأساحر ومثلما ورد الاسم سحر اسماً لهذه الأسرة فإن ذات الاسم (سحر) ورد في بعض النقوش دالاً على إله يحمل الاسم (سحر) ويقترن ذكره بذكر الإله عثت⁽⁵⁴⁾ وبنو سحر

من الأسر السبئية التي تكرر ذكرها في النقوش⁽⁵⁵⁾ ، أما النقش الموسوم (cih391) فيذكر صاحبه وأحدهما هو (ن ص ر ذو سحر) بأنهما قد أنجزا إصلاح مقبرة (بني سحر) ، ومن عهد الملك الشرح يحضب الثاني نقف على نقش دونه رجل وبنيه ويصف نفسه وأولاده بأنهم " بنو ذ سحر"⁽⁵⁶⁾ ، وإلى ذات الفترة نجد أن ثلاثة من بينهم واحد من ذي سحر تقدموا بنذر للإله المقه طلبوا منه ثمارا وافرّة من كل أرضهم مثلما طلبوا من الإله الحظوة لدى سيدهم الشرح يحضب الثاني ، أما النقش المهم فهو النقش المقدم من قبل (برلم أرسل) و(كرب عثت أراد) بني سحر اللذان يصفان أنفسهما بأنهما (مقتويي) نشأ كرب يأمن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان بن الشرح يحضب وأخيه يأزل بين ملكي سبأ وذي ريدان ، لقد ذكرا بأنه قد تم استدعائهما لقتل أسدين كانا يهاجمان مدينة (نشق) وقد وفقا في ذلك ، وفي نفس الوقت أشارا إلى مساندتهما الملك في حملة وجهت إلى حضرموت وكان النصر حليف هذه الحملة التي عادوا منها بالغنائم⁽⁵⁷⁾.

ذكر النقش اسم (برلم) كأحد قادة الملك نشأ كرب كما ذكر اشتراكه في قتل الأسدين ومشاركته في الحملة العسكرية على حضرموت وهذه كلها من المهام التي تبقى ذاكرتها حية لفترة زمنية فهل كان لهذه الحادثة واسم صاحبها من أثر في تسمية رأس أسرة الأساخر عند الهمداني بالاسم (بريل)⁽⁵⁸⁾ لا نستبعد أن صدى دور هذا القائد كان من وراء حفظ الرواة لأسمه وجعله الجد الأول لبني سحر في سلاسل الأنساب القديمة⁽⁵⁹⁾.

من فترة لاحقة هي فترة اللقب الملكي : ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت الذي أرسى أسسه الملك شمر يهرعش حوالي عام 300م نجد نقشاً يعود لعهد ياسر يهنعم وثاران أيفع ويشير لهما النقش بصيغة الجمع (أ م ل ك) وليس بصيغة المثنى (ملكي) كما هو متعارف عليه، وقد دونا النقش اثنان من بني (سحر) بمناسبة تقديمهما تقدمة للإله لأنه حقق لهما طلبهما ورزقهما مولودا ذكرا، كما منحهما غلالا وفيرة من أراضيها في مأرب ونشق ونشان ، وفي هذا النقش نقف على مقدار وسعة أملاكهما التي تنتشر في كل من منطقة مأرب ومنطقة الجوف، وهذا كاف لإعطاء صورة عن مكانة الأساخر اقتصادياً واجتماعياً وأنهم من الأسر السبئية ذات النفوذ في العهد الحميري وليس السبئي فقط ، وفي الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراستها نجد أنهم ضمن القوى

التي نارت على أبرهة، ويشير إليهم في نقشه مع عدد من الأقيال بـ (أقيال سبأ الأساحر ..) فهم لم يزالوا يتمتعون بلقب القبيلة رغم الاحتلال الحبشي وثورتهم عليه .

6. ذو خليل (خلل):-

ذو خليل (خ ل ل) في النقوش اسم لإحدى الأسر السبئية التي تدخل في إطار الطبقة الحاكمة التي سادت في مرحلة التاريخ اليمني القديم ، وكانت من الأسر التي توارثت منصب الرشاوة (الكهانة) الديني حيث كان يرتقيه شخص من عدد محدود من الأسر لمدة سبع سنوات يمكن تجديدها⁽⁶⁰⁾ ، ونتيجة لذلك فقد كان اليمنيون يؤرخون الأحداث بمنصب كبير خليل ويحددون تاريخ الحدث بالسنة الأولى أو الثانية..الخ من عهد هذا الشخص أو ذلك من هذه الأسرة ، والنقوش التي تشير إلى التسايرخ بهذه الأسرة كثيرة⁽⁶⁰⁾ ، وتمتد مرحلة التسايرخ بعهد كبراة هذه الأسرة من العصر السبئي العتيق والتدوين الحزوني للنقوش⁽⁶¹⁾ وإلى ذات الفترة يعود النقش (Cih601) الذي يشكل وثيقة إصلاح اجتماعي بموجبه تم تسكين وتوطين عشائر من سبأ ويهبلح في صرواح وقد أرخت في عهد نشأ كرب بن كبر خليل ، وشهد على هذه الوثيقة تسعة أشخاص من بينهم ثلاثة ممن عرفوا لاحقاً باسم "المثامنة" وهم اثنان من ذي حزفر وواحد من ذي مقار⁽⁶²⁾ ، وإلى حوالي 150م ترجع مجموعة من النقوش التي تذكر أفراداً يحملون لقب (مقتوي) أي قادة ، ولكنهم تابعين لكبراة خليل ، فبقدر ما نجد أن بني خليل يتبعهم قادة عسكريون فإنه أشير لهم بصيغة (بني) التي يعتقد الأستاذ مطهر الإرياني بأنها تشير إلى الانتماء إلى صيغة رسمية حاكمة هي صيغة (ذكبير أقيان) التي كانت في بداية ظهورها تدل على منصب رسمي أي أنها لم تكن تدل على أسرة بعينها⁽⁶³⁾ وبدون الدخول في متاهة الدلالة اللغوية للقبهم وما جرى عليها من تطور فإن تلك المجموعة من النقوش تؤكد حقيقة إن ذا خليل كان لهم قادة لقيادة محاربيهم وأنهم شاركوا في عدد من المعارك في مضحي وردمان وقتبان⁽⁶⁴⁾ ، وإلى حوالي 225م وتحديداً إلى عهد الملك السبئي شعر أوتر نجد نقشاً يؤرخ بكبراة (ودد إل بن حيوم) من قبيلة خليل⁽⁶⁵⁾ ومثله نقش يعود إلى حوالي 260م وتحديداً من عهد الملك السبئي نشأ كرب يأمن يهرحب ابن الملك الشرح يحضب الثاني وأخيه يأزل دونه شخصان من كبر أقيان أقيال الشعب بكيل الربع مدينة

شبهام وقد أرخاه بكبارة (ودد إل بن أب كرب) السادسة من قبيلة خليل⁽⁶⁶⁾ واستمر ذكرهم في النقوش حتى عهد ابرهه

7- ذو حزفر(حزفرم):-

ذو حزفر (ح ز ف رم) في النقوش أو الحزافر⁽⁶⁷⁾ اسم أسرة سبئية قديمة، تعد " من العشائر السبئية الزعيمة ممن ينطبق عليهم ، فيما نرى، صفة الأسبؤ...وهي صفة يحتل أصحابها في نظام الحكم السبئي مكانة قبل الأقبال"⁽⁶⁸⁾ و يشير نشوان إلى مكانة هذه الأسرة بأنه إذا قيل أن فلاناً "حزفر ، أي كأنه من آل ذي حزفر بن شرحبيل بن الحارث"⁽⁶⁹⁾ ، وإلى الفترة العتيقة يرجع أحد النقوش التشريعية وكان من ضمن شهوده اثنان من بني حزفر ، وتعد هذه الأسرة من الأسر التي كان يؤرخ بعهود كبارها مثل (ذو خليل ، وذو حذمت ...الخ) وقد أرخت أحداثاً وإهداءات بذي حزفر⁽⁷⁰⁾ جاء في احد النقوش التي ترجع إلى حرب الثلاثمائة عام (1 - 300 م) أن (رب أوم أصدق) وبنيه (سعدم وربشمس ، بنوحزفرم) تتقدم بنذر لئله شكرا لارتزاقه بأولاد ذكور، ولأنه حماه وأعادته بالسلامة من معارك شارك فيها ضد حمير، لكن الملاحظ أنه وصف نفسه وبنيه بأنهم (أ س ب أ ي ن) أي من الأسبؤ زعامة قبيلة سبأ التقليدية كما أشار إلى أنه خاض الحرب ضد حمير مع (ش ع ب ه م و / س ب أ) أي ضمن شعبهم سبأ ، وإلى عهد الملك السبئي ذمار علي يهبر بن ياسر يهصدق (حوالي 130م) نجد عدداً من الحزافر قد شايعوه في معاركه وطلبوا من المقه الحظوة لدى سيدهم⁽⁷¹⁾ ، وإلى حوالي 290م نجد نقشاً قدماه اثنان من ذي حزفر ووصفا أنفسهما بأنهما مقتويان لسيدهما شمر يهرعش بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذو ريدان وذلك لحمايتهما القصر سلحين⁽⁷²⁾ ، أما ما يشير إلى امتلاكهم أراض ونخيل فيؤكدده النقش JA821

8- ذو صرواح (صروح):-

صرواح أو(ص ر وح) في النقوش اسم اشتهر في التاريخ القديم اسماً لمدينة⁽⁷²⁾ كانت عاصمة أولى لدولة سبأ⁽⁷³⁾ . وقد وردت عدة أسماء منسوبة لصرواح بالصيغة (أ ص ر ح ن) التي يمكن أن تنطق الصرواحيون أو الأصروح أو الصراحيون⁽⁷⁴⁾ وكان أول ذكر لشعب صرواح يعود للقرن الثالث قبل الميلاد حملته النقش الموسوم⁽⁷⁵⁾ وهو

نص تشريعي بموجبه تم تسكين بعضاً من عشائر قبيلتي سبأ ويهبلح في مدينة صرواح ، وألزمهم بدفع كل ما يترتب عليهم من ضرائب⁽⁷⁶⁾ ، وإلى فترة ما قبل الميلاد نجد نقشاً تشريعياً آخر أصدره كل من الملك السبئي (كرب إل وتر بن يثع أمر) ، ومجلس سبأ قضى بموجبه بأن علي كبير صرواح ، ومجلس (مسود) صرواح ، وشعب صرواح ، وأبنائهم وأتباعهم عدم مطالبة جنود الملك وبعض الفئات المحددة في النقش دفع ضريبة نتيجة لمساندتهم الملك⁽⁷⁷⁾ ، النعيم ، نورة بنت عبد الله : التشريعات في جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير - مكتبة الملك فهد - الرياض 2000 ص 498 ، 499] ، ومن عهد الملك السبئي نشأ كرب يأمن يهرحب بن الشرح يحضب الثاني (حوالي 260م) يصادفنا نقشاً تشريعياً أصدره الملك بموجبه حول تبعية مجموعة من أتباعه على سبيل الهبة لعدد من بني حباب أقيال الشعب صرواح ، ويعتبر هؤلاء الأتباع ملكاً لبني حباب ولأولادهم وأحفادهم⁽⁷⁸⁾ .

يقدر ما أشير إلى من تربع على قيادة شعب صرواح في الفترة العتيقة باللقب كبير دون الإشارة إلى أسرته⁽⁷⁹⁾ فإن رؤساء هذه القبيلة في القرون الميلادية الأولى كانوا هم (ذو حباب) ، وحباب اسم لواد بالقرب من صرواح⁽⁸⁰⁾ وقد حملوا لقب قيل لهذا يشار لهم بأهم أقيال (أق و ل) الشعب صرواح⁽⁸¹⁾ مثلما يصفون قبيلة صرواح بقبيلتهم (شعبهمو صرواح)⁽⁸²⁾ ، وفي نقش ثان من عهد الملك الحميري شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم نجد أحد بني حباب يصف نفسه بأنه قيل الشعب صرواح و مقتوي الملك شمر يهرعش⁽⁸³⁾ ، ومما لاشك فيه أن مكانة القيل تنبع من فاعلية ونفوذ قبيلته ، ولهذا نراه قائداً من قادة الملك شمر يهرعش ربما لأنه قيل لشعبي صرواح وخولان خظلم معاً .

9- ذو معافر (معفرم):-

ذو معافر أو (م ع ف ر م) في النقوش"اسم يطلق على مخلاف وقبيلة ورد ذكره في رسائل النبي (ص) إلى أهل اليمن ... على أن الاسم المعافر اختفى تدريجياً وحل محله في القرون الأخيرة اسم الحجرية"⁽⁸⁴⁾. وكان أول ذكر للمعافر قد ورد في مطلع القرن السابع ق.م كمنطقة (أو ربما قبيلة) طالها القتل والتدمير الذي أنزله مكرب سبأ (كرب إل وتر بن ذمار علي) بدولة أوسان . ومن الملاحظ أن شعب المعافر قد وقف

مراراً كثيرة مسانداً للأحباش ولاسيما في فترات الضعف اليمني جراء الاضطراب الداخلي حيث يجد المعافريون أنفسهم في مواجهة الاحتلال الحبشي دون نصير مما يدفعهم للتعاون معه في حوالي 225م وأثناء الصراعات اليمنية بقيادة قطبي ذلك الصراع (سبأ وحمير) جاء الأحباش إلى اليمن بطلب من ملك سبأ علهان نهفان وشكل كل من ملك سبأ وملك الأحباش حلفاً ضد حمي⁽⁸⁵⁾ ، لكن الملك السبئي شعر أوتر بن علهان نهفان اختلف مع الأحباش فحاربهم في عدد من المناطق اليمنية وفي هذه الأثناء كان المعافريون يقفون إلى جانب الأحباش⁽⁸⁶⁾ ، كما ساند المعافريون الأحباش في حوالي 268م عندما هاجموا ميناء عدن وبعض المناطق المجاورة متصددين لمحاولات الملك ياسر يهنعم إخراجهم - الأحباش - من الجنوب الغربي لبلاد حمير⁽⁸⁷⁾ ، وفي ما ذكر أعلاه فقد وُصف المعافريون باللقب (ذو معافر) فهل كان ذلك اللقب يدل على السلطة والنفوذ أم أنه كان للإشارة إلى مجرد انتسابهم - سكتاً أو نسباً - إلى المعافر ؟ ، والملاحظ أن زعيمهم أثناء دخول اليمنيين الإسلام قد وصف في إحدى رسائل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه "قيل ذو معافر ورعين وهمدان"⁽⁸⁸⁾.

10- الكلاع (كلعن) :-

يقول الأكوح عند تحقيقه لكتاب الصفة بأن الكلاع في القديم اسم يطلق على " العدين وبلاد ذي السفال وبلاد حبيش وبلاد إب⁽⁸⁹⁾ وفي الإكليل أشار الهمداني إلى أن يزيد ذا الكلاع كان أحد قادة أسعد تبع ، كما أشار أن سميغ ذا الكلاع كان هو الذي بنى مصنعة وحافظه عليه تكلفت - تجمعت - الكلاع وغيرها وقيل على غيره⁽⁹⁰⁾ ، مع العلم أن النقوش لم تذكر شيئاً عن قيادته أو عن التكلع حوله .

لقد ورد اسم الكلاع في نقشين يعودان للفترة الزمنية موضوع الدراسة ، في الوقت الذي أورد اليزنيون اسم الكلاع كمنطقة موالية لهم في حوالي 525م⁽⁹¹⁾ كما ورد اسم الكلاع ثانية في معرض سرد أبرهة لأسماء القبائل والأقوال المواليين له .

11- ذو يزن (يزان):-

كان أول ظهور معروف لليزنيين في حوالي عام 265 م عندما سجل أحدهم (شاهر أسار ذو يزان) نقشاً في صخرة أنودم بالعقلة بمناسبة حضوره حفل تتسويج أحد ملوك حضرموت آنذاك ، وقد حضر باعتباره ممثلاً لأذوائية في وادي ميفعة (92) ثم بعد انهيار مملكة حضرموت انتقلوا إلى صف التبابعة وشنوا اثنتا عشر حملة عسكرية في داخل وخارج اليمن (93)، وفي حوالي عام 510م سطر أحدهم نقشاً نستشف منه أن نفوذهم تمتد إلى ما كانت تمثله مملكة حضرموت القديمة، وأنهم لا يدينون بسلطة لأحد (94) ، أما في الفترة 517- 525م فقد مثلوا رأس الحربة وفادة لجيوش الملك يوسف أسار ضد الأحباش ، وبعد مقتله تحصنوا في بلادهم (95) ، وقد استمالهم ملك الحبشة وعين قائدهم ملكاً تابعاً له لكن أبرهه الحبشي أقصاه حوالي عام 537م فثار اليزنيون وتحصنوا في جبل كدور فحاصرهم جيش أبرهه فاستسلموا، وفي حوالي عام 565م تمكن سيف بن ذي يزن من هزيمة الأحباش وتولى ملك اليمن لكنه اغتيل حوالي عام 570م ، وحيث أن دور اليزنيين كان كبيراً بالإضافة إلى قربه النسبي من تاريخ الإخباريين فلا يستبعد أن يعد اليزنيون من الثامنة .

سادساً- (الثامنة) المذكورون في النقوش في مرحلة البحث:-

حددنا البحث بالقرن السادس الميلادي ثم استعرضنا باختصار تاريخ كل أسرة - بيت - من الأسر التي ورد اسمها ضمن من أطلق عليه الإخباريون اسم "الثامنة" كما أوردته النقوش، والآن سنحدد أسماء من وردت أسماؤهم في نقوش القرن السادس الميلادي وذلك وفق تسلسل تاريخ النقوش ، على أننا نؤكد أن من لم يرد له ذكراً في نقوش هذه المرحلة لا يعني تأكيد تلاشي دوره أو انقراضه ، بل ربما أن ذلك يرجع إلى قصور البحث الأثري وصدف العثور على هذه المجموعة من النقوش وعدم العثور على الأخرى ، ويمكن لنا تحديد النقوش المتوفرة التي يمكن من خلالها الوقوف على الأبيات والأسر المتنفذة آنذاك وفق الآتي :-

1- نقش الملك الحميري (معد كرب يعفر) المؤرخ بعام 516م والموسوم (Ry 510) الذي ذكر فيه أسماء من شارك في الحملة العسكرية إلى شمال الجزيرة العربية .

2- النقوش اليزنية وهي عديدة ولكن النقوش التي يمكن أن يستفاد منها في هذا الإطار محدودة العدد وقد دونت في نجران وأخرى في وادي ميفعة وأهمها النقوش (Cih621 ، Ry508 ، Ry 507 ، Ja 1028 ، BR-Yanbuq 47) وكان تاريخ تلك النقوش في الفترة من 510 - 525م .

3- نقشا أبرهة الذان تحدثا عن جملة من أعماله العسكرية وترميمه لسد مأرب وهما الموسومان (Ry506 ، Cih541) وتاريخ الأول هو 542م والثاني بتاريخ (547م) تلك أهم النقوش التي يمكن من خلالها التعرف على الأبيات التي ورد ذكرها في الفترة المحددة للدراسة ويمكن لنا تلخيص ذلك في الجدول الآتي :-

Ry	نقشا أبرهة		النقوش اليزنية	نقش الملك معد كرب يعفر	م
	المؤيدون	المناوون			
	المشاركون				
	ذو فائش	اليزنيون	اليزنيون	سبا	1
	ذو شولن	يزيد بن كبشة وبعض	همدان حضرها وأعرابها	حمير	2
	ذو شعين	من كندة وحضرموت	أعراب كندة	الرجبة	3
	ذو رعين	الأساجر	مراد	حضرموت	4
كندة	ذو همدان	خليل	مذحج	يعن	5
سعد	ذو الكلاع	مرة	-	أعراب كندة ومذحج	6
مراد	ذو مهدم	ثمامة	-	بني ثعلبة	7
علي	ذو ثات	خش	-	-	8
	ذو ذيين	مرثد	-	-	9
	علس ذو يزان	حنيف	-	-	10
	كبير حضرموت	-	-	-	11
	ذو فرنت	-	-	-	12

من خلال ما اشتمل عليه الجدول أعلاه فإنه يمكن وضع الملاحظات الآتية :-

- 1- أشارت أغلب النقوش إلى القبائل وتفرعاتها بأسماء عامة يصعب من خلالها التأكيد أو النفي بأن هذا البيت قد شارك أو لم يشارك ، وهل لم يزل يتمتع بنفوذه أم فقد ، وهل لم يزل يحمل اسمه القديم أم تغير .. الخ
- 2- هناك عدد من الأسماء وردت عند الإخباريين ولم تزل ترد في النقوش .
- 3- وحيث أن التاريخ هو الوثيقة فإنه يمكن القول بأن الأبيات التي عدها الإخباريون من "المثامنة" و لم تزل حاملة لاسمها ومتمتع بثقل ودور فاعل في التاريخ اليمني في

الفترة المحددة للبحث وشاعت الصدف العثور على نقوش تذكرها (الأبيات) كما هو واضح أعلاه هي الآتي :-

1- اليزنيون (أ ز أن ن) بصيغة الجمع كما ورد في عدد من النقوش⁽⁹⁶⁾ وتجلي دورهم في سعة الأراضي التي امتد إليها نفوذهم في حوالي عام 510م ثم دورهم الوطني إلى جانب الملك يوسف وصولاً إلى تسنمهم الملك تحت النفوذ الحبشي فتورثهم على أبرهة ووصولهم عرش اليمن ثانية في عهد سيف بن ذي يزن ومن هنا فإنه يمكن القول بأن هذا البيت كان أشهر بيت بل وأكثر البيوت الأخرى فعلاً في إحداث ذلك القرن وفقاً لما بين أيدينا من وثائق نقشية ، وهذه الصورة كافية لأن يكون اليزنيون من الثامنة حتى وإن لم يذكرهم الهمداني ونشوان، فتباين رواياتها كما أوضحنا سلفاً يزكي اعتبار ابن رسول لهم من الثامنة.

2- الأساخر :- (أ س ح ر ن) بصيغة الجمع ورد ذكرهم في نقش أبرهة وهم من الأبيات السبئية الشهيرة سواء في العهد السبئي أم الحميري ولكن النقوش المكتشفة لا تشير لأكثر من اسمهم ضمن الثائرين على أبرهة في حوالي 542م ، واستمرارية ذكرهم من الحقب القديمة حتى أواسط القرن السادس دليل على استمرارية نفوذهم حتى وإن لم يكن في مستوى قوته في العهود السابقة .

3- ذو خليل :- وهو البيت السبئي الشهير الذي رأينا سابقاً استمرارية ذكره في كل مراحل التاريخ اليمني ، وذكره ضمن الثائرين على أبرهة يعد دليلاً على استمرارية دوره في صنع التاريخ اليمني . 4- بنو ثعلبة الذين جاء ذكرهم في الروايات الإخبارية.

سابعاً دور (الثامنة) :-

من المصطلحات المرتبطة بالمجتمع ونظام الحكم في اليمن القديم يمكن لنا أن نتوقف عند نوعين من المصطلحات: فالنوع الأول هو الذي يحمله أفراد يحتلون مراكز اجتماعية أو إدارية وسياسية مثل: قبيل، ذو، مقتوي، رشو... الخ، أما النوع الثاني فيطلق على جماعة من الناس يشكلون هيئة ذات صلاحيات معينة ، وحيث أن اسم "الثامنة"

يشير إلى هيئة فإنه حري بنا أن نتعرف على أمثلة للهيئات التي شهدها اليمن القديم للمقارنة مع هيئة "المثامنة" وسنورد الأمثلة الآتية :-
أ - مجلس المأ (ملا ل ا) :-

يرجع ذكر هذا المجلس إلى حوالي 950 ق.م وهو الزمن الذي عاشت فيه ملكة اليمن المعروفة لدى الإخباريين باسم (بلقيس) ففي ذلك التاريخ فكرت بالسفر لالتقاء بالنبي سليمان ، ولكنها لم تتخذ قرارا منفردا بذلك الشأن وإنما تركته لسراة قومها، حيث جاء في القرآن الكريم على لسانها: " يا أيها الملأ افتنوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تأمرون " (97) ، وقد ورد هذا مصطلح (الملأ) في النقوش حاملاً معان عدة لعل من أقربها لما نحن بصددده معنى " اجتماع شامل ، مجلس عام ، ملأ " (98) وهو معنى يتطابق مع معاني (ملا) في اللغة العربية التي كان منها معنى التشاور ، والأشراف ، والجماعة (99) وهذا يقودنا للقول بأن من استشارتهم الملكة لم يكونوا كل الشعب اليمني كما قد يتبادر إلى الذهن ولكنها شاورت جماعة محددة تمثل مجلساً أو هيئة مهمتها تقديم المشورة للملك في القضايا التي يعرضها عليهم .

ب - المعاشرة (معشرت) :-

يرجع هذا المجلس إلى حوالي 700 ق. م من عهد مكرب سبأ كرب إل وتر بن ذمار علي وفيه أشار إلى هيئة أسماها (م ع ش ر ت) (100) المشتق من المصدر الفعلي (ع ش ر) ، وقد ترجمها مؤلفوا المعجم السبئي بأنها تعني " مجلس عشيرة ، ندوة "، وذوّن هذا الاسم في النقش هكذا : (م ع ش ر ت) (101) بينما دونه الأستاذ يوسف عبد الله هكذا " معاشر " (102) ، واعتبر "المثامنة" هيئة مماثلة للمعاشرة في دورها العملي [يوسف أوراق ص 318] ، أما بافقيه فقد دون الاسم على النحو الآتي : "معشرة" وأعطى لها معنى " رابطة " (103) أما الجرو فدونتها مرة " معشرة " ومرة ثانية " معاشرة " وأعطت لهذا الاسم معنى " اتحاد قبلي " (104) وحيث أن اللغة اليمنية لم تعرف حركات ضبط الكلمة فإن الاختلاف في تدوينه بالعربية يصبح وارداً لاسيما وأن المصدر الفعلي واحداً، أما سبب التسمية بهذا الاسم بالذات فلا نملك غير التخمين الذي أقربيه إلى ظننا يرتبط بعدد أعضاء المجلس، أما معناه فقد أخذ من واقع ممارسة الأعضاء لمهامهم في ذلك المجلس

وهو ما أشار له المعجم السبئي "مجلس عشيرة ، ندوة" ، وهو في جوهره يختلف عن المصطلح الآخر مؤخاه الذي يعني تحالف لقوى كل منها بشكل كياناً مستقلاً جمع بينهم هدف وقتي⁽¹⁰⁵⁾ ، بينما تعني لفظة (معاشرة) مجلساً لشعب في إطار كيان واحد ، ومن الجدير ذكره أن اللهجات المحلية تكتنز كثيراً من مفردات اللغة اليمنية القديمة فهل من علاقة بين هذه المفردة " معشرة " والاسم المتداول في الكثير من المناطق اليمنية للإساء الذي توضع فيه الأطعمة والمعروف باسم معشرة ؟ المرجح لدينا أن ذلك الإساء قد أخذ اسمه من المفردة اليمنية التي تعني مجلساً لأن الناس يجلسون حولها كما يجلس أعضاء ذلك المجلس .:

ج - الأثلاث والأرباع:-

وترجع هذه المصطلحات إلى حوالي الثلاثة قرون الأولى من التاريخ الميلادي حيث نجد أن عدداً من القبائل اليمنية تشير في النقوش إلى ما يمكن اعتباره تقسيمات إدارية في إطار القبيلة الواحدة فيتخذ قسم منها اسماً مشتقاً من العدد الذي تنقسم إليه القبيلة مضافاً إليه اسم القبيلة أو اسم المنطقة التي يقطنها ذلك القسم ، فقبيلة يرسم قسمت إلى ثلاثة أقسام وهي : يرسم ثلث زهجرم ، ويرسم ثلث حاشد ، ويرسم ثلث حملان⁽¹⁰⁶⁾ ، ومثل ذلك قبيلة بكيل التي قسمت إلى أربعة أقسام⁽¹⁰⁷⁾ وكذلك سمهم إلى ثلاثة أقسام⁽¹⁰⁸⁾ وهذه التقسيمات في نظرنا هي تقسيمات إدارية لم تشر النقوش أو غيرها إلى أي وظيفة محددة ترتبط بهذا الثلث أو ذلك ، على أن قولنا هذا لا ينفي ما يناط بهذه الأقسام وبأقيالها من مهام في إطار تسيير أمور المنطقة التي تنتشر فيها.

د - المسود(مسودن):-

وهو اسم لمجلس تشريعي في سبأ، ومعين، وقتبان⁽¹⁰⁹⁾ ، ومثله مجلس الأمناء في معين⁽¹¹⁰⁾، و(طبنن) (ق ت ب ن/ ن ط ب ن ن) في قتبان الذي يعني مجلس الملاك⁽¹¹¹⁾. ولمقارنة الهيئات أعلاه بهيئة "المثامنة" فإنه يمكن تقرير ما يلي:

- 1- إن اسم "المثامنة" لهيئة أنيط بها ما ذكره الإخباريون لم يرد في النقوش .
- 2- إن المجالس أعلاه قد اضطلعت بمهام تشريعية وإدارية ، وقد حفظت لنا النقوش شيئاً من آثارها.

3- لم يتمكن الإخباريون من ذكر اسم ملك حميري نصبه أو عزله من أسموهم بـ "المثامنة".

4- المجالس أعلاه ابتدأ بمجلس الملأ الذي دعت إليه ملكة اليمن مروراً بمجلس المعاشرة في عهد كرب إل وتر وصولاً إلى المسود وغيره في عموم اليمن برزت وازدهرت في ظل ملوك أقوياء وسلطة مركزية لهذه الدولة أو تلك.

5- بروز "المثامنة" جاء في وقت وصفه الإخباريون بافتراق الملك واستقلال كل قبيل بمقولته وأكدت النقوش ذلك الافتراق كما مر ذكره وهذا يعني أن "المثامنة" — إذا افترضنا قيام أمرهم — جاءوا في فترة ضعف وتدهور السلطة المركزية ودخول الأجانب وتسلطهم — كما مر ذكره — مما يعني أننا لا نتوقع منهم أن يمارسوا الدور المنسوب لهم.

نسب الإخباريون إلى المثامنة دور فاعلا في تنصيب أو عزل الملوك الحميريين لكنهم بقدر ما نسبوا لهم ذلك الدور فإن ما أورده عنهم يحمل الكثير من الأمور المتناقضة ربما لوصول الأخبار إليهم مضطربة نتيجة لطول الفترة الفاصلة بين الحدث وتدوينه ، وللوقوف على مدى الحقيقة فيما نسب لهم فسناقش ذلك من خلال الدور المنسوب لهم ممثلاً في تنصيبهم وعزلهم للملوك ، وموقفهم من الحملات الحبشية في عهد الملك يوسف ذو نواس .

أولاً : تنصيب وعزل الملوك :-

في البدء علينا التعرف على أسماء الملوك الذين حكموا اليمن في المرحلة موضوع البحث وذلك من خلال النقوش باعتبارها المصادر الرئيسة لتلك الفترة، وفيها نجد ان النقوش تحدد الملوك الآتية أسمائهم :-

- 1- الملك معد كرب يعفر .
- 2- الملك يوسف أسار (ذو نواس) .
- 3- الملك سميفع أشوع اليزني .
- 4- الملك أبرهة الحبشي .

وأضاف الإخباريون اسمين هما :-

1- الملك يكسوم بن أبرهة (مسروق) .

2- الملك سيف من ذي يزن (معد يكرب عند البعض) .

تحدث الإخباريون عن أعمال الملك الحميري الذي سبق الملك يوسف في ملك اليمن وبغض النظر إن كان اسمه معدكرب كما أوردت ذلك النقوش أو (لخنيعة ينوف ذو شناتر)

كما أورد الإخباريون⁽¹¹²⁾ ، فإن الإخباريين يتفقون على الآتي حوله :-

1- إنه من حمير .

2- إنه جاء في وقت تفرقت فيه حمير .

3- إنه وثب على الملك وأخذه عنوة .

4- إنه كان يمارس اللواط بأبناء الملوك وأكابر المملكة .

5- إنه قتل خيار أهل مملكته .

6- عبث ببيوت أهل مملكته⁽¹¹³⁾ .

تلك هي الصفات التي أوردتها الإخباريون لذلك المغتصب لعرش حمير ، بقدر ما يشير الإخباريون لاغتصابه العرش فإن قولهم ذلك يتناقض مع قولهم بأن المئامنة هم الذين يقيمون ويعزلون الملك ، فها هم لم يتمكنوا من عزله وإنما جاءت نهايته كما أورد الإخباريون ذاتهم على يد يوسف ذي نواس ، وإنه بعد أن حسم الأمر (يوسف) طالبوه بأن يكون ملكاً باعتباره منقذاً لهم ، وهنا نقف على حقيقة تناقض ما قالوه من دور للمئامنة ، تلك الحقيقة هي أن سلف يوسف تمكن من حكم اليمن بطريقة اغتصاب العرش وليس بتنصيب المئامنة له ، وأن قتله جاء على يد يوسف وأنه لم يكن للمئامنة أي دور في التخلص منه ، فقط عندما رأوا مدى قوة يوسف جروا وراءه ليكون ملكاً عليهم ، أي أنهم أيده عندما قام بما لم يقيم به المئامنة كلهم ، ومن المعلوم لدينا نقشياً أن ذا نواس قد وصل إلى الحكم بمساعدة اليزنيين وبسط نفوذه على اليمن في ظل تدخل حبشي ، أما مقتله فقد جاء على يد الأحباش .

وحول الملك سميف فقد أوضح النقش بأنه تولى الملك بمساندة الأحباش وليس بإجماع الأقبال (المئامنة)⁽¹¹⁴⁾ ، وفيما يخص أبرهة فقد وصل الحكم بثورة قادها بمعينة الجنود الأحباش بعد أن استمال بعض من الأقبال اليزنيين⁽¹¹⁵⁾ ، وهكذا سيف بن ذي يزن

الذي ساندته بعض القوى اليمنية بدرجة أولى فلما انتصر على الأحباش باركته كل قبائل اليمن وأقيالها⁽¹¹⁶⁾ .

إذا جئنا إلى الفترات الزمنية التي قام فيها ملك المذكورين أعلاه لوجدنا بأنها فترات تفرق واحتلال ، وهذان الأمران لا يساعدان على الاتفاق مما يضعف القول باضطلاع المئمانمة بمثل ذلك الدور في المرحلة المحددة للبحث ، ولكن لا يعني ذلك نفي نصرتهم ومساندتهم لمن حسم الأمور لنفسه مثلما أورد الإخباريون عن وصول الملك يوسف أو وصول أبرهة وسيف بن ذي يزن إلى ملك اليمن ففي عهد الثلاثة ملوك الأنف ذكرهم تجلت وحدة التراب اليمني ولو لزمن محدود . ولم يكن وصولهم إلى العرش الحميري إلا نتيجة لجهودهم العسكرية بالتحالف مع عدد من الأقيال وليس بتشاور وإجماع الأقيال على التنصيب .

ثانيا : موقف المئمانمة من الاحتلال الحبشي :-

أشار عدد من الإخباريين إلى أن الأقيال اليمنيين قد وقفوا موقفاً سلبياً من مساندة الملك يوسف في حربه على الأحباش في عامي 518م و525م ، لكن الرد على ذلك جاءت به النقوش اليمنية ، وقبل أن نعرض لما جاءت به النقوش فسنعرض لبعض العبارات التي أوردها الإخباريون أنفسهم في سياق حديثهم عن موقف المئمانمة (الأقيال) من مساندة الملك يوسف .

أورد الإخباريون بأن الملك يوسف لما رأى قوة الأحباش طلب مساندة الأقيال إلا إنهم ردوا عليه بالقول : إن على كل قبيل أن يدافع عن مقولته⁽¹¹⁷⁾ ، ويقدر ما أشار الإخباريون آنفاً إلى تراجع الأقيال عن نصرة الملك يوسف فإنهم جاء في ذات الرواية بما يناقض قولهم أعلاه وبما يفيد التحام الأقيال مع الملك يوسف في موقفه من الغزاة الأحباش ، فقد أورد الإخباريون أن ذا نواس لما رأى القوات الحبشية عمد إلى صناعة كثير من المفاتيح وقدمها للأحباش قائلاً لهم دونكم مفاتيح خزائن اليمن فأخذها الأحباش وتفرقوا في بلاد اليمن لاستلام تلك الخزائن ، لكن ذا نواس كتب إلى المقاول (الأقيال) " أن اقتلوا كل ثور أسود "⁽¹¹⁸⁾ ففهم الأقيال بأن عليهم قتل الأحباش ففعلوا وتمكن اليمنيون من الانتصار مستغلين تفرق الأحباش ومما لاشك فيه أن الرواية أعلاه بقدر ما

تشير إلى تنصل الأقبال عن مساندة الملك يوسف فإنها تحمل في طياتها مؤشرا لا مباشرا على أن قول الأقبال بأن على كل قبيل أن يدافع عن مقولته لم يكن إلا نتاج لخطئة اتفق عليها الملك يوسف مع الأقبال بهدف مواجهة الأحباش متفرقين ، وأن فهم الأقبال لإشارة الملك يوسف التي وردت بشكل شفرة عسكرية (أن اقتلوا كل ثور أسود) وقيامهم بذلك وإنما تؤكد وحدة الصف اليمني في مواجهة الأحباش ، وهذا الاستنتاج نجد دليل تأكيده في النقوش اليمنية التي أشارت إلى القوى اليمنية التي ساندت الملك يوسف في حربه ضد الأحباش سواء عام 518 أو عام 525م⁽¹¹⁹⁾ ، وأما التفاف الأقبال حول الملك يوسف وإنما يرجع إلى امتلاكه قوة عسكرية تمكن بها من فرض نفوذه بالإضافة إلى أنه وقف في وجه الغزاة الأحباش الذين سيطروا على اليمن وكل مقدراته الاقتصادية .

الهوامش

- 1- الصافي، فاطمة علوي: المرويات اليمنية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الثقافة العربية ، الشارقة 2002 ص 54 - 95
- 2- ابن حزم، أبي محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي (ت456هـ) : جمهرة انساب العرب- تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر القاهرة 1962 ص 439 ، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 300هـ) : تاريخ ابن خلدون القسم الأول ، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1977 ص 111 .
- 3- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: الغاموس المحيط ، دار الفكر ، بيسروت 1995م. ص 1067، الحميري ، نشوان بن سعيد: منتخبات في أخبار اليمن، نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد ، منشورات المدينة ، صنعاء ط3- 1986 ص 16 .
- 4- الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب(ت360هـ) :- الإكليل ج2 ، تحقيق محمد بن علي الكوع، ط3، بيروت 1986 ص 127 ، نشوان ، منتخبات ص 16
- 5- الحميري، نشوان بن سعيد: ملوك حمير وأقبال اليمن-- تحقيق إسماعيل الجرافي وعلى المؤيد- دار العودة بيروت، دار الكلمة صنعاء 1978 ص 156، 157
- 6- الصائلي، صالح أحمد: المعالم اليمنية في الشعر الجاهلي ، رسالة ماجستير ، جامعة المستنصرية، بغداد 1998 ص 124 ، 127
- 7- الهمداني: الإكليل ج2 ص 266 .
- 8- RY510
- 9- BR-Yanbuq 47 ، بأفقيه، محمد عبد القادر: في العربية السعيدة ج2، بيروت 1993م ص 161 ، حبسور، ناصر صالح : اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم ، دار الثقافة العربية ، الشارقة 2002 ص 239 - 360.

RY 507،RY 508،JA 102810

- 11- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري - ج 2 - ص 117، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط5-1973 ص 77، ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ ، ج1 ، دار صادر بيروت 1965 ص424.
- 12- ابن خلدون تاريخ ابن خلدون - القسم الأول المجلد الثاني / 112، الطبري: تاريخ الطبري ج2 / 122، ابن الأثير: الكامل مجلد 1 / 428
- 13- حبتور: اليزنيون ص363، RES3904 368
- 14- CIH 541، بافقيه: السعيدة - ج2 ص191- 200.
- 15- عارف أحمد إسماعيل: تاريخ وادي النيل 2004 ص41 ، 74
- 16- الهمداني: الإكليل ج2 ، ص266 .
- 17- نفسه.
- 18- نفس المرجع ، ص 67.
- 19- نفس المرجع ، ص 266، 67.
- 20- نشوان: ملوك حمير ص156، 157، نشوان: منتخبات ص16.
- 21- بافقيه، محمد عبد القادر : في العربية السعيدة ج1 ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء 1987 ص 120
- 22- ابن رسول، عمر بن علي: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، حققه سنزستين، مطبعة الترفي دمشق 1949.
- 23- بافقيه: السعيدة - ج1 ص129 .
- 24- نفس المرجع - ص 131 .
- 25- لوندن، أ-ج: اليمن إبان القرن السادس الميلادي - ترجمة قائد طربوش ، مجلة الإكليل ، وزارة الثقافة صنعاء - العدد الثالث والرابع 1988م ص13 ، ، الجرو، أسمهان سعيد(د): موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة الأردن - اربد 1996م ص270 .
- 26- AHMED ABDEL-RAHMAN:LA GEOGRAPHIE TRIBALE DU ALSEKAF YEMEN ANTIQUE - PARIS(111)-1985
- 27- مكياش، عبد الله أحمد: أسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية - رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس معهد الآثار والانثروبولوجيا بجامعة اليرموك - الأردن - 1993 ص114.
- 28- نشوان: منتخبات ص15، بافقيه: سعيدة - ج1 - ص 129.
- 29- بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس 1985 ص189
- 30- الإرياني: مطهر علي: في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط2 ، صنعاء 1990 ص328.
- 31- بافقيه: السعيدة ج2 ص 153.
- 32- الإرياني : نقوش مسندية ص 467 .

- Y.85AQ/13، Y.85AQ20 ، Y.85AQ2 -33
 Ja 565 -34
 cih 341 -35
 Ja 665 -36
 37- cih 541/36، 37
 -38 حبتور: اليزنيون ص 286
 Jamme.w.f:Sabaeen inscription from Mahram Bilqis-London1962 p. 207 -39
 Ja 726/1.2 -40
 Ja 589 -41
 Ja563- 42
 -43 بافقيه: السعيدة جـ1 ص 122
 CIH 601/1 ، CIH 584/1 -44
 -45 [ريكتانز، جاك وآخرون: نقوش خشبية قديمة من اليمن- لوفان 1994 ص27]
 CIH 584 -46
 -47 نقوش خشبية ص44
 -48 نقوش خشبية ص27
 -49 الشبية ، عبد الله حسن : دراسات في تاريخ اليمن القديم - مكتبة الوعي الثوري - تعز ط1 1999 - 2000
 ص250 .
 -50 Ja652/3.4 ، بافقيه : سعيدة جـ2 ، ص89
 -51 Ja708/1-3 ، بافقيه: سعيدة جـ2 هامش رقم 14 ص89 ، هزاع ، خلدون : الأوضاع السياسية .
 والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر بهرعش - وزارة الثقافة والسياحة صنعاء - 2004 ص160 .
 -52 بافقيه : سعيدة جـ2 / هامش رقم 14 ص 89 .
 -53 Abdallah : Die personennamen In Al- Hamdani's Al-Iklil ، Yusuf ، cih541/16
 undihre parallelen in Den Altsudarbaischen inschriften Tubingen 1975 p.?
 -54 cih556 ، الشبية: دراسات في تاريخ اليمن القديم ص ؟
 -55 Res4420 ، Res4146 ، Res4135
 -56 Ja567/2.15
 -57 إرياني 21
 -58 الهمداني : الإكليل جـ2 ، ص285 ، 286
 -59 [الهمداني: الإكليل، جـ2 ص284، 286]
 -60 بافقيه وآخرون مختارات ص274 ، الإرياني: نقوش مسندية ص 300 .
 -61 Res4086
 -62 Cih601
 -63 الإرياني نقوش مسندية ص292

- Ja684 ، Ja539 ، Ja758 -64
- 65 نامي 12 .
- Ja 615 -66
- Yusuf : Die personennamen p. 52 -67
- 68 بافقيه : الأنساب والسير اليمانية(عناصرها ومصادرها)، حولية ريدان ، العدد الخامس ، لعام 1988 ص 31 .
- 69 نشوان : ملوك حمير ص 162
- Cih 73 ، Cih555 ، Cih99 ، Cih282/7 -70
- Chi365 -71
- Cih405/3 ، Cih601/13 -72
- 73 إرياني : نقوش مسندية ص 185
- Cih544/2 ، Cih397/2 ، Cih398/2.3 -74
- Cih60 -75
- Cih601 -76
- 77 Res3951 ، النعيم ، نورة بنت عبد الله : التشريعات في جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير ، مكتبة الملك فهد ، الرياض 2000 ص 498 ، 499
- 78 Fa3 ، النعيم : التشريعات- ص 604 ، 605
- Res3951 ، Cih601 -79
- 80 إرياني : نقوش مسندية ص 185 ، 467
- 81 إرياني 28
- Ja649/28 ، Cih405/11 -82
- Ja616 -83
- 84 يوسف : مدينة السواء حولية ريدان العدد 5 لعام 1988م ص 102
- cih 308 -85
- Ja 631 -86
- 87 بافقيه ، محمد عبد القادر : محتوى نقش المعسال (5) ، حولية ريدان العدد السادس 1994م ص 60 .
- 88 السقاف ، جعفر محمد : الوثائق والتوثيق العلمي لتراثنا " نقوشاً ومخطوطات" مجلة التراث ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف - عدن العدد 3 لعام 1979م ص 72 .
- 89 الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة بلاد العرب ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، 1983 ، هامش (5) ص 118
- 90 الهمداني : الإكليل جـ2 ، ص 244 ، الهمداني، الحسن بن أحمد : الإكليل جـ8 دار العودة ، بيروت ، دار الكلمة - صنعاء ص 73 ، نشوان : منتخبات ص 93 .
- cih 621/2 -91

- 92- حبتور، ناصر صالح: حوض وادي ميفعة مهد اليزنيين وموطن نفوذهم الأول في كتاب: عالم النقوش والتاريخ المؤرخ محمد عبد القادر بافقيه ، جامعة عدن 2004 ص71 - 77
- 93- بافقيه، محمد عبد القادر: عودة إلى نقش عبدان(2) ، حولية ريدان العدد السابع لعام 2001 ص 29- 44، حبتور: اليزنيون 2002 ص194 - 211
- 94- BR-YANBUQ 47
- 95- CIH 621 ، حبتور: اليزنيون 2002 ص266 - 270
- 96- RY 508/9
- 97- سورة سبأ الآية رقم
- 98- المعجم السبئي ض 85
- 99- الفيروز أبادي: القاموس المحيط ص50
- 100- Res 3945/1
- 101- -RES 3945/
- 102- لعمرى، حسين عبد الله وآخرون: في بلاد اليمن عبر العصور ، بيروت 1990م ص13
- 103- بافقيه : تاريخ اليمن القديم ص 58
- 104- الجرو، اسمهان سعيد : كيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل إلى وحدة شاملة في اليمن القديم ، الندوة العلمية ، اليمن .. اليمن وحدة الأرض والإنسان 12 - 14 فبراير 2001 ص38 ، 40
- 105- Res 3945/13 ، العمري وآخرون : في صفة بلاد اليمن 1990 / 16 ، حبتور : توحيد اليمن بين ذكر إل وكرب إل - مجلة سبأ - يوليو 2003 - العدد 12 ص15 - 28
- 106- Ja 616/4 ، أرياني 18 سطر1 ، باسلامة، محمد عبدالله : شہام الغراس، مؤسسة العفيف الثقافية، ط1 1990 ص26 .
- 107- Cih 282/2 ، إرياني 13 سطر1
- 108- إرياني 1/ 19
- 109- Res 3300/1 ، Res 3458/2 ، cih 601
- 110- Res 3306/1، 2
- 111- النعيم : التشريعات ص126
- 112- الطبري : تاريخ الطبري جـ2 ، ص117
- 113- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مجلد 1 ، ص424 ، 425 ، الطبري : تاريخ الطبري ، جـ2 ، ص117 ، 118 ، المسعودي : مروج الذهب ، جـ2 ، ص77 ، ابن هشام : التيجان ، ص311 ، 112
- 114- RES3904D
- 115- Cih541/ ، بافقيه : السعيدة- جـ2 ، ص204 ، 205 ، حبتور : اليزنيون ، ص276 ، 278 .
- 116- حبتور : اليزنيون ، ص290 - 298
- 117- الطبري : تاريخ الطبري جـ2 ، ص127 ، نشوان : ملوك حمير ص148 ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ1 ، ص432

- 118- الطبري: تاريخ الطبرن جـ 2 - ص127، نشوان: ملوك حمير ص148
 119- Ja1028/7 ، Cih621/9، جبثور، ناصر صالح: الموقف اليزني من الوحدة اليمنية - موضوع قدم في الندوة العلمية لجامعة عدن 12 - 14 فبراير 2001.

المصادر النقشيت:

مجموعات عربية	مجموعة وادي يلا	BR-YANBUQ	RY	RES	جIH	JA
الارياي 13	Y.85AQ2	47	507	3458	504	665
18	Y.85AQ/13		508	3306	544	565
19	Y.85AQ20		510	3300	541	1028
28				3904	37	589
3 فخري				4135	99	708
12 نامي				4146	282	567
				4420	308	578
				4086	341	652
				3951	397	584
				3945	398	563
					555	539
					556	684
					584	615
					601	649
					621	616
						531

المراجع العربية والأجنبية

- ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ): الكامل في التاريخ - ج1 - دار صادر بيروت
- الإرياني: مطهر على: في تاريخ اليمن نقوش مسندية وتعليقات - مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط2 ، صنعاء 1990.
- عارف أحمد إسماعيل: تاريخ وادي النيل 2004
- باسلامة، محمد عبدا لله: شبام الغراس، مؤسسة العفيف الثقافية، ط1 1990
- بافقيه، محمد عبد القادر: في العربية السعيدة جـ 2، بيروت 1993م
- : في العربية السعيدة جـ 1، مركز الدراسات والبحوث ، اليمني، صنعاء 1987

- : الأَسَاطِير والسير اليمانية(عناصرها ومصادرها) ، حولية ريدان ، العدد الخامس ، لعام 1988
- : محتوى نقش المعسال (5) ، حولية ريدان العدد السادس 1994م
- : عودة إلى نقش عبدان(2) ، حولية ريدان العدد السابع لعام 2001 ص 29- 44
- : تاريخ اليمن القديم المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت 1973
- بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون: مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس 1985
- الجرو، اسمهان سعيد : كيف تطورت الصيغة الاتحادية بين القبائل إلى وحدة شاملة في اليمن القديم ، الندوة العلمية - اليمن .. اليمن وحدة الأرض والإنسان 12 - 14 فبراير 2001
- :موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)- مؤسسة حمادة الأردن- اربد 1996م
- حبتور، ناصر صالح : اليزينيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم ، دار الثقافة العربية ، الشارقة 2002 .
- : حوض وادي ميفعة مهد اليزنيين وموطن نفوذهم الأول في كتاب: عالم النقوش والتاريخ المؤرخ محمد عبد القادر بافقيه - جامعة عدن 2004
- : الموقف اليزني من الوحدة اليمنية ، موضوع قدم في الندوة العلمية لجامعة عدن 12 - 14 فبراير 2001.
- : توحيد اليمن بين ذكر إل وكرب إل ، مجلة سبأ ، يوليو 2003 - العدد 12
- ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ): جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر القاهرة 1962
- الحميري ، نشوان بن سعيد: منتخبات في أخبار اليمن، نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد، منشورات المدينة ، صنعاء ط3- 1986
- : ملوك حمير وأقيال اليمن، تحقيق إسماعيل الجرافي وعلي المؤيد، دار العودة بيروت، دار الكلمة صنعاء 1978 .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت300هـ): تاريخ ابن خلدون القسم الأول ، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1977
- ابن رسول، عمر بن علي: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، حققه سنزستين، مطبعة الترقى دمشق 1949 .
- السقاف ، جعفر محمد : الوثائق والتوثيق العلمي لتراثنا " نقوشاً ومخطوطات " مجلة التراث ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والمتاحف ، عدن العدد 3 لعام 1979م
- الشيبه ، عبد الله حسن : دراسات في تاريخ اليمن القديم ، مكتبة الوعي الثوري - تعز ط1 1999 - 2000
- الصافي، فاطمة علوي:المرويات اليمنية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الثقافة العربية، الشارقة 2002
- الصائلي، صالح أحمد: المعالم اليمنية في الشعر الجاهلي ، رسالة ماجستير ، جامعة المستنصرية، بغداد 1998
- الطبري، محمد بن جرير: (ت هـ) ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2- القاهرة- دار المعارف.

- العمري، حسين عبد الله (د.)، مطهر الارياني، ويوسف محمد عبد الله (د.) : في صفة بلاد اليمن عبر العصور ، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت1990
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط - دار الفكر - بيروت 1995م.
- لوندن، أ-ج: اليمن إبان القرن السادس الميلادي - ترجمة قائد طربوش ، مجلة الإكليل ، وزارة الثقافة صنعاء ، العدد الثالث والرابع 1988م
- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين(ت 346) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- دار الفكر، ط5-1973 1965
- مكياش، عبد الله أحمد: أسماء القبائل في النفوس العربية الجنوبية ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس معهد الآثار والنثروبيلوجيا بجامعة اليرموك - الأردن - 1993
- النعيم ، نورة بنت عبدالله : التشريعات في جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير ، مكتبة الملك فهد ، الرياض 2000 .
- الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب(ت360هـ): صفة بلاد العرب ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، 1983 : الإكليل ج8 دار العودة - بيروت - دار الكلمة - صنعاء
- : الإكليل ج2- تحقيق محمد بن على الاكوع- ط3- بيروت 1986
- هزاع ، خلدون : الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرعش ، وزارة الثقافة والسياحة صنعاء ، 2004 .
- ابن هشام، محمد بن عبد الملك: كتاب التيجان في ملوك حمير - مطبعة دار المعارف العثمانية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد 1347هـ
- عبدالله ، يوسف محمد : مدينة السواة حولية ريدان العدد 5 لعام 1988م

-ALSEKAF·AHMED ABDEL-RAHMAN:LA GEOGRAPHIE TRIBALE DU YEMEN ANTIQUE - PARIS(111)-1985

Jamme.w.f:Sabaeen inscription from Mahram Bilqis-London1962.

Yusuf , Abdallah : Die personennamen In Al- Hamdani's Al-Iklil undihre parallelen in Den Altsudarbaischen inschriften Tubingen 1975



ظواهر يمنية مدانة ((ذمار نموذجاً))

أ.د. عادل محي الدين الألوسي (*)



يتناول بحثي مع عجالته ، مدخلاً في توضيح وتعريف ونماذج عربية واسلامية وآيات قرآنية واحاديث نبوية في حسن معاملة الوافدين والمعاهدين وحتى الاعداء ، تليها رؤيتي لبعض الظواهر الاجتماعية المرفوضة التي تطبع المجتمع اليمني عموماً والتي لحظتها بأمر عيني في ذمار التي عشت فيها قرابة العشر سنوات منذ عام 1991م عدا خمس سنوات عدت فيها الى بلدي العراق الحبيب .

ابتداءً اود ان اسجل ان من هذه الظواهر السلبية مايتسم بالغلو والتطرف كالتفجير والتلغيم والاختطاف والقتل العمد والقتل الجماعي بغفلة من الضحايا الابرياء، وما الى ذلك من ظواهر تندرج تحت لائحة الارهاب اذا صح التعبير والتي راج سوقها مؤخراً هنا وهناك، هذه الظواهر لاتشكل ظواهر بمعنى الظاهرة التي تفترض شيوعاً وامتداداً وتواصلأ وديمومة ورأياً عاماً مسانداً وهذا مالايجده فيما يحدث.

اسميتها مجازاً بالظواهر التي طفت على السطح من غير جذور وتجزير وامتداداً وعمق مجتمعي ، انها ظواهر طارئة ومحدودة لايرتضيها اليمنيون بمختلف طبقاتهم وقبائلهم وطوائفهم وشرائحهم الاجتماعية.

(*) استاذ التاريخ الاسلامي - كلية الآداب - جامعة ذمار .

ليس صحيحاً أن نقول وكما يزعمون أنها ضرب من الجهاد ضد المستعمر او الكافر. الجهاد لغة كما جاء في لسان العرب " بذل أقصى ما يستطيعه الانسان من طاقة لنيل محبوب او لدفع مكروه"⁽¹⁾ وهو شرعاً واصطلاحاً وبتفاهق الفقهاء (القتال والعون فيه) عند الحنفية (دعوه الكفار الى الدين الحق وقتالهم ان لم يقبلوا) وعند المالكية، (قتال المسلم كافراً غير ذي عهد لاعلاء كلمة الله او حضوره له او دخوله ارضاً له) وعند الشافعية (القتال في سبيل الله) وتوجزه الحنبلية في (قتال الكفار) اما الزيدية وهي مذهب علوي يؤمن بالعقل والنقل والتسامح⁽²⁾ ، فقد حضت على مواصلة الجهاد الى ان يكون الدين كله لله⁽³⁾ ، كما انها اباحت حق الثورة ضد الحاكم الظالم وجعلته باباً من ابواب الجهاد وهو ما يميزها عن فرق الشيعة ومذاهب اهل السنة⁽⁴⁾ .

وتشترط الشيعة الامامية ان يتولى الجهاد امام معصوم ولما كان هذا الامام مستتراً وغائباً فلا جهاد حتى يظهر. وبناءً على ذلك سمي الايرانيون الحرب ضد العراق والتي استمرت ثمانى سنوات 1980 - 1988م بالحرب المفروضة (حملة وليست جهاداً) باعتبارها حرب دفاعية كما يزعمون، والامام الخميني هو الوحيد الذي تجرأ على تسمية الكفاح المسلح ضد الشاه ممثله بحكم محمد رضا بهلوي، بالجهاد مع ان الفقه الشيعي لا يؤمن بذلك⁽⁵⁾ .

والجهاد الذي نعنيه قد شرع في السنة الثانية للهجرة في قول الله تعالى :
 " اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ"⁽⁶⁾ وفي قول الله تعالى :
 "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ"⁽⁷⁾
 و" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرَّةٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"⁽⁸⁾
 و" وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"⁽⁹⁾
 و" فَإِنْ لَمْ يَغْتَرْكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ"⁽¹⁰⁾

وفي الوقت الحاضر انزلت بعض الحركات الاصولية الجهاد منزلة الغرض وعدوه الركن السادس في الاسلام ويعنون به محاربة الكفر والظلم والظالم. ولتوضيح ذلك فقد

امر الشارع بالجهاد صوتاً لكيان الامة من ان يعتدى عليه وحفاظاً لحدود الدولة الاسلامية من ان يخرقها العدو وقد قام به المجاهدون في مرحلة الكفاح الوطني لمقاومة الاحتلال والاستعمار ثم بعد ذلك اصبح الامر موكولاً بجيش كل امة⁽¹¹⁾. فالجهاد فرض عين اذا ما وقع العدوان، كل مواطن قادر يجب عليه حمل السلاح حتى ان الزوجة تخرج اليه بغير اذن من زوجها والعبد بغير اذن من سيده. واذا ما عين ولي الامر انساناً للخروج فيجب عليهم ان يستجيبوا، يقول ابن حزم : (ومن امره الامير بالجهاد الى دار الحرب ففرض عليه ان يطيعه في ذلك لقوله (صلى الله عليه وسلم) لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه واذا استنفرتم فانفروا)⁽¹²⁾ فاذا ما دخل العدو ارض المسلمين فعلى الجميع ملاقاته ودفعه ولا فرق بين رجل وامراه ولا بين خادم ومخدوم ويرتبط هذا باهل المحلة التي نزلها العدو ويمتد لمن جاورهم اذا احتاجوا لعمونه ثم لكافة المسلمين اذا لزم الامر فاذا جلا المستعمر او المحتل او الغاصب كان الاستعداد للجهاد فرض كفاية يقوم به رجال الجيش.⁽¹³⁾ بمعنى انه اذا قام به من يكفي لحمل عبئه سقط الفرض عن الباقيين لقول الله تعالى : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً " ⁽¹⁴⁾.

وبشأن الوفاء بالعهود وحسن معاملة الوافدين والمعاهدين واهل الذمة وحتى الاعداء منهم، فإن تاريخنا العربي الاسلامي على امتداده الطويل ملئ بالامثلة ولست بصدد احصائها ولكني سأقف عند نماذج منها تذكرة وعبرة.

يذكر ابن هشام في سيرته⁽¹⁵⁾ انه قبل البعثة بعشرين سنة انعقد حلف الفضول لنصرة المظلوم والغريب والوافد والزائر ومفاده ان رجلاً من زبيد قدم ببضاعة فاشتراها من العاص ابن وائل فحبس عنه حقه فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مره في دار ابن جدعان فكان ان انصفوا الزبيدي من العاص، وقد شهدته الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقال فيه :

لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفاً ما أحب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت.

ولما اشتد اذى المشركين على المسلمين ولاسيما المستضعفين منهم ، امرهم (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم عنده احد وهي

ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه. وفي ارض الحبشة وفر النجاشي وهو على النصرانية للمسلمين ملجأ سياسياً اماً واحسن وفادتهم وحماهم واجارهم وتعاهد معهم. (16).

وفي السنة السادسة للهجرة هبط المسلمون عند الحديبية اسفل مكة يبغون زيارة البيت الحرام، ارسلت قريش وسطاء يفاوضون المسلمين اولهم بديل بن ورقاء ثم مركز بن حفص ثم الحليس بن علقمة سيد الاحابيش ثم بعثوا عروة بن مسعود الذي جلس بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان يتناول لحيته وهو يكلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مهدياً ومتوعداً وهو (صلى الله عليه وسلم) لايبالي مع ان الصحابة ومنهم المغيرة بن شعبة قد استشاطوا غيظاً (17).

وعن ابن عباس ان قريشاً بعثوا اربعين او خمسين رجلاً وأمروهم ان يطوفوا بعسكر رسول الله ليصيبوا لهم من اصحابه احداً فاخذوا واتي بهم الى النبي فعفا عنهم وخلي سبيلهم وكانوا رموا في المعسكر بالحجارة والنيل، وفيهم نزل قول الله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ "

اما رسل المسلمين الى قريش فقد تعرضت للهلاك، فخراس بن امية الخزاعي كاد ان يقتل لولا ان انقذه الحابيش فرجع وقد عُقر جملة وكان (صلى الله عليه وسلم) قد ارسله ليبليغ اهل مكة انه يريد العبادة لا الحرب. (18)

وصار الرأي ان يرسل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الذي دخل مكة في جوار قريبه ابان بن سعيد وابلغ رسالته كاملة وافهم من لقيه حقيقه ماجاء به المسلمون فكان الرد ان شئت ان تطوف بالبيت فطف، وقال ماكنت لافعل حتى يطوف به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . ثم ان عثمان اتصل بمؤمني الداخل وبشرهم بقرب الفتح مما اغضب قريش فاصرت باحتباسه فشاع بين المسلمين ان عثمان قتل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لانبرح حتى تناجز القوم .

وبايعه الناس بيعة الرضوان تحت شجرة متشابكة الغصون " ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد

عليه الله فسيوليه اجراً عظيماً⁽¹⁹⁾ ثم ان عثمان لم تطل غيبته وان قريش جزعت ان تصيبه باذى وهو ضيفها وفد اليهم بقصد المفاوضة والمعاهدة .⁽²⁰⁾
وفي صحيح البخاري نقلا عن ابي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله:⁽²¹⁾

(آية المنافق ثلاث ، اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر وان صلى وصام وزعم انه مسلم) .

وفي رواية اخرى : اربع خلال من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر .⁽²²⁾
وعن انس قال : ماخطبنا رسول الله الا قال : لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له .

وقد استخلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند هجرته ، علي بن ابي طالب ليسلم المشركين الودائع التي استحفظها مع ان هؤلاء المشركين كانوا بعض الامة التي استغزته من الارض واضطرتته الى ترك مسقط رأسه في سبيل عقيدته .
قال ميمون بن مهران: (ثلاثه يؤدين الى البر والفاجر : الامانة والعهد وصلة الرحم)
وفي الحديث ايضاً : المسلمون عند شروطهم .

قال الله تعالى : " واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً" .⁽²³⁾

عن عمرو بن الحمق قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:
(ايما رجل امن رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بري وان كان المقتول كافراً)
وهذا البيان الحاسم ، يكشف عن روح الاسلام في معاملة من لم يدينوا به ، ويدفع بحمية بالغة عن منحهم ذمته وادخلهم في عقده .

وتروي امهات الكتب⁽²⁴⁾ :

حكاية اخرى مفادها ان آخر ملوك الحيرة النعمان ابن المنذر الذي اختلف مع كسرى الفرس ابرويز، فاستنجد النعمان بهائى ابن مسعود الشيباني فاتجده ونزل بارضه بذي قار واستودعه سلاحه واولاده، ولما طلب كسرى الودائع بعد مقتل النعمان وهي ثمانمائة

درع امتنع هائئ من تسليمها وأفضى الامر الى حرب بين الطرفين في صيف سنة 610م وقد امتدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليس في النصر المييم الذي احرزه العرب على العجم وانما ايضاً في نخوه بكر بن وائل واجارتهم لمن استجار بهم وهو موقف عربي اصيل.

لقد اوجب القرآن الكريم على المسلمين الوفاء بعهودهم قال تعالى :
" وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا " (25)

وجعله من صفات المؤمنين " وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا....." (26)

كما جعل الخروج من فضيلة الوفاء كالخروج من فضيلة الاساتية " إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ، فَإِذَا تَفَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ، وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ " (27)

قال ابو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

" بعثتني قريش الى النبي فلما رأيت النبي وقع في قلبي الاسلام ، فقلت : يارسول الله لارجع اليهم قال : اني لا احيس بالعهد (اي لا اخلفه) ولا احبس البرود (جمع بريد وهو هنا بمعنى الرسول) ولكن ارجع اليهم فان كان في قلبك الذي فيه الاى فارجع". (28)

وجاء في حديث حذيفة ابن اليمان ما يدل على عهد بين احاد في مثل حالة الاكراه قال :
" ما منعني ان اشهد بديراً الا انني خرجت انا وابي الحسيل فاخذنا كفار قريش ، فقالوا: انكم تريدون محمداً ، فقلنا: ماتريده ومانريده الا المدينة، فاخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق الى المدينة ولا نقاتل معهم، فاتينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاخبرناه الخبر قال : انصرفا نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم" (29)

وفي الرواية ان ابن النواحة وابن اثال رسولا مسيلمة جاءا الى النبي ، فقالا لهما: اتشهدان اني رسول الله ؟ قالا : نشهد ان مسيلمة رسول الله فقال رسول الله : امنيت بالله ورسوله، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما.

فمضت السنة بتأمين البرود (30).

وبشأن اهل الذمة من اليهود والنصارى سواء كانوا في ديار الاسلام او خارجها في ديار الحرب، فان الاسلام الحنيف يحث على التعامل معهم والقرآن الكريم يناديهم باهل الكتاب كما انه اجاز معاشرتهم واكل طعامهم ومصاهرتهم والزواج من نساءهم قال تعالى: " الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ". (31)

واخيراً ساحاول اعتماد المعيار الحضاري اساساً لتفسير الظواهر الازهابية كالاختطاف والتفجير والقتل العمد والقتل الجماعي بغفلة منهم، والتي تعرضت لها المنطقة هنا وهناك فاقول وبالله استعين اليمن مجتمع قبلي في اصوله وجذوره منغلق على نفسه يحكمه العرف القبلي، ومع تأثير الاسلام الفاعل في هذا المجتمع الا انه وبفعل عوامل متعددة تمسك بالنظم القبلية ومازال ، من تلك الظروف التي مر بها هذا البلد وطبيعة ارضه الملتوية وعزلة بعض المناطق عن بعضها الاخر ، وانغلاقه على نفسه مدة من الزمن وضعف الحكومات التي توالى عليه ، وغياب سلطة القانون الوضعي ناهيك عن الدسائس التي تعرض لها ومازال من قوى اجنبية طامعة وقوى عربية تجاوره وتتربص به الدوائر .

نقد رافق جهود الظلام وسيادة سلطة القبيلة جهل وجهالة ليس في القراءة والكتابة لوحدها وانما في اساليب الحياة الاخرى في المسكن والماكل والمسلك والنهج والمدرسة والتفكير فكان لا مؤاخذة امتداد للنمط العربي الجاهلي ، وتوخياً للحقيقة فان هذه الانماط القبلية مع وجودها الا انها وضحت بشكل لا لبس فيه في الظواهر في القرى والارياف والمناطق الجبلية البعيدة عن الحواظر، هذه المعلومة تفترض وجود مجتمعات محدثة اخذت بالحدثة الغربية الى حد ما بشكل تقاطع مع الانموذج المجتمعي العربي الاسلامي . اغلبية الدراسات التي تناولت بالتحليل طبيعة المجتمعات العربية الاسلامية، تعاملت مع هذه المجتمعات على اساس انها مجتمع واحد وطبقت مقاييس المجتمع المحدث على الوضع ككل واغفلت المجتمع الاصلي واعتبرته منقرضاً وغير موجود ،

بزعيم ان المجتمع المحدث حكم اليمن بعد انهيار التسلط الاجنبي الاستعماري وحاول ان يوحد قسراً على اساس سيطرته ونمطه.
ان هذا لايعني ان المغلوب على امره اصبح غير موجود وماعليه الا اقتفاء خطى الحداثة مجتمعاً ودولة.

لقد تحددت معالم المجتمع العربي في ظل الاسلام ومبادئه السمحاء التي لقيت رواجاً منقطع النظير ليس في بلادنا وانما في عموم بلدان المشرق والمغرب ، ليس بحد السيف وانما بالمجادلة والحكمة والموعظة الحسنة من خلال فهم لمبادئ الدين الجديد والمؤالفة معها وهذا مانجدده واقعاً ملموساً في بلدان جنوب شرق اسيا والشرق الاقصى واقاصي افريقيا حيث كان دور الاسلام حاسماً في بناء مجتمعات ملتزمة موجّهة الى حد ما. وهذه المسألة في نظري تأخذ طابعاً اكثر وضوحاً في منطقتنا العربية ، فالاسلام جعل من البناء الفكري شرط التماسك في البنية المادية والعلاقات الاجتماعية الا ان هذه المجتمعات تحللت وانفردت عقدها بضعف الوازع الاساس الذي ترتكز عليه وهو الاسلام بفعل عوامل الحداثة والعلمنة والتبعية والاستعمار وما الى ذلك من عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية تنعكس على الفرد والاسرة والقبيلة والامة والمجتمع عموماً .

اسمحو لي ومعذرة منكم ان اروي لكم مفارقة لحظتها في حياتي اليومية وانا في ذمار كنت عائداً من الكلية واذا بكهل يقابلني وجهاً لوجه يحمل حزمة من القات ولفت نظري انه كان حافياً مع ان الارض كانت مبتلة اثر زخات مطر، حالة هذا الكهل الذي تأبط القات ويخل على نفسه شراء حذاء يحمي به قدميه بالتاكيد ثمنه اقل من ثمن القات ، تدل على جهل او طبع غلب التطبع (32).

وأخرى تعكس جانباً مهماً لايمكن تجاهله وانا ايضاً شاهد عليها ، في يوم مشمس وعند الظهيرة خرج الزغب الابرياء من المدرسة واطنوا مدرسة علي عبد المغني وسرعان مااصابهم الهلع وهم يرون بام اعينهم زميلهم وقد سقط مضرجاً بدمائه مقطع الاوصال على اثر اعتداء من قبليين امطروه بوابل من آلياتهم اخذاً بثأر كان على احد افراد عائلته ومثل هذه الحوادث كثيرة ودوائر الامن والشرطة والقضاء اعرف بها .

والادهى من هذا كله ان الكثير من هؤلاء القتلة بعد ان يقوموا بفعالتهم وجريمتهم يلوذون بالفرار محتمين بقبائلهم او قبائل اخرى . الا تدل على غلبة القبيلة وضياح هيبة الدولة والقانون وانشطار الثقافة والمثقفين بما فيه من علماء وفقهاء الذين سماهم ابن العباس ياولي الامر وفشل المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية فيما تقدمه وتهدف اليه ليس في اصال المعلومة وانما في التثوير والتحصير والتنوير بشكل يسهم في التغيير الاجتماعي المطلوب انها جزئيات لو تظافرت لعملت على ما نتوخاه منها.

انا كاستاذ جامعي واستسمحك عذراً اعاني من مشكلة قائمة في قاعة الدرس تتعلق بالطالبات يجلسن في سطر واحد ولا تصرح احداهن باسمها ولا يسمع صوتها ولا تسأل ومن باب اولى لاتسئل وحقيقة اعتدت على ذلك وان كان طموحي وانا في مؤسسة ثقافية متقدمة ان نتجاوز هذه القيود دون المساس بالثوابت الاخلاقية والبيولوجية التي تميز المرأة عن الرجل لا اقول بالمساواة وان كنت في قرارة نفسي ادعو لها واؤمن بها وانما اقول بتحقيق شئ من الموازنة والعدالة بما يفضي الى تحرير المرأة اليمنية ولاسيما الذمارية من عبوديتها التي فرضها عليها الرجل بحكم منطلقات المجتمع الذي يعيش فيه وماتعدد الزوجات وكثرة حالات الطلاق ومايتبعه من سلبيات وحالات الترمل وارتفاع المهور وتكاليف الزواج الباهظة الا الدليل على حجم المعاناة هذه ناهيك عن ظواهر اخرى علقت بالمجتمع اليمني واعتادها الناس وصارت من معوقات تقدمه واعني بها الفوضى الادارية وضعف الانضباط الوظيفي وانعدام الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتق كل من يلتصق برابطة الوطنية والمواطنة لليمن السعيد والا كيف نفسر شيوع الرشوة والاختلاس واللامبالاة تجاه الحرص على المال العام واخيراً ضعف الوازع الديني كتبرير لكل هذه الظواهر.

واليمن شأنه شأن الاقطار العربية الاخرى عانى من الغزو الاستعماري الغربي وماعقبه من تجزئة اصبحت واقعاً ملموساً معترفاً به ومصدقاً ذلك صراعات الحدود بين الاقطار العربية.

لقد امتدت هذه التجزئة الى البلد الواحد لتعمل فيه تمزيقاً وتفثيتاً طائفيًا ومناطقياً وقبلياً وحتى قومياً بدعاوى الديمقراطية والحرية والفيدرالية مما اثر سلباً على نفسية الفرد العربي الذي شعر بالغربة الى حد الضياع وبالفقر الى حد الجوع وبالمرض الى حد الموت وبالجهل الى حد التخلف وبالمديونية الى حد الافلاس، في خضم هذه المأساة تعالت اصوات تدعو الى اقتفاء اثار الغرب مفسرة ما حل بنا سببه تخلفنا الفكري وتمسكنا بترائنا العربي وديننا الاسلامي وهو ماتشدد عليه ازاء ذلك الارهاب الفكري الغربي والغزو الثقافي والابادة الجماعية باساليب مخابراتية مفضوحة لجأت بعض قوى المقاومة والتطرف والمعارضة العربية والاسلامية الى اساليب إرهابية كان الاستعمار قد مارسها في سني سيطرته واتبعها الانظمة الفاشستية والنازية والصهيونية، لامت لمجتمعنا العربي وديننا الاسلامي باية صلة الى درجة صرنا نشكك بها وباصحابها من دعاة الغلو والتطرف كالذي يجري في العراق المحتل والجزائر والسعودية والكويت. وماهذه الظواهر السلبية التي نحن بصدها الا صورة من ذلك الارهاب غير المبرر والمدان الذي استهدف اليمن الامن في فتره حرجة تكالب فيها الاستعمار والقوى التابعة له في ضرب حركة التحرر العربي والصحوه الاسلاميه بما يضمن للامبريالية مصالحها. وكما تعرضت اقطار عربية متعددة للغزو والتدخل الخارجي يتعرض اليمن الواحد للبليلة والفتنه والتشويه، وهي لامحالة اساليب مفضوحة وخاسرة بمشيئة الله تعالى وهمة المخلصين من ابناء اليمن الميامين.

الهوامش

1. لسان العرب لابن المنصور ، دار صادر وبيروت 1955 (مادة جهد).
2. الامام زيد بن علي و الزيدية، لابن الفضل عباس شرف الدين ، دار الندوة صـ 13 سنة 2003م
3. سورة البقرة / الاية ((193)).
4. الموسوعة اليمنية (1)، مؤسسة عفيف ، صـ 242 وكذلك بحث ابناء اسماعيل ، اون لاين صـ 1.
5. المرجع اعلاه، ابناء اسماعيل صـ 4.
6. سورة الحج / 38 39.6.
7. سورة الاتفال / 39
8. البقرة/16.
9. البقرة / 190.

10. النساء / 91.
11. موسوعة الفكر الاسلامي، انور الجندي ص 226.
12. المحلي ج2، ص 291.
13. موسوعة الفكر الاسلامي ، ص 226.
14. التوبة / 122.
15. سيرة ابن هشام ، ج1، ص 134.
16. المصدر السابق ، ج1 ص 321.
17. سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد ص146 ومابعدها ايضا قيام الدولة العربية الاسلامية / لمحمد جمال الدين سرور ص 148 ومابعدها.
18. سيرة ابن هشام ج3 ص366 ومابعدها.
19. الفتح آية (10).
20. قيام الدولة العربية الاسلامية ، ص 148 ومابعدها.
21. صحيح البخاري ، طبعة دار السلام الرياض، ص 1063 رقم 6095.
22. بخاري ، رقم 34 ص 9.
23. النحل : ص 91.
24. للمسعودي ج2 ص 99 ومابعدها ، المعارف لابن قتيبة ص 219 معجم البلدان لياقوت الحمودي ج4 ص 293 وتاريخ العر المفصل قبل الاسلام لجواد علي ج4 ص 85 ومابعدها. . تاريخ الامم والملوك للطبري ج1 ق2 ص 1117 و مروج الذهب .
25. الاسراء : الاية (34) .
26. البقرة : اية (177).
27. الانفال : اية (55 - 85) تتفقنهم اي تلقاهم وتجدهم ، ومعنى فانبذ اليهم اي لاتفانلهم حتى تعلن العزم على قتالهم
28. الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد سنة 1947م ص95.
29. المرجع السابق نفسه ص95.
30. الفلسفة القرآنية ص 98 .
31. المائدة : اية (5)
- ايضا الثقافة الاسلامية د. الجلال سنة 2000 ص157.
32. يمكن في هذا الصدد مراجعة اطروحة د. عبده فرحان الحميري عن القات واثاره التربويه والنفسية



المدرسة الشمسية في ذمار ودور بعض من علمائها وطلبتها في التعليم والحركة الوطنية في اليمن في العصر الحديث والمعاصر



أ. د. صادق ياسين الحلوة

التسمية والتأسيس :

كانت ذمار أحد مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية في اليمن⁽¹⁾، فهي من أقدم المدن اليمنية التي أنشئت فيها المساجد، وكان لها مكائنها المتميزة في العصر الإسلامي، وغالبا ما كانت المساجد تستخدم مدارس للتعليم كما هو الحال في مختلف بلدان العالم الإسلامية، كالمدرسة المستنصرية في بغداد وجامع الزيتونة في تونس وغيرها .
ومسجد المدرسة الشمسية في ذمار يقع في حي الجراجيش أحد أحياء مدينة ذمار القديمة، هو من أشهر مدارس العلم في اليمن، ويأتي بعد مدارس مدينة زبيد وصعدة وجبله والجامع الكبير بصنعاء، وهذه المدارس جميعها مكان علم وهجرة لطلبة العلم⁽²⁾.

وسميت بالمدرسة الشمسية نسبة إلى الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين الذي أشرف على بنائها وعمارتها في عهد والده الإمام شرف الدين⁽³⁾ في القرن العاشر الميلادي .

ويختلف الباحثون حول سنة تأسيس هذا المسجد الذي سمي فيما بعد بالمدرسة الشمسية، إذ يشير المؤرخ اسماعيل بن علي الأكوغ إلى أنها بنيت في عام 950هـ،

* رئيس قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة ذمار.

بينما نجد الدكتور صلاح البهنسي في قراءته لنص التأسيس المتبقي على الجدار الشرقي من بيت الصلاة أثبت أن البناء كان في شهر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وتسعمائة (4) .

ويؤكد هذه القراءة باحث آخر هو الأستاذ خلدون هزاع من أن هناك شريطاً كتابياً يوجد داخل بيت الصلاة ، يبدأ من جدار القبلة ويمتد على طول الجدار الغربي ، وبطول لا يقل عن 250 متراً ، يحتوي على النص التأسيسي الحقيقي للمنشأة ، وهو مستهل شهر جمادى الأولى من عام 947هـ ، وانتهى بناؤها في مستهل شهر رمضان المبارك في عام 949 هـ ، ومطلعه : "أمر ببناء هذا المسجد والجامع المقدس" ، ويستنتج الباحث من النص بأن تخطيط بناء هذا المسجد لا يختلف عن تخطيط مساجد الصلوات الخمس ، فهو من حيث الوظيفة يؤدي دور المسجد ، ويؤكد ذلك النص التأسيسي الموجود في جدار القبلة ، وإلى جانب تلك الوظيفة كان يقوم بدور المدرسة الدينية⁽⁵⁾ ، وعلى ذلك يمكن القول إن هذه المدرسة كانت في الأصل مسجداً تحول فيما بعد إلى مدرسة عامرة يقصدها الطلبة من أتباع المذهب الزيدي الذي انتشر في اليمن . وكانت ذمار مركزاً لأكابر العلماء وفقهاء ومدرسي هذا المذهب ، ولذلك عندما أرسل أمبراطور الهند أورنجزيب 1655-1707 بعض الأسئلة الفقهية إلى إمام اليمن للإجابة عليها قام الإمام بعرضها على كبار العلماء ومنهم علماء ذمار⁽⁶⁾ .

منازل طلبة المدرسة :

كانت هذه المدرسة إلى بضعة عشر سنة خلت صرحاً من صروح العلم ، فقد كانت أشبه ما تكون بخلية النحل لكثرة طلبة العلم الدارسين فيها إذ يفدون إليها في مواسم الدراسة من كل عام من شتى المناطق⁽⁷⁾، مثل آنس ، ومغرب عنس، وخُبان ، والنادرة ، ورداع ، وعمة⁽⁸⁾ ، عدا الطلاب من المدينة نفسها .

وكان طلاب العلم الوافدون إلى ذمار يسمون بالمهاجرين ، يقيمون في المنازل - جمع منزل - الملحقة بالمدرسة الشمسية والمحيطة بها من جميع جهاتها⁽⁹⁾ .

وبيوت الطلبة هذه ملاصقة للسور الخارجي للمدرسة من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية ، والجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، ويفصل بينها وبين بيت الصلاة

الصحن المكشوف⁽¹⁰⁾ ، وهو صرح شماسي واسع⁽¹¹⁾، ويتكون كل منزل من حجرة واحدة في كل طابق ، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة تخصص لأكثر من طالب ، ويتخلل بعض المنازل فتحات (نوافذ) للإضاءة والتهوية ، بينما يخلو بعضها من النوافذ ، ولا يلحق بالمنازل مرافق خاصة بها من حمامات أو مطابخ، حيث أن القائمين فيها يستعملون الحمامات الخاصة بالمسجد⁽¹²⁾ .

وكان بعض هذه المنازل معروفة بأسماء تتوارث الإقامة بها خلفاً عن سلف لطلب العلم ، فقد كان بيت الشامي ، وبيت الأشول من خُبان ، وبيت الشبيبي من آنس ، وبيت الجرُموزي من عتمة ، ولغيرهم منازل معروفة بهم ، كما كان لبعض شيوخ العلم منازل خاصة بهم أيضا يقضون فيها ساعات من النهار وطرفاً من الليل للاسترواح والإستجمام من عناء التدريس⁽¹³⁾ .

من ذلك يتبين أن تلك المنازل كان قسم منها مخصص للطلبة ، وبعضها خصص لمن يتولى التدريس فيها، ويوفر وجود تلك المنازل ضماناً لعدم انقطاع الطلبة⁽¹⁴⁾ ومدرسيهم عن الدراسة، كما أن وجود بيوت للطلبة يبين أن مصطلح مدرسة يصح إطلاقه على المسجد الشمسي .

وفضلاً عن ذلك يمكن القول إن هذه المدرسة وطريقة سكن الطلاب بجوارها تشبه مدارس أخرى دينية في العالم الإسلامي ، وإن كان عدد طلابها وعلمائها لا يصل إلى عدد طلاب وعلماء تلك المدارس إذا جازت المقارنة .

إعاشة طلبة المدارس الشمسية ومدرسيها :

لم يشر ما توفر من مصادر إلى تفصيلات حول كيفية إعاشة الطلبة وبخاصة الوافدين منهم ، سوى ما ذكره المؤرخ إسماعيل الأكوغ : بأنه لا توجد روايات للطلبة الدارسين وإنما هناك عوائل من أهل ذمار يخصصون الخبز⁽¹⁵⁾ ، وفضلاً عن ذلك يضيف القاضي حمود الظرافي مدير أوقاف ذمار "وفي أحيان قليلة يقدم لحم بسيط"⁽¹⁶⁾ .

فكان أغلب الطلاب الدارسين إن لم يكن كلهم يعيشون على ما تقدمه بعض بيوت المدينة من مساعدة للطلاب ، فقد كان الطالب يذهب عند الظهيرة إلى هذه البيت المخصص له ، فيقرع عليه الباب ، فيسأل : مَنْ ؟ فيقال مجيباً : (الراتب) ، فيعطى راتبه

وهو من الخبز ، ويكون في الغالب من الشعير أو الذرة أو البُر وبحسب حال أهل البيت ، وقد يكون معه إداماً ، ويكون أحد زملائه قد هبياً ما بقي من لوازم الغداء ، فضلاً عن تبرع الأهالي بالمواد الغذائية تلك للطلبة الدارسين ، فهناك أوقات خاصة بالعلماء والمتعلمين في ذمار ، كان يصرف لهم فيها حبوب في كل عام مرة أو مرتين ، وأحياناً تصرف حبوب ودراهم ، ومع أنها كانت زهيدة ليست ذات قيمة كبيرة لأنها كانت تنفذ في اليوم نفسه ، إلا أنه كان لها في نفوس العلماء والمتعلمين فرحة لا يبلغ مداها اليوم الحصول على أضعاف أضعافها من المال (17) .

وهكذا كان غالبية طلاب المدرسة كما يظهر غير ميسورين ، وكانوا يعانون من شظف العيش ، مع ذلك كانوا مجدين في طلب العلم كل على حسب قدرته أو استعداده الذهني ، فكان معظم أولئك الطلاب يطلبون العلم ولا يملك أحدهم كتاباً ، فيستعير من أصحاب الكتب أو من شيوخ العلم كتب الطلب ، وينقل عنها كل يوم مادة درسه ، فلا يكمل الكتاب إلا وقد صار لديه نسخة مما قرأ ، ثم لا تمضي بضع سنوات إلا ولديه كتب الطلب كاملة (18) .

ومن جانب آخر يذكر الحجري "أن أهل ذمار كانوا يحبون من هاجر إليهم من طلبة العلم ويقررون للفقراء منهم كفايتهم من الزاد" (19) . وهذا الإنفاق على طلبة المدرسة ومن يقوم بالتدريس فيها ، يوفر الشرط الأساسي الآخر بعد توفير بيوت سكن الطلبة ، ليكتسب المسجد الشمسي صفة المدرسة .

طبيعة الدراسة في المدرسة :

كانت الدراسة في المدرسة الشمسية تتم على شكل حلقات مع العلماء المختصين داخل المسجد ، حيث أن كل واحد من أولئك العلماء يأخذ جانباً من المسجد في بيت الصلاة مستنداً على أحد الأعمدة فيه ويجتمع حوله الطلبة للأخذ منه والاستماع إليه (20) . وهذه الطريقة في التعليم تشبه التدريس في المدرسة المستنصرية في بغداد ، والأزهر في القاهرة، والزيتونة في تونس، وأماكن أخرى من بلدان الوطن العربي والعالم الإسلامي .

ويؤكد هذا الرأي في القرن العشرين عبد العزيز الثعالبي الذي زار ذمار في عشرينات ذلك القرن حيث مرّ بدمار سنة 1924 فنذكر "أنه زار المدرسة الزيدية (يقصد المدرسة الشمسية) وهي مسجد كغيره من المساجد يدرّس فيه الفقه والنحو والأصول" ، ثم يضيف "ولاحظت أن المشائخ يقررون المسائل مثلما تقرر في جامع الزيتون والأزهر والقيروان ومدارس الهند بدون فرق . وذلك مما يدل على أن طريقة التعليم وأسلوبه واحد ، وأنها هي التي أفسدت عليهم تربيتهم وأبعدتهم عن التحصيل"⁽²¹⁾ .

ويذكر محقق كتاب (مطلع الأقطار) في تعليقه على ترجمة الحسن بن عبدالله الريمي (1149 هـ - 1736م) بأن العالم كان يختار مكانا معيناً في المسجد ليدرس طلبته فيه، وتعرف تلك البقعة بحلقة فلان ، وهكذا ، وما زالت مثل هذه الحلقات موجودة في كثير من مساجد اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، وزبيد ، وغيرها⁽²²⁾ .

وكانت العلوم التي تدرس في المدرسة ، واختص بها أولئك العلماء ، العلوم الدينية واللغة العربية ، ومن أمثلة تلك العلوم : الفكر ، الفرائض ، المنطق ، المعاني والتفسير ، علوم العربية ، الفقه وعلم الأصول⁽²³⁾ ، وقد تتعداها إلى المساحة والفلك وغيرها . ولا توجد في المدرسة مناهج نظامية مقررّة مثل المدارس الرسمية العثمانية اليوم ، كما أن الدارسين في المدرسة ومن يدرسون فيها يتبعون المذهب الزيدي ، ولا يفد إليها العلماء من خارج اليمن ، ولا من المذاهب الأخرى ، ولا يوجد فيها نظام للحضور والغياب ، وليس فيها فحص ، فالدراسة ذات صفة ذاتية بالدرجة الأولى⁽²⁴⁾ .

ويبدو أن الدراسة في المدرسة لم تقتصر على الوافدين إليها ومن أهل المدينة من الكبار ، وإنما كان يجري فيها تعليم الصغار القرآن الكريم ، فيذكر القاضي إسماعيل الأكوخ في مذكراته الخاصة المخطوطة باليد ، والمحفوظة في بيته عن ذلك النوع من التعليم قائلاً : "أدخلني والدي المدرسة الشمسية ، وعندما حضرت إلى فنائها وهي غرفة مظلمة كساتر المعالم ، وترتفع في صدرها دكة مرتفعة عن مستوى أرضها بنحو شبر يجلس عليها المعلم وتغطيها حصيرة بينما الطلاب بفترشون الأرض الجرداء ، وليس للعلامة سوى ما يدفعه ولي أمر الطالب للمعلم من جُعل بسيط في آخر الأسبوع يوم الخميس ، وإذا أكمل الطالب قراءة جزء من القرآن ، فإن وليه يدفع للمعلم ربع ريال

"عشر بقش" ، وإذا أكمل الطالب قراءة القرآن ووالده موثر فإنه يحتفل به ويسمى هذا الاحتفال نقاشاً" (25)

وهكذا يظهر أن طبيعة ما يدرسه الطلبة هي علوم دينية ولغوية ، لذلك فإن تأثيرها الفكري على مستوى ذمار واليمن ظل ثانويًا ، إذ لم يتوسع علماؤها في تدريس العلوم الأخرى الحديثة ، ولعل ذلك يعود إلى الجو الفكري العام الذي كان سائدًا في اليمن في عهد الإمامة الذي كان يمنع فيه انتشار تلك العلوم .

مكتبة المدرسة :

من المستلزمات الأساسية للدارسين في أي مدرسة وبخاصة الدينية توفر مكتبة يفيد منها الدارسون ، ويعتمدون عليها في الحصول على المعرفة ، ولم تشهد المدرسة الشمسية عن هذه القاعدة ، فكان فيها مكتبة نفيسة أوقفها الكثير من العلماء . (26) لكن بعض من لا خير فيه من علماء ذمار كانوا يستعيرونها ولا يعيدونها ، وتوجد بقية من هذه المكتبة لدى ناظر أوقاف ذمار (27) .

وتم نهب كتب مكتبة المدرسة في نهاية ثلاثينات القرن الثامن عشر ، إذ أن أبا فارع أحد مشايخ وداعة ببلاد حاشد ، قد أتى إلى ذمار سنة 1150 هـ (1737 م) وانتهب أسواقها وبيوتها ، ودخل إلى المدرسة الشمسية المشهورة ، وانتهب فراشها وكتبها (28) .

وللتعرف على ما بقي من مكتبة المدرسة الشمسية تمت مقابلة أحد موظفي مكتب الأوقاف والإرشاد في ذمار (29) ، حيث تم الإطلاع على استمارات جرد الكتب المنسوخة ، قامت بها لجنة من فرع الهيئة العامة للأثار والمحفوظة في سجلين موجودين داخل غرفة مخصصة لحفظ الكتب التي جلبت من المدرسة الشمسية وغيرها .. وقد خصص المجلد الأول من الجرد لنسخ القرآن الكريم المنسوخة ، أما المجلد الثاني من الجرد فقد أحصينا فيه (85) كتاباً نسخت باليد ، أسمتها اللجنة الجاردة مخطوطات مؤلفة ، وواقع الأمر هي ليست كذلك ، ففسم منها نسخ لكتب الحديث ، مثل الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن يحيى العسقلاني ، وأغلب الكتب التي نسخت هي في الفقه ، وعددها (36) كتاباً ، وتليها

كتب الحديث وعددها (10) كتب ، ثم التفسير وأصول الفقه ولكل منها (4) كتب ، وبعدها النحو واللغة بواقع (3) لكل منهما ، أما علوم القرآن وعلم الكلام والآداب والبلاغة فواحد لكل منها ، وهناك كتابان في مواضيع متعددة تحتوي على بلاغة وطب وعلم الكلام . ومن أمثلة الكتب المنسوخة كتب في الفقه: هو التكميل (3) أجزاء ومؤلفه أحمد بن يحيى ، وكتب على صفحاتها الأولى وقف على المدرسة الشمسية ، والجزء الأول نسخ عام 1071هـ ، وتوجد كتب في الفقه نسخت في القرن الثامن الهجري ، منها الجامع في الشرح جمع زيد بن محمد (ج3) نسخ في سنة 721هـ ، والكافي في الشريعة (ج2) نسخ سنة 718هـ ، وكتاب اللمع (ج2) نسخ في سنة 726 هـ ، وكتاب نور الأبصار المنزوع من الانتصار نسخ سنة 741هـ لمؤلفه يوسف بن عثمان .

ومن كتب الحديث المستنسخة: (البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير) نسخ في سنة 831هـ ، وفي سنة 980هـ نسخ كتاب "زهر الربى على المجتبى شرح النسائي ومصباح الإجابة شرح ابن ماجة"⁽³⁰⁾ ومن ذلك يتبين أن ما بقي من كتب مكتبة المدرسة الشمسية كانت متنوعة في موضوعاتها ، ففيها كتب عن السيرة النبوية ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، وعلوم القرآن وعلم الكلام و النحو و اللغة و التصوف و البلاغة و الآداب و التاريخ ، وكتابان تحت عناوين متعددة .

نماذج من علماء المدرسة الشمسية ودورهم التعليمي والوطني:

درس في المدرسة الشمسية العديد من المشايخ المبرزين في علوم اللغة والكلام والمنطق والفقه ، ومن الصعوبة بمكان حصر كل أولئك العلماء خلال الفترات التاريخية المختلفة ، ولكن يمكن استعراض نماذج لبعض منهم من الذين درسوا فيها ، ومما تجدر ملاحظته أن قسماً من أولئك العلماء برع في القضاء والآخر في الفقه ، والإفتاء ، وكان من بينهم شعراء عديدون ومؤرخون ، فيما مارس العديد منهم في مستهل القرن العشرين وحتى سقوط النظام الأمامي أدواراً سياسية في الحركة الوطنية ، والشاعر عبدالله البردوني خير مثال على ذلك ، إذ شارك الأحرار بعد مقتل الإمام يحيى بالخطابة ، فسجنه الإمام أحمد في حجه بعد فشل الانقلاب لخطبه الشديدة التي كان يهاجم فيها

الإمام يحيى ، وكذلك العالم الشاعر الأديب علي بن علي عقبات ، أما من القراء فالعلامة صالح بن محمد الحودي إمام القراء (مولده سنة 1281هـ ووفاته سنة 1362هـ) (31) وهو علم آخر لا يضاهاى في هذا المجال ، ونكتفى بذكر المشهورين من العلماء الذين درّسوا في المدرسة الشمسية من أهل ذمار ، فعلى سبيل المثال لا الحصر :

(1) العلامة إبراهيم بن يوسف حثيث ، كان إمام الفقه ، وكان قد نشأ ببلدته ذي العليب من جهران ثم سكن ذمار واشتغل بالتدريس بها (32) .

(2) العلامة مهدي بن علي بن محمد الشيببي ، وكان عالماً ومحققاً للفروع ، مشاركا في غيرها ، وكان مشتغلاً بالدرس والتدريس ، توفي بدمار في 20 شهر صفر سنة 1107 .

(3) ودرّس فيها زيد بن عبدالله الأكوغ ، وكان عالماً محققاً في الفروع مشاركا في غير ذلك ، وقد تفقه به كثيرون ، منهم عبد القادر يحيى أحمد الكوكبائي ، وإسماعيل بن يوسف بن المتوكل ، والحسن بن علي بن يحيى الشيببي ، وكان إماما في الفقه مشاركا في غيره ، انتهت إليه رئاسة العلم بمدينة ذمار ، تفقه في ذمار وظفير حجة، وكحلان ، وصنعاء ، فأخذ عن علي بن يحيى لقمان الذماري (مولده بذي حود من مخلاف المنار من أعمال آنس سنة 1107هـ وتوفي بدمار سنة 1169هـ) .

ودرّس فيها من المتأخرين :

(1) يحيى بن محمد بن يحيى بن سعيد العنسي شيخ الشيوخ ، كان عالماً مجتهدا محققاً في أصول الفقه وأصول الدين وفروع الفقه وغير ذلك ، أخذ عنه كثيرون من العلماء وانتفعوا به ، ومنه أخذ يحيى بن محسن العنسي وعلي بن الحسين الأكوغ والد المؤرخ إسماعيل الأكوغ .

(2) أحمد بن محمد بن حسن بن سعيد العنسي مفتي ذمار ، كان عالماً محققاً في الفقه ، وانتفع به كثير من العلماء وطلاب العلم ، ولد في 1240هـ وتوفي بدمار 1315هـ (33) .

(3) عبدالله بن أحمد بن علوان بن مجاهد الشماحي ، ويعد شيخ شيوخ الفقه في عصره ، درس في ذمار ثم انتقل منها إلى صعدة في عهد الإمام الهادي شرف الدين في ذي القعدة 1306هـ ، مولده في قرية الشماحي من مخلاف وادي الحار من أعمال ذمار سنة 1253هـ .

(4) علي بن حسن بن عبد الوهاب بن حسين بن يحيى الديلمي ، كان عالماً محققاً في كثير من العلوم ، درس في المدرسة الشمسية في فنون عدة وقام بفصل الخصومات ، طلب منه الوالي العثماني أحمد مختار باشا أن يتولى القضاء في ذمار فاعتذر عن ذلك ، ولد بدمار 1260هـ ومات فيها 1330هـ .

(5) يحيى بن محسن بن سعيد العنسي ، مولده بدمار 1264هـ ، وكان عالماً محققاً في التفسير والحديث وعلوم العربية ، وكان زاهداً ورعا تصدر للتدريس في المدرسة الشمسية فانتفع به عدد كبير من العلماء .

(6) محمد بن عبدالله بن عبدالله بن سعيد العنسي ، مولده سنة 1281هـ ووفاته سنة 1362هـ ، وكان من العلماء المحققين في علوم السنة ، ويروى أنه قال للإمام يحيى بن محمد حميد الدين حينما كان يصلي العصر عقب صلاة الجمعة "لو أخرت صلاة العصر إلى وقتها ولو مرة واحدة ليعرف الناس أن الصلاة في وقتها جائزة" ومن يومها لم يصل الإمام العصر عقب صلاة الجمعة مباشرة في الجامع (34) .

(7) صالح بن محمد الحودي، وبسميه المؤرخ إسماعيل الأكوخ شيخنا العلامة المقرئ ، كان إمام القراء بدمار في عصره بلا منازع ، وكان محققاً في الفقه وأصول الدين ، وله مشاركة في غير ذلك ، كان يتصدر لتدريس العلوم في المدرسة الشمسية صباحاً ، وينفرغ بعد أن يصلي العصر لاسماع القرآن الكريم من الطلاب مجوداً على قراءة نافع ، وكان يدرس بين العشائين بعض العلوم ، انتفع به خلق كثير ، كان يذهب إلى صنعاء في بعض السنين أيام الخريف لقضاء فترات قصيرة فيأخذ عنه الطلاب قراءة القرآن .

(8) عبدالله بن محمد بن علي العنسي مولده 1280هـ ووفاته 1352هـ ، كان فقيهاً محققاً تفقه بالقاضي عبدالله بن أحمد الشماس ، والسيد عبدالوهاب بن أحمد الوريث ، وغيرهما . كان مدرس الفقه في المدرسة الشمسية .

(9) علي بن محمد بن حسن بن يحيى الأكوغ ، كان عالماً مبرزاً في الفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه ، تفقه بدمار ثم هاجر إلى شهره فأقام فيها نحو من أربعة عشر عاماً للدراسة ، وقد تفقه حتى بلغ درجة أهله للتصدر للتدريس فدرس هناك ، وكان الإمام أحمد حميد الدين ممن درس عليه ، ثم عاد إلى ذمار فانقطع للدرس والتدريس في المدرسة الشمسية ، كان يقوم بتدريس (شرح الأزهار) في الفقه بعد الفجر يومياً لا يقطعه عن ذلك شيء حتى المطر ، ويحضر دروسه أكثر من خمسين طالباً ، ثم ينصرف إلى داره ليقضي بعض شؤونه الخاصة ثم يعود ، ضحى يومه فيدرس فيها دروساً متفرقة من النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه ، ويذكر المؤرخ إسماعيل الأكوغ أنه درس عليه في النحو والمعاني والبيان وأصول الفقه (35) ، ولد بدمار 1309هـ وتوفي فيها سنة 1396هـ .

(10) علي بن يحيى عقبات، عالم شاعر أديب خطيب مصقع ، رحل إلى مصر للدراسة ثم عاد سنة 1320هـ ، واشتغل بالتدريس في المدرسة الشمسية ، ثم انتقل إلى صنعاء فدرس في المدرسة العلمية فيها ، وكان يتنقل في مدن اليمن ولا يستقر على حال .

(11) إسماعيل بن علي بن حسن السوسوة ، كان خطيب جامع ذمار، وعالماً محققاً في الفقه ، كان يلقي دروسه صباحاً في مسجد الإمام المطهر بن محمد بن سليمان في الحوطة ، ويدرس الفقه بعد الظهر في المدرسة الشمسية ، وقد أخذ عنه كثيرون .

(12) حسن بن زيد بن علي الديلمي، عالم محقق في الأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان ، مبرز في علوم الحديث ، درس في ذمار ثم رحل إلى صنعاء

- فأخذ عن شيوخ العلم فيها ، ولما رجع إلى ذمار اشتغل بتدريس كتب السنة وغيرها بالمدرسة الشمسية ، وقد تولى القضاء في وصاب واشتغل فيها .
- (13) عبدالله بن محمد السوسوة ، عالم محقق في الفقه مشارك في غير ذلك ، اشتغل في بداية أمره بالتدريس ، وكان يدرس في مسجد الإمام المطهر صباحا وفي المدرسة الشمسية بين العشائين .
- (14) لطف بن زيد بن علي الديلمي ، عالم محقق في النحو والمعاني والبيان وأصول الفقه ، له مشاركة تامة في التفسير والحديث ، تفرغ للتدريس في المدرسة الشمسية بين العشرين معظم حياته عدا فترة قصيرة تولى فيها القضاء، ثم عاد إلى التدريس⁽³⁶⁾ .
- (15) زيد بن يحيى عقبات ، كان عالما في النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه ، درس في المدرسة العلمية بصنعاء ، ثم عاد إلى ذمار فاشتغل بالتدريس في المدرسة الشمسية ، شارك الأحرار في حركة ثورة 1367 التي أدت إلى مقتل الإمام يحيى حميد الدين ، وسجن في حجة نحو شهرين ثم أخلي سبيله .
- (16) أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد الوريث ، كان عالماً مبرزاً في علوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وأصول ، وكان أديباً وشاعراً ، مؤرخاً خطيباً مصقفاً، درس الفقه على أبيه عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن يحيى الوريث الذي أخذ من علماء ذمار ، وعلى شيوخ أبيه صالح بن محمد الحودي وعلي بن محمد الأكوغ وغيرهم ، وانقطع للعلم ، ثم تصدر للتدريس بالمدرسة الشمسية بدمار سنة 1357هـ ، فبهر الناس لاسيما طلابه بنبوغه ومقدرته على التدريس ، وكان يقوم بتأليف تاريخ لليمن ، تناول فيه تاريخ الأئمة ثم حيل بينه وبين التدريس واستدعي إلى صنعاء فأوكل إليه إصدار مجلة (الحكمة اليمانية)، وعين عضواً مشاركاً في لجنة التأريخ اليمني ، وكانت أحاديثه في المجلة ومقالاته الجريئة في الحكمة اليمانية تزعم الإمام يحيى حميد الدين ، فكان يتعمد الإساءة إليه فيقتر عليه مخصصاته المعتادة له ، فلم يحتمل تلك الإهانة فمرض أياماً ثم

مات كمدأ ، وله مؤلف بعنوان (الكتاب الأسود في تاريخ الإمام يحيى بن محمد)
وفقد بعد وفاته .

(17) أحمد بن أحمد بن محمد بن قاسم سلامة ، عالم محقق في الحديث والتفسير
والمعاني والبيان والنحو وأصول الفقه ، وله مشاركة في غير ذلك (37) ، انقطع
للتدريس بالمدرسة الشمسية بدمار فترة طويلة ثم رحل إلى مكة المكرمة سنة
1379هـ .

بعض من طلاب المدرسة الشمسية ودوره العلمي والوطني :

جذبت شهرة علماء المدرسة الشمسية وتضلّعهم في شتى العلوم ، العديد من
الدارسين من طلبة العلم ، فوفدوا إليها ونهلوا من علوم أولئك العلماء ، ودرسوا وتفقهوا
على أيديهم ، وأخذوا عنهم ، ثم تصدر العديد منهم للتدريس في المدرسة نفسها ، وقسم
آخر مارس القضاء ومناصب في الدولة ، وكان منهم شعراء وساسة ، كما كان أساتذتهم
من قبلهم ، واشتغل بعضهم في الحركة الوطنية، وعارضوا حكم الأئمة فتعرضوا للسجن
والقتل والتشريد.

ويجد الباحث صعوبة بالغة في حصر كل من تخرج من هذه المدرسة على مر
العصور ، وذلك لعدم وجود أي سجلات في المدرسة يمكن الاعتماد عليها ، كما أن ما
كتب عن مدينة ذمار بعامة ، وعن جانب التعليم بخاصة يكاد يكون معدوما ، ولم نجد
خلال بحثنا عن هذا الموضوع أي كتاب عام يتحدث عن المدينة ، غير أن كتاب (مطلع
الأقمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من
أهل الأمصار) ، هو الاستثناء لمؤلفه الحسن بن الحسين بن حيدر 1170-1221هـ (38)
الذي يشذ عن تلك القاعدة ، لكن هذا الكتاب يؤرخ للعلماء بدمار خلال القرون الهجرية
الحادي عشر والثاني عشر والرابع الأول من الثالث عشر (القرون الميلادية السابع عشر
والثامن عشر والرابع الأول من القرن التاسع عشر) ، وهذا يعني عدم وجود معلومات
عن القرون السابقة ، وثلاثي القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين ، إذ أن ما
أورده من تراجم شملت (146) عالما ، ولكنه لم يشر بالدقة إلى من درس منهم في

المدرسة الشمسية ، سوى إلى اثنين فقط ، هما مهدي بن علي الشيببي وزيد بن عبدالله الأكوغ (39) .

أما من أخذ بها، فقد أشار إلى الحسن بن عبدالله الريمي (1149هـ - 1736م)، فذكر أنه قرأ مدة في مدرسة ذمار المحمية (المقصود المدرسة الشمسية) ، وأخذ عنه عمه القاضي محمد بن أحمد الريمي (40) .

وقد تخرج مؤخراً في المدرسة الشمسية أديب اليمن عبدالله البردوني ، والشاعر الكبير إبراهيم بن أحمد الحضرائي ، والشهيد زيد الموشكي ، والمؤرخ إسماعيل بن علي الأكوغ ، والمؤرخ محمد بن علي الأكوغ ، وزيد بن يحيى عقبات ، ومحمد بن محمد بن إسماعيل المنصور ، وأحمد محمد الجوبي ، وأحمد بن محمد بن أحمد الأكوغ (41)

وعلى هذا يمكن القول أن من كان يأتي إلى ذمار يقصد العلم ، كان يتوجه إلى المدرسة الشمسية، لأن من كان يدرس فيها من العلماء هم الأشهر والأكثر معرفة وعلماً، لا سيما في مجال علوم اللغة والنحو والفقه والأصول والمنطق وحتى بعض العلوم الأخرى ، كالفلك والمساحة وغيرها ، فتخرج فيها العديد من القضاة والفقهاء والشعراء في العصور الحديثة والمعاصرة ، ولاسيما أن المدارس الدينية كانت تمارس دوراً مهماً في التعليم لمحدودية التعليم العلماني قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م

كما مارس العديد ممن درس فيها أو أخذ بها أدواراً وطنية في تاريخ اليمن المعاصر ، فعارضوا النظام الإمامي السابق ، مما عرضهم إلى مصاعب تمثلت في السجن أو القتل ، وأسهمت المدرسة الشمسية بنشر العلم والمعرفة ورفدت القضاء الشرعي بقضاة أكفاء .

هوامش البحث :

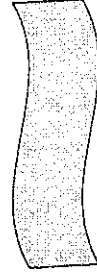
- (1) حسين عبدالله العمري (د) ، ذمار ، الموسوعة اليمنية ، مؤسسة العفيف الثقافية ، المجلد الثاني ، صنعاء ، ص 1362 .
- (2) جريدة الثورة (اليمنية) ، الأربعاء 23 رمضان 1418هـ الموافق 1998/1/21م .
- (3) (إسماعيل بن علي الأكوخ (القاضي)، المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر ، دمشق 1980 ، ص 268 ، محمد فيصل عبد العزيز الأشول ، الإمام شرف الدين ودوره السياسي في اليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة اليمنية ، كلية اللغات والآداب والتربية ، قسم التاريخ ، أكتوبر 2004 ، ص 40 .
- (4) صلاح البهنسي (الدكتور) ، المسجد (المدرسة) الشمسي بدمار 947هـ / 1540م ، الإكليل ، العدد (27)، خريف 2002 ، صنعاء 2002 ، ص 81 .
- (5) خلدون هزاع عبده نعمان ، المدرسة الشمسية ذرة الآثار الإسلامية في ذمار ، الثقافية (مجلة أسبوعية)، العدد 215 ، 2003/10/23م .
- (6) صلاح البهنسي ، المرجع السابق ، ص 80 .
- (7) إسماعيل بن علي الأكوخ ، (القاضي) ، المرجع السابق ، ص 268 .
- (8) جريدة الثورة (اليمنية) ، مرجع سابق .
- (9) إسماعيل بن علي الأكوخ ، (القاضي) ، المرجع السابق ، ص 268 .
- (10) صلاح البهنسي ، المرجع السابق ، ص 82 .
- (11) جريدة الثورة (اليمنية) ، مرجع سابق .
- (12) صلاح البهنسي ، المرجع السابق ، ص 82 .
- (13) إسماعيل بن علي الأكوخ ، (القاضي) ، المرجع السابق ، ص 269 .
- (14) مصطفى عبدالله شيبه (الدكتور) ، دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية (ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية) سلسلة تاريخ المصريين ، العدد (51) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1992 ، ص 414 .
- (15) مقابلة شخصية مع المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ في داره بصنعاء يوم الأحد الموافق 2005/2/27 الساعة الرابعة .
- (16) مقابلة شخصية مع القاضي حمود الظرافي في مكتب الأوقاف بدمار الأربعاء 2005/1/5م الساعة الواحدة ظهراً .
- (17) إسماعيل بن علي الأكوخ ، المرجع السابق ، ص 269 .
- (18) المرجع نفسه .
- (19) الحجري ، القاضي محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن وقياباتها ، تحقيق القاضي إسماعيل بن الأكوخ ، المجلد الأول ، صنعاء ، 1984 ، ص 345 .
- (20) مقابلة شخصية مع القاضي حمود الظرافي في مكتب الأوقاف بدمار الأربعاء 2005/1/5م .
- (21) عبد الباري طاهر ، اليمن في عيون ناقد ، صنعاء 2002 ، ص 218 .

- (22) عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، مقدمة تحقيق مطلع الأعمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ بها وحقق من أهل الأمصار ، للعلامة شرف الدين الحسن بن الحسين الطالبي ، صنعاء ، 2002 ، حاشية 2 ، ص 204 .
- (23) مقابلة شخصية مع المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ في داره بصنعاء يوم الأحد الموافق 2005/2/27 .
- (24) المقابلة نفسها .
- (25) المذكرات الشخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوغ ، لاتزال بخط اليد ، محفوظة في بيته .
- (26) عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، المصدر السابق ، ص 27 .
- (27) إسماعيل بن الأكوغ (القاضي) ، المدارس الإسلامية في اليمن ، ص 268 .
- (28) عبدالله بن عبدالله بن أحمد الحوثي ، المصدر السابق ، ص 27 .
- (29) مقابلة مع السيد محمد الموشكي، موظف في مكتب الأوقاف والإرشاد بذمار ، الاثنين 2005/4/11م، ذمار.
- (30) وزارة الثقافة والسياحة ، الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات ، الإدارة العامة للمخطوطات ، وفرع الهيئة العامة للآثار ، استمارات بالمخطوطات المؤلفة بمكتب الأوقاف والإرشاد بذمار ، المجلد الثاني ، يحتوي على استمارات نصفها مطبوع ونصف مكتوب باليد .
- (31) إسماعيل بن الأكوغ (القاضي) ، المدارس الإسلامية في اليمن ، ص 268 .
- (32) المرجع نفسه ، ص 270 - 272 .
- (33) المرجع نفسه ، ص 272 - 273 .
- (34) المرجع نفسه ، ص 273 - 276 .
- (35) المرجع نفسه ، ص 276 - 278 .
- (36) عبدالله محمد الحبشي ، مصادر الفكر العربي الإسلامي ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، صنعاء 1980 ، ص 254 .
- (37) إسماعيل بن علي الأكوغ (القاضي) ، المرجع السابق ، ص 278 - 279 .
- (38) الحسن بن الحسين الطالبي ، مطلع الأعمار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار ، تحقيق عبدالله بن أحمد الحوثي ، دار الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، 2002 ، ص 53 .
- (39) المصدر نفسه ، ص 159 .
- (40) المصدر نفسه ، ص 159 .
- (41) جريدة الثورة (اليمنية) ، مرجع سابق .





القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ مؤرخاً



د. كريه زغير المالكي^(*)

المقدمة :

التاريخ كما هو معروف من فروع الثقافة⁽¹⁾ ، بل هو من أعمقها صلة بحياة الأمة ، والذي يشق طريقه لدراسة التاريخ وكتابته ، ينبغي أن يعلم من أول الأمر أنه مقبل على عمل شاق يتطلب الجهد والتضحية والصبر الطويل⁽²⁾ ، وشأن التاريخ في ذلك هو شأن سائر أنواع المعرفة الإنسانية متداخلة فيما بينها ، والتاريخ هو بحث واستقصاء لحوادث الماضي ، وهو عملية نقد وتحقيق لهذه الحوادث ، وهو البحث عن الحقائق وتدوينها من جهة وعملية تفسير الحقائق وربطها من جهة أخرى⁽³⁾ ، وهو نظر وتحقيق وتعليل لهذه الأخبار والوقائع⁽⁴⁾ .

وإن منهجية البحث بالنسبة للمؤرخ ضرورية في كل الأحوال ، فأبسط الأمور في الحياة بحاجة إلى بعض الأحوال والضوابط لتفسيرها ، فكيف الحال بالنسبة للمؤرخ وهو يعالج مسائل تتنوع بين التاريخ السياسي وقضايا الفكر والحضارة والنظم⁽⁵⁾ .

ومن هنا يتضح أن التوغل والتعمق في مختلف دراسات أحوال الأمم والشعوب وسبر أغوار مسيرة حياتها الماضية في ما تعاقب عليها والأسباب المؤثرة في المسيرة ، إن كان سلبياً أو إيجابياً .

(*) أستاذ مشارك - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار .

وأخذ التاريخ نصيبه من الاهتمام والرعاية ، مما صرف اتجاه العلماء في اليمن للحفاظ على هذا الجانب منذ عهودهم الأولى حتى عصرنا الحاضر .

ومن هذا جاء اختيارنا إلى أن نبحت منهجية أحد المؤرخين ألا وهو القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ ، الشخصية الذمارية اليمنية الذي أسهم في كتابة وتأليف وتحقيق ونقد الكثير من الكتب ، وصلت لحد الآن ستة وثلاثون مؤلفا ما بين كتاب وبحث وتحقيق ، وسلطنا الضوء على طريقته في اختيار المنهجية في البحث العلمي للقضايا التاريخية التي تهتم بالأمة وكيفية معالجة الحوادث بصدق دون تحيز لجهة أو طائفة (6) .

وقد تجلت آثار تجاه علماء هذه البلاد من جراء الوسائل التي هبأت لرعايتهم آمنين ، سواء في المعازل (الهجر) التي خصصت لهم ، أو بكنف عشائريهم القوية وحمايتهم ، أو ببعدهم عن الميادين التي اشتعلت فيها الفتنة .

وبالإجمال فقد كان لبلاد اليمن ، منذ ظهور الإسلام في تلك البلاد ، إلى العصر الحاضر ، نصيبها الوافر من العلوم والمعارف الإسلامية ، على اختلاف منازعها ومشاربها ومنها علم التاريخ ، بمختلف فروعه من تدوين حوادثه ، وتراجم مشاهيره من أئمة وحكام ، وعلماء وشعراء وغيرهم ، كما هو الحال في البلاد الإسلامية الأخرى كالعراق والشام ومصر ، وغيرها من مختلف الأقطار في شرق المعمورة وغربها .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على كتب القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ والمقابلات الشفهية معه والاتصالات الهاتفية واستفادات الدراسة من كتابي الشيخ أحمد الجاسر (اليمن بين مؤرخين معاصرين) وكتاب إبراهيم باجس عبد المجيد المقدسي (القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ علامة اليمن ومؤرخها) .

ترجمة عن المؤرخ :

وهو إسماعيل بن علي بن حسين بن أحمد بن عبدالله الأكوغ ولد في مدينة ذمار يوم الأربعاء الحادي عشر من جمادى الآخرة 1338هـ الموافق لليوم الأول من آذار (مارس) 1920م ، وتلقى علومه في البداية ، في المدرسة الشمسية في مدينة ذمار ، وكذلك في (مسجد عمرو) عند بعض كبار علماء ذمار آنذاك ، ومنهم والده ، كما درس أيضا في (رباط الغيثي) الضاحية الغربية من مدينة إب لدى أخيه القاضي المؤرخ محمد

بن علي الأكوح ، ودرس كذلك في (معهد الحرز) في مدينة إب لمدة قصيرة ، بعدها اشتغل بالسياسة منذ أن التحق بتنظيم الأحرار في سن مبكرة من عمره ، فسجن مرتين :
 (1) في آخر شوال سنة 1363هـ - 1944م بأمر من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين .

(2) في عقب فشل الثورة الدستورية ، التي قامت على إثر اغتيال الإمام يحيى يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة 1367هـ (شباط سنة 1948م) وتم إطلاق سراحه بعد ثلاث سنوات عام 1369هـ .

سافر إلى عدن عقب إطلاق سراحه بأمر من الإمام أحمد لغرض التداوي والعودة إلى تعز ، ولكنه أثار البقاء في عدن بعيداً عن مجال نفوذ الإمام أحمد وسطوته مستأنفاً نشاطه الوطني في إطار (الاتحاد اليمني) الذي أنشئ متأخراً ليحل محل (الجمعية اليمنية الكبرى) التي أسسها الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد محمود الزبيري .

ومن هناك عمل على تدريس أبناء الأحرار في مقر الاتحاد اليمني في عدن . وبعد ذلك ومن أجل ممارسته للنشاط السياسي غادر إلى مصر بعد أن وصل الأستاذ محمد محمود الزبيري إليها قادماً من باكستان .

سافر إلى سوريا (دمشق) للإشراف على الطلاب اليمنيين الذين جاؤوا إلى سورية لطلب العلم وهناك شهد وحدة مصر وسوريا في كيان واحد وهي الجمهورية العربية المتحدة ، سنة 1378هـ / 1958م ، وبعد ذلك ذهب لأداء فريضة الحج واصطحب أهله إلى مصر وأقام بها حتى ضاقت به سبل الحياة ، فعاد إلى اليمن .

سافر إلى موسكو بأمر الإمام أحمد في مطلع سنة 1381هـ / 1961م لفتح مفوضية لليمن فيها ، وبقي هناك حتى قامت الثورة 1382هـ / 1962م ، فعين قائماً بالأعمال في موسكو ، ثم وزيراً مفوضاً وعاد إلى اليمن ، ثم سفيراً غير مقيم ، فنانباً لوزير الخارجية .

عاد إلى مصر عام 1386هـ / 1966م ، ليكون إلى جوار أهله المقيمين هناك ، وفي هذه الأثناء شهد هزيمة حزيران 1967م / 1383هـ .

عاد إلى اليمن في آب 1978م بعد تولي القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني الحكم في اليمن في 5 نوفمبر 1967م ، وأسند إليه حقيبة وزارة الإعلام في حكومة الفريق حسين العمري .

أسس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب عام 1969م وتولى رئاستها حتى أواخر عام 1990م وخلالها وبعدها تفرغ للتأليف ، ومن مهامه العلمية :

- عضو في مجمع اللغة العربية في الأردن .
- عضو مراسل في مجمع اللغة العربية في دمشق .
- عضو مراسل في المجمع العلمي العراقي .
- عضو في المجمع العلمي الهندي .
- عضو في معهد الآثار الألماني في برلين .
- عضو في كثير من اللجان الاستشارية المهمة بالتراث الإسلامي .(7)

تلقية العلوم من شيوخ وعلماء اليمن وأكابرهم

وقسم من هؤلاء العلماء قد منحه إجازة بالعلم الذي أتقنه (8) (شهادة) (9) وهم :

- (1) أحمد بن علي النويرة ، المقرئ الضرير في مدينة نمار ، وأخذ منه تعلم القرآن الكريم وحفظه ، المتوفي سنة 1412هـ - 1992م .
- (2) أحمد بن محمد بن أحمد الأكوخ الذماري ، درسه في مسجد عمرو بدمار وأخذ منه علم النحو وأصول الفقه ، وكان مولده سنة 1309هـ في نمار ، وتوفي في نمار 10 محرم 1394هـ .
- (3) أحمد بن محمد بن حسين الوائلي ، أخذ منه العلوم العربية ، وكان مولده سنة 1325هـ في رباط الغيثي وتوفي فيها 1411هـ .
- (4) ثابت بن سعد بهران ، أخذ منه علوم الحديث ، وكان مولده سنة 1314هـ - صنعاء وتوفي فيها 12 ربيع الآخر سنة 1400هـ .
- (5) العلامة حسن بن أحمد ن عبد الباربي الأهدل ، وأخذ منه علم الفقه ، وكان مولده في المراوعة 1328هـ (10) .

- (6) حسن بن زيد بن علي بن حسن الديلمي ، وأخذ منه علوم العربية والحديث والتفسير ، وكان مولده في رجب سنة 1312هـ في الذاري وتوفي يوم الجمعة 27 رمضان سنة 1400هـ ودفن في ذمار .
- (7) حمود بن محمد بن إسماعيل المحنبي الهتاري ، وأخذ منه الفقه وعلوم العربية والتفسير والحديث ، وكان مولده في التريبة في غرة رمضان سنة 1325هـ وتوفي فيها يوم الخميس 8 ربيع الآخر سنة 1409هـ .
- (8) زيد بن يحيى عقبات ، وأخذ منه علم النحو ، وكان مولده في ذمار سنة 1325هـ وشارك في ثورة 1382هـ ، 1962م وقتل فيها .
- (9) صالح بن محمد الحودي ، جود عليه القرآن بقراءة نافع ، وهي القراءة المشهورة والمتداولة في اليمن ، وكان مولده 1281هـ في ذمار وتوفي فيها في ذي القعدة سنة 1362هـ (11) .
- (10) عبد القادر بن عبدالله بن علي بن عبد الرحمن بن عبد القادر ، وأخذ منه علوم الحديث وعلوم اللغة العربية ، وكان مولده في صنعاء 23 جمادي الآخر سنة 1326هـ ، 22 تموز سنة 1908 .
- (11) عبدالله بن أحمد الصادق ، وأخذ منه علم النحو ، وكان مولده في سنة 1892هـ ، وتوفي سنة 1387هـ 1967م .
- (12) العلامة عبدالله بن حمد السوسوة ، وأخذ منه علم النحو ولم نحصل على سنة ولادته أو وفاته .
- (13) علي بن أحمد بن قاسم حميد الدين ، وأخذ منه علم المعاني والبيان ، وكان مولده في صنعاء 1313هـ وتوفي فيها في محرم سنة 1399هـ .
- (14) والده علي بن حسين الأكوخ ، وأخذ منه فقه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة غرة جمادي الآخرة 1280هـ في مدينة ذمار وتوفي فيها يوم الثلاثاء التاسع من جمادي الأولى سنة 1363هـ (12) .

15) علي بن حسين الشامي ، وأخذ منه علم النحو وعلم العربية ، وكان مولده في صنعاء ذي القعدة 1302هـ وتوفي في تعز يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة 1372هـ .

16) علي بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم ، وأخذ منه العلوم الإسلامية ، وكان مولده في صنعاء يوم الاثنين 4 جمادي الآخرة سنة 1396هـ وتوفي فيها .

17) علي بن محمد بن حسن بن يحيى بن حسن بن محسن الأكوخ ، أخذ منه أصول الفقه والمعاني والبيان والنحو ، وكان مولده في ذمار سنة 1303هـ وتوفي فيها سنة 1371هـ (13) .

18) لطف بن زيد الديلمي ، أخذ منه فقه السنة والنحو واصول الفقه والمعاني والبيان، وكان مولده في أول محرم سنة 1321هـ ، وتوفي بدمار يوم الثلاثاء 18 شوال سنة 1409هـ ، 3 آيار 1989م .

19) محمد بن سالم البيحاني ، من علماء عدن ، أخذ منه بعض من كتاب مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام بن تيمية ، ولم نحصل على سنة ولادته أو وفاته .

20) أخوه محمد بن علي الأكوخ ، أخذ منه علم النحو ، وكان مولده في يوم الإثنين الرابع عشر من شهر رمضان 1321هـ ، وتوفي يوم السبت في 25 من شهر رجب 1419هـ في مدينة صنعاء .

21) محمد بن ناجي وهابي ، أخذ منه علم النحو وكان مولده في مدينة إب في صفر سنة 1324هـ وتوفي فيها يوم الإثنين 3 جمادي الأولى سنة 1414هـ (14) .

منهجه في التأليف

سلك مؤرخنا في منهجه التحرر من الجمود والتقليد ، واتجه في مسيرته العلمية فاعتنى بتاريخ البلاد اليمنية ، فكان ما قام به هو محاولة إيضاح تاريخ ذلك القطر جلياً في جميع جوانبه فتعمق في دراسة الحاضر ، ليتوغل في الأفكار والآراء المؤثرة ليكشف أهم مظاهرها ، وهي الثقافة العامة فأمد المكتبة العربية بمؤلفاته في التاريخ ، وفي مختلف فروعها من ثقافة عامة ، وتراجم لأشخاص وعادات وتقاليد ، وفي الجغرافية والآثار وفي اللغة العربية من أمثال وأسماء وغيرها ، وفي النقد العام ن وأهم ما استعرضه هو

مؤلفه الشامل الذي رصد به مسيرة الثقافة في مراحلها بوجه عام ، على اختلاف الآراء والأفكار لدى الطوائف في تلك البلاد ، حيث رصد تحري الصدق وإبراز الحقيقة كما هي ، في كتابه (هجر العلم ومعاقله في اليمن) وجاء في خمسة مجلدات ، بلغت صفحاتها بفهارسها (3122) صفحة .

ويصف لنا في منهجيته بالكتابة حيث يقول : " على المؤرخ الصادق الأمين أن يبرز الجوانب المضيئة في تاريخ بلاده وأن لا يغفل عن ذكر الجوانب المظلمة ، حتى يهتم من بيده الأمر لإزاحة الظلام عنها ، وعلى المؤرخ أن يكتب ما يراه صحيحا بتجرد من الهوى لغرض ما وأن يكون صادقا منصفا فيما يتناوله" ، ويضيف حيث يقول : "البحث عن الحقيقة وإبرازها في صورة بعيدة عن الغلو والتشويه أو الزيادة مما ليس منها أو حذف ما لا ينسجم مع رغبة الكاتب " .

ويؤكد على مصداقيته في تناوله كتابة التاريخ حيث يقول : "وقد أخذت على نفسي أن أتحري الحق ، فلا حب من أحبه لجعلني أخطي ماله من عيوب ضارة بغيره ، فإذا ذكرت ذلك فيما بي زجره والتشهير به ، ولكن ليعتظ به غيره ، ولا كره من أكره في سبيل الحق يجعلني أسلبه محاسنه ، بل أشيد بها ليكون قدوة حسنة لغيره ، على عكس ما عليه أكثر المؤرخين من الأساتذة بمن هو مرضي عنه في نظرهم ، تزلقنا وتملقنا ، وإن كان عاطلا عن المحاسن ، والاختصار عن ذكر المساوئ لمن ليس على هواهم ، تاركين محاسنه "

وأيضاً في كتاباته يقول : "أما أنا فقد حرصت على ذكر مزايا ترجمت له ، لكنني لا أخفي عيوبه الضارة بغيره" (15) .

وكان منهج مؤرخنا يسير ضمن مواصفات المؤرخ الحقيقي الذي يتناول المواضيع بكل إمعان ودراسة وتفحص مما جعل طريقه في تسجيل تاريخ أمته بأمانة وصدق ، وأتضح لنا بأنه طبق منهجه هذا على كل من ترجم له ، حتى لو كان أقرب الناس إليه ، فذكر محاسنهم ومثالبهم .

التعريف بمؤلفاته :

1- أئمة العلم المجتهدون في اليمن

وبلغت صفحاته (280) صفحة ، وطبع في مؤسسة الرسالة ، دار البشير ، عمان ، 2002 م .

تناول هذا الكتاب سيرة كل من :

- 1- الإمام محمد بن إبراهيم (775 - 840 هـ)
- 2- الحسن بن أحمد الجلال (1014 - 1084 هـ)
- 3- صالح بن المهدي المقبلي (1038 - 1108 هـ)
- 4- محمد بن إسماعيل الأمير (1099 - 1182 هـ)
- 5- محمد بن علي الشوكاني (1173 - 1250 هـ)

ذكر في نهاية ترجمة كل إمام من الأئمة المجتهدين ما له من مؤلفات ، مع الإشارة إلى المطبوع منه من غير المطبوع .

وأوضح بأن تراجم الأئمة اختلفت ما بين مطولة ومختصرة ، ومشاركة فيما بينها .

وقال عن الأئمة المجتهدين هم وقَّافون عند حدود الله يصدعون بكلمة الحق عند

السلطان إذا جار أو بغى ، وهكذا دأب العلماء الربانيين .

وذكر فيهم :

أولاً : بلوغهم درجة الاجتهاد والمطلق في العلم .

ثانياً : نبذ التقليد والتعصب المذهبي .

ثالثاً : محاربة البدع والتصوف .

رابعاً : التمسك بالحق .

خامساً : التعرض للأذى .

سادساً : ثناء الناس عليهم .

سابعاً : مناقشة العلماء .

ثامناً : شعرهم .

تاسعاً : الدراسات السابقة .

عاشراً : مؤلفاتهم . (16)

2. أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي

بلغت صفحاته (121) صفحة ، وطبع في دار المغرب الإسلامي ببيروت في سنة 1994م .

وهو يبحث في أعراف حكام اليمن وتقاليدهم السياسية والاجتماعية ، وأكد فيه المؤلف إلى أن هذا الموضوع لم يلق اهتمام المؤرخين القدامى إلا ما أورده البعض منهم ، مثل فضل الله العمري في كتابه (مسائل الإبصار) والقلقشندي في (صبح الأعشى) وابن بطوطة في (رحلته) والخزرجي في (العقود اللؤلؤية) .

وبهذا كان المؤلف قد انتقد بعض النصوص وقد صوب ما فيه من أخطاء وأوهام. وذكر عن أئمة اليمن ، أنه لم يتبين لهم في حياتهم العامة والخاصة من التقاليد والمراسيم والملوك والسلطين في اليمن ، فقد كانت حياتهم أقرب إلى حياة الخاصة من الناس منهم إلى الملوك ، ومع ذلك فإن لهم بعض العادات والتقاليد الخاصة بهم ، التي كانوا يتقيدون بها (17) .

وهذا الكتاب لما يحمل من معلومات قيمة ترجم إلى اللغة الفرنسية ونشره المركز الفرنسي في صنعاء (18) .

3. الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم

بلغت صفحاته (144) صفحة وطبع في دار بن حزم ببيروت سنة 1418هـ - 1997م .

جاء في بداية هذا الكتاب ما ذكره الشوكاني في كتاب (البدر الطالع) عندما ترجم للإمام ابن الوزير من نعيه على علماء الأنصار والطرائف خارج القطر اليماني عدم عنايتهم بأهل الديار اليمانية ، وغمطهم حقهم في الاهتمام ، لاعتقادهم أنهم كلهم زبديّة المذهب ، وعدم معرفتهم في البلاد اليمانية من أئمة الكتاب والسنة عدد يتجاوز الوصف يتغيرون بالعمل بنصوص الأدلة ، ويعتمدون على ما صح في الأمهات الحديثة .

وهذا الكتاب يبين منهج أهل السنة في تعاملهم مع النصوص الشرعية ونظرتهم إلى مخالفيهم في الأصول والفروع ، ويؤكد المؤلف بقوله : " توسعت في هذا البحث بقدر الإمكان ، لإيضاح جوانب الخلاف بين الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ومن نهج نهجه من

علماء اليمن المجتهدين ، وبين معارض هذا المنهج في عصره وبعد عصره حتى اليوم ، من وجهة نظر علماء السنة " (19) .

وذكر المؤلف في هذا الكتاب جوانب تفصيلية عن حياة الإمام ابن الوزير من مولده حتى وفاته (20) .

4. الأمثال اليمانية :

بلغت صفحاته (684) صفحة وطبع في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة 1405هـ -

1984م .

جمع المؤلف بهذا الكتاب (6217) مثلاً يمانياً ، وكان سبب تأليفه لهذا الكتاب ، فيقول : " أن الأمثال اليمانية بالذات لم يتوفر على تدوينها ودراستها أحد ، ولم تنل ما يستحق من الاهتمام ، لذلك فقد وجهت عنايتي نحوها ، لأنها أدب الشعب وصوته ، وصورته النابعة بالحياة ، وسيعرف القارئ منها اليمن وطبيعة شعبها على حقيقته ، في حياته وتقاليده ووفاته وشجاعته ، وصبره ، ويعرف كذلك ما تشتمل عليه تلك الأمثال من حكمة سامية ، ومعارف غزيرة"

حيث بين أن الأمثال اليمانية تختلف من منطقة إلى أخرى، لغة ولهجة وأسلوباً ، فأمثال القبائل تمتاز بجزالة ألفاظها وسلامة مفرداتها ، ويغلب عليها تمجيد الحرية والشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل الدفاع عن الحمى (20) .

أما أمثال المدن فتمتاز بكثرة استعمالها الأساليب الكتابية والاستعارة والتورية ، لاسيما أمثال صنعاء المشهورة بالنكتة اللاذعة ، والأسلوب الساخر وتأثير الدولة العثمانية على الثقافة اليمانية بما فيها الأمثال (21) .

وأعتمد في تأليف هذا الكتاب على المصادر الشفوية ، أما عن المنهجية التي اتبعها فيه، فيقول : " سلكت في هذا الكتاب منهجاً أعتقد أنه أسلم المناهج في تدوين الأمثال، حيث رتبها هجائياً حسب أوائلها ، ثم عزوت ما أمكن عزوه منها إلى منطقتها ، ثم إلى قائله إذا كان معروفاً ، ثم أخذت بعد ذلك في شرح الألفاظ الغريبة ، ويدل معناه ومضربه ، وإذا كان للمثل قصة أوردتها ، وقد تعرضت لذكر بعض العادات والتقاليد التي ترتبط بحياة اليمانيين ، وتشكل جزء من تراثهم الشعبي الأصيل ، كما ضمنت الكتاب

طرائف أدبية وقصصاً تاريخية مما قرأت وسمعت حتى يجد القارئ فيه متعة ولذة ، وحذفت كثيراً من الأمثال المبتذلة التي تخدش الحياء ، أو تسيء إلى أخلاقنا الإسلامية" (22).

وندرج في أدناه نموذج من تلك الأمثال :

الله أعلم بنقاد امفلوس ، نقاد دافع المال ، وأصل المثل أن رجلاً أشتري ضحية العيد ، فأحضر جزاراً لذبحها ، وقال له : قل باسم الله ، اللهم إن هذا عن فلان وآل فلان ، وسمى نفسه ، ولكن الجزار قال : اللهم إن هذا عن فلان وآل فلان وسمى نفسه هو ، بدلا من صاحب الأضحية ، فقال صاحب الأضحية للجزار : أكمل الذبح (الله أعلم بنقاد امفلوس) (23).

5- تاريخ أعلام آل الأكوع :

بلغت صفحاته (190) صفحة وطبع في دار الفكر المعاصر سنة 1411هـ -

1990م

وحال المؤلف استقصاء كل أعلام أسرته ، مع ما فاتته عدد منهم وقد أشار بقوله : "لم يشمل علماء ووجهاء آل الأكوع كلهم ، لأنني أعرف كثيراً منهم ممن عاصرتهم أو عرفتهم وهم من علماء يتصفون بفضلاً وورعاً وزهداً ، لم يذكرهم أحد من تلامذتهم أو أصدقائهم أو حتى أقاربهم ، أو من أبنائهم أو أحفادهم ، فماتوا ونسيتهم من بعدهم ، وهذا الحكم يمكن أن ينطبق على من مضى منهم في العصور ونسبهم" (24).

فقد تحدث عن أنساب آل الأكوع ومساكنهم فأكد بأن أنساب آل الأكوع كلهم تلتقي عند محمد بن إبراهيم ، الملقب الأكوع بن محمد بن يوسف الملقب الحوالي، وتتفق المصادر أن نسبهم يتصل بذوي حوال الأكبر الحميري .

ويذكر أن لقب الأكوع منسوب إلى جدهم إبراهيم بن محمد لبروز في كوعه ، لا كما يبادر إلى أذهان بعضهم أنهم منسوبون إلى الصحابي سلمة بن الأكوع .

وكان قد اعتمد في المصادر عن ذكر تراجع آل الأكوع على ما يأتي :

- ما وجد متناثراً في بطون الكتب المخطوطة أو على هوامشها وحواشيها .

- ما كتب على شواهد القبور والأضرحة .

- مشجر آل الأكوخ الذي كتب في المئة الحادية عشرة للهجرة .
 - ما أخذه مشافهة ممن له معرفة بأنساب هذه الأسرة من أهلها (25) .
 وكانت منهجيته في هذا الكتاب حيث ذكر المؤلف : "أنه عمل على ضم شتات أسماء هذه التراجم ، كما هي بلفظها وأسلوبها ، وأضاف إليها تراجم جديدة من المتأخرين ، ورتبهم على حروف الهجاء"

6- الدولة الرسولية في اليمن 626-858هـ / 1228-1454م

بلغت صفحاته (62) صفحة وطبع في دار جامعة عدن للطباعة والنشر سنة

2003م

يؤرخ الكتاب لمرحلة مهمة في تاريخ اليمن هي فترة الدولة الرسولية التي حكمت ما يزيد على قرنين من الزمان 626 - 858 هـ / 1228 - 1454م ويذكر المؤلف : " أن اليمن بعد أن انسلخت عن جسم الدولة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث تداول حكمها عدد من الدول في فترات تاريخية مختلفة متباينة في طولها وقصرها ، وهي أصقاع مختلفة من البلدان اليمانية ، متباينة أيضاً في اتساع رقعتها الجغرافية"

ويضيف المؤلف : "أن دول اليمن الحضارية ، وأبرزها وأخدها ذكرا ، وأبعدها صيتا ، وأغزرها ثراء ، وأوسعها كرماً وإنفاقاً هي الدولة الرسولية ، التي كان عصرها أخصب عصور اليمن ازدهارا بالمعارف المتنوعة وأكثرها إشراقاً بالفنون اليناعة في شتى ميادين المعرفة ، وذلك لأن سلاطين هذه الدولة وملوكها كانوا علماء ، فاهتموا بنشر العلم في ربوع اليمن على نطاق واسع ، فبنوا المدارس ودور العلم ، في اليمن وخارجه ، واستقدموا العلماء في شتى فنون المعارف والعلوم"

وذكر المؤلف نسب آل رسول : " أن الصحيح في ذلك أنهم أكراد كالأيوبيين ، وأن من لا يعرفهم ينسبهم إلى قبيلة غسان ، ونسبهم من عرفهم إلى التركمان ، ومع ذلك فقد انصهروا في الشعب اليمني ، كما انصهر الفرس ، الذين جاؤوا إلى اليمن لمساعدة سيف بن ذي يزن ، وكما انصهر الأكراد الذين جاؤوا مع الدولة الأيوبية ، وقد أمر بنو رسول في عهد الدولة الأيوبية ، وقويت شوكتهم ، حتى تمكن عمر بن علي بن رسول

من الانفصال عن الأيوبيين والاستقلال بحكم اليمن رغم المعارضة الداخلية من كثير من الأئمة الأمراء المحليين ، وبقي في الحكم حتى مقتله سنة 647هـ - 1250م على يد بعض مماليكه" (26) .

واستمر حكم بني رسول على يد سلاطينهم بعد ذلك 619- 852 تعاقبا على حكمها (12) سلطان ، حيث انتهى حكم الدولة الرسولية بقيام الملك المسعود بن الأشرف بخلع نفسه من الحكم .

7- الزيدية نشأتها ومعتقداتها :

بلغت صفحاته (126) صفحة وطبع في دار ابن حزم بيروت سنة 1421هـ—

2000م

قدم المؤلف لهذا الكتاب مقدمة ذكر فيها الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع ، سواء أكانت عربية أم أجنبية ، ثم ذكر تعريف العلماء بالزيدية ، وأتى على بيان أشهر فرقها ، وهي : الجارودية ، والسلمانية ، والبترية ، وتحدث أيضا عن زيدية الجبل والديلم ، وزيدية اليمن ، وخلاصة ما قال المؤلف عن هذا الكتاب : "إن كثيرا من متأخري أتباع المذهب الزيدي لم يخالفوا أهل السنة والجماعة فحسب ، بل خالفوا أيضا ما كان عليه إمامهم زيد بن علي رحمه الله ، ويورد عن ذلك الكثير من الأمثلة والمسائل مثل مسألة الضم والرفع والتأمين في الصلاة " (27) .

وهو في هذا سار على منهج الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في الرد على الزيدية من كتب عنماتهم ، كما هو واضح في كتابه (العواصم والقواصم في الذنب عن سنة أبي القاسم) .

8- سدود اليمن أبرز مظاهر حضارتها القديمة :

بلغت صفحاته (43) صفحة وطبع في مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون ،

وهو ضمن سلسلة الإبداع رقم 13 صنعاء 2001م .

ذكر فيه المؤلف أولاً أسماء السدود في اليمن وخاصة الواقعة في منطقة يحصب وحدها ، فبلغ تعدادها ثمانية وتسعين سدا ، رتبها ترتيبا معجميا ، ذكرا مكان وجود كل

سد منها ، ثم ذكر السدود الأخرى في غير يحصب من مخاليف اليمن الأخرى ، مما أورده الهمداني وغيره ، وبعد ذلك ذكر السدود التي لم يوردها أي من المتقدمين قبله ، مما شاهده هو أو حدث عنه ، فبلغت أكثر من ثلاثين سداً (28) .

بعد ذلك أكد المؤلف على سد مأرب، فذكر تاريخ أول بناء له وموارده من المياه، وما كان حوله من جنات ونعيم، ثم خرابة بسيل العرم، وتفرق أهله وتشتتهم في الأمصار (29).

9- تحقيق كتاب مجموع البلدان وقبائلها للمؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري

وبلغت صفحاته (809) صفحة ، وطبع في دار النفائس ببيروت للناسر أحمد راتب عرموش منشورات وزارة الإعلام اليمنية سنة 1404هـ - 1984م .
بين المؤلف فوائد كتابه ، فمن ذلك :

- تحديد مواقع البلدان اليمنية الوارد ذكرها في كتب التاريخ والتراجم والسير .
- بيان مواقع القرى الخرابية التي لها ذكر في التاريخ وأشعار العرب .
- بيان المحلات والمخالف التي تبدل أسمائها .
- معرفة الخطأ في بعض المصنفات القديمة ، كمعجم البلدان لياقوت الحموي .
- معرفة البلدان والقبائل المتفقة الأسماء ، المختلفة الجهات .
- بيان القبائل الغامضة والبلدان الدارسة التي نسب إليها بعض الأعلام (30) .

وعن عمله في خدمة هذا الكتاب ، قال المؤلف : "ولقد كنت ممن يلح على مؤلفه رحمه الله بسرعة طبعة وإخراجه للناس ، ولكنه كان يسوف بنشره ، وذلك لأمر لم يفصح عنه ، وبعد مدة أكثرت من الإلحاح على أخيه القاضي عبدالله الحجري بسرعة طبعة ، ثم اتفقت معه على أن نقابل نسخة الملف التي احتفظ بها لنفسه ، وهي في أربعة أجزاء ، علما إن النسخة كتبت بخطه ، ثم أهديت للإمام أحمد حميد الدين ، وهي في ثلاث مجلدات ، وبعد المقابلة وجدنا أن النسخة التي احتفظ بها المؤلف لنفسه أوفى وأشمل ، لأنه كان يضيف إليها ما عثر عليه من فوائد جديدة ، ومع ذلك فإنه ترك فراغاً في الأمكنة التي لم يستكملها ليكتب فيها ما جد عليه من أسماء البلدان والقبائل التي لم يستكمل ذكرها ، بينما يوجد في النسخة الأخرى بعض زيادات يسيرة أضيفت إلى النسخة

الأم عند المقابلة ، كما يوجد اختلاف في العبارات ، لأنه كان لا يتقيد باللفظ عند النقل مما كتب من كلامه» (31) .

وقد أغناه المؤلف بفوائد نفيسة وتعليقات قيمة ، فمنها :

(1) بيان بعض الأوهام التي وقع فيها المؤلف أو من أخذ معلوماته عنهم

وتصحيحها ، وتشمل :

○ أخطاء في ذكر الأعلام .

○ بيان أوهام في ذكر النسب إلى القبائل أو البلدان .

○ أوهام في ضبط الأماكن والبلدان أو تحديد إمكانها .

(2) تصحيح الأخطاء التي وقع فيها المؤلف بالرجوع إلى المصادر التي نقل عنها .

(3) التعريف ببعض الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب أو بيان اسم بعض من لم

يصرح المؤلف بذكر أسمائهم .

(4) إثبات عناوين بعض الكتب التي ذكرت عرضاً دون تسمية ، وأكثر من تلك

النقاط التي أشار إليها المؤلف في تحقيق هذا الكتاب .

10- مخاليف اليمن :

وبلغت صفحاته (327) صفحة ، جمع وطبع في أبي ظبي - الامارات العربية

المتحدة ، سنة 1423هـ - 2002م .

وهذا الكتاب يقسم إلى قسمين ، الأول : مخاليف اليمن

وتعريف المخلاف ، كلمة اصطلح عليها أهل اليمن ، دون غيرهم في تسمية

الصقع من بلادهم أو الناحية ، مضافاً إلى اسم القبيلة أو مضافاً إلى بلدة ، كالزستاق عند

أهل فارس ، أو الكورة عند أهل الشام ، ولا يعرف سبب التسمية بهذا المصطلح ، أو

منشؤها عند أهل اليمن .

فعمل المؤلف على جمع كل ما أورده العلماء المتقدمون حسب الترتيب الآتي :

○ مخاليف اليمن عند أحمد بن اسحاق اليعقوبي في تاريخه .

○ مخاليف اليمن عند عبيدالله بن أحمد بن خرداذبه في كتاب (المسالك

والممالك) .

○ مخاليف اليمن عند الحسن بن أحمد الهمداني في كتاب (صفة جزيرة العرب).
○ مخاليف اليمن عند محمد بن أحمد المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)

○ مخاليف اليمن عند ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) .

○ مخاليف اليمن الصاغانى نقلا عن (تاج العروس) للزبيدي .

وهو بعد أن أورد ما ذكره كل واحد منهم في المتن ، عرف في الهامش بهذه المخاليف، وحدد مواقع ما هو معروف منها ، ونبه إلى ما هو مخلاف وما ليس بمخلاف، وأوضح ما يحتاج إلى إيضاح وبيان ، من دون تطويل في الشرح .

وبعد أن أورد ما ذكره العلماء والمتقدمون من مخاليف اليمن أورد فصولا جديدة تتعلق بالموضوع هي :

- مخاليف اليمن في الزمن الحاضر .
- التقسيم الإداري في اليمن في العهد العثماني .
- التقسيم الإداري في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين .
- التقسيم الإداري في عهد الاستعمار البريطاني للمخاليف الجنوبية في اليمن .
- التقسيمات الإدارية الحديثة للجمهورية اليمنية .
- قرار جمهوري بشأن التقسيم الإداري في أمانة العاصمة وبعض مديريات ومحافظات الجمهورية .

وفي نهاية الكتاب أورد كشافين موضوعيين ، الأول تاريخي ، والثاني هجائي .

أما القسم الثاني من الكتاب (طائفة من أسماء القبائل والبلدان في اليمن الواردة على صيغ أوزان مختلفة) .

وجمع فيه المؤلف ما أمكن جمعه من الأسماء جاءت على صيغ مختلفة ، وهو

في ذلك كله يوضح لكل اسم بلد أو قبيلة ذكرها ، إلا البعض ، حيث تركها غفلا من دون توضيح أو شرح ، كما في ضيعان ، وتسمان ، وشبينة ، وغير ذلك . (32)

11- المدارس الإسلامية في اليمن :

وبلغت صفحاته (539) صفحة ، وطبع في مؤسسة الرسالة ببيروت، 1400هـ، 1980م .

يرى المؤلف أن مدارس اليمن ما تزال مغمورة الذكر ، غير معروفة حتى لكثير من أبناء اليمن أنفسهم ، إذ لم يسبق لأحد أن كتب عنها ، أو تناولها بالتعريف والتنويه بها ، عدا إشارات متفرقة أتت عرضاً في بطون الكتب أو من خلال تراجم العلماء الذين درّسوا بها.

لذا قام المؤلف بجمع أشتات المدارس اليمنية فبلغت في مجموعها مائة وثلاثة وتسعون مدرسة .

وتحدث المؤلف عن أنواع المدارس من حيث تخصيصها للمذاهب الفقهية ، والكتب المعتمدة للتدريس في مختلف العلوم ، ومدة الدراسة وموعدها، وآداب التدريس وطرقه (33).

واعتمد المؤلف في تناول منهجه ، فإتبه راعى فيه التسلسل التاريخي لتأسيس المدارس ، فذكر أقدمها تأسيساً ، ثم ما تلاها ، وهكذا إلى آخر مدرسة أقيمت عند منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، وبينما هو عامر من تلك المدارس ، كما ذكر مكان كل مدرسة واسم من بناها إن كان معروفاً وتاريخ بنائها ، وأسماء من كان يتولى التدريس فيها ، مع ترجمة مختصرة لهم ، مراعاة الإبقاء على أسلوبها كما وردت في مصادرها التي اعتمدها في التعريف بهم ، ليمثل الأسلوب الذي كان سائداً في العصور السالفة ، وطريقة المؤرخين في التعريف بالعلماء (34).

وذكر الكتب التي كانت تدرس في كل مدرسة في مختلف العلوم الفقهية الحديثة واللغوية والمنطقية ، وغيرها .

وإضافة ما كان يتبع كل مدرسة من أوقاف تكون مصدراً للإنفاق عليها ، إضافة لما عثر عليه من نصوص الوقف الخاصة بكل مدرسة (35).

12- نشوان بن سعيد الحميري والصراع الفكري والسياسي والمذهبي في عصره

بلغت صفحاته (102) صفحة وطبع في دار الكتاب الجديد ببيروت سنة 1985
تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن مولد نشوان الحميري ونشأته وحياته العلمية،
وتطرق إلى الحديث عن مذهبه ومعتقده ، ورأيه في الإمامة ، كما وضع نسب نشوان
وما لقيه بسبب ذلك النسب من تعال من الأشراف العلويين على قومه القحطانيين وهضم
لحقوقهم .

وبعد ذلك أورد نماذج من شعر نشوان ونثره ، واصفا إياه بالجزالة والفصاحة
والبيان ، مع الميل إلى السجع غير المتكلف ، ثم عدد مؤلفاته ، المخطوط منها والمطبوع
والمفقود ، ذكرا مكان وجود المخطوطات ، واصفا طبعات ما طبع ، ومن ذكر المفقود
من هذه الكتب .

وأرخ المؤلف حقيقة زمنية عاشها المترجم له ، بما فيها من صراعات عقائدية
مذهبية وسياسية وقبلية، حيث قال : "هذا هو نشوان بن سعيد الحميري ، عرضت آراءه،
وحقيقة أمره ومعتقده ، وما قاله فيه خصومه ، وما رد عليهم ، ولم أعلق على ما قاله ،
ولا على من اعترض عليه ، ولا مؤيدا ولا مفندا ، وتركت الحكم للقارئ وحده " ،
ويضيف "لقد عاش نشوان مؤمنا بعقيدته ، مدافعا عنها بقلمه ولسانه حتى فارق الحياة
بعد حياة طويلة شهدت صراعا فكريا وعقائديا و سياسيا ، كان عنيفا عنفا ما يزال صده
يتردد محتدما حتى اليوم" ، ولأهمية هذا الكتاب ترجم إلى الألمانية وإلى الانكليزية (36) .

13- شجر العلم ومعاقله في اليمن

إن هذا المرجع مهم جدا للذي يدرس تاريخ اليمن فهو يبحث في جغرافية اليمن
والأنساب والقبائل واليمانية وهو يبحث بالعقائد والمذاهب والفرق الإسلامية الفكرية التي
انتشرت في اليمن قديما وحديثا وهو يعتبر موسوعة شاملة .

وهذا الكتاب يحتوي على (505) من هجر العلم ومعاقله في اليمن ، إضافة إلى
6279 علما من أعلام اليمن ، وقد صدر في سنة 1424 هـ ، 2003م ، مستدرك لهذا
الكتاب ، جاء في (536) صفحة ، (170) صفحة منها أفردها المؤلف للمقالات
والتعريض التي كتبت في هذا الكتاب نقداً وشعراً (37)

والقسم الثاني المستدركات على الأجزاء الأربعة من الكتاب ، من تصحيح خطأ مطبعي أو إضافة معلومة جديدة أو تبين الصواب في وهم وقع ، وغير ذلك (38)

وللمؤلف الكثير من المقالات والبحوث التاريخية التي عالج بها الكثير من الجوانب التي تستحق اهتمام الباحثين وإبراز الدور التاريخي لعينة عبر التاريخ ، كما شارك بالعديد من المؤتمرات الدولية والقطرية ، وكان الهدف منها هو إظهار الحكم الثقافي العلمي والحضاري لليمن بين البلدان ، كما لديه الكثير من الانتقادات العلمية والثقافية على كتب تاريخية أو غير تاريخية .

الهوامش :

- 1- عبدالله عبدالله الشيخ ، مدخل إلى علم التاريخ ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ن 1994 ، ص 17.
- 2- مرتضى حسن النقيب ، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي ، بغداد ، 1999م ، ص 1-3 .
- 3- عادل حسن غنيم وجمال محمود حجر ، في منهج البحث التاريخي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1998 ، ص 21 .
- 4- حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، دار المعارف ، 1986 ، ص 15 .
- 5- حسن الظاهر ، دراسات في تطور الفكر السياسي ، القاهرة ، 1985 ، ص 376 .
- 6- حمد الجاسر ، اليمن بين مؤرخين معاصرين ، وزارة الاعلام ، صنعاء 2000 ، ص 60 .
- 7- القاضي والمؤرخ الكبير إسماعيل بن علي الأكوغ ، كتيب تذكاري في مهرجان تكريمه ، من إصدارات وزارة الثقافة والإعلام اليمنية ، صنعاء 2004 ، ص 1-5 .
- 8- إبراهيم باجس عبد المجيد المقدسي ، القاضي إسماعيل بن علي الأكوغ ، علامة اليمن ومؤرخها ، دار القلم ، دمشق 2005 ، ص 37-39 .
- 9- مقابلة شخصية مع القاضي المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوغ بتاريخ 13 / 3 / 2005 ، والإجازة تعني في السابق : شهادة التخرج التي تعرف هذا اليوم .
- 10- إسماعيل بن علي الأكوغ ، تاريخ أعلام آل الأكوغ ، دار الفكر المعاصر 1411هـ - 1990م ، ص 13-45 .
- 11- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص 33 .
- 12- تاريخ أعلام آل الأكوغ ، المصدر السابق ، ص 101-116 .
- 13- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص 37 .
- 14- المصدر نفسه ، ص 88-149 .
- 15- إسماعيل بن علي الأكوغ ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، دار الفكر المعاصر ، بيروت 1424 هـ - 2003م (المقدمة) .
- 16- إسماعيل بن علي الأكوغ ، أمة العلم المجتهدون في اليمن ، مؤسسة الرسالة ، عمان ، 2002 ، ص 115-268 .

- 17- إسماعيل بن علي الأكوغ ، أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1994م ، ص13-142 .
- 18- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص 97 .
- 19- إسماعيل بن علي الأكوغ ، الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه (العواصم والقواصم) ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1418هـ ، 1997م ، ص40-90 .
- 20- حمد الجاسر ، المصدر السابق ، ص 65 .
- 21- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص 99 .
- 22- إسماعيل بن علي الأكوغ ، الأمثال اليمنية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1405هـ ، 1984م ، ص 88 - 170 .
- 23- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص 106 .
- 24- تاريخ أعلام آل الأكوغ ، المصدر السابق ، ص16-21 .
- 25- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص111-113 .
- 26- إسماعيل بن علي الأكوغ ، الدولة الرسولية في اليمن ، دار جامعة عدن ، 2003 ، ص 19 - 45 .
- 27- إسماعيل بن علي الأكوغ ، الزيدية ، نشأتها ومعتقداتها ، دار ابن حزم ، بيروت 1421 هـ - 2000م ، ص40-88 .
- 28- إبراهيم باجس عبدالمجيد ، المصدر السابق ، ص122-123 .
- 29- إسماعيل بن علي الأكوغ ، سدود اليمن ، أبرز مظاهر حضارتها القديمة ، سلسلة الإبداع ، مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون ، صنعاء ، 2001 ، ص6-34 .
- 30- غيراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص127-129 .
- 31- إسماعيل بن علي الأكوغ ، تحقيق كتاب مجموعة بلدان اليمن وقبائلها للمؤرخ القاضي محمد بن أحمد الحجري ، دار النفائس ، بيروت ، 1404هـ - 1984م ، ص24-203 .
- 32- إسماعيل بن علي الأكوغ ، مخالفات اليمن ، مجمع أبو ظبي ، 1423هـ - 2002م ، ص 13-191 .
- 33- إبراهيم باجس عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص 140 .
- 34- حمد الجاسر ، المصدر السابق ، ص 63 .
- 35- إسماعيل بن علي الأكوغ ، المدارس الإسلامية في اليمن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1400هـ ، 1980م ، ص8-319 .
- 36- إسماعيل بن علي الأكوغ ، نشوان بن سعيد الحميري، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1985 ، ص14-70 .
- 37- حمد الجاسر ، المصدر السابق ، ص 61 .
- 38- إسماعيل بن علي الأكوغ ، هجر العلم ومعاقله في اليمن ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1424هـ - 2003م ، ص50-214 .



التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي مقاربة سوسيو معرفية



د. سعد إبراهيم العلوي (*)

ملخص البحث

هدف هذا البحث إلى تحليل عملية إنتاج المعرفة التراثية، والكشف عن مضمونها ورصد أبعادها لدى دعاة التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي. ولقد بين البحث أن ما قدمه دعاة التفسير المادي التاريخي من تقييم لتاريخ الفكر العربي الإسلامي، ومن تصنيف لمدارسه الفكرية ولمواقف فلاسفته، يتناقض تماماً مع النسق المعرفي لذلك الفكر، ومع طابع الخصوصية التاريخية التي تميز قضاياها وإشكالاته. كما كشف البحث عن الطابع التأملي التخميني النظري للتفسير المادي التاريخي، الذي لم ينطلق من حقائق ومعطيات التاريخ الاجتماعي العربي الإسلامي، فعجز بالتسالي عن تقديم تقييم علمي وتصنيف موضوعي لتاريخ تطور الفكر العربي الإسلامي، انطلاقاً من دراسة وتحليل العلاقة النسبية التي تربط بين حركة تطور المجتمع وحركة تطور الفكر.

وبينت نتائج البحث دور وتأثير كل من المعالجة المنهجية والمرتكزات الفكرية للتفسير المادي التاريخي في عجزه عن إنتاج معرفة علمية وموضوعية بالتراث الفكري العربي الإسلامي.

(*) كلية التربية - أرحب - جامعة صنعاء.

وأوصى الباحث بضرورة تأسيس نظرية سوسيو - تاريخية في التاريخ العربي الإسلامي ، تشكل قاعدة ونقطة إرتكاز للأبحاث والدراسات السوسيو - معرفية، والتي تبحث في قضايا وموضوعات الفكر والمعرفة من خلال دراسة العلاقة النسبية التي تربط بين حركة تطور المجتمع وحركة تطور الفكر والمعرفة.

أولاً: المقدمة المنهجية

• موضوع البحث :

شهد عقدي الثمانينات ونهاية التسعينات من القرن المنصرم ذلك الاهتمام الطاعي بقضية إحياء التراث الفكري العربي الإسلامي.

واحتلت مشاريع إحياء التراث المشهد الثقافي العربي المعاصر وفي المقدمة منها المشروع الماركسي (المادي التاريخي) وهو ما يعنينا في هذا البحث وعلى وجه الخصوص قضية انتاجه للمعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي . حيث ينظر أصحاب المشروع (الماركسي - المادي التاريخي) للمعرفة التي انتجها أصحاب المشاريع النظرية الأخرى بالتراث الفكري والتي لا تتبنى المادية التاريخية منهجاً بأنها معرفة تفتقر إلى العلمية والموضوعية والتاريخية ، وكون أصحابها لم ينطلقوا من حركة الواقع الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ، ولم يستطعوا تملك ذلكم الواقع ، لذلك عجزوا عن انتاج المعرفة العلمية بالتراث الفكري العربي الإسلامي .

فالمطلوب إذاً انتاج معرفة بالواقع الاجتماعي الذي نشأ وتطور من خلاله الفكر عند ما يراد معرفة مضامين واتجاهات وقضايا ذلك الفكر . فهذا الواقع الاجتماعي هو الذي صاغ وبلور مسائل واتجاهات وظواهرات الفكر وساعدها على البروز والظهور في مختلف المراحل التاريخية. ووفقاً للمنظور المادي التاريخي فالفكر هنا يعكس الواقع الاجتماعي.

وبالنظر إلى وظيفة علم اجتماع المعرفة والتي تكمن في معرفة المعرفة انطلاقاً من ارتباطها النسبي بالمسار الاجتماعي العام ، وككيان يتمتع بعناصر ثابتة ومستقلة من ذلك المسار ، فإن المعرفة التي انتجها أصحاب التفسير المادي التاريخي بالتراث الفكري

العربي الإسلامي ستكون مدار دراسة وتحليل لعملية إنتاجها وبلورتها ، والتعرف على أبعادها ومقوماتها من منظور سوسيو - معرفي وذلك هو موضوع البحث .

• أهمية البحث:

أولاً : الأهمية النظرية

تتضح أهمية هذا البحث، بالنظر إلى الحقيقة التي مؤداها، أن الدراسات التي أجريت حول التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي قد خلقت من التحليلات المنظمة لعملية إنتاج المعرفة وبلورتها من قبل اصحاب التفسير المادي التاريخي، بالإضافة إلى التعرف على أبعاد تلك المعرفة ومقوماتها، انطلاقاً من دراسة العلاقة بين عملية إنتاج المعرفة بالواقع الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ورصد انعكاساتها على مسألة إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي، وفي اطار علم اجتماع المعرفة.

وإذا كان بحثنا هذا يعالج قضية لم تحظ بمثل ما حظيت به قضايا التفسير المادي التاريخي من اهتمام من جانب الباحثين ، فإننا نأمل أن يمثل بحثنا هذا اسهاماً في حقل الدراسات السوسيو- معرفية الذي تفتقر إليها المكتبة العربية، ومن منطلق تأصيل الفكر العربي المعاصر في شقه المعرفي.

ثانياً : الأهمية المجتمعية

تتجسد الأهمية المجتمعية لهذا البحث ، في الإشارة إلى الدور الذي يمكن أن يؤديه في تعزيز روح الإنتماء للتراث الفكري العربي الإسلامي ، من خلال القضايا التي يطرحها، ومن منظور أن التراث الفكري لا ينطوي فقط على الماضي ، بل هو يشمل نظرنا إلى الحاضر وتصورنا للمستقبل. وهذا بالإضافة لأهمية التي يمتلكها البحث لمقاربة قضايا المعرفة الخاصة بمجتمعنا العربي ومنها المعرفة التراثية وتاريخ الفكر العربي الإسلامي.

• الهدف من البحث :

يتمثل الهدف من هذا البحث في تحليل عملية إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي ورصد أبعادها وكيفية بلورتها من قبل دعاة التفسير المادي التاريخي للتراث.

• تساؤلات البحث :

لتحقيق الهدف من هذا البحث كان لابد من طرح التساؤلات المتعلقة به بطريقة تكون أكثر تحديداً وعلى النحو الآتي :

- هل تمة علاقة بين التشخيص المادي التاريخي للواقع الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ، وبين مسألة إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي ؟
- هل تمة علاقة بين النظام المعرفي ونظام المفاهيم للمنهج المادي التاريخي ، وبين المحتوى المعرفي للتفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي ؟
- هل تمة علاقة بين المرتكزات الفكرية للتفسير المادي التاريخي ، وبين مسألة تحديد مراحل تطور الفكر العربي الإسلامي وتقييم وتصنيف فرقه ومدارسه الفكرية.

• منهج البحث :

إن طبيعة الموضوع الذي يتناوله هذا البحث يفرض علينا تبني المنهج التاريخي، بالإضافة إلى المنهج المقارن. منطلقين من مبدأ ملائمة المنهجين المذكورين لطبيعة البحث ولتحقيق الهدف منه.

• مشكلة البحث :

نادراً ما قام الباحثون بتحليل عملية إنتاج المعرفة التراثية انطلاقاً من دراسة العلاقة بين التشخيص المادي التاريخي للواقع الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ، وبين انعكاسات نتائج ذلك التشخيص وتأثيرها على مسألة إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي. وهذا البحث يحاول الكشف عن تلك العلاقة وتبيان دورها وتأثيرها في عملية إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي.

ثانياً: الدراسات السابقة :

تعد الدراسات التي تقوم بتحليل عملية إنتاج المعرفة التراثية انطلاقاً من دراسة العلاقة بين تشخيص الواقع الاقتصادي - الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ، وبين مسألة التأسيس على نتائجها في إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي ، من الدراسات القليلة وماكتب لا يزال في بدايته ومنها:-

1- دراسة محمود إسماعيل " سوسيولوجيا الفكر الإسلامي " : 1980م

ولقد استهدفت الدراسة تحليل عملية إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي لدى اصحاب المشروعات المنهجية لدراسة التراث ومنها البنيوية والظاهرانية والماركسية. كما استهدفت الدراسة أيضاً تأسيس معرفتها الخاصة بالتاريخ والفكر الإسلامي⁽¹⁾.

2- دراسة تركي علي الربيعو لله النص والحقيقة لله قراءة في بعض الاجتهادات العربية الحديثية/2004م .

تستهدف الدراسة تحليل المعرفة التراثية التي انتجها اصحاب التفسير المسادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي. حيث يشكل مشروع الباحث طيب تيزني لدراسة التراث، ميدان تحليل ونقد من قبل دراسة الربيعو، وعلى وجه الخصوص دور المنهج والمفاهيم في تكوين المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي⁽²⁾.

3- دراسة إدريس هاني لله مشكلات التراث وأزمة المنهج لله 1998م

تستهدف الدراسة الوقوف أمام دور العقل العربي المعاصر وتحليله للتراث الفكري العربي الإسلامي . وتقف أمام نماذج مختلفة من الدراسات التراثية والتي تهدف إلى إنتاج معرفة بالتراث . وتبين الدراسة أن المنهج أو المناهج الغربية كنظام معرفي تعد السبب المباشر وراء تشكل المعرفة الزائفة واللاموضوعية حول تاريخ الفكر العربي الإسلامي . فهي حصيلة بنية تاريخية غريبة⁽³⁾.

وأخيراً بعد استعراض الدراسات المتوفرة التي تناولت تحليل عملية إنتاج المعرفة التراثية، وإبراز أهم ملامحها وتوجهاتها. فإنه يمكن القول أنها تمثل للباحث درجة من الأهمية النظرية وتشير إلى أن مشكلة البحث الراهن قد تبلورت وكانت ضرورية الطرح وتمثل امتداداً لما سبق من مشكلات تم بحثها في تلك الدراسات وباعتبار أن هذه المشكلات بحاجة لمزيد من البحث والتحليل.

ثالثاً: مسوغات ومرتكزات التفسير المادي للتراث الفكري العربي الإسلامي .

أ) في مفهوم التراث ومسألته إحياءه

قبل أن نبحث في موضوع التراث الفكري العربي الإسلامي، كان لا بد لنا من تحديد معنى التراث لغة واصطلاحاً. والتراث لغة ما خلفه الرجل لورثته ، وأصله وراث

أو وارث فأبدلت الواو تاءً. فالتراث والارث والورث مترادفة. وقيل الورث والميراث في المال، والارث في الحساب، مما يشير إلى الميراث الثقافي. لان الحساب هو مفاخر الآباء وشرف الفعال التي يرثها الأبناء⁽⁴⁾. وقد وردت كلمة التراث في القرآن الكريم مرة واحدة بمعنى الميراث⁽⁵⁾.

فالتراث العربي الإسلامي هو قبل كل شيء الموروث الثقافي في الحضارة العربية الإسلامية فهو مرتبط بالماضي وانجازاته الإبداعية والمعرفية. ⁽⁶⁾ أي تلك الانجازات التي توّطر عموم الرؤية الثقافية الإسلامية، وتظهر في شتى الحقول والمجالات العلمية في علم الكلام والفلسفة والأدب واللغة وباقي العلوم والفنون، باستثناء القرآن الكريم والحديث النبوي، لأنهما ليسا بآثار علمية أو فكرية بحيث تتعرض لعملية النقد والانتقاء والقبول والرفض. فهذا ينطبق على مصطلح التراث (Legacy) في الحضارة الغربية المعاصرة التي تتعامل مع التراث على سواء بين ما مصدره الإنسان المخلوق، وما مصدره الآله الخالق⁽⁷⁾.

ولقد ارتبطت مسألة أحياء التراث الفكري العربي الإسلامي بشرط تاريخي تمثل بعملية الاصطدام والاحتكاك المباشر الذي خاضته المنطقة العربية بالغرب الأوروبي "استعماراً وحضارة". بدءاً بالحملة الفرنسية على مصر عام 1798م والتي كشفت عن الفارق الهائل في إمكانات الحضارتين الأوروبية الغربية والعربية الإسلامية⁽⁸⁾.

من هنا نستطيع تفسير كيفية تحريك هذه الوضعية التاريخية للوعي لدى العرب باتجاه طرح أسئلتهم الموضوعية من منظور لقاءهم بالغرب، وهي: لماذا تقدّم الغرب وتأخر العرب؟ وما الوسائل التي تمكّن العرب من اللحاق بركب الحضارة الحديثة؟ هل تكون وسيلة إحياء التراث الفكري العربي الإسلامي والبحث فيه عن إجابات لأسئلة الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي الراهن كافية لمواجهة ذلك التحدي الحضاري؟ أم إن مادة التراث المعرفية والثقافية لا تمتلك إمكانات مواكبة تطور العلم والفكر الأوروبيين؟ أتكون محاولة التوفيق بين الانجاز العلمي والمعرفي والسياسي للحضارة الأوروبية الحديثة وبين التراث الثقافي والفكري للحضارة العربية استجابة فاعلة وعملية من قبل الذات العربية في مواجهة التحدي المطروح من قبل الآخر - الغرب الأوروبي - ومحاولة لخروج الذات العربية من نفق تخلف هياكل بناها الثقافية والاجتماعية والسياسية؟

في ضوء الأسئلة الإشكالية الأنفة الذكر برزت قضية التراث الفكري العربي الإسلامي وضرورة إحيائه ، حيث كان التحدي الأوروبي قد حرك الوعي بالأصالة ضد هيمنة الثقافة الغربية⁽⁹⁾. وكان بمثابة الشرط التاريخي لبدء عملية الإحياء التراثي ، وبرز ما يعرف في بعض الأدبيات " بالقضية التراثية العربية" في القرن التاسع عشر الميلادي⁽¹⁰⁾.

ولقد تباينت المواقف الفكرية من مسألة إحياء التراث الفكري الإسلامي في الفكر العربي الحديث ، فهناك تيار دعا إلى عدم الاستناد إلى التراث كمنهج ورؤية وطالب بفك الارتباط معه والاندماج كلية في الثقافة الغربية الأوروبية من منطلق أن مادة التراث المعرفية لا تمنح قيمة كبرى في تكوّن المعرفة المعاصرة⁽¹¹⁾ . في حين دعا تيار آخر إلى التوفيق بين الانجاز العلمي والمعرفي للحضارة الأوروبية الحديثة وبين التراث الفكري والثقافي للحضارة العربية الإسلامية . وهناك تيار ثالث تحرك في علافته بالتراث وفق رؤية أحادية ترتكز أساساً في النظر إلى الشق الديني أو الشرعي من التراث . فالتراث في رؤيته هو التراث الديني فقط.

وفي ظل استمرار التحدي الثقافي والمعرفي الغربي الأوروبي ، والفرز الواضح لإتجاهات الفكر العربي المعاصر ، احتلت مشاريع إحياء التراث المشهد الثقافي العربي المعاصر . حيث شهدت عقود السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم ظهور عشرات المشاريع النظرية لإحياء التراث التي تعكس سيطرة هاجس التراث الفكري على الفكر العربي المعاصر⁽¹²⁾. حيث اضحى التراث الفكري العربي الإسلامي حقلاً لتجارب المنهاج والنظريات المختلفة. وكان لكل منها قراءته الخاصة بالتراث بل ومسوغاته المعرفية التي دفعته لانتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي.

ب) المسوغات المعرفية للتفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي

يشكل التفسير المادي التاريخي لتاريخ الفكر العربي الإسلامي جزءاً أساسياً من أجزاء المشروع العام لبحث التراث الفكري العربي الإسلامي ودراسته والذي شهده الفكر العربي المعاصر .

وإذا كان مشروع التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي قد ارتبط زمنياً بالعقود الثلاثة الاخيرة من القرن المنصرم ، فإن ذلك لا يعني أن تفسير التراث الفكري من منظور مادي تاريخي قد ارتبط بذلك المشروع وبسقفه الزمني ، فلقد سبقته إلى ذلك محاولة للباحث اللبناني بنداى جوزي في كتابه (تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) عام 1928م. وهي أولى الأعمال الفكرية التي درست التراث الفكري ضمن التفسير المادي / التاريخي . ولكن هذا الجهد النظري لبنداى جوزي لم يتواصل ويستكمل في صيغة مشروع نظري فتوقف عنده ليظهر بعد خمس عقود في شكل مشاريع مختلفة . في السياق ذاته فإن ما يجمع مشروع التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي هو رؤيته القبليّة للدراسات التراثية التي لا تتبنى المادية التاريخية⁽¹³⁾ منهجاً ووصفه لها بالمثالية والسلفية واللاتاريخية . الامر الذي يعد من وجهة نظره مسوغاً معرفياً كافياً يدفعه لتقديم مشروعه النظري لدراسة التراث الفكري . وفي هذا الصدد يقول طيب تيزني "لا شك ان البحث العلمي لم ينفذ بعد بشكل موسع ومعيق إلى تراثنا العربي الإسلامي "لقد بحث تراثنا هذا حتى الآن ، بشكل عام وإجمالي ، من خلال منهجية مثالية ، لا مادية ولا تاريخية ولا جدلية"⁽¹⁴⁾..

في حين يرى حسين مروة في كتابه " النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية " أن دراسة التراث الفكري "ظلت رهن النظرات والمواقف المثالية والميتافيزيقية التي تتفق جميعها ، بمختلف مذاهبها وتياراتها على خط عام مشترك تحكمه رؤية قاصرة عن كشف العلاقة الواقعية الموضوعية غير المباشرة ، بين القوانين الداخلية لعملية الإنجاز الفكري وبين القوانين العامة لحركة الواقع الاجتماعي . ولذا يبقى تاريخ الفكر العربي الإسلامي تاريخاً ذاتياً سكونياً لا تاريخياً"لقطع صلته بجذوره الاجتماعية . لذلك فإن "المنهج المادي التاريخي وحده القادر على كشف تلك العلاقة ورؤية التراث في حركته التاريخية واستيعاب قيمة النسبية"⁽¹⁵⁾ .

نخلص من كل ما تقدّم إلى أن المسوغات المعرفية التي دفعت أصحاب التفسير المادي التاريخي لبحث ودراسة وتأويل التراث الفكري العربي الإسلامي تكمن في رؤيتهم للمناهج الاخرى كمناهج تعاني من قصور منهجي ونظري، تنعكس نتائجه على حقل

تاريخ الفكر عموماً، والدراسات التراثية على وجه الخصوص، في صورة دراسات تفتقر إلى التاريخية، وإلى غياب القدرة على إنتاج معرفة علمية موضوعية بالتراث. ولكن الأسئلة التي تتبادر في هذا السياق هي كالتالي: هل استطاع التفسير المادي التاريخي أن يؤسس العربي لمعرفة موضوعية وعلمية بتاريخ الفكر العربي الإسلامي؟ وهل تضمن التفسير المادي للتراث الفكري الإسلامي عناصر التاريخية؟

أن النظر في الأسئلة الأتفة الذكر يقتضي منا التوقف بالبحث والتحليل والنقد إمام نماذج مختلفة من التفسيرات المادية التاريخية وعلى وجه الخصوص آليات ومرتكزات تلك التفسيرات ومضامينها المعرفية وانعكاسات كل ذلك على مسألة إنتاج المعرفة بتاريخ الفكر العربي الإسلامي من جهة، وعلى قضية تكوين الوعي بذلك التاريخ الفكري من جهة ثانية.

(أ) مرتكزات التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي.

استقى التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي مرتكزاته الفكرية من مفاهيم وعناصر ومقولات النظرية الماركسية. وفي ضوءها أنتج معرفة بالتراث الفكري، ويمكننا أن نفصل هذه المرتكزات على النحو الآتي:

المرتكز الأول: تحديد مراحل تطور الفكر العربي انطلاقاً من تحديد مراحل تطور المجتمع العربي في هذا الإطار ينطلق المنهج المادي التاريخي في تحديد مراحل تاريخ الفكر والفلسفة من المقاييس ذاتها التي ينطلق منها في تحديد مراحل تطور المجتمع البشري، أي من نشو التشكيلات الاجتماعية - الاقتصادية⁽¹⁶⁾ وتطورها وحلول بعضها محل البعض الأخر "مشاعية، عبودية، إقطاعية، رأسمالية، اشتراكية".

وانطلاقاً من المقاييس الأتفة الذكر يحدد المنهج المادي التاريخي مراحل تطور الفكر والفلسفة على النحو الآتي: (1) فلسفة المجتمع العبودي (2) فلسفة المجتمع الإقطاعي (3) فلسفة المجتمع الرأسمالي (4) فلسفة المجتمع الاشتراكي⁽¹⁷⁾.

المرتكز الثاني: الأثر الحتمي للصراع الطبقي⁽¹⁸⁾ ودوره في تطور الفكر والمعرفة.

تستند المادية التاريخية في تحليلها للتطور الاقتصادي - الاجتماعي على مفهوم الطبقة كقوة اجتماعية، والصراع بين الطبقات كقوة محركة للتاريخ الإنساني.

ويعد العامل الإقتصادي أداة تفسير وتحليل لكشف مضمون الصراع الطبقي وما هيته في ابعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية . وفيما يتعلق بتصنيف اشكال وتيارات الفكر المختلفة وتقيم مضامين خطاباتها النظرية والفكرية، فان المنهج المادي التاريخي ينظر لتلك التيارات ولنتاجاتها كنتاجات فكرية تعبر عن مواقف طبقية من الواقع الاجتماعي .

في ضوء ما تقدم تقف امامنا مجموعة من التساؤلات المرتبطة بمقاييس التشخيص التي قدمها اصحاب التفسير المادي التاريخي لعملية نشؤ وتطور الفكر العربي الإسلامي بمختلف فرقه ومدارسه الفكرية ، وبطابع الفهم للإجازات المعرفية والفكرية التي حققها مفكرية وفلاسفته. أن النظر في التساؤلات الأنفة الذكر والبحث عن إجابات لها سيكون موضوع دراسته وتحليل في المباحث القادمة .

رابعاً: التشخيص المادي التاريخي لتاريخ تطور المجتمع العربي – الإسلامي وعلاقته بمسألة إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي.

(أ) إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي :

يستند دعاة التفسير المادي التاريخي في إنتاج معرفتهم بالتراث الفكري العربي الإسلامي على المبدأ المادي التاريخي الذي ينظر إلى الدور الحاسم لأسلوب إنتاج الخيرات المادية⁽¹⁹⁾ في نشأة الأفكار الاجتماعية وتطورها ، ومنها الأفكار الفلسفية. وإلى الأثر الحتمي للصراع الطبقي على تطور الأيديولوجيا ومنها الأفكار الفلسفية ، وفي ضوء المبدأ المادي التاريخي الأنف الذكر سنقف أمام ثلاثة نماذج لابرز دعاة التفسير المادي التاريخي للتراث ، لنرى كيف جسّد هؤلاء ذلك المبدأ اثناء إنتاج معرفتهم بالتراث؟

يرى حسين مروة أن " الفلسفة العربية الإسلامية قد دخلت معركة الصراع الإيديولوجي منذ بدء تشكلها الأولى عبر افكار الجماعة المسماة بالقدرية⁽²⁰⁾. ومن ثم عبر افكار المعتزلة⁽²¹⁾ الذين واصلوا طريق القدرية . وبعد أن تطورت الاشكال الفلسفية إلى منظومات متناسقة على ايدي الكندي والفارابي وابي بكر الرازي وابن سينا وحتى ابن رشد ، ارتفع الصراع الايديولوجي بفضل هؤلاء الفلاسفة إلى مستوى اعلى فأعلى ،

وفقاً لتطور الصراع الطبقي المتصاعد كلما اشتد التمايز الاجتماعي طبقياً وفئويماً ، في مجتمع كان يتطور اقتصادياً بدرجات متفاوتة حسب ظروف تاريخية متفاوتة⁽²²⁾.

وانطلاقاً من مبدأ الربط بين حركة تطور المجتمع العربي الإسلامي من جهة ، وحركة تطور الفكر العربي الإسلامي من جهة ثانية فإن " حركة الزهد وحركة القدرية وحركة الجبرية⁽²³⁾ والصراع بين أهل الرأي وأهل الحديث⁽²⁴⁾ في التشريع ، كل ذلك في تحليل حسين مروة أثر من أثار الصراع المتفجر في المجتمع الجديد كمجتمع يتكون تكوناً طبقياً من بقايا البدائية وبقايا الاقتصاد الطبيعي الى مجتمع إقطاعي صرفاً⁽²⁵⁾. وهكذا فإن الجبرية تحتل مكانها في تاريخ الفكر العربي الإسلامي كما يكتب حسين مروة " كتعبير عن الفكر الطبقي للمؤسسة السياسية للدولة" في حين أن القدرية " تعبر عن موقف ايديولوجي معارض لايدلوجية نظام الحكم الديني⁽²⁶⁾، أما علم الكلام⁽²⁷⁾ فإنه في رأي حسين مروة الشكل الفكري الأكثر تقدماً بين الأشكال الفكرية التي شهدتها المجتمع العربي الإسلامي في القرنين السابع والثامن الميلادي والذي نشأ عن شكل اقتصادي اجتماعي يتمثل في علاقات الإنتاج الإقطاعية في العصر الأموي⁽²⁸⁾

أما الظروف التي دفعت بإتجاه ظهور الفكر الفلسفي العربي الإسلامي وخروجه من تبعيته لعلم الكلام المعتزلي في القرن الثالث الهجري "التاسع الميلادي" فإنها في تحليل حسين مروة " ظروف تميزت ببروز مظاهر من الصراع الاجتماعي تكمن في اساسها دوافع طبقية موضوعية" وكان لا بد ان يخلق ذلك اشكالا جديدة من الوعي ومنها الشكل الايديولوجي والفلسفة بطبيعتها شكل ايديولوجي وفي رأي مروه أنها أكثر قدرة على مجابهة (الايديولوجية اللاهوتية الرسمية) الإسلام⁽²⁹⁾.

وفي السياق ذاته فإن وظيفة الفلاسفة والمفكرين العرب في العصور الوسطى تكمن كما يكتب حسين مروة في "صياغة ايديولوجية جديدة لمجتمعهم حينذاك تواجه ايديولوجية الدولة المسيطرة. وهكذا كان" الفكر الفلسفي المستقل عن الاصول اللاهوتية لعلم الكلام هو الاكثر قدرة على مجابهة الايديولوجية اللاهوتية الرسمية والذي بدأ تجلياته الأولى في الفلسفة العقلانية (فلسفة الكندي) ⁽³⁰⁾.

واستناداً إلى الأثر الحتمي للصراع الطبقي على تطور الفلسفة فإن مروه يرى "أن أخوان الصفا ينطلقون في فلسفتهم الاجتماعية من نظرة طبقية" ولعل تحديد موقعهم الطبقي ليس عسيراً إذا أخذنا الوضع التاريخي بالحسبان "فمجتمعات عصرهم مجتمعات طبقية . وأنه لا مبرر طبيعي أن يكون للوضع الطبقي انعكاس ما في مجمل فلسفتهم" (31) .

وانطلاقاً من مفهوم التشكيل الاقتصادي الاجتماعي وما ينشأ عنه من شكل فكري، فإن الفلسفة اليونانية في مفهوم مروه تعد " شكلت ايدولوجية المجتمع العبودي الوثني في حين ان الفلسفة العربية الإسلامية شكل ايدولوجية المجتمع الاقطاعي التجاري الإسلامي الأكثر تنوعاً من حيث بنية الاقتصادية ... ومن حيث تركيبه الطبقي بخاصة ثم من حيث الارتباط الطبقي بعملية الإنتاج المادي " (32) .

وبالمقابل فإن " فلسفة المجتمع الاقطاعي الأوروبي تجمعها مع فلسفة المجتمع الاقطاعي العربي الإسلامي تشكيلة اجتماعية من نوع واحد، فالقاعدة الاجتماعية لتلك الفلسفتين هي علاقة الإنتاج الاقطاعي . لكن الاقطاعية في أوروبا تختلف عن الاقطاعية في الشرق" . وفي رأي مروه " أن هذا الاختلاف حقيقة تاريخية اخذها مؤسس الماركسية بالحسبان حين أطلقا اصطلاحهما المشهور علاقات الإنتاج الآسيوي " (33) .

أما طيب تيزني فهو النموذج الثاني الذي يستند في دراسته للفكر العربي الإسلامي إلى مخطط اجتماعي قوامه البحث في نمط الإنتاج السائد في هذه المرحلة التاريخية أو تلك من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي وانطلاقاً من ذلك المخطط الاجتماعي يحدد تيزني الشكل الفكري عند هذا الفيلسوف أو ذاك .

من هنا فإنه في بحثه حول نمط الإنتاج السائد في عصر ابن خلدون يشير تيزني إلى أن العصر الذي عايشه ابن خلدون كان مكثفاً لعمليتين حاسمتين في تطور المجتمع العربي الإسلامي ، فمن جهة كان هذا المجتمع قد حقق إنجازات ضخمة ضمن اطار الإنتاج البضاعي الواسع والحركة التجارية الشاملة ، بحيث كان ذلك يتجه نحو إيجاد علاقة اجتماعية جديدة قائمة على الإنتاج الرأسمالي الصناعي ، ومن جهة أخرى كانت عوامل عديدة تسهم بقوه في تفتيت ذلك الإتجاه : عوامل داخلية وخارجية كانت تصب في اتجاه واحد التحول نحو الاقطاع البدائي العسكري (34) .

تأسيساً على ما تقدم فإن الأسئلة الذي تتبادر في هذا السياق هي كالاتي : ما انعكاسات ذلك المخطط الاجتماعي لعصر ابن خلدون على مستوى النظر إلى فكره ؟ وما هية المعرفة المنتجة من دراسة الفكر الخلدوني في ضوء ذلك المخطط ؟

في هذا الإطار يشير تيزني إلى أن " ابن خلدون قد بحث في القرن الرابع عشر الميلادي المشكلة الجوهرية في علم التاريخ والمجتمع ، وهي الدوافع الاساسية المحركة للتطور الاجتماعي التاريخي ، واستطاع فعلاً التوصل إلى بعد جديد كل الجده في هذا المجال ، فأسلوب الإنتاج المادي هو الذي يحدد السمة الجوهرية لتطور أي مجتمع إنساني" (35) . وفي موضع آخر يشير تيزني إلى أن ابن خلدون قد استطاع طرح قضية الوجود طرحاً مادياً تاريخياً في اجماله وعمومه" (36) . أن طيب تيزني هنا إذ يستخرج رأسمالية تجارية صناعية بحسب مخططه الاجتماعي الذي وضعه عن المجتمع العربي الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي ، فإنه يشتق منها ابن خلدون (37) . فحيوية ابن خلدون العلمية في نظر تيزني حصيلة التقدم الرأسمالي المبكر " (38) .

وفي ضوء المخطط الاجتماعي الذي يستند اليه تيزني في تحديد طبيعة الفكر عند هذا الفيلسوف أو ذاك ، مادياً كان ام مثالياً بحسب التصنيف المادي التاريخي. فإنه يرى في ابن سينا والفارابي وابن رشد فلاسفة ماديين "عاشوا في مجتمع كانت فيه العلاقات البرجوازية المبكرة تشرنب بعنفها نحو الاستمرار وتطمح في حيازة الوجود الشامل " كما يرى في الاشعري والغزالي فلاسفة مثاليين عاشوا المرحلة نفسها التي عاشها ابن سينا والفارابي وابن رشد إلا ان الرياده الاجتماعية والاقتصادية آنذاك كانت في يد الأقطاع المتعاطم النفوذ" (39) .

وفي الاخير نقف امام النموذج الثالث والتمثل بالباحث توفيق سلوم والذي يرى أن المجتمع العربي الإسلامي قد مر ببعض المراحل الخمس التي مرت بها المجتمعات الانسانية وفقاً للمنظور الماركسي لعملية التصنيف. التاريخي للتطور الاجتماعي من زاوية التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية .

من هنا فإن سلوم يرى ان المجتمع العربي الإسلامي قد شهد مراحل (المشاعية والعبودية والاقطاع) . ووفقاً لهذا التصور المادي التاريخي لمسألة التطور الاجتماعي

فأن حركة المعتزلة في رأي سلوم نشأت في العصر أو المجتمع العبودي. وهي تمثل فكر وايدولوجية عصر الرق المنهار في حين ظهرت الاشعرية في العصر او المجتمع الاقطاعي و الذي حل محل عصر الرق المنهار⁽⁴⁰⁾.

نخلص من كل ما تقدم إلى أن التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي قد انطلق من مبدأ الربط بين حركة الواقع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي وما مر به من مراحل وما شهدته من ظاهرات وصراعات اجتماعية، وبين حركة الفكر العربي الإسلامي وما شهدته من تطورات وتحولات تجسدت في مدارسه وفرقه الفكرية المختلفة، وما حققه فلاسفته ومفكرية من انجازات علمية ومعرفية. وفي هذا السياق تتبادر الأسئلة الآتية: هل التشخيص الذي قدمه اصحاب التفسير المادي التاريخي للمجتمع العربي الإسلامي، وما مر به من مراحل، وما شهدته من صراعات اجتماعية يعبر عن الواقع التاريخي ويعكس خصائصه وتكويناته التاريخية والاجتماعية ام انه مجرد افتراض نظري؟ وما الادلة التاريخية والمصادر المعرفية التي استند اليها ذلك التشخيص لدراسة البنية الاقتصادية للمجتمع العربي الإسلامي؟

أن النظر في الأسئلة الأنفة الذكر وأعمال أدوات التحليل والتمحيص والنقد في موضوعاتها وعناصرها سيمكننا من تكوين رؤية موضوعية حول طابع وحقيقة التشخيص المادي التاريخي للواقع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ودوره في إنتاج المعرفة بالتراث الفكري العربي الإسلامي. تلك الأسئلة والإجابات عليها ستكون موضوع دراسة وتحليل في المبحث القادم.

(ب) التشخيص المادي التاريخي لتاريخ تطور المجتمع العربي الإسلامي المضمون والمحتوى.

اننج دعاء التفسير المادي التاريخي معرفتهم بتاريخ الفكر العربي الإسلامي في ضوء تشخيصهم لتاريخ تطور المجتمع العربي الإسلامي انطلاقاً من مبدأ الربط بين حركة المجتمع وحركة الفكر. وفي هذا السياق تتبادر الأسئلة التالية: هل عبر التشخيص المادي التاريخي عن حقيقة الواقع التاريخي للمجتمع العربي الإسلامي وبالتالي جاء التفسير المادي التاريخي للفكر العربي الإسلامي متساوقاً مع الواقع وما شهدته من تكوينات وبنى اجتماعية وتاريخية.؟

أن النظر في الأسئلة الألفة الذكر تستوجب أولاً رصد نتائج التشخيص وثانياً أعمال عناصر التحليل والتمحيص والنقد في تلك النتائج ، لتبيان ما إذا كانت تعبر عن الواقع التاريخي ام انها مجرد افتراضات نظرية ليس إلا .

أن التشخيص الذي قدمه " دعاة التفسير المادي التاريخي للواقع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي يشير إلى الآتي :

أولاً : سيادة أنماط مختلفة من الإنتاج في المجتمع العربي الإسلامي بدءاً بنمط الإنتاج الآسيوي ، مروراً بنمط الإنتاج الإقطاعي ، وانتهاءً بالتشكيل الاجتماعي .

وكما يبين الجدول رقم (1) .

نماط الإنتاج التي شهدتها تاريخ تطور المجتمع العربي الإسلامي

الباحث	أنماط الإنتاج
مروة	نمط الإنتاج الآسيوي (إقطاعي)
تيزني	نمط الإنتاج الآسيوي (إقطاعي) نمط الإنتاج الأوروبي (رأسمالي تجاري صناعي)
سلوم	نمط الإنتاج العبودي (تشكيل اجتماعي) نمط الإنتاج الإقطاعي (تشكيل اجتماعي)

ثانياً: سيادة أنماط مختلفة من المجتمعات في التاريخ العربي الإسلامي وكما يبين الجدول رقم (2)

أنماط المجتمعات التي شهدتها تاريخ المجتمع العربي الإسلامي

الباحث	أنواع المجتمعات	المراحل التاريخية بالتاريخ الميلادي
مروة	المجتمع الإقطاعي	12 – 8
سلوم	المجتمع العبودي (التشكيلية الاجتماعية العبودية) المجتمع الإقطاعي (التشكيلية الاجتماعية الإقطاعية)	8 – 6
تيزني	المجتمع الإقطاعي المجتمع الرأسمالي التجاري الصناعي	13 – 8 11 – 8 14 – 11

ثالثاً: تشخيص واقع المجتمع العربي الإسلامي كمجتمع تكون تكويناً طبقياً ، وتفسير الصراعات الاجتماعية التي شهدتها كصراعات طبقية تحركها عوامل اقتصادية .

أن النظر في الجداول السابقة رقم (1) ورقم (2) تكشف لنا منذ الوهلة الأولى عن مجموعة من التناقضات التي حفل بها التشخيص وعلى النحو الآتي :

(1) الاختلاف والتناقض في تحديد إي نمط من الإنتاج كان سائداً في المجتمع العربي الإسلامي . فمن قائل بسيطرة نمط الإنتاج الآسيوي ، الى قائل بسيطرة نمط الإنتاج الإقطاعي، الى ثالث يؤكد على أن المجتمع العربي الإسلامي قد مر أثناء تطوره التاريخي ببعض التشكيلات الاجتماعية كالتشكيلة الاجتماعية العبودية والتشكيلة الاجتماعية الإقطاعية .

(2) الاختلاف والتناقض في تحديد أنماط المجتمعات التي شهدتها تساريخ المجتمع العربي الإسلامي فمن قائل بسيادة المجتمع الإقطاعي ، الى قائل بسيادة المجتمع العبودي والإقطاعي ، الى ثالث بسيادة المجتمع الإقطاعي والرأسمالي التجاري الصناعي .

(3) الاختلاف في تحديد المراحل الزمنية التي ظهر خلالها هذا النمط أو ذاك من أنماط المجتمعات .

في ضوء ما تقدم يمكن القول إن ما يميز التشخيص ليس الاختلافات والتناقضات وحدها ، بل طريقة استعمال المفاهيم وعملية اسقاطها على الواقع التاريخي الاجتماعي العربي الإسلامي في العصر في محاولة لإنتاج معرفة بذلك الواقع .

من هنا فالحديث عن تشكيل اقتصادي اجتماعي ودوره في تحويل المجتمع العربي الإسلامي من مرحلة إلى أخرى ، أي من تشكيلة اقتصادية اجتماعية إلى أخرى، هذا الأمر يدعو إلى التفكير ، ويثير أكثر من علامة استفهام . فالتشكيل الاقتصادي الاجتماعي بحسب المفهوم المادي التاريخي هو المجتمع كله في مرحلة معينة من تاريخه⁽⁴¹⁾ . مجتمعاً مميزاً ، معيناً ، له عناصره وروابطه التي يختلف بها عن غيره من التشكيلات الأخرى . ويعني ذلك أن هناك نمطاً معيناً من الإنتاج يختص بذلك التشكيل الاقتصادي الاجتماعي دون غيره . فالتاريخ الأوروبي وفقاً للتحليل الماركسي عرف المجتمع العبودي الذي لا يقوم فيه إلا نمط الإنتاج العبودي . والقائم على الملكية الخاصة ملكية الاسياد للعبيد، وما يرافق ذلك النمط من طبقات اجتماعية وعلاقات سياسية وإدارية وأسرية وإشكال وعي اجتماعي⁽⁴²⁾ .

تأسيساً على ما تقدم فإن التصنيف التاريخي للتطور الاجتماعي والذي يتيح فرز مراحل الارتقاء الاجتماعي من زاوية تشكيله اجتماعية تاريخية محددة ، ذلك التصنيف وثيق الصلة بالمجتمع الأوروبي ، ويعبر عن سماته وخصائصه .

في حين أن المجتمع العربي الإسلامي لم يشهد ذلك النوع من الارتقاء الاجتماعي المنطلق من زاوية تشكيله اجتماعية تاريخية محددة ، فذلك النوع من الارتقاء الاجتماعي لا يمت بصلة للواقع التاريخي العربي الإسلامي ، ولا يعبر عن خصائص تكويناته الاجتماعية والتاريخية ، بل ويتناقض معها تماماً . فهناك على سبيل المثال لا الحصر فروق شتى بين الحديث عن ظاهرة العبيد في المجتمع العربي الإسلامي ، وبين المجتمع العبودي كتشكيله اقتصادية اجتماعية . فالأولى تمثل ظاهرة أساسية بارزة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي . حيث ازدادت حاجة العالم الإسلامي إلى العبيد بعد انتهاء مرحلة الفتوحات ، وبداية عصر الازدهار العمراني واصبح العبيد يمثلون القوى المنتجة الأساسية في جميع ميادين النشاط الاقتصادي، وشكلوا ظاهرة اجتماعية بارزة في حياة المدن والأرياف العربية. وابتداء من القرن الثالث الهجري اصبح الرق العسكري يحتل المكانة البارزة في الحياة السياسية والعسكرية في المجتمع العربي الإسلامي⁽⁴³⁾ . في حين شكل المجتمع العبودي مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور المجتمع الأوروبي حيث كان مجتمعاً مميزاً ، وبمؤسساته الاجتماعية والسياسية فالمجتمع العبودي بكل سماته وخصائصه نتاج لتجربة تاريخية شهدها تاريخ المجتمع الأوروبي.

وينطبق الحال كذلك فيما يتصل بمفهوم الإقطاع في المجتمع العربي الإسلامي ، ومفهوم المجتمع الإقطاعي كما عرفه تاريخ تطور المجتمع الأوروبي . فهناك فروق شتى بين المفهومين . فالإقطاع في المجتمع الإسلامي مصطلح فقهي ومفهوم اقتصادي يعكس دون ريب تجربة تاريخية معينة عرفها المجتمع الإسلامي . كما أن له شروطاً دقيقة وضعت في عصر دولة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، حيث تنص تلك الشروط على أن الإقطاع يقع في الصوافي ، أو من الأرض الموات التي لم يحييها احد ، ولا يجوز إقطاع أرض هي على ملك مسلم ، أو

معاهد ، اما مقاييس منح القطائع فترك لاجتهاد الامام . ولا يجوز الإقطاع في أرض الخراج (44) .

من هنا فإن مفهوم الإقطاع في صدر الإسلام لم يكن نظاماً ، او مفهوماً سائداً في ملكية الأرض. فقد بدأ إقطاع دور أو قطائع من الأرض لبناء الدور ، إلا أن هذا المفهوم قد عرف تجارب تطبيقية مختلفة ، أي أنه تعرض للتطوير بحسب طبيعة النظام السياسي القائم ، وحسب البيئة الجغرافية (45) .

وإذا كان الإقطاع في صدر الإسلام إقطاع من أرض الصوافي ومن الأرض الموات ، الا انه في العهد الأموي بدأت عملية التحول ، حيث اصبحت تمنح الإقطاعات من أراضي الخراج ، بل ووقع الاستيلاء حتى على أراضي الوقف . واستمر ذلك في أيام الامويين والعباسيين . وفي هذه المرحلة برز نوعان من الإقطاع : إقطاع تملك وإقطاع استغلال . ومنذ العصر البويهي مروراً بالعصرين السلجوقي والمملوكي برز مفهوم جديد للإقطاع هو "الإقطاع العسكري" (46). واقتربت ظاهرة الإقطاع العسكري باستيلاء العسكر على أملاك الدولة ، بل وعلى املاك الرعية، وشكلت ظاهرة اقتصادية اجتماعية مهيمنة على مدى قرون طويلة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي .

من كل ما تقدم نستنتج أن الإقطاع في المجتمع العربي الإسلامي ليس سوى ظاهرة اقتصادية اجتماعية مهيمنة. وشتان ما بين هذه الأخيرة، ونمط الإنتاج الإقطاعي الذي له سماته الخاصة وديناميته الداخلية التي لا يمكن تلخيصها في ظاهرة اقتصادية وان سادت .

من هنا فمن الخطأ الحديث بأن مفهوم الإقطاع في المجتمع العربي الإسلامي يتطابق والنظام الإقطاعي والذي عاشه المجتمع الأوروبي . فهذا الأخير يعكس نظاماً متكاملاً وقاعدته الأساسية طبقة اجتماعية برزت بعد أن تطور المجتمع الأوروبي وأفرزها على أنقاض طبقة اخرى .

أما محاولة اطلاق صفة نمط الإنتاج الأسيوي⁽⁴⁷⁾ على ظاهرة الإقطاع في المجتمع العربي الإسلامي. فإنه يمكن القول هنا أن ماركس حين أطلق مفهوم نمط الإنتاج الأسيوي فإنه لم يتعمق في دراسة هذا النمط ، وتحليل سماته ، ولا حقاً وقع تحريف للمفهوم من انصار المدرسة الماركسية السوفتية واستمر محل خلاف وجدل بين الباحثين الماركسيين .

من هنا فإن هذا المفهوم ليس حكماً يبني عليه ، وليس مرجعاً يدعم او يدحض وجهة نظر ما في دراسة تاريخ تطور المجتمعات الأسيوية ناهيك عن المجتمع العربي الإسلامي .

وإذا كان انجلز قد استنتج بأن غياب الملكية الفردية على الأرض هو حقاً كل الشرق ، وفيه تاريخه السياسي والديني ، ثم يتساءل لماذا لم يصل الشرقيون إلى طور الملكية على الأرض ولا حتى في شكلها الإقطاعي⁽⁴⁸⁾ ؟ فكيف يطلق الباحثون العرب المتمركسين على المجتمع العربي الإسلامي صفة المجتمع الإقطاعي في الوقت الذي لم يصل طور الملكية على الأرض في هذا المجتمع ولا حتى في شكلها الإقطاعي كما يقول انجلز !

في السياق ذاته فإن وصف العلاقات الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي بأنها علاقات اجتماعية قائمة على الانتاج الرأسمالي الصناعي ، وان هذا المجتمع قد شهد ظهور طبقة رأسمالية تجارية صناعية مبكرة.

أن هذا الاستنتاج بني على ظاهرة تراكم الرأسمال التجاري في عدد من المدن العربية وعلى وجه الخصوص في القرنين الرابع والخامس الهجري . أن تراكم رأسمال تجاري في ظل اقتصاد طبيعي لا يعني ميلاد نمط إنتاج رأسمالي ناهيك عن نمط إنتاج رأسمالي صناعي.

ونقف في الاخير امام مسألة تفسير الصراع الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي واشكال تحركه كصراع طبقي تغذية وتحركة عوامل اقتصادية .

في هذا الإطار نجد أن المجتمع العربي الإسلامي بني بشكل كامل على رافعتي الدين والعصبية القبلية ، ولم تتطور فيه اشكال الانتاج وادواته بحيث تؤدي إلى نشوء الوعي الطبقي . لذلك لا يمكن تفسيره بمقولة الطبقة والصراع الطبقي ، أو بالعوامل الاقتصادية . فنمط الاقتصاد المسيطر على بنية المجتمع العربي الإسلامي هو النمط الطبيعي الذي لم يرتق فيه ليقوم بدور العامل المحدد لمعظم التغيرات والتطورات والصراعات المصاحبة للبنية الاجتماعية كما هو الحال في البنية الاجتماعية الرأسمالية⁽⁴⁹⁾.

أن الشروط التي تسمح بتفسير الصراعات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع العربي الإسلامي استناداً إلى العوامل الاقتصادية ليس بشروط هذا المجتمع ولا تعبر عنه، بل ولا تعكس خصائصه ، فهو مجتمع ذو بني قبلية تحتل فيه العصبية القبلية والدين الموقع المحوري ، وهما المصدر المحرك للصراعات الاجتماعية في هذا النمط التاريخي الاجتماعي من المجتمعات .

من هنا فإن الصراع الاجتماعي يحمل طابعاً عصبياً قلوباً ودينياً وليس طبقياً . كما ان العلاقات الاجتماعية في هذا النمط من المجتمعات ذات البنى القبلية والتكوينات العشائرية تغيب فيه علاقات القرابة والنسب العلاقات القائمة على أسس اقتصادية وطبقية⁽⁵⁰⁾ . لذلك كله فإن تفسير اسباب الصراعات الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي واشكال تحركها كصراعات طبقية تغذيها وتحركها عوامل اقتصادية لا تعبر عن خصائص وتكوينات ذلك المجتمع التاريخية والاجتماعية ، ولا عن حياته الاقتصادية .

في ضوء ما تقدم نجد ان التشخيص المادي التاريخي قد اخفق في تقديم صورة حقيقة وموضوعية عن الواقع الاقتصادي - الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي . حيث حفل بجملة من الاحكام الخاطئة والتناقضات الواضحة واثبت اصحابه افتقارهم الشديد للمعلومات التاريخية والحقائق المعرفية المتصلة بذلك الواقع . واصرارهم على إقامة تشابه بين واقعنا العربي الإسلامي وأوروبا القروسطية . كما ان ذلك التشخيص يعوزه التعرف بدقة على التجربة التاريخية للمجتمع العربي الإسلامي . فهو لم ينطلق من معطيات تاريخية حضارية ، بل غلب عليه الطابع النظري التخميني. فإذا بنا أمام صورة

تاريخية خيالية لا تمت بصلة بالواقع التاريخي العربي الإسلامي ، ولا تعبر عن خصائص تكويناته التاريخية الاجتماعية بل ويتناقض معها

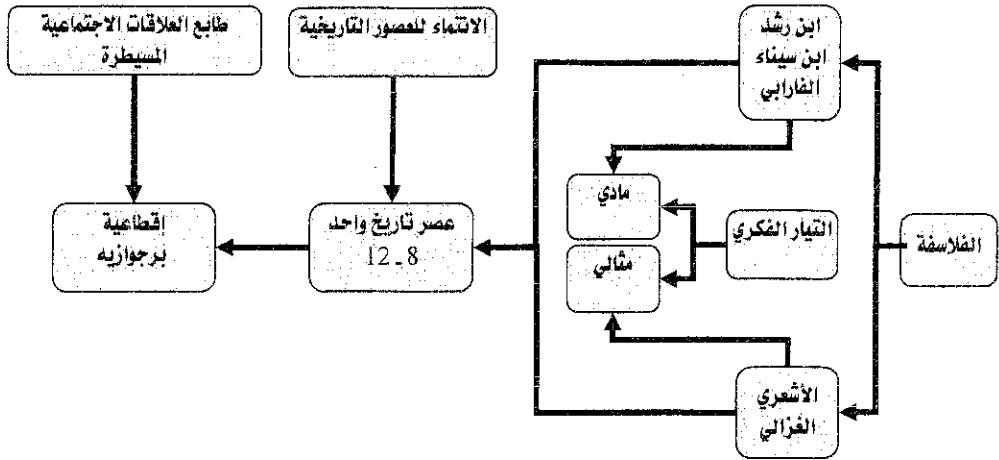
في ظل التشخيص الخاطئ للواقع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي فإن الأسئلة التي تتبادر في هذا السياق هي كالاتي : ما الانعكاسات المترتبة من ذلك التشخيص على مسألة تقييم وتصنيف تاريخ تطور الفكر العربي الإسلامي، وكيف تجلت مظاهر التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي ؟
ج) التشخيص المادي التاريخي وانعكاساته على مسألة تقييم وتصنيف تاريخ تطوّر الفكر العربي الإسلامي..-

حفل التشخيص المادي التاريخي لتاريخ تطور المجتمع العربي الإسلامي بجملة من الأحكام الخاطئة والتناقضات الواضحة . وإذا كان دعاة التفسير المادي التاريخي ينطلقون في تقييم وتصنيف تاريخ تطور الفكر في ضوء النتائج المترتبة من تشخيص واقع تطور المجتمع ، فإن تشخيصهم الآنف الذكر والحافل بالأحكام الخاطئة ، لا شك في ان له انعكاسات واضحة ومباشرة على مسألة تقييم تاريخ تطور الفكر العربي الإسلامي، وتصنيف المواقف النظرية والفكرية لفلاسفته وفرقه ومدارسه والتي يمكن رصدها على النحو الآتي:-

أولاً : قادت الأحكام الخاطئة والتناقضات الواضحة المرتبطة بقضية تحديد أنماط المجتمعات، أو التشكيلات الاجتماعية، التي ظهرت في سياق عملية التطور التاريخي الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي ، للوقوع في أحكام خاطئة وتناقضات واضحة تتعلق بمسألة تحديد نمط المجتمعات، أو التشكيلات الاجتماعية التي ينتمي إليها هذا الفيلسوف، أو تلك المدرسة الفكرية، وكما هو مبين في الشكل رقم (1):

الباحث	أنماط المجتمعات (التشكيلات الاجتماعية)	الفيلسوف (المدرسة الفكرية)
حسين مروة	المجتمع الإقطاعي	المعتزلة
توفيق سلوم	المجتمع العبودي	المعتزلة
حسين مروة	المجتمع الإقطاعي	ابن خلدون
طيب تيزني	المجتمع الرأسمالي التجاري الصناعي	ابن خلدون

ثانياً: قادت مسألة الخلط بين العصور التاريخية إلى إدراج فلاسفة ينتمون لعصور تاريخية مختلفة، في عصر تاريخي واحد. وكشفت عن حالة عجز معرفي تتعلق بمسألة التمييز بين المراحل التاريخية المختلفة للتاريخ العربي الإسلامي من جهة، وأحكام خاطئة بصدد طابع العلاقات الاجتماعية المسيطرة على تلك المراحل التاريخية من جهة ثانية. وكما هو مبين في الشكل رقم (2).



يمكن القول هنا إن الفلاسفة الأنفي الذكر ينتمون لعصور تاريخية مختلفة، كما أن شروط التطور التاريخي - الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي لا تفقد بإتجاه ظهور أنماط من المجتمعات وما يصاحبها من تكوينات اقتصادية وعلاقات اجتماعية كالإقطاعية والبرجوازية، ناهيك عن سيطرة نوعين من العلاقات الاجتماعية على عصر تاريخي واحد كالإقطاعية والبرجوازية معاً. وهذا ما يتناقض واجتديت التحليل - الاجتماعي لتاريخ تطوّر المجتمعات وفقاً للمنظور الماركسي نفسه.

المرحلة التاريخية	الفيلسوف
(950-872م)	الفارابي
(1036-980م)	ابن سينا
(941-873م)	الأشعري
(1111-1059م)	الفزالي
(1198-1126م)	ابن رشد

ثالثاً: قاد التشخيص الخاطئ لطابع التطور التاريخي - الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي إلى النظر للفكر الإسلامي كشكل فكري نتاج لشكل اقتصادي. أي مجرد فكر نما على قاعدة مادية معينة وترعرع في أطر اقتصادية-اجتماعية، وكما هو مبين في الشكل رقم (3)

الشكل الاقتصادي - الاجتماعي	الشكل الفكري
العبودية	المعتزلة
الإقطاع	الأشاعرة
الإقطاع	الفلسفة العربية الإسلامية
الرأسمالية - التجارية الصناعية	فكر ابن خلدون

رابعاً: قاد التشخيص الخاطئ لطابع البنية الاجتماعية للمجتمع العربي الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي بإعتبارها بنية اجتماعية قائمة على الإنتاج الرأسمالي التجاري الصناعي، إلى الإستنتاج بأن فكر ابن خلدون حصيلة التقدم الرأسمالي المبكر، وأن ابن خلدون قد توصل في القرن الرابع عشر الميلادي إلى أن أسلوب الإنتاج المادي هو الذي يحدد السمة الجوهرية لتطور أي مجتمع إنساني، كما أنه قد استطاع أن يطرح قضية الوجود طرحاً مادياً تاريخياً في إجماله وعمومه.

التشخيص المادي التاريخي لطابع البنية الاجتماعية للمجتمع العربي الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي	مفاهيم ابن خلدون لدراسة المجتمع الإسلامي في ضوء التصور المادي-التاريخي	طبيعة العلاقات الاجتماعية في ضوء مفهوم أسلوب الإنتاج المادي
بنية اجتماعية قائمة على أسلوب الإنتاج الرأسمالي التجاري الصناعي	أسلوب الإنتاج المادي، تحصيل المعاش المادي	علاقات اجتماعية ذات مضمون طبقي.

إذا نظرنا إلى مفهوم أسلوب الإنتاج المادي، سنجد أنه مفهوم معاصر يرتبط بالنظرية الماركسية حول التشكيلات الاقتصادية - الاجتماعية. ولقد اكتسب هذا المفهوم

موقعه في التحليل النظري الماركسي بفضل النقد الذي وجهته الماركسية للبنية الاجتماعية للرأسمالية ، والذي كان هدفه البحث في طبيعة العلاقات الاجتماعية الرأسمالية كشرط أساسي لبلورة المفاهيم الاقتصادية وإنتاجها ومن ضمنها مفهوم أسلوب الإنتاج المادي . في حين أن بنية المجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط وطبيعة علاقاته الاجتماعية ليست سوى بنية اجتماعية عشائرية - قبلية يلعب عاملي العصبية والدعوة الدينية دوراً رئيسياً في تحديد نمط علاقاتها وصراعاتها الاجتماعية. ففي حيز عاملي العصبية والدعوة الدينية يمكن البحث عن الدوافع الأساسية المحركة للتطور الاجتماعي التاريخي، لا في أسلوب الإنتاج المادي. فهذا المفهوم لا يمكن أن يتبلور نظرياً في عصر ابن خلدون، لغيب الشروط المادية لحضوره كمفهوم والمتمثل هنا بالبنية الاجتماعية الرأسمالية. ثم أن مفاهيم العصبية والدعوة الدينية تعد أقرب إلى طبيعة العمران وشروطه في عصر ابن خلدون وتعكس خصائصه الاجتماعية والتاريخية، وتعبّر عن عمق التحليل العلمي الخلدوني لذلك الواقع وقدرته على النفاذ في أعماق بناه الاجتماعية وإنتاج خطاب عقلائي وواقعي عنه.

طابع البنية الاجتماعية للمجتمع العربي الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي	مفاهيم ابن خلدون لدراسة المجتمع العربي الإسلامي .	طبيعة العلاقات الاجتماعية في ضوء مفاهيم العصبية والدعوة الدينية
بنية اجتماعية ذات تكوينات قبلية - عشائرية	العصبية ، الدعوة الدينية المعاش	علاقات اجتماعية تقوم على مبادئ القرابة والنسب

خامساً: قاد التشخيص الخاطئ للمجتمع العربي الإسلامي واعتباره مجتمعاً طبقياً إلى تفسير آراء واجتهادات مختلف الفرق والمدارس الفكرية المكونة للفكر العربي الإسلامي بأنها تعبر عن مواقف طبقية وتعكس كل منها فكر هذه الطبقة أو تلك وكما هو مبين في الشكل رقم (4)

فكر الطبقات المسيطرة الحاكمة	فكر الطبقات المناهضة لفكر الطبقات الحاكمة
الجبرية	التقديرية
أهل الحديث	أهل الرأي
الفكر الغيبي اللاعقلاني	الفكر الفلسفي العقلاني .

نقد توقفنا في الفقرة (ب) بالتحليل والنقد أمام التشخيص المسادي التاريخي وأوضحنا أن المجتمع العربي الإسلامي بني على عاملي الدين والعصبية، ولم تتطور فيه أشكال الإنتاج وأدواته، بحيث تؤدي إلى نشوء الطبقات والوعي الطبقي. لقد كان الإنتاج يدائياً ضعيفاً، والعلاقات القائمة على النسب أو في معناه الطاغية على الروابط الاقتصادية، لذا لا يمكن تشخيصه بمقولات الطبقة، والصراع الطبقي والوعي الطبقي، وبالتالي فإنه من الخطأ المنهجي والنظري أن يتم تفسير اجتهادات وآراء مختلف الفرق والمدارس الفكرية المكونة للفكر العربي الإسلامي، واعتبارها تعكس فكر هذه الطبقة أو تلك، أو أنها تجسد وتعبر عن مواقف طبقية، ومنذ متى كانت الجبرية شكل فكري يعبر عن فكر الطبقة الحاكمة! وفي هذا السياق نتساءل ماذا عن ظاهرة المفكر الجبري الجهم بن صفوان ونهجه المماثل لجبرية (الطبقة الحاكمة) الحكم الأموي، وقتاله حتى الموت في ثورة بن سريج المناهضة للأمويين؟ ثم ما القوى الطبقيّة التي تعبر عنها القدرية؟ ومتى كان المجتمع العربي الإسلامي في القرن الثامن الميلادي يتكون تكوناً طبقياً؟! وكيف يكون اختلاف الرأي والاجتهاد بين أهل الرأي وأهل الحديث أثراً من آثار الصراع الطبقي؟! وكيف لإخوان الصفا أن ينطلقوا في فلسفتهم الاجتماعية من نظرة طبقية! وابن الشرط المسادي والمتمثل بالبنية الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية القائمة على الروابط الاقتصادية، والتي تساعد على بلورة النظرة الطبقيّة لدى إخوان الصفا؟ ومتى كان العقل وكانت العقلانية حكرًا على الطبقات المناهضة لحكم الطبقات الحاكمة وتعبيراً عنها؟

إن العقل الإسلامي واحد، وعقلانية ابن رشد وابن خلدون هي نفسها عقلانية الطبقة الحاكمة. والفكر العربي الإسلامي ذوبية واحدة مع تعدد الاجتهادات النظرية التي لا تخرج عن ثابتة الأساس وهو التوحيد. ولا مجال للحديث هنا عن وجود نمطين من الفكر العربي الإسلامي أحده غيبي لا عقلائي تختص به الطبقات الحاكمة، وآخر عقلائي تختص به الطبقات المناهضة لحكم وفكر الطبقات الحاكمة. انه معيار تبسيطي للتصنيف مع ظاهرة بالغة الخصوصية والتمايز كالفكر العربي الإسلامي والذي تم اخضاعه لمواصفات تصنيف تسلبه خصوصيته. فالحقل التاريخي - الاجتماعي لذلك التصنيف ليس حقل التاريخ العربي الإسلامي، بل هو حقل التاريخ الأوربي وفقاً للمنظور الماركسي

حيث لكل طبقة اجتماعية سماتها الخاصة ، وقواها الطبقيّة المعبر عنها ، ولها فكرها وفلسفتها التي من خلالها تخوض غمار صراعاها الفكري مع الطبقات الأخرى. إنها قراءة لتاريخ الغرب الأوروبي ولدورات صراعه الاجتماعي والفكري ثم اسقاطها بعناية على التاريخ العربي الإسلامي ، في محاولة لإنتاج معرفة بتاريخ الفكر العربي الإسلامي . وإذا بنا أمام تشخيص لمجتمع آخر لا يشبه مجتمعنا العربي الإسلامي وواقع لا يعبر عن واقعنا التاريخي بتكويناته التاريخية والاجتماعية ، وإنتاج لمعرفة زائفة بترائنا الفكري .

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال قيامنا بتحليل عملية إنتاج المعرفة التراثية ، والكشف عن مضمونها ورصد أبعادها ، مدى إخفاق دعاة التفسير المادي التاريخي من إنتاج معرفة علمية بالتراث الفكري العربي الإسلامي. ولقد كشف لنا ذلك من خلال عجز دعاة التفسير المادي التاريخي عن تقديم تحليل علمي موضوعي حول العلاقة النسبية التي ربطت بين حركة تطور المجتمع العربي الإسلامي وحركة تطور الفكر العربي الإسلامي ، فإذا بنا نشهد بطبقيّة الفكر العربي الإسلامي ، وبالصراعات الفكرية ذات الأبعاد الطبقيّة بين مختلف الفرق والمدارس الفكرية والكلامية ، وبصراع المعرفة الدينية والمعرفة الفلسفية العقلانية .

ولقد كان للمرتكزات الفكرية للتفسير المادي التاريخي تأثيراً واضحاً في أسلوب النظر وطرائق التفسير والتحليل لمراحل تطور تاريخ الفكر العربي الإسلامي حيث اضحت الفرق الكلامية والمدارس الفكرية مجرد أشكال فكرية نتجت عن أشكال اقتصادية - اجتماعية.

وستظل قضية إنتاج معرفة علمية بالفكر والتراث العربي الإسلامي قائمة ، وتؤرق الباحثين في حقل الدراسات السوسيو - معرفية . وفي ظل الغياب الواضح لنظرية سوسيو - تاريخية في التاريخ العربي الإسلامي فإنه من الصعوبة بمكان الإمساك الحقيقي بناصية العلاقة النسبية التي تربط بين حركة تطور المجتمع العربي الإسلامي ، وحركة تطور الفكر العربي الإسلامي. ومالم تتضافر جهود الباحثين العرب وتنصب باتجاه

تأسيس مثل هذه النظرية ، فإن انتاج المعرفة العلمية بالتراث ليست وحدها الإشكالية ، بل وتكوين وعي علمي به ورؤية عقلانية حوله.

نتائج البحث

- كشف البحث عن اخفاق التفسير المادي التاريخي من انتاج معرفة علمية وموضوعية بالتراث الفكري العربي الإسلامي فالمعرفة المنتجة لا تعبر عن المضمون المعرفي للتراث الفكري العربي الإسلامي .
- بين البحث إخفاق التشخيص المادي التاريخي من انتاج معرفة علمية وموضوعية بالواقع الاقتصادي-الاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي. فهو لم ينطلق من معطيات تاريخية حضارية، بل غلب عليه الطابع التأملي التخميني النظري الذي يعوزه التعرف بدقة على التجربة التاريخية للمجتمع العربي الإسلامي. ولما كان الفكر في المجتمع يتطبع بواقع ذلك المجتمع، فإن ما انتجه التفسير المادي التاريخي من فكر هو فكر لمجتمع آخر يحكمه نمط انتاج خاص، ويسوده نمط حضاري معين وذلك هو المجتمع الأوروبي .
- أظهر البحث أن التفسير المادي التاريخي لم ينطلق من الحقل السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كان يتحرك ضمنه الفكر العربي الإسلامي بل قام بإخراج الفكر العربي الإسلامي من سياقة التاريخي ، ووضع في سياق تاريخي آخر ، وعالجه بمنهجية وآلية تتناقض مع الملابسات الاجتماعية التي نشأ وتطور في ظلها ، ومع نظامه المعرفي . وهكذا شهدنا بظبقية الفكر العربي الإسلامي ، وبتياراته المادية وبحلقات الصراع الفكري الطبقي التي خاضته مدارسه الفكرية بالإنبابة عن الطبقات الحاكمة أو الطبقات المناهضة لها.
- بين البحث أن التفسير المادي التاريخي للتراث الفكري العربي الإسلامي قام بعملية اسقاط لتاريخ الغرب الأوربي ودورات صراعه الفكري والاجتماعي على التاريخ العربي الإسلامي ممثلاً بصراع المعرفة الدينية الإسلامية والمعرفة الفلسفية العقلانية ، الفكر اللاهوتي، والفكر العقلاني ، عقلانية فكر الطبقات

- المناهضة للحكم، ولا عقلانية فكر الطبقات الحاكمة، صراع التيارات المادية والمثالية في تاريخ الفكر العربي الإسلامي .
- كشف البحث أن الخلفية الفلسفية الثاوية وراء التفسير المادي التاريخي تركت آثاراً واضحة على مستوى المعرفة التي انتجها ذلك التفسير. فعدت معرفة تنتمي لتراث آخر غير التراث الفكري العربي الإسلامي.
- بيّن البحث دور المرتكزات الفكرية للتفسير المادي التاريخي وتأثيرها في عملية التصنيف والتقييم الخاطئ لتاريخ الفكر العربي الإسلامي ولفرقه ولمدارسه الفكرية.

التوصيات

يرى الباحث أن إنتاج معرفة عملية بالتراث الفكري العربي الإسلامي يستوجب الوعي بالسياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي تبلور من خلالها الفكر العربي الإسلامي.

ومن هنا يوصي الباحث بضرورة تضافر جهود الباحثين العرب لتأسيس نظرية سوسيو - تاريخية في تاريخ تطور المجتمع العربي الإسلامي تنبثق من موقع النظر والبحث والتحليل في واقع وخصوصية التكوينات التاريخية والاجتماعية لذلك المجتمع ، وتشكل قاعدة تبنى في ضوء مفاهيمها ومقولاتها الكثير من الابحاث والدراسات التي تتناول التاريخ الفكري والثقافي والاجتماعي للمجتمع العربي الإسلامي.

كما يوصي الباحث بضرورة تشجيع الأبحاث التي تتناول تاريخ تطور الفكر العربي الإسلامي من منظور سوسيو - معرفي ، أي دراسة الفكر في ظل الترابطات التي تجمعها بالمستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وبذلك نستطيع تأسيس معرفة علمية بتراثنا وتاريخنا الفكري .

الهوامش

- (1) لمزيد من التفاصيل إنظر : محمود إسماعيل ، سوسيو لوجيا الفكر الإسلامي ، الدار البيضاء، 1980 .
- (2) لمزيد من التفاصيل إنظر: تركي علي الربيعو ، النص والحقيقة. قراءة في بعض الأجهادات العربية الحديثة . مجلة التسامح . العدد (6) سلطنة عمان . 2004م .
- (3) لمزيد من التفاصيل إنظر : إدريس هاتي ، مشكلة التراث وعزلة المنهج ، في كتاب العرب والغرب . بيروت . 1998م
- (4) العمري اكرم ضياء 1985، التراث والمعاصرة ، الدوحة ص 25، 26
- (5) القرآن الكريم (وتآكلون التراث اكلاً لما الآية 15) سورة الفجر.
- (6) هاتي ، ادريس 1998م ، العرب والغرب أيه علاقة أي رهان بيروت ص 189.
- (7) العمري ، اكرم ضياء . التراث والمعاصرة ، المصدر السابق ص 29.
- (8) عبدالحافظ ، مجدي 1997. جمال الدين الإفغاني وإشكاليه العصر، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ص 30 .
- (9) وقيدي ، محمد 1990، النظرية الفلسفية ، دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة ، بيروت ص 188 .
- (10) تيزني ، طيب 1989، في السجال الفكري الراهن ، حول بعض قضايا التراث العربي منهجاً وتطبيقاً . بيروت ص 71 .
- (11) وقيدي . محمد 1990، النظرية الفلسفية ، مصدر سابق ص 188.
- (12) انظر على سبيل المثال لا الحصر : ادونيس ، الثابت والمتحول 1974م
- (13) محمد الجابري : نحن والتراث 1990 ، حسين مروة ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، 1978م
- طيب تيزني ، مقدمات في الاسلام المحمدي الباكر، 1994 ، عبدالله العروي : الايديولوجية العربية المعاصرة ، 1980م.
- (14) المادية التاريخية : نظرية المجتمع الماركسية وهي نظرية سيوسولوجية فلسفية ومنهجية في الوقت ذاته. وهي تدرس المجتمع والحياة الاجتماعية كسيرورة واحدة متكاملة ، وضعها ماركس (1818-1883) وانجلز (1820-1865).
- (15) تيزني طيب. 1989: في السجال الفكري الراهن ، مصدر سابق ص 177-178 .
- (16) مروة حسين. 1988: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية الجزء الاول . بيروت . ص 6.
- (17) التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية: احدى المفاهيم الاساسية التي تستخدمها النظرية الماركسية لتحديد المرحلة التي يعيشها المجتمع أثناء تطوره التاريخي ، وفقاً للمنظور الماركسي لعملية التطور التاريخي فان المجتمعات الانسانية تمر بخمس مراحل تاريخية إي خمس تشكيلات اقتصادية اجتماعية (مشاعية ، عبودية ، اقطاع ، رأسمالية اشتراكية). ولكل تشكيلة من هذه التشكيلات خصائصها وتكويناتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.
- (18) مروة حسين 1988م ، النزعات المادية.. مصدر سابق ص (20).
- (19) الصراع الطبقي : هو مفهوم تستخدمه المادية التاريخية ، يقترن وجوده بوجود الطبقات التي يتكون منها المجتمع حيث يتحدد موقع الطبقة بمقدار ملكيتها وعدم ملكيتها لوسائل الإنتاج (قطع الأرض)، وينشأ

الصراع الطبقي بين كلاً من الطبقات المسيطرة على ملكية وسائل الانتاج والطبقات المناهضة لتلك السيطرة ، ويعد الصراع اجتماعياً أسبابه اقتصادية وهو القوى المحركة للتاريخ والتطور الاجتماعي وفقاً للمنظور الماركسي .

(20) أسلوب الإنتاج المادي : وهو مفهوم تستخدمه المادية التاريخية لوصف أسلوب معين لنشاط أفراد معينين وشكل معين لنشاطهم الحيوي وكما يكون نشاط الأفراد الحيوي كذلك يكونون هم أنفسهم . فكل ما يمثلونه رهن بالظروف المادية لإنتاجهم .

(21) القدرية : ويعود ظهورها لفترة الممتدة بين النصف الأول والنصف الثاني من القرن الأول الهجري وتقوم قاعدتها النظرية على فكرة حرية إرادة الإنسان ومسئولته عن أفعاله . ومن المسائل التي دار حولها الجدل مسألتي (المشيئة) إرادة الله ، (والإستطاعة) قدرة الأئسان على الفعل بأختياره . ومن أشهر رجال القدرية عمرو المقصوص ، ومعبد الجهني ، وغيلان الدمشقي .

(22) المعتزلة : وتعني بها تلك المدرسة الفكرية ذات النزعة العقلية والتي نشأت على يد أبو الحسن البصري وواصل بن عطاء في البصرة . ولهذه المدرسة رؤيتها وإجتهادها وتفسيرها للعديد من المسائل ذات الصلة بالفكر والعقيدة الإسلامية كمسائل التوحيد وخلق القرآن ، مسألة رؤية الله وصفاته .

(23) مروة حسين 1988: النزعات المادية .. الجزء الثاني . مصدر سابق ص713.

(24) حركة الجبرية : وهي الحركة المقابلة للقدرية ، وغلب عليها أسم الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان . وفي موقفها من قضية حرية أختيار الأئسان لأفعاله فالأئسان مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا أختيار ، إنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه . وللجبرية موقفاً وتفسيرها للعديد من المسائل مثل صفات الله ، الخلود ، الحسن والقيح ، مسائل علم الله ورؤية الله .

(25) أهل الرأي وأهل الحديث : مدرسة أهل الرأي من المدارس الفقهية التي أجتهدت بالرأي وإعمال القياس في قضايا التشريع ، ظهرت أواسط القرن الأول للهجرة ومن أشهر رجالها عبدالله بن مسعود ، وأبا حنيفة النعمان . أما مدرسة أهل الحديث فهي من المدارس الفقهية التي نشأت في الحجاز ومن أشهر رجالها الأمام مالك .

(26) مروة حسين . 1988. النزعات المادية . الجزء الثاني . بيروت ص 326.

(27) مروة حسين : النزعات المادية .. الجزء الأول ص (590 - 591).

(28) علم الكلام : وهو علم له مفاهيمه ومقولاته ومسائله التي تعني بدراسة أصول العقيدة الإسلامية . ولقد نشطت حركة التأليف في علم الكلام منذ منتصف القرن الثامن الميلادي ، وتعد مسائل العدل والصفات ومفهوم الإيمان وعلاقته بالعقل من مسائل هذا العلم .

(29) مروة حسين 1988: النزعات المادية : الجزء الأول ص 881.

(30) مروة حسين 1988: النزعات المادية .. الجزء الثاني ص 332.

(31) مروة حسين : النزعات المادية .. الجزء الثاني مصدر سابق ، ص 333.

(32) مروة حسين : النزعات المادية .. الجزء الثاني مصدر سابق ص 380 - 381.

(33) مروة حسين: النزعات المادية .. الجزء الثاني مصدر سابق ص707.

(34) مروة حسين : النزعات المادية . الجزء الثاني. المصدر السابق . ص 708-709 .

- (35) تيزني طيب 1988: في السجل الفكري الراهن .. المصدر السابق ص 179 .
- (36) تيزني طيب : في السجل الفكري الراهن . المصدر السابق ص 173 .
- (37) تيزني طيب : من التراث إلى الثورة : حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي . دمشق . ص119 .
- (38) سلام رفعت 1989: بحثاً عن التراث العربي . نظرية نقدية منهجية . بيروت . ص161 .
- (39) تيزني طيب 1974: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط . دمشق . ص124 .
- (40) سلوم توفيق : نحو رؤية ماركسية للتراث العربي . ص182 .
- (41) المصدر السابق . ص182 .
- (42) زكريا، خضر 1989. النظريات الاجتماعية المعاصرة . ج¹ . دمشق ص 54 .
- (43) زكريا خضر: المصدر السابق ص 55 .
- (44) الجنحاني. الحبيب 2005 المجتمع العربي الاسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية. الكويت ، ص83-84 .
- (45) الجنحاني الحبيب: المصدر السابق . ص60 .
- (46) الجنحاني الحبيب: المصدر السابق ص 242 .
- (47) الإقطاع العسكري : ويعني ذلك تنازل الدولة لفائدة المقطع ليجمع الخراج من منطقة إقطاعه ليعطي منه جزء بعنوان أرزاق الجند ، ويعود إليه الباقي ، وقد يعفى من دفع العشر ، أو لا يطالب فيها بدفع أي شيء في حالات كثيرة . وقد ارتبط الإقطاع العسكري بظاهرة التحول الحاصل في تركيب جيش الخلافة ابتداء من عهد المعتصم (218 - 227هـ) .
- (48) نمط الإنتاج : هو مفهوم تستخدمه المادية التاريخية لتصف وضع الإنتاج الاجتماعي في أشكال محددة تاريخياً تتكون في إطارها علاقات الناس بعضهم البعض "علاقات الإنتاج" وعلاقتهم بالطبيعة " قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج" " وقوى الإنتاج تشكل الشرط الضروري لوجود أي نمط من الإنتاج .
- أما بالنسبة لنمط الإنتاج الآسيوي فهو مفهوم استخدمه ماركس لمحاولة فهم طبيعة المجتمع الهندي والمجتمع الجزائري وأتضح له أن نمط الإنتاج فيها بعيد كل البعد عن نمط الإنتاج "الإقطاعي" في البلدان الأوروبية الذي يقوم على الملكية الخاصة للأرض. في حين يتميز الشرق بغياب الملكية الفردية على الأرض في شكلها الإقطاعي، حيث يرجع أنجلز ذلك إلى عوامل المناخ وطبيعة الأرض الصحراوية والسري الصناعي .
- (49) نقد ، محمد إبراهيم 2000 : في حوار حول النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ص42-43 .
- (50) عامل ، مهدي: 1990 في علمية الفكر الخلدوني. بيروت ص 76 .
- (51) الجابري ، محمد عابد 1984 إبن خلدون والفكر العربي المعاصر . تونس ص 396 .

المراجع

- الربيعو تركي على (2004): " النص والحقيقة، قراءة في بعض الاجتهادات العربية الحديثة. مجلة التسامح العدد 6 سلطنة عمان .
- اسماعيل محمود (1980) سوسيوولوجيا الفكر الإسلامي . الدار البيضاء.
- الجنحاني، الحبيب (2000). " المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية " الكويت.
- الجابري ، محمد عابد(1984) . " ابن خلدون والفكر العربي المعاصر" تونس .
- العمري، أكرم ضياء، (1985) . " التراث والمعاصرة " . الدوحة.
- تيزني ، طيب (1989) " في السجال الفكري الراهن. حول بعض قضايا التراث منهجيا وتطبيقا " . بيروت.
- تيزني طيب (1994). " مقدمات أولية في الأسلام المحمدي الباكر". دمشق .
- تيزني طيب (1970) " مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر " من التراث إلى الثورة : حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي " . دمشق .
- زكريا خضر (1989) " النظريات الاجتماعية المعاصرة . جامعة دمشق.
- سلام رفعت (1989) . " بحثاً عن التراث العربي نحو نظرة نقدية منهجية .. بيروت
- سلوم توفيق (1988). " نحو رؤية ماركسية للتراث العربي " بيروت.
- عامل مهدي (1990) . " في علمية الفكر الخلدوني . بيروت.
- عبد الحافظ مجدي (1997) " جمال الدين الأفغاني وإشكالية العصر . القاهرة.
- مروة حسين (1978). " النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية. بيروت.
- نقد محمد إبراهيم (2000) . " في حوار حول النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية . القاهرة.
- هاني أدريس (1998) . " العرب والغرب " . بيروت .
- وقيدي محمد (1990) " النظرية الفلسفية . دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة الرباط .



الخصائص المناخية لحماية عتمة الطبيعية



د. عبدالقادر عساج محمد^(*)

يعد المناخ من أهم العوامل المؤثرة في الظروف البيئية لأي منطقة إذ تشكل الدراسات المناخية الركيزة الأساسية لفهم البيئة التي يعيش فيها الإنسان وهي التي تحدد الإمكانيات المتاحة القابلة للاستغلال أو تلك التي يمكن استغلالها فيما لو توفرت الظروف البشرية الملائمة⁽¹⁾ ويتضافر عدد من العوامل الطبيعية والبشرية لتشكيل الظروف المناخية لأي مكان وبناء عليه يمكن أن تصنف العوامل المؤثرة على مناخ محمية عتمة إلى عوامل ثابتة تتمثل بالموقع - التضاريس - الغطاء النباتي - المسطحات المائية . وأخرى متغيرة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بخصائص الغلاف الجوي العامة ليس لمنطقة الدراسة فحسب بل لإقليم اليمن عموماً وعلى هذا الأساس ستبنى الدراسة على استقصاء أثر عاملي الموقع والتضاريس إذ لهما الدور الأساس في تشكيل مناخ منطقة الدراسة.

أولاً الموقع Location:-

تقع محمية عتمة الطبيعية في المنطقة الجنوبية الغربية من محافظة ذمار بين دائرتي 6 شمالاً وخطي طول 43.50 و 44.05 شرقاً⁽²⁾، يحدها من الشمال مديرتي ضوران والسلفية ومن الشرق مغرب عنس ومن الجنوب القفر وريمة ومن الغرب وصاب العالي وكسمة هذا الموقع الذي لا يتجاوز 15 دقيقة طويلاً وعرضاً يجعل التنوع المناخي

(*) رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة ذمار .

فيه شبه معدوم وتأثره بالظواهر الجوية بسيط جداً فينطبق عليه مناخياً ما ينطبق على اليمن كإقليم مناخي متنوع . إلا أن موقعها في المرتفعات جعلها تتميز بخصائص مناخية ينفرد بها الموقع الجغرافي للمرتفعات الغربية في الجمهورية اليمنية الذي يتلقى حركة الكتل الهوائية خاصة في فصلي الربيع والصيف التي إليها يعزى تساقط المطر في هذا النطاق من الجمهورية اليمنية .

ثانياً التضاريس Land form :-

تعد التضاريس أكثر العوامل الجغرافية تأثيراً على التباين المكاني لعناصر المناخ في منطقة الدراسة فعلى الرغم من صغر مساحتها إلا أن تنوع السطح فيها قد كشف ذلك التأثير فإن التوزيع الجغرافي لعناصر المناخ يأخذ شكلاً نطاقياً يتطابق مع حدود المظاهر التضاريسية على مناخ محمية عتمة في النواحي الآتية:

1- تمتد مظاهر السطح في منطقة الدراسة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وقد كان لهذا الامتداد دوراً هاماً في تدرج كمية الأمطار يتناسب مع ذلك التدرج في النبات الطبيعي واستغلال الأرض في المنطقة فتنمو فيها الحشائش شبيها بحشائش السفانا والأستبس وأحياناً مختلطة بالشجيرات والأشجار عالية الارتفاع أمثال الطنب والطوق والسدر وقد نجد مناطق شبه جافة إلى مناطق جافة شبيها بالنطاق الصحراوي إلى حد ما كلما اتجهنا شمالاً .

2- تتميز السفوح الواقعة على مساقط وادي زبيد بالانحدار السريع ما بين 2700 متراً على مستوى سطح البحر في المناطق العالية في الشمال الشرقي إلى 1800 متراً في سوق الثلوث ، 1400 متراً في الجنوب وأقل من ذلك حيث لا يزيد ارتفاع جبل القلعة عن 1280 متراً جنوب وادي مقعد أما السفوح الشمالية والشمالية الغربية فانحدارها يأخذ مساحة أوسع بين 2700 متراً في القمم العالية إلى 1400 متراً فوق مستوى سطح البحر في السطوح المطلة على وادي العرشة ووادي مظهر أما فسي النطاق الشمالي الشرقي فلا يقل الارتفاع عن 1600 متراً كما هو الحال في شقيرة ووادي كريفه ووادي الصافية وفي النطاق الشمالي الغربي يتدرج الارتفاع ليصل إلى 1800

متر في جبل النوبتين و 1200 متراً في سوق الاثنين وفي الأودية التي تصب في وادي رماع كذلك نلاحظ أن مصبات الأودية العليا في حوض وادي زبيد وخاصة تلك التي تقع عند الطرف الشرقي من المحمية تتميز بشدة انحدار السطوح المطلة عليها وهذا بدوره يؤثر على كمية الإشعاع الشمسي الذي تكتسبه هذه السفوح كما هو الحال في السفوح المطلة على وادي خبش والماجل والصرم .

3- توجد مرتفعات شاهقة في المحمية إذ تصل المرتفعات إلى أكثر من 2700 متراً كما هو الحال في جبل بره وقلعة سمة شرق المحمية وفي قلعة بني أسد في الميدان وجبل عتمة وجبل رازح جنوبي غربي المحمية وبتراوح ارتفاع السلسلة الجبلية في هذا النطاق ما بين 2200 و 2700 متراً فوق مستوى سطح البحر .

مناخ محمية عتمة :

مما تقدم يمكن تصنيف المناخ على أساس التضاريس في محمية عتمة على

النحو الآتي:-

نظراً لعدم وجود معطيات مناخية لمحمية عتمة وبعتماد ما تم تسجيله من معطيات خلال الدراسة الميدانية ومقارنتها بالمعطيات المناخية المسجلة لمناطق الجوار الجغرافي فقد حاول الباحث الاستفادة من تلك المعطيات بناءً على موقع المحطة من منطقة الدراسة وعليه فإن اعتماد هذه المعطيات قد أخذت اعتبارات أهمها.

1- وقوعها في النطاق الجغرافي نفسه لإقليم المرتفعات الغربية من اليمن .

2- صغر حجم مساحة التباين المكاني .

3 -التقارب في الارتفاع .

وعليه سنعتمد على معطيات محطة كتاب- يريم للمناطق المرتفعة من المحمية 2400 متراً فأكثر ومعطيات محطة رصابة للمناطق التي يقل ارتفاعها عن 2300 متراً فيما ستؤخذ محطة سمارة للمناطق التي يصل ارتفاعها إلى 1800 متراً ومحطتي العدين ورحاب للمناطق التي يصل ارتفاعها 1500 متراً فأقل وسنتناول تلك الخصائص على

النحو الآتي :-

أ) درجة الحرارة Temperature:

مما لا شك فيه أن موقع محمية عتمة متميز إذ يقع ضمن نطاق المرتفعات الغربية من اليمن التي تحظى بأعلى معدل للأمطار السنوية التي تسقط على اليمن خلال موسم الأمطار الذي يمتد ما بين أوائل الربيع إلى أوائل الخريف وبمراجعات سجلات الأرصاد الجوية ينضح أن النطاق الجبلي من البلاد يغلب عليه طابع الاعتدال في درجة الحرارة (3).

ففي المرتفعات العليا 2400 متراً فوق مستوى سطح البحر فإن درجة الحرارة تسجل 16.5م° كمعدل لأحر شهور السنة كما هو حال الحرارة في أغسطس آب ويونيو حزيران وقد تصل درجة الحرارة الصغرى في هذا النطاق إلى درجة التجمد في بعض الشهور كما هو الحال في شهر نوفمبر تشرين الثاني الذي سُجلت فيه أخفض درجة حرارة في هذا النطاق بلغت - 4.4م° أما معدل درجة الحرارة الصغرى سنوياً فلا تزيد عن 2.7م° في حين يصل معدل درجة الحرارة العظمى إلى 23م° هذه المعدلات تنطبق تقريباً على المرتفعات العالية في محمية عتمة كما هو الحال في الميدان وقلعة بني أسد والقمم العالية في جبل عتمة وجبل رازح وقمة جبل برة .

المناطق التي يتراوح ارتفاعها بين 2000-2300 متراً عن مستوى سطح البحر فتمثله محطة رصاصة كمنوذج لهذا النطاق إذ سجلت درجات الحرارة الصغرى ما بين واحدة في كانون الثاني يناير وتشرين الثاني نوفمبر في حين تراجعت إلى 0.1م° في كانون الأول ديسمبر الذي سُجلت فيه أخفض درجة حرارة في هذا النطاق ، ويبلغ متوسط معدل درجة الحرارة الصغرى 5.8م° في حين تسجل درجة الحرارة العظمى 26.3م° كمعدل سنوي بينما سجلت درجة حرارة أحر الشهور يونيو حزيران 29.8م° أما متوسط درجة الحرارة السنوي في هذا النطاق فلا تتجاوز أكثر من 16.1م° وهذا يتمثل في مناطق سوق الأحد والربيعة والمهالة وبني الغريب والجرن والدهوة .

وفي الارتفاع بين 1800-2000 متراً فوق مستوى سطح البحر تمثله محطة سمارة إذ نرى أن المعدل السنوي لدرجة الحرارة الصغرى لا يتجاوز 13.4م° في حين يكون المعدل السنوي لدرجة الحرارة العظمى يصل إلى 28.9م° والمعدل العام لدرجة

الحرارة السنوية 21.1م° ويلاحظ في هذا النطاق ارتفاع معدلات درجة الحرارة العظمى ليسجل شهر يونيو حزيران أعلى درجة حرارة إذ بلغت 33م° .
 وسُجلت أدنى درجة حرارة في شهر يناير كانون الثاني إذ لم تتجاوز 9.2م°
 وتنطبق هذه المعطيات إلى حد كبير على معظم مناطق محمية عتمة الواقعة في هذا الارتفاع كما هو الحال في سوق الثلوث وبيت سعدان وسد ثبة والماجل والصرم في النطاق الشرقي من المحمية وعزلة الربيعة في وسطها وبنى سويد وغيرها .
 أما الارتفاع بين 1400-1800 متراً فتمثله محطتي العدين ورحاب فقد سجل معدل درجة الحرارة الصغرى في هذا النطاق بنحو 14.6م° في حين سجل معدل درجة الحرارة العظمى 30.3م° . ولا يتجاوز المعدل السنوي لدرجة الحرارة 22.4م° لكلا المحطتين وقد سجل شهر يناير كانون الثاني أخفض درجة حرارة في هذا النطاق إذ لا تتجاوز 10.4م° ، في حين سجل شهر يونيو حزيران أعلى درجة حرارة شهرية وصلت إلى 33.4م° وينطبق هذا التوصيف الحراري على النطاق الواقع بين هذين الارتفاعين كما هو الحال في كيبيرة عتمة في الجنوب ووادي الغبابة في الشمال الغربي ووادي الصافية ووادي كريمة وشغيرة في الشمال والشمال الشرقي من المحمية ووادي النار وباب صباح في الجنوب الغربي من المحمية وكذلك ينطبق على بلاد الريمي جنوبي شرقي المحمية .
 ومما تقدم يتضح لنا أن التضاريس قد شكلت بصورة واضحة عنصر الحرارة في محمية عتمة إذ تبين أن هناك عدة نطاقات مناخية تخضع لمظهر التضاريس وهذا ما لمسناه في الرصد الميداني للمدة التي قضيناها في الطواف في جميع مناطق المحمية .

بـد الرطوبة النسبية Relative Humidity:

هي كمية بخار الماء الموجود فعلاً في الهواء قياساً إلى ما يمكن حمله من بخار الماء في درجة الحرارة نفسها ومقدار الضغط الجوي⁽⁴⁾ وتعد الرطوبة الجوية من عناصر المناخ المهمة ذات التأثير الكبير في نشاط الإنسان إذا ما صاحبها ارتفاع في درجات الحرارة وتؤثر الاختلافات الشهرية والسنوية لدرجة الحرارة في تباين كمية الرطوبة ولموسم الأمطار أثر كبير في زيادة نسبتها نتيجة لتكوين السحب المشبعة ببخار الماء

وللتضاريس دوراً مهماً في تحديد كميتها فكلما زاد الارتفاع عن مستوى سطح البحر قلت كمية الرطوبة النسبية والعكس صحيح .

ويلاحظ تباين كمية الرطوبة في محمية عتمة فنجدها منخفضة في القمم العالية فهي منخفضة فوق ارتفاع 2400 متراً بخاصة في أواخر الخريف إذ سجلت نسبتها 41% فقط وقد سجل شهر يونيو حزيران أقل كمية رطوبة في هذا النطاق إذ تراجعت نسبتها إلى 48% في أبريل نيسان و 49% في شهر أغسطس آب .

أما في الارتفاع بين 2000-2500 متراً فيلاحظ ارتفاع قيمة الرطوبة النسبية لتصل إلى 50% في شهر كانون الثاني يناير وتراجع بقوة في يونيو حزيران لتسجل نسبتها 27% في حين تعود لتتصعد مرة أخرى إلى 62% في شهر آب وتراجع مرة أخرى إلى 38% في أكتوبر تشرين الأول وفي الارتفاع ما بين 1800-2000 متراً نجد أن الرطوبة النسبية سجلت قيماً أعلى من سابقتها فقد سجل شهر يناير كانون الثاني أعلى نسبة رطوبة بلغت 66% فيما تراجعت في فصل الربيع إلى 57% في شهر مايو أيار و 56% في أوائل الصيف وتمائل شهر أغسطس آب مع يناير كانون الثاني في 66% وتراجعت في أكتوبر تشرين الأول ونوفمبر تشرين الثاني إلى 57% .

أما في الارتفاع تحت 1800 متراً فإن المعطيات المتعلقة بالرطوبة في هذا النطاق والمسجلة في المراجع التي اعتمدنا عليها هي نفس المعطيات للارتفاعات ما بين 2000 إلى ما دون 900 متر فوق مستوى سطح البحر (لعل مرد ذلك إلى اعتماد الباحثين على تطبيق نظام النطاق المناخي الواحد بغض النظر عن أثر التضاريس) إلا أن ما سجل في الدراسة الميدانية يؤكد الفرق الكبير في معطيات قيم الرطوبة النسبية وأثر التضاريس في تباينها إلا أن تلك التسجيلات قد اقتصرت على مرحلة زمنية ضيقة لا تمثل معطياتها مقياساً يعمل به .

ج- الأمطار Rainfall :-

تعد الأمطار من أهم عناصر المناخ ارتباطاً بحياة الإنسان في اليمن لأنها المصدر الوحيد لمياه الشرب وري المزروعات كما أنها تتحكم في عناصر البيئة المختلفة كالتربة ونوع الغطاء النباتي وكثافة ونوعية الثروة الحيوانية ووفرتها فضلاً عن دور

الأمطار في توزيع السكان - إذ يتركز سكان البلاد في المناطق غزيرة الأمطار - وتختلف كمية الأمطار في منطقة الدراسة من مكان إلى آخر نتيجة للضوابط الطبيعية المختلفة المؤثرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة في توزيع الأمطار خلال فصول السنة المختلفة .

وبناء على ما تقدم فإن الأمطار في محمية عتمة تتحكم فيها الظروف الإقليمية وظروف البيئة المحلية مجتمعة إذ يلاحظ أن كمية الأمطار الهائلة على نطاقات المحمية المختلفة تتباين بصورة واضحة ويتباين التضاريس من حيث مواجهتها للكتل الهوائية الممطرة فتقع معظم مناطق المحمية في نطاق المطر بينما يقع الجزء الشمالي الغربي في ظل المطر وتحضى منطقة عتمة بنصيب كبير من الأمطار يتراوح ما بين 400-800 ملم في العام بحسب الأدبيات السابقة وهذه النسبة قليلة التكرار في اليمن ويذهب البعض^(*) إلى أن منطقة عتمة تحضى (بثمان مطرات زيادة على مستوى اليمن) ويلاحظ أن النطاق الشمالي الشرقي والشرقي والجنوبي الشرقي والجنوبي في المحمية هو أخصب مناطق المحمية وأن القمم العالية ترتفع فيها كمية الأمطار المتصاعدة فيصل معدلها السنوي إلى أكثر من 700 ملم وتتراوح كمية الأمطار ما بين 700 - 850 ملم بين ارتفاعي 1800 - 2000 متر فوق مستوى سطح البحر ولا تقل عن 700 ملم في جميع النطاق الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي من المحمية فيما تتراوح الأمطار في النطاق الشمالي والشمالي الغربي منها وبين 300-400 ملم ويمكن أن يعزى ذلك إلى حركة الكتل الهوائية القادمة من الجنوب الغربي من المحمية وتكون محاذية لجنوب السلسلة الجبلية لجبلي عتمة ورازح كما أن انفتاح الأودية كوادي باب صباح ووادي النار في جنوبي غربي المحمية يسهل عملية مرور الكتل الهوائية في مجاري مستقيمة جنوبي غربي شمالي شرقي لتصطدم بالكتل الجبلية في النطاق الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي من المحمية فتصعد إلى الأعلى وتسقط حمولتها في هذا النطاق من المحمية وبذلك يكون النطاق الشمالي والشمالي الغربي من المحمية واقعاً في ظل المطر ولا يحضى إلا بكمية قليلة من الأمطار وتغذيه المجاري السيلية من المرتفعات بنصيبه من المياه .

غير أن استعمالات الإنسان للمياه الناتجة عن الأمطار لا تحظى بذلك الاهتمام الذي ينبغي حتى تتبين فعالية الأمطار في هذا النطاق من خلال بناء السدود والحواجز المائية التي تخدم الزراعة والإنسان فضلاً عن أثرها في وفرة الغطاء النباتي .

د الرياح: wind

يتحكم الضغط الجوي تحكماً مباشراً في حركة الرياح إذ تهب الرياح من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض فيتحدد اتجاهها الفصلي بحسب مواقع الضغط المرتفع والمنخفض⁽⁵⁾ ونتيجة لموقع اليمن خلال فصول السنة المختلفة من المنظومات الضغطية فأنها تقع تحت تأثير مجموعتين من الرياح العامة خلال السنة⁽⁶⁾ ففي فصل الصيف تتعرض اليمن للرياح الموسمية الصيفية Monsoon المتجهة صوب جنوب شرق آسيا خلال المرحلة الممتدة من حزيران إلى تشرين الأول إذ يتحرك نطاق المنخفض الاستوائي (equatorial trough) إلى الشمال ليصبح موقعه على البحر الأحمر وشمالي اليمن ويتحرك إلى الشمال تبعاً لذلك نطاق تلاقي الرياح المدارية (ITCZ) فتندفع الرياح من جنوب خط الاستواء نحو نطاق الضغط الاستوائي - شمالي الكرة الأرضية - وتكون على شكل أحزمة من الرياح الشديدة عرضها حوالي 500 كم ، وبعد عبورها خط الاستواء ينحرف إلى يمين اتجاهها⁽⁷⁾ ، فتصبح جنوبية غربية شديدة السرعة على شكل تيار نفاث على ارتفاع 1 : 2 كم وبسرعة 32.4 م / ث⁽⁸⁾ .

ينطبق على منطقة الدراسة ما ينطبق على اليمن من حيث اختلاف سرعة الرياح والاتجاهات من مكان إلى آخر ومن فصل إلى آخر تبعاً للتغير الحاصل في انحدار الضغط الجوي وتأثير التضاريس والتقاء الكتل الهوائية من ناحية أخرى .

بناءً على المعطيات المناخية التي أخذنا بها فأن سرعة الرياح تنحصر بنسبة 1.3 م / ث في المناطق المرتفعة 1.5 م / ث في المناطق المنخفضة كمعدل عام وتتراوح سرعتها بين 1.3 في فصلي الخريف والشتاء و 1.5 في فصلي الربيع والصيف في المناطق العالية .

أما في الارتفاعات دون 2000 متر فوق مستوى سطح البحر فأن الرياح تزداد سرعتها لتتراوح بين 1.5 في فصلي الخريف والشتاء لتصل إلى 1.7 في فصل الربيع وتكون بحدود 1.6 في فصل الصيف .

وتؤدي الحواجز الجبلية دوراً واضحاً في تحديد مجاري الرياح في المواقع جنوبي وجنوبي غربي المحمية كما تسهم في زيادة سرعتها في النطاق الشمالي والشمالي الشرقي فتكون أكثر سرعة في الشمالي الغربي من المحمية وإليها يعزى ارتفاع نسبة التبخر بمساعدة ارتفاع الإشعاع الشمسي وقلة الغطاء النباتي .

المراجع

- (1) عبد القادر عساج محمد إسماعيل ، مناخ اليمن - دراسة في الجغرافية المناخية ، مركز عبادي للدراسة والنشر - صنعاء - 1998م ، ص 27 .
 - (2) خارطة الجمهورية اليمنية مقياس 1 - 500.000 مصلحة المساحة 1998م .
 - (3) عبد القادر عساج مرجع سابق - ص 27.
 - (4) أوستن ملر ، علم المناخ ، تعريب محمد متولي - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ، 1985م ص128.
 - (*) أفاد بعض الآباء وكبار السن في المحمية أن عتمة تحضا بثمان مطرات زيادة عن اليمن .
 - (5) نعمان شحادة ، علم المناخ - النور النموذجية ، عمان الأردن - 1983م ص116.
 - (6) Aljably ibidp.A.ATA Study in Humane Climatology of the Republic of Yemen A Thesis for Degree of Doctor of physiology Arts, University of Birmingham, England 1993.101.
 - (7) علي عينده المناخ والتصحّر في الجزيرة العربية عمان الأردن الهيئة العامة للأرصاد الجوية 1984، ص11.
 - (8) مهدي أمين التوم ، مناخ السودان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة : دار نافع للطباعة 1974م ص 21.
- تم اعتماد المعطيات المناخية من مرجع منظمة الأغذية والزراعة الفاو 1995م
F.A.O. Agro-Climatic Resources of Yemen 1995.



دراسة جغرافية لتقنيات حصاد مياه الأمطار في محافظة تعز



د . عصام السالم (*)
أ. هناء دعقان (**)

مقدمة

تعد مسألة الحفاظ على موارد البيئة، واحدة من الأسس المهمة التي يحاول الإنسان أن يمارسها في سبيل المحافظة على ثروته الطبيعية وتنميتها في المكان الذي يعيش فيه والموارد المائية هي ركن أساسي من أركان البيئة لما لها من أهمية في تلبية الكثير من حاجاته الأساسية وخصوصا الشرب ، الزراعة ، وتغطية الاحتياجات المنزلية ، والصناعة . وتعد محافظة تعز إحدى محافظات الجمهورية اليمنية التي تتلقى كمية لا بأس بها من مياه الأمطار الموسمية بحكم موقعها ضمن المرتفعات الجنوبية ، وعلى الرغم من أن كميات هذه الأمطار إذا نظرنا لها كأرقام قد نجدها لا بأس بها ، إلا أننا عندما نقارن بين هذه الكميات وبين النمو السكاني المتزايد في المحافظة ومع أهمية المطر في تنمية الموارد المائية للمحافظة ، نراها تشكل جانبا من الخوف في المستقبل من العجز المائي فيها . حيث أن الأمطار في تعز هي المصدر الأساسي للجريان السطحي كما أنها مصدر التغذية الرئيسي لمياهها الجوفية، عليه فهي عامل مهم في تغطية الاحتياجات المائية للمحافظة. لذا فإن مسألة الاستثمار الأمثل لكميات الأمطار الساقطة

(*) استاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة تعز .

(**) قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة تعز .

والمحافظة عليها من الضياع من خلال ما متاح منها بدرجة عالية من الكفاءة ، بات أمرا ضروريا ولا بد من تفعيله بشكل جدي . وهذا يمكن أن يتم من خلال تنمية آليات وتقنيات لحصاد أكبر كمية من مياه هذه الأمطار والاستفادة منها سواء في موسم سقوطها أو الاحتفاظ بمياهها لموسم الجفاف . وهذا البحث يتطرق لتلك التقنيات سواء كانت الموجودة منها أو التي يمكن ابتكارها وبما يتماشى مع بيئة المحافظة.

- تعريف حصاد المياه:

يعرف حصاد المياه على انه كافة العمليات التي تمارس لتجميع وتخزين ونشر مياه الأمطار لتوفير الماء للمناطق التي لا تكفيها مياه الأمطار الساقطة عليها، والتي لا تتوفر فيها موارد مياه سطحية أو جوفية، إما لبعدها أو لارتفاع كلف الحصول عليها. وتعمل في الوقت نفسه في تغذية المياه الجوفية ورفع منسوبها. (1)

تهدف هذه الممارسة إلى جمع مياه الأمطار التي تسقط على مناطق لا تستفيد منها إما لطبيعتها التضاريسية أو لكونها صخرية قليلة التربة ، من اجل إيصالها إلى أجزاء أخرى تكون مؤهلة للزراعة إلا إنها تعاني من قلة المياه ، وهذا يتم سواء كان خلال موسم الأمطار بسبب تذبذب كميات هذه الأمطار إن خلال موسم الجفاف هذا على مستوى الزراعة ، ويمكن أن يحقق حصاد المياه جمع المياه و تخزينها للاستخدامات البشرية وخصوصا في المناطق الريفية التي تعاني من شحة المياه ولاسيما المناطق الريفية .

- مكونات نظم حصاد المياه:

تتألف منظومة حصاد مياه الأمطار في أي موقع من مكونات أساسية أبرزها: (شكل رقم 1)

1: منطقة المستجمع المائي (منطقة التغذية) :

وهي المنطقة التي تسقط عليها الأمطار والتي تغذي بما يصلها من مياه الأمطار المنطقة المستفيدة التي تقع خارج حدودها. ومنطقة التغذية قد تكون منطقة طبيعية أو سطح منزل أو طريق معبد. كما يمكن أن تكون منطقة التغذية صغيرة لا تتجاوز بضعة أمتار مربعة وهذه تكون مهياة لتغذية أراضي صغيرة وليست بعيدة عنها . ويمكن أن

تكون تغذية على مستوى مزرعة أو من خلال سطح منزل. إن قد تكون منطقة التغذية كبيرة تصل مساحتها عدة كيلومترات إلى مئات الكيلومترات المربعة وهذه تغذي مساحات واسعة وبعيده .

2: منطقة التخزين:

وهو المكان الذي يتم به خزن وحجز مياه الأمطار من وقت جمعها لحين مرحلة استخدامها. وهذه الخزانات يمكن أن تكون فوق سطح الأرض أو تحت سطح الأرض، وقد تكون مكشوفة أو مغطاة أو في التربة أو في مكامن المياه الجوفية.

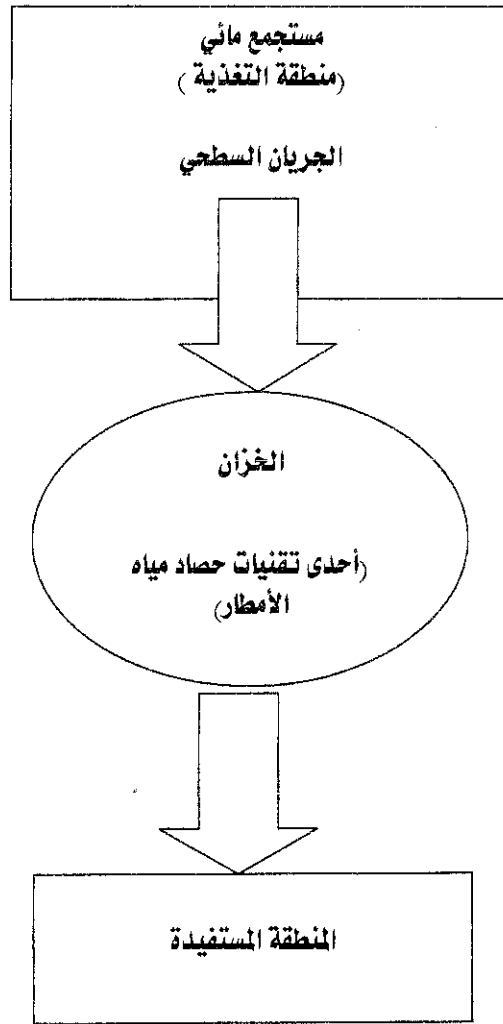
3: المنطقة المستفيدة:

وهي المنطقة التي تستفيد من المياه التي تم حصادها، وهذه إما أن تكون زراعية لتغطية حاجة المحاصيل الزراعية أو لتنمية المراعي الطبيعية أو تكون لسد الاحتياجات البشرية من مياه الشرب والاحتياجات المنزلية سواء على مستوى المدينة أو الريف. (2)

مقدمة تاريخية:

تعود الإنسان منذ القدم في الكثير من مناطق جنوب غرب آسيا كالعراق وسوريا وباكستان وإيران واليمن والإمارات العربية المتحدة وغيرها ، وبعض الدول الأفريقية مثل مصر وتونس والمغرب ، على استثمار مياه الأمطار الموسمية من خلال جرياتها في قنوات شقتها هي بنفسها بفعل سرعة جريانها ، وصولاً إلى الأودية . حيث يقوم بخزنها في بطون هذه الأودية ، وتدلل الدراسات على أن هذه الممارسة في اليمن تعود إلى 1000 سنة قبل الميلاد ، عندما قام الإنسان اليمني في سهل تهامة بحصر مياه الجريان واستخدامها في ري 20000 ألف هكتار كانت محاصيلها الزراعية تطعم حوالي 300000 نسمة في هذه المنطقة. (3)

شكل (1) مكونات نظم حصاد مياه الأمطار



لقد أدرك المزارع اليمني منذ القدم خطورة الجفاف وشحة المياه وتذبذب الأمطار، فبذل الجهود الجبارة للاستفادة من مياه الأمطار والمصادر المائية الأخرى المتكونة منها (عيون ، غيول ، سيول) . واستطاع أن يجد تقنيات مختلفة لحصاد مياه الأمطار . لقد كان سد مأرب التاريخي أحد العجائب لحضارة مملكة سبأ ، حيث استخدم لأكثر من ألف عام تلت بنائه ، وعاشت في منطقة السد الممالك والحضارات اليمنية القديمة مثل سبأ وحمير ، وكان هذا السد يروي مساحات زراعية واسعة ما بين مأرب وحضرموت على أطراف جنوب شبه الجزيرة العربية.

وهناك العديد من السدود التاريخية المعروفة بالسدود الحميرية ، وأيضاً صهاريج عدن والصهاريج الموجودة في منطقة جبن - رداع في محافظة البيضاء، والتي يعود تاريخها لقرون عديدة ، وهناك تقنيات أخرى من الخزانات المائية كالبرك والمواجل والسواقي المكشوفة والمغطاة ، والتي لا يزال بعضها قائم نراه في الكثير من الأراضي اليمنية ومنها محافظة تعز. (4)

هذه الأساليب والممارسات التي استخدمها المزارع اليمني في حصاد مياه الأمطار تشكل وجها حضاريا من حضارات وتراث الشعب اليمني، الذي يحاول أن يكيف ظروف البيئة القاسية لمصلحته. وامتداداً للماضي ، ونظر لتزايد الحاجة للمياه مع تزايد عدد السكان وتذبذب كميات الأمطار وانخفاض مناسيب المياه الجوفية ، كان هناك توجه كبير من الدولة من أجل إعادة تفعيل التقنيات القديمة لحصاد مياه الأمطار وبشكل يتوافق مع التقنيات العلمية الحديثة مع المحافظة على الموروث الحضاري ، إضافة إلى تطبيق تقنيات علمية جديدة تتوافق مع البيئة اليمنية . ومن ضمن المشاريع العملاقة التي باشرت بتنفيذها اليمن حرصاً منها على تشجيع ممارسة تقنيات حصاد المياه والمحافظة على مياه السيول من الهدر ، انبثق مشروع الحفاظ على المياه والتربة ، على مستوى الجمهورية ليغطي 15 محافظة ومنها محافظة تعز ، التي تدخل بوحدة حقلية لتنفيذ المشروع وبالمشاركة مع محافظة أب (الفترة المخصصة لعمل المشروع وتنفيذ مشاريعه تنحصر بين (2004 - 2009) . واحدة من أهم أهداف هذا المشروع هو تفعيل تقنيات حصاد مياه الأمطار ، كتنفيذ خزانات لحصاد المياه وإعادة وصيانة وتأهيل خزانات

البرك القديمة وتنفيذ خزانات حصاد المياه التقليدية تحت الأرضية في أسفل الأودية ، ومنشآت أخرى ترفد مشروع حصاد المياه بشكل غير مباشر مثل تنفيذ مهدآت وكاسرات السيول وبناء وإعادة تأهيل منشآت الري السيلي الصغيرة والمتوسطة . وقد باشر المشروع بعمله الفعلي هذا عام 2005 . ومن الأمور الهامة لنجاح هذا المشروع أن هنالك مشاركة بكلف تنفيذ هذه التقنيات من قبل المواطنين المستفيدين، حيث تتحمل الدولة من هذه الكلف 80% في حين يتحمل المواطن المستفيد 20% بالنسبة للخزانات الجديدة وإعادة تأهيل الخزانات القديمة وحماية ضفاف الأودية. في حين تتحمل الدولة كافة التكاليف للمشاريع الكبيرة مثل كاسرات السيول والمنشآت التقليدية الأخرى. والجدير بالذكر أن الكلف التي يساهم بها المواطن المستفيد غالبا ما تكون كايدي عاملة في المشروع أو بتوفير مواد البناء المحلية. ومساهمة المواطن هذه تشعره بأن ما ينفذ من تقنية له نصيب فيها وهذا يجعله يبذل كل جهده للمحافظة عليها وصيانتها باستمرار الأمر الذي يساهم كثيرا في إنجاح الهدف الذي أنشأت لأجله. (5)

- جغرافية المحافظة وعلاقتها بحصاد مياه الأمطار :

يركز البحث هنا على بعض الجوانب الجغرافية ذات العلاقة المباشرة في تقنيات حصاد مياه الأمطار، فالمحافظة تعز تقع بين دائرتي عرض 30 40 12 - 55 13 شمال خط الاستواء وبين خطي طول 441340 - 443120 شرق خط كرينتس . وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجمهورية اليمنية يحدها من الشرق جزاء من محافظة لحج والضالع وإب ومن الغرب البحر الأحمر ومن الشمال محافظتي أب والحد بده ومن الجنوب محافظة لحج . وتبلغ مساحتها 10021 كم² أي ما يعادل 81,1% من مساحة الجمهورية اليمنية (6). يبلغ عدد سكان محافظة تعز وفقا لتعداد 2004 حوالي 239345 مليون نسمة يتوزعون على 23 مديرية وفقا للتقسيم الإداري للمحافظة. (7) خارطة (1) .

يتباين سطح محافظة تعز من حيث من حيث المظاهر التضاريسية ومستوى الارتفاع حيث توجد سهول ساحلية وهضاب واسعة ومرتفعات جبلية شديدة الوعورة والانحدار وأخرى أقل وعورة وهذا يعطي إمكانية في تنوع تقنيات حصاد المياه . ففي

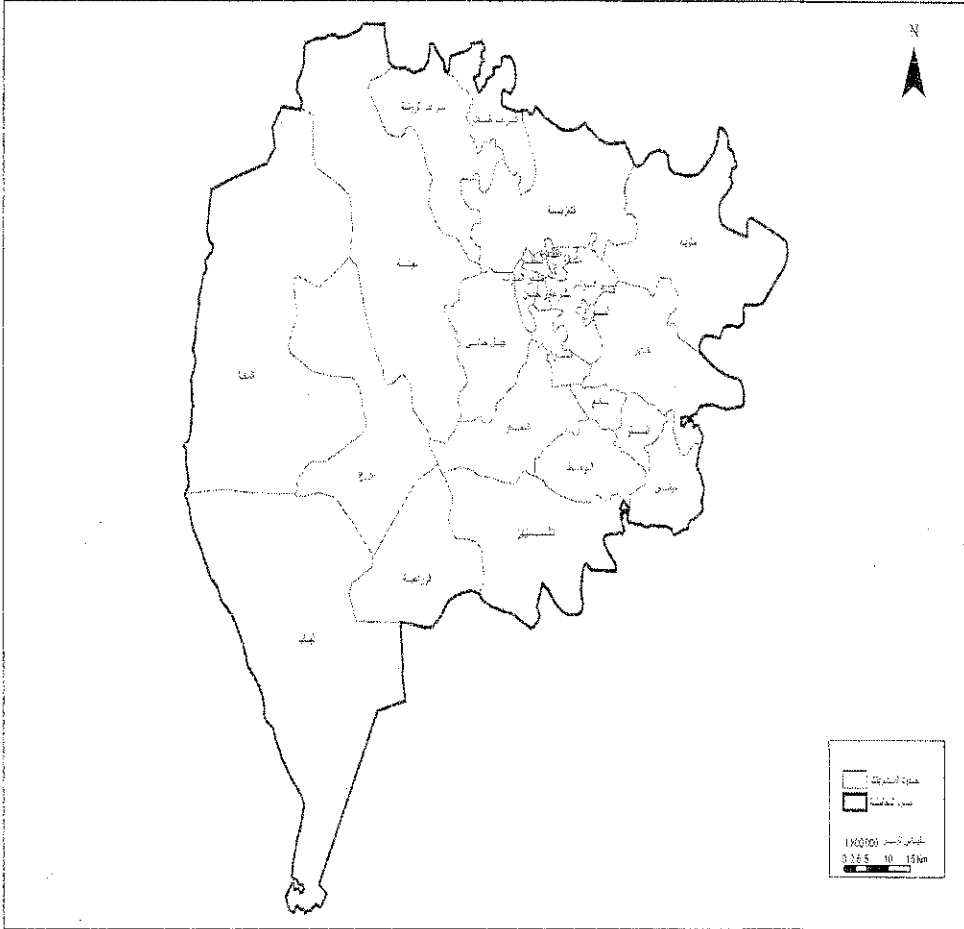
غرب المحافظة يقع إقليم السهل الساحلي الذي هو جزء من سهل تهامة الذي يشغل ما يقارب 38.1% من مساحة المحافظة . وينحدر بشكل تدريجي من الشرق حيث يكون مستوى ارتفاعه 400 م عند أقدام الجبال إلى مستوى سطح البحر (صفر) عند خط الساحل عند البحر الأحمر ويمتاز بقلة أمطاره والتي لا تتجاوز 100 ملم سنويا (8) . أن وجود هذه السهول بمحاذاة الجبال جعل مياه السيول تنحدر بشده صوبها لتحمل مجروفات صخرية ومواد رسوبية سميكة ، لتنتشر هنا التربة الطموية الريحية والطموية الفيضية والتي غطت البعض منها الرياح بطبقة رملية (9) . لتكون أكثر مناطق السهل زراعة هي مناطق أقدام الجبال التي تنتهي عندها مياه السيول وتتوغل في باطن الأرض لتغذي المياه الجوفية وترفع منسوبها لتزداد أهميتها في الاستخدامات الزراعية ، وهنا يمكن تطبيق تقنيات حصاد مياه الأمطار حيث تكون الجبال مستجمعات مائية وأقدام الجبال مناطق مستفيدة . كما أن هذا السهل تغطية الكثير من الأودية مثل وادي رسيان وموزع إضافة إلى عدد آخر من الأودية الصغيرة، وهذه الأودية ذات تربة خصبة اغلبها من مفتتات اللافا التي يمكن استثمارها زراعيًا والتي يمكن توفير المياه إليها من خلال تفعيل تقنيات حصاد مياه الأمطار التي تجري كسيول فيها .

أما المظهر التضاريسي الذي يسيطر على بقية أجزاء المحافظة فهو إقليم المرتفعات الداخلية ، وهو يغطي الجزء الشرقي من المحافظة ويشغل 89,61% من مساحتها . ويقسم هذا الإقليم إلى :

أ : المنحدرات الغربية: ويمتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة السهل الساحلي ، ويزداد عرضة في الجنوب ليلبلغ حوالي 28 كم بينما يكون 1 كم في الشمال ، ويتراوح ارتفاعه بين 400_800 م وتبلغ معدلات الإمطار الساقطة عليها تتراوح بين 300-500 ملم . وهذه المرتفعات يمكن أن تمثل مستجمعات مائية جيدة ترفد تقنيات حصاد المياه التي يمكن إقامتها والاستفادة القصوى من مياه الأمطار في مناطق الأودية ذات التربة الخصبة مثل وادي رسيان ووادي بني خولان وأودية كثيرة أخرى أو تزود المدرجات الزراعية المنتشرة على سفوح الجبال بالمياه .

ب: الهضاب الداخلية والقيعان: يضم هذا المظهر التضاريسي النصف الشرقي من المحافظة، وهو عبارة عن هضبة عالية تعود للزمن الثالث تقطعها من الوسط سلسلة جبلية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي والشرق. ارتفاع هذه الهضبة يتراوح بين 800 - 1600 م فوق مستوى سطح البحر، وتشغل 64,38% من إجمالي مساحة المحافظة. يقع في شمال وشمال شرق هذه الهضبة قاع الجند الذي هو جزء من منخفض القاعدة، ويمتاز باستوائه وتقطعه مجاري الأودية وخاصة الروافد العليا لوادي رسيان. وتظهر في قسمها الشرقي التشكيلات الصخرية الرباعية السيلية التي تتكون من ترسبات ومجرفات سيليه ومرآح فيضية تتموضع عند الحافة الشرقية لكتلة جبل صبر عند مدينة خدير. إما الهضاب في الجزء الجنوبي الشرقي من المحافظة في مديرية حيفان وجزء من عزلة الشويفة فهي ذات صخور نارية صلبة، كما يوجد عدد من المناطق السهلية غرب كتلة جبل صبر كما في عزلة الضباب التابعة لمديرية صبر الموادم⁽¹⁰⁾. وعموماً فإن أغلب مناطق هذه الهضبة ذات تربة خصبة ونجدها أكثر مناطق المحافظة استيطاناً وممارسة بالزراعة

خارطة رقم (1) التقسيم الإداري لمحافظة تعز



مصدر: الجغرافية الجغرافية تعز - 1997 الفحص للخرائط والهندسة والقياس

تبين لنا من خلال ارتفاع الهضبة ومعدل أمطارها السنوي الذي يبلغ حوالي 600 ملم انه من الممكن تنفيذ العديد من مشاريع تقنيات حصاد مياه الأمطار سواء لرفع مستوى المياه الجوفية أو استثمار مياه السيول.

أما المرتفعات الجبلية والتي تعد من أهم مناطق التغذية للمستجمعات المائية والتي يمكن استثمارها بشكل امثل في رقد تقنيات حصاد مياه الأمطار بمياه الأمطار الساقطة عليها. فتشكل 8,6% من مساحة المحافظة . وتقسم هذه المرتفعات الهضبة الثلاثية إلى قسمين شرقي وغربي.

تمتد هذه المرتفعات من شمال مدينة تعز باتجاه الجنوب الشرقي إلى أن تصل إلى كتلة جبال الشوار ومطران وذلك لمسافة 30 كم ، ثم تتفرع إلى فرعين فرع شرقي يتجه لناعية الصلو وحيفان وتمتد لمسافة 15 كم ، والفرع الآخر يتجه جنوبا ليقطع مديرية الشمايتين في بني غازي ودمنة شرجب وامتدادا إلى حدود المحافظة الجنوبية مع محافظة لحج⁽¹¹⁾ أهم كتلة جبلية في هذه المرتفعات هي كتلة جبل صبر والتي يبلغ ارتفاعه حوالي 3006 متر فوق مستوى سطح البحر، وهو ذو صخور جرانيتية وأحد المستجمعات المائية الرئيسة في المحافظة ، وتنتشر على سفوح المدرجات الزراعية إضافة إلى تواجد التجمعات السكانية بكثرة عالية . والى جنوب شرق كتلة جبل صبر تقع كتلة جبل سامع التي يبلغ ارتفاعها حوالي 2640 م التي هي امتداد لجبل صبر ويتكون من الحجر الرملي . والى الجنوب من كتلة جبل سامع يمتد جبل ثمران الذي يبلغ ارتفاعه حوالي 2240 م وجبل الشوار الذي يبلغ ارتفاعه 2160م وجبل مطران 2280م في مديرية المواسط ، والى الشرق من هذه الجبال توجد جبال الصلو التي يبلغ ارتفاعها 2320م وقلعة المنصورة 2360م وهي ذات انحدارات شديدة . والى الجنوب والجنوب الشرقي من كتلة جبال الصلو توجد جبال حيفان المتكونة من صخور جرانيتية وفيها جبل قرض الذي يبلغ ارتفاعه 2120م . والى الغرب من كتلة صبر توجد كتلة منفصلة تمتد من الشمال إلى الجنوب وهي كتلة جبل حبشي التي تتكون من الحجر الرملي والصخور البركانية الثلاثية . تنتشر الكثير من المدرجات الزراعية على العديد من سفوح هذه الجبال وهذه المدرجات ذات تربة متطورة مع احتوائها على طبقة طينية تراكمية ، في حين تكون سفوحها الشديدة الانحدار أما أن تكون صخرية عارية من التربة أو قد تغطي بعضها تربة ضحلة غير متطورة . في حين تكون ترب الأودية الموجودة بين هذه المرتفعات خصبة مكونة من الترسبات المائية الحديثة أو من الترسبات السلالية الجيرية⁽¹²⁾ .

وفيما يخص الواقع المناخي والذي يعد العمود الأساسي الذي تستند عليه فكرة إنشاء أي تقنية من تقنيات حصاد مياه الأمطار. فيمكن دراسة عناصره الأساسية وفقا

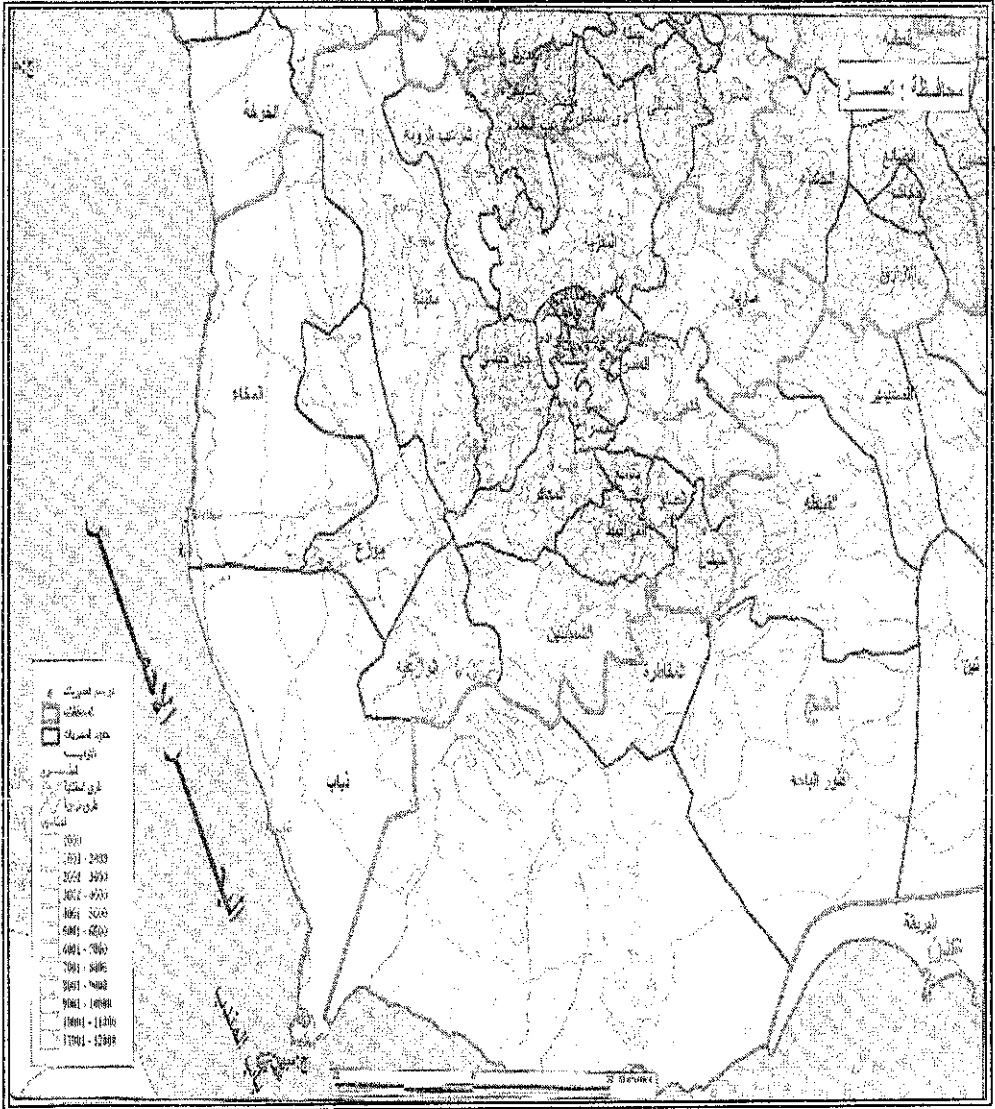
لأهميتها في موضوع حصاد المياه ، وتأتي الأمطار في أولوياتها كونها محور موضوع حصاد المياه فوفقا لكمياتها ومواسم سقوطها يتم تنظيم نظم الحصاد للمياه .

وعموما فإن الأمطار في محافظة تعز تكون متذبذبة من سنة إلى أخرى وهناك عدم انتظام في مواعيد سقوطها من عام إلى آخر وهذا يقلل من قيمتها أو الاعتماد المباشر عليها. وتشير البيانات المناخية أن معدلات الأمطار في المحافظة بلغت ولمدة 12 عام حوالي 46.3 وبمجموع سنوي بلغ حوالي 555.6 ملم (جدول 1) . حيث أشارت الإحصاءات على انه خلال السنوات 1947، 1950، 1953، 1966، 1977 سقطت كميات مطرية كانت أكثر من 800 ملم، وهذا يعني أن المحافظة مؤهلة بان تسقط فيها كميات أمطار عالية. في حين أن هنالك سنوات سجلت انخفاضا كبيرا في معدل سقوط الأمطار مثل سنة 1983 والتي انخفضت فيها كميات الأمطار إلى 329.5 ملم (13) .

تسقط الأمطار في المحافظة خلال مرحلتين من السنة، الأولى خلال أشهر مارس وأبريل ومايو وهي مرحلة الأمطار الربيعية والتي تحدث بسبب الالتقاء المداري، وتبلغ معدلات سقوط الأمطار لهذه المرحلة حوالي 74، 01 ملم. إما الفترة الثانية فتمتد من شهر يوليو وحتى شهر سبتمبر وقد تمتد أحيانا إلى أكتوبر وبمعدل يبلغ حوالي 98.83 ملم للأشهر الثلاثة الأولى والتي تمثل فترة الأمطار الصيفية ويتبين طول هذه المرحلة أكثر عندما تضاف لها فترة سقوط الأمطار الخريفية خلال أشهر سبتمبر وأكتوبر ، وهي الفترة الأكثر مطرا . وعند الربط بين معدل الارتفاع وكميات الإمطار والموضحة في (جدول 2) الذي يبين مستوى الارتفاع الذي تقع عليه المحطات المناخية في المحافظة يتبين أن هنالك تباين واضح في كميات سقوط الأمطار بين محطة وأخرى وعلى مستوى 20 مكان للرصد المناخي ، وهذا الاختلاف يأتي طبقا للاختلاف الطبوغرافي والارتفاع عن مستوى سطح البحر . فمثلا سجلت محطة المخا اقل معدلات التساقط لعدة سنوات وبواقع 32.7ملم وذلك لكونها تقع على مستوى ارتفاع لا يتجاوز 4م وهو مستوى ارتفاع المنطقة هناك. في كانت كمية الأمطار في أعالي جبل صبر عند محطة المعقاب 928 ملم وذلك لكونها تقع على ارتفاع 2006 م . وهذه الحقائق تعطينا صورة واضحة في إمكانية استثمار المناطق الجبلية كمستجمعات مائية ترفد مشاريع تقانات حصاد مياه الأمطار

للاستفادة من تلك الأمطار على الزوجة الأمثل ، وهذا يمكن إن توضحه (خارطة 2) التي تبين خطوط الكنتور ومستويات الارتفاع في المحافظة .

خارطة (2) خطوط الكنتور ومستويات الارتفاع في محافظة تعز



المصدر: الجمهورية اليمنية ، وزارة التخطيط و التعاون الدولي ، الجهاز المركزي للإحصاء.

جدول رقم (1) معدلات درجات الحرارة و الأمطار و الرطوبة و سرعة الرياح في محافظة
تعز لعام 2005م.

الأشهر	درجة الحرارة (م)	الأمطار (مم)	الرطوبة %	سرعة الرياح م/ثا
يناير	20.99	5.1	49.14	1.6
فبراير	20.74	2.3	46.37	1.5
مارس	24.3	36.27	46.76	1.9
أبريل	25.93	68.95	42.61	2.0
مايو	27.13	88.5	39.54	1.5
يونيو	27.24	64.6	41.17	1.4
يوليو	27	48.63	34.71	1.58
أغسطس	26.11	130.68	47.65	1.57
سبتمبر	25.6	117.20	48.78	1.4
أكتوبر	24.53	62.6	45.93	1.58
نوفمبر	22.26	8.45	43.96	1.7
ديسمبر	21	5.94	45.45	1.45
المتوسط	24.56	46.3	45.12	1.63

جدول رقم (2) معدلات العناصر المناخية لبعض المحطات المناخية في محافظة تنز وفقا لارتفاعها عن مستوى سطح البحر
المصدر: تجميع عبد القادر سيف راجح الشمري، توزيع المحطات المناخية والخدمات الأساسية في محافظة تنز في اليمين مسلسل سابق، ص 49 و ص 51.

المحطة	المنطقة	الارتفاع	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط
ميتيز	2003,1979	1200	6.64	7.46	37.41	60.93	70.7	60.8	52.1	89.51	90.88	65.4	9.22	8.82	55.9
تنز	1990,1974	1402	8.6	8.6	11.7	40.9	77.8	95.7	7	58	88.5	104.3	80.3	10.8	5.5
658.1	1991,1981	1040	24	59.7	34.4	76.5	126.7	76.7	95.4	71.8	113	24.1	12.6	21.4	748.3
العا	1988,1975	4	5.5	6.2	5.3	5.2	1.4	0	0.7	2.4	0	1.2	0	4.8	32.7
حرفات	2003,1999	940	1.2	3	8.3	36.82	67.36	89.98	33.36	95.36	81.7	70.42	5	0.1	497.56
حمام	2003,1999	1763	1.1	0	11.92	52.76	55.62	70.52	63.58	82.82	141.66	83.86	0.56	1.76	565.6
الاعلام	2003,1999	1351	0.3	0	23.48	87.32	69.48	102.32	64.02	106.64	100.34	92.92	101	4.82	652.7
المنشد	2003,1999	1662	2	0	32.7	20.1	86.98	86.46	99.72	132.28	95.92	68.04	4.12	0.36	628.7
حزان	2003,1999	1048	0.5	6.8	34.22	34.5	55.68	61.08	36.62	82.78	91.28	74.76	3.52	1.86	483.6
علاق	2003,1999	1654	0.86	0	11.4	40.28	38.08	67.36	94.5	128.28	98.56	91.75	3.46	0.56	532.1
الزرق	2003,1999	1325	5.3	7.3	41.6	43	59.06	67.2	65.82	91.5	69.84	65.52	5.5	4.66	526.3
المهارة	2003,1999	1500	306	0.70	14.56	31.5	89.3	62.4	74.42	135.42	84.36	52	22.3	3.7	574.3
المنطق	2003,1999	1120	0	0	14.3	37.2	57.3	59.86	23.56	40.96	53.6	45.9	7.2	1.2	341.1
البلغاية	2003,1999	900	1.2	0	20.4	77	72.2	36.2	43	51.1	74	56.2	12.1	0.3	443.7
القلبي	2003,1999	2600	12.6	8	55.8	77.6	92.72	93.74	87.22	187.02	155.48	145.9	7.8	4.1	928
حيا	2003,1999	1437	7.56	3	18.34	35.46	105.4	75.2	71.08	138.28	113.85	98.96	0.26	0.4	685.7
تلافي	2003,1999	1201	4.12	1.7	10.24	79.66	121.84	100.82	84.74	148.44	137.24	141.24	10.5	0.4	840.9
الشمس	2003,1999	1900	4.2	0	32.7	85	109.54	99.8	68.2	137.4	142.52	56.96	4.32	1.25	741.9

يتبين من (خارطة 3) أن المحافظة يمكن تقسيمها إلى أقاليم مطرية تتوافق مع الجانب الطبوغرافي ، والتي يمكن من خلالها أن تتوضح الأماكن التي يمكن أن نتوسع بها في نشر تقنيات حصاد مياه الأمطار . فتبين أن الأقاليم الأقل مطرا هي المناطق الساحلية الواقعة في غرب المحافظة والتي تشمل المخا وذباب . في حين كانت مناطق المرتفعات والتي تعترض الرياح الموسمية، الأكثر مطرا حيث ضم الإقليم الذي مجموع أمطاره يتراوح بين 400 - 700 ملم ، جبل حبشي وأجزاء من جبل صبر. في حين كانت مناطق أخرى من صبر الموادم والتعزية ودمنة خدير ومناطق أخرى تشمل الشرق الأوسط من المحافظة أمطارها تتراوح بين 400-600 ملم . وهناك أجزاء في الجانب الشرقي تشمل ماوية أمطارها تراوحت بين 400-500 ملم . في حين المناطق الوسطى والتي تضم الهضبة تقريبا وبعض مرتفعاتها فهي الأوسع انتشارا حيث يضم أقاليمها منطقة شرعب الرونة ومقبة والمواسط وحيفان ومدينة تعز والوازعية حيث يكون معدل أمطارها يتراوح بين 200-450 ملم . في حين تدخل ما تبقى من مناطق تعز تحت الإقليم الذي يكون معدل أمطاره يتراوح بين 100-250 ملم.

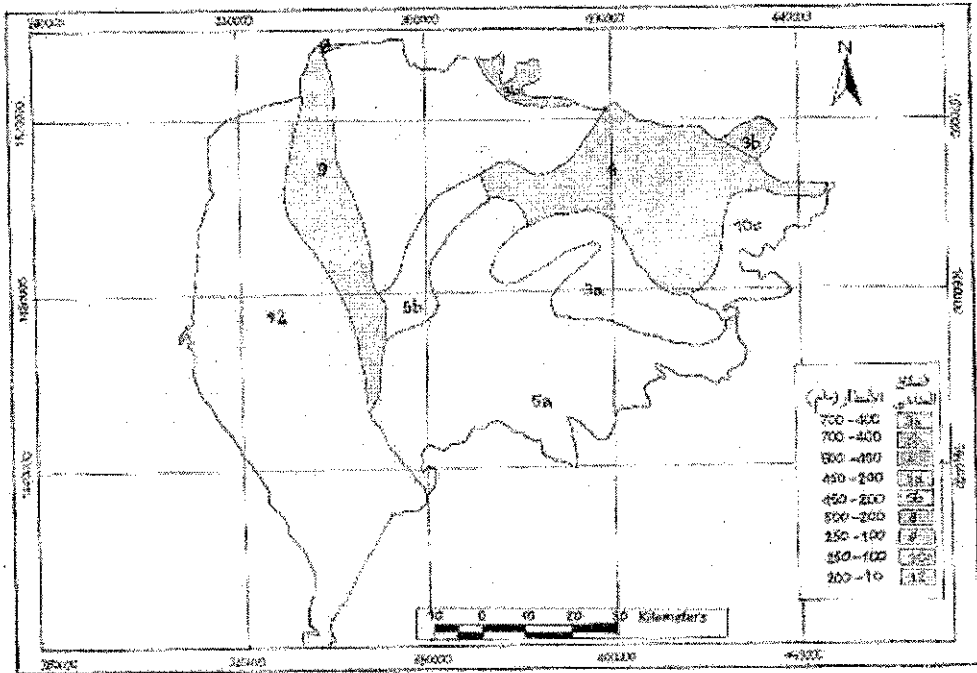
أما بخصوص درجات الحرارة فيتضح من (جدول 1) أن معدلاتها في محافظة تعز تبلغ حوالي 24.56 م . ويسجل شهر يناير ابرد شهور المحافظة حيث تبلغ حرارته حوالي 20.9 م . وعموما فإن أشهر الشتاء جميعها ابرد من أشهر الصيف حيث بلغ معدل حرارة الشتاء حوالي 21.7 م في حين تكون حرارة أشهر الصيف حوالي 26.61 م . ويمثل شهر يونيو أكثر شهور السنة حرارة حيث بلغت معدلات حرارته 27.24 م . المهم هو أن درجات الحرارة تكون منخفضة في فصل الشتاء الذي يمثل الفصل الجاف في المحافظة والذي يتم فيه استخدام المياه التي تم خزنها في تقنيات حصاد مياه الأمطار التي سقطت خلال فصل الصيف . وهذا شيء إيجابي يقلل من كميات التبخر من هذه المياه المخزونة ويقلل أيضا من كميات الري بسبب انخفاض التبخر والبخر والنتح من النبات مما يقلل من احتياجاته المائية . وهذا في النهاية سوف يعمل على الطالة فترة استخدام المياه من هذه الخزانات . ويرافق ذلك انخفاض في سرعة الرياح خلال موسم الشتاء حيث لا تتجاوز سرعتها أكثر من 1.5 م/ثا . علما بأن المعدل السنوي لسرعة

الرياح في المحافظة يبلغ حوالي 1.63 م / ثا ، كما أن المعدل العام للرطوبة النسبية أيضا مرتفع لحد ما حيث يبلغ حوالي 45.12 % ، وكل ذلك له تأثير إيجابي على تقليل كميات التبخر من الأحواض والخزانات المائية التي تم حجز مياه الأمطار فيها .

- فوائد حصاد مياه الأمطار:

عندما تتوفر مقومات الزراعة في منطقة ما ، وتبقى الحاجة للمياه هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الزراعة في المنطقة تأتي مسألة حصاد مياه الأمطار أحد الأولويات المهمة في هذا المجال . ويبرز دور ذلك في محافظة تعز، حيث هنالك حوالي 6206.12 هكتار من أراضيها الزراعية صالحة للزراعة ألا إنها غير مزروعة بسبب شحة المياه . وما تبقى من أراضيها المزروعة والبالغة حوالي 54758.43 هكتار (14) ، فهي تعتمد اعتماد كلي على مياه الأمطار، أما بشكل سقوط مباشر أو كسيول أو غيول أو مياه إمطار تم تخزينها ، أو أنها تؤثر بشكل غير مباشر من خلال تثيرها على المياه الجوفية التي تستخدم في ري الأراضي الزراعية . وكما تبين لنا سابقا أن هذه الأمطار متذبذبة من سنة إلى أخرى كما إنها غير موزعة بشكل متساوي على كل الرقعة الجغرافية للمحافظة . وتبين أن 98% من مزارعي المحافظة يمارسون الري التقليدي (الري بالغمر) اعتمادا على مياه السيول في ري أراضيهم الزراعية علما بان كفاءة طريقة الري هذه لا تتجاوز 60 % وفي دراسات أخرى تذكر بان كفاءتها تنخفض إلى 40 % (15) . وتقدر كمية المياه الأزمة لري الهكتار الواحد بطريقة الري التقليدي في تعز حوالي 12500 متر مكعب (16) .

خارطة رقم (3) التي تبين خطوط الكنتور ومستويات الارتفاع في المحافظة



المصدر: محمد عبد الواسع الخراساني، دليل المناخ الزراعي في اليمن (1881-2004)

وهذا يعني ضياع الكثير من المياه دون فائدة مع حاجة متزايدة لتوفير المياه خلال الموسم الزراعي . كما إن مياه السيول لا يستفاد أكثر من 50 % منها وذلك لضياح قسم كبير منها بالتسرب والتبخر والجريان نحو البحر . من هنا تبرز أهمية حصاد مياه الأمطار لمعالجة تذبذبها وتغطية الاحتياجات المائية الأزمه لنمو المحاصيل الزراعية ، إما كروي تكميلي أي القيام بعملية استكمال النقص الحاصل بين الاستهلاك المائي لمحصول ما ومعدل التساقط المطري ومن ناحية أخرى تحديد الفترة الحرجة ومرحلة النمو التي تستدعي إضافة الريات التكميلية للحصول على كفاءة جيدة في استخدام المياه (17) . أو من أجل تخزين المياه للفصل الجاف واستعمالها في تغطية كافة الاحتياجات المائية للمحاصيل المزروعة ، أو إيصالها لحقول زراعية لا تتوفر فيها مياه حتى في مواسم الأمطار .

أن فوائد حصاد مياه الأمطار لا تنحصر فقط على المستوى الزراعي ، بل تعد أمراً ضروريا لتوفير المياه من أجل تغطية الحاجات البشرية ولاسيما الشرب ، فبحسب الإنسان يحتاج ما بين 2- 5 لتر يوميا من الماء وغالبا ما يتعرض الإنسان للوفاة عند نقص السوائل لدية بنسبة 15 %⁽¹⁸⁾. وهذا يعني ضرورة توفير المياه للإنسان سواء على مستوى الريف أو على مستوى المدينة . وقد تم رصد هذه الحاجة بشكل كبير في الكثير من مناطق الأرياف في تعز حيث لا تصلهم مشاريع المياه الحكومية . وعندما تأتي على مستوى مدينة تعز نجد أنها تعاني من شحة مائية فهي تعتمد في تزويدها للماء على أحواض (الحيمة، حبير، الحوجلة ، الحوبان ، المدينة ، الضباب) وكلها تنتج حوالي (7060081) م³⁽¹⁹⁾ . ويشعر المواطن في مدينة تعز إن هنالك مشكلة شحة مائي وهذا دليل على أن هنالك عجز مائي لا بد من علاجه لتوفير المياه للأعداد المتزايدة من السكان. لذلك فقد طرحت العديد من الدراسات لتنفيذ تقنيات لحصاد مياه الأمطار على مستوى المدينة وذلك في 44 مرفق حكومي وبواقع 60 خزان منها 56 مغلقة و4 مفتوحة وبسعة إجمالية تبلغ حوالي 28.573 متر مكعب ويمكن أن تجمع هذه الخزانات مياه تقدر بحوالي 55.171 متر مكعب سنويا من مياه الأمطار⁽²⁰⁾ . مثل هذه الكميات لو تم حصادها تحل بشكل كبير مشكلة شحة المياه في مدينة تعز .

وتبرز أكثر فوائد حصاد المياه في استقرار المجتمعات الريفية عندما يتوفر الماء للكثير من القرى التي لا تصلها المياه الصالحة للشرب، لتغطية احتياجاتهم المنزلية، وتغطية احتياجات ماشيتهم وتنمية غطائهم النباتي.

- طرق حصاد المياه في محافظة تعز:

إن أساليب جمع وحصاد مياه الأمطار هي إحدى العادات القديمة والتي مارسها أبناء محافظة تعز، وسيتم هنا إيضاح أهم الطرق المستخدمة لحصاد المياه ، إضافة إلى الطرق التي يمكن استخدامها من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من حصاد مياه الأمطار، وتقليل الفاقد منها ، من أجل تحقيق أكبر قدر من الاستفادة من هذه المياه سواء على مستوى المزرعة أو لتلبية الحاجات البشرية أو توفير مراعي للحيوانات ومياه لشربها . وكما ذكرنا في بداية البحث على أن حصاد المياه يمكن أن يمارس بجمع مياه الأمطار الساقطة على منطقة صغيرة وهذه تسمى بنظم المجتمعات الصغيرة (تتراوح مساحتها

بين أمتار مربعة إلى 1000 م²) ، وفي هذه النظم لا تقطع المياه مسافة طويلة لكي تصل إلى أحواض التخزين . وبالمقابل هنالك نظم للمستجمعات الكبيرة ، والتي تكون فيها منطقة التغذية ذات مساحة كبيرة نسبيا وتكون بعيدة عن أحواض التخزين ، حيث تجري مياهها كسيول عبر الأودية لتقطع مسافات طويلة إلى أن تصل إلى المناطق المستفيدة . وعموماً فإنه يمكن دراسة أهم الأساليب المتبعة لحصاد المياه في محافظة تعز والتقنيات التي يمكن تطويرها أو تطبيقها في هذه المحافظة وكما يلي:

1: نظام المدرجات الزراعية:

يعد هذا النظام تراثاً حضارياً يدل على إبداع المزارع اليمني ، حيث بناها بمهارة فائقة ، وبالرغم من اختلاف إحصائها وأشكالها ألا أنها تتبع خطوط الكنتور من أجل التحكم بسرعة جريان المياه وإعطاء فرصة لفيض الماء في التربة ، ولا يزال هذا النظام أحد الأنظمة الزراعية السائدة في اليمن . كما أنه يعتبر أحد نظم حصاد مياه الأمطار وهو بمعنى أدق يمكن أن نعتبره من تقنيات الحفاظ على التربة والمياه معا . حيث تنشأ على المدرج الذي يكون ذو ميل قليل مصارف لصرف المياه الزائدة من المدرج الأعلى إلى المدرج الذي يليه في الأسفل . ويتدفق منها المياه ببطء لكي يحافظ على التربة من الجرف أو دون الإضرار بجدران المدرج .

المدرجات التي في أعالي الجبال عادة ما تكون صغيرة الحجم تعتمد على مياه الأمطار مباشرة ، ويعمل المزارعون اعقام ترابية ترتفع قليلا عن مستوى أرضية المدرج في طرف الحقل . وبمحاذاة الاعقام الترابية تقام قناة ترابية لتصريف المياه الزائدة وتنتهي هذه القناة بفتحة تصريف تسمح بخروج المياه الزائدة إلى المدرج الأسفل وهكذا .

المدرجات الزراعية الواقعة على ضفاف مجاري المياه بالأودية أسفل سفوح الجبال تكون أكثر سعة وتروى من خلال تجميع مياه الإمتطار في مساحات تترك دون زراعة تسمى بالمرهق (سيتم شرحها لاحقا) . وبعضها تأتي المياه من خلال القامة حواجز ترابية لتحويل مياه الجريان السطحي من المساقط المائية⁽²¹⁾ . ونتيجة لتعرض الكثير من المدرجات إلى التدهور بعد أن هجرها المزارعون نجدها اليوم باتت أحد أهداف مشروع الحفاظ على التربة والمياه وخصوصا في إعادة بناء جدران هذه المدرجات وإعادة تأهيل وصيانة قنوات المياه التي تسلكها مياه السيول ثم لتنتشر على هذه المدرجات .

2: الحواجز:

وهي أحد تقنيات حصاد مياه الأمطار ، وهي عبارة عن حواجز يقوم المزارعون ببنائها لتعترض مجاري المياه في المساقط المائية على المنحدرات الجبلية . ويهدف من بنائها تخفيف سرعة جريان المياه للحد من جرف تربة الأراضي الزراعية الواقعة على جوانب المجاري المائية . وتبنى من الأحجار والمواد الطينية ، وبارتفاع حوالي متر كمرحلة أولى ثم تترك لتمتلئ المنطقة الواقعة أمام الحاجز بالترسبات التي حملتها المياه . وعند امتلائها بالترسبات يتم زيادة ارتفاع الحاجز . لوحظ أن اغلب الأراضي الموجودة في مقدمة الحاجز تتم زراعتها بالأشجار والشجيرات المثمرة (22) . وحاليا يباشر مشروع حماية التربة والمياه في تعز بإنشاء ما يعرف (مهندئات وكاسرات السيول) ، تبنى من جدران حجرية تقطع الأودية لتهدئة الماء النازل إلى الأراضي الزراعية في الأسفل بهدوء وهي بذلك تعمل عمل الحواجز السابقة ومن الممكن إن يستفيد المزارعون منها في استثمار الترسبات المتراكمة في مقدمة هذه المهندئات بزراعتها بالأشجار المثمرة (23) .

3: المراهق:

هذه التقنية تستعمل منذ القدم في تعز لحصاد مياه الأمطار المتساقطة على المنحدرات الجبلية. حيث يتم ترك مساحات دون زراعة أسفل المنحدرات وفي الغالب تكون هذه المساحات صخرية لتقليل عملية التسرب للمياه المحجوزة، وتكتف بأكتاف ترابية ارتفاعها يتراوح بين 0.5 - 1 م ، وبعد امتلائها بالمياه يتم توجيه هذه المياه إلى الحقول الزراعية المجاورة والواقعة أسفل هذه المراهق . في هذه التقنية يمكن أن تجمع مياه الأمطار الساقطة بشكل مباشر في حوض المراهق أو من خلال نزولها كسيول من الجبل الذي تنحدر منه المياه إلى حوض التخزين . ولوحظ أن الكثير من هذه المراهق في موسم الجفاف وبعد أن تجف مياهها تنبت فيها الكثير من الحشائش مستفيدة من الرطوبة المخزونة في طبقة الترسبات التي غطت السطح الصخري للمرهق والتي يمكن أن تستخدم كمراعي للماشية .

4: البرك:

تعد البرك أحد تقنيات حصاد مياه الأمطار والتي تنتشر بكثرة في منطقة الدراسة. وهي غالبا ما تكون مكشوفة وبعضها مغطاة، وناجذ أشكالا عديدة فمنها الدائري وبعضها

مربع أو بشكل مستطيل أو مقوسة. تنشأ هذه البرك لغرض خزن مياه الأمطار المتساقطة في المناطق المحيطة بالبركة والتي تصل إليها كسيول أو تصل مياه الأمطار الساقطة من فوق أسقف المنازل والمساجد عبر مواسير تنزل من هذه السقوف نحو البرك الموجودة في الأسفل مباشرة ، أو تصلها المياه من العيون والينابيع الغيول . ويمكن الاستفادة من المياه المخزونة في هذه البرك خلال مواسم سقوط الأمطار من خلال استخدام مياهها بالري التكميلي للمحاصيل الزراعية أو إنها تترك للاستفادة من مياهها خلال موسم الجفاف سواء للشرب أو لغرض سد الاحتياجات المنزلية أو لشرب الماشية أو لري بعض المساحات الصغيرة المزروعة بالذرة والدخن وأشجار القات والتين والجوافة (24) .

ويتم بناء البرك من خلال الحفر في المناطق الحجرية بعمق يتراوح بين 2-7 متر لتستوعب مياه مقدارها تتراوح بين 100 -3000 متر مكعب ، وتبنى جدرانها الداخلية بالأحجار التي تستخدم مادة الأسمنت أو مادة تشبه الأسمنت تسمى محليا (القضاض) وهي مكونة من أحجار صغيرة تخلط مع مادة النوره. ويتم تبطين القاعدة لمنع تسرب المياه المخزونة. غالبا ما تكون البرك القديمة ضيقة في الأسفل وواسعة في الأعلى ويترك في أعلاها مفيض لصرف المياه الزائدة عند امتلائها ويتم النزول إليها بدرج (25) .

ولأهمية هذه البرك ودورها في حصاد مياه الأمطار نجد أن مشروع حماية التربة والمياه في تعز يقوم بإعادة تأهيل وصيانة البرك القديمة ، وقد نفذت كوارده صيانة ثلاثة برك قديمة . كما أنه باشر ببناء برك حديثة (خزانات حديثة) بسعة 150 متر مكعب في أطراف الحقول الزراعية وتوجد أسفل المرتفعات حيث تصلها مياه المساقط الجبلية . وقد تم تنفيذ 11 خزان جديد من قبل المشروع أعلاه ، ولا يزال هناك الكثير قيد التنفيذ . تستخدم مياه هذه البرك خلال موسم الجفاف للزراعة أو للاستخدامات البشرية، ويتم استخراج المياه من هذه البرك من خلال فتحة تنظم بصنبور (26). يبنى إلى جانب البرك سواء القديمة أو الحديثة حوض ترسيب على شكل مستطيل أو مربع يسمى محليا (المنقصة وفي بعض المناطق الجبانة) ، ويكون ملاصقا لبناء الخزان الأساسي ويبنى من الأحجار ويبطن ، ويكون الهدف من بناء هذا الحوض هو ترسيب أكبر قدر ممكن من الرواسب التي تحملها السيول كالصخور والأتربة وتمنعها من النزول مع المياه إلى

الخران المائي الرئيسي ، ويتم تنظيفه من وقت لآخر. والجدير بالذكر أن أغلب البرك بعد أن يتم استهلاك كامل مياهها يقوم الأهالي المستفيدين منها بتنظيفها من المواد التي ترسبت في قعرها خلال فترة وجود الماء فيها ، وحملها إلى خارج البركة وذلك من أجل أن تكون البركة نظيفة استعدادا لموسم الأمطار اللاحق وهذا يحقق نقاوة أكثر للمياه كما انه يزيد من الطاقة الاستيعابية للبركة .

ومن الأساليب الأخرى لحصاد مياه الأمطار والتي توجد في منطقة الدراسة والتي تشبه البرك هي (الكريفات) وهي عبارة عن حفر موجودة في الأراضي الصخرية على سفوح الجبال تدخله تلقائيا مياه السيول ويتم حجز الماء فيها ليستخدم في الغالب لشرب الحيوانات التي ترعى بالقرب منها .

5 : منشآت الري السيلي :

وهي من تقنيات حصاد مياه السيول التي تجري في الأودية . حيث يتم من خلالها حجز مياه السيول وبالتالي تحويلها وتوزيعها بفعل الجاذبية والانحدار على أحد أطراف الوادي أو طرفي الوادي لري الأراضي الزراعية كري تكميلي يغطي النقص في مياه الأمطار. ويتم توجيه جريان الماء بواسطة قناة محاطة بأكتاف ترابية أو حجرية قوية، وتحتاج هذه القنوات إلى صيانة مستمرة . توجد العديد من السدود التحويلية التي يستفيد منها المزارعون لري أراضيهم الزراعية وخصوصا لري المدرجات الزراعية. وقد تم تنفيذ سد تحويلي من هذا النوع من قبل مشروع حماية التربة والمياه في تعز لرفع منسوب المياه في وادي الخير ليتم تحويل المياه إلى الأراضي الزراعية المجاورة والبالغة مساحتها حوالي 130 هكتار ، وهناك مشاريع مماثلة أخرى سيتم تنفيذها من قبل المشروع أعلاه في وادي رسيان ووادي الراهدة - نخلة .

6: الخزانات التقليدية :

هي عبارة عن خزانات أرضية عميقة يتم حفرها على جوانب الأودية التي تمر خلالها مياه السيول ، وتبلغ سعتها حوالي 115 متر مكعب وتدخلها مياه السيول من خلال قناة مكثفة بالأحجار. إن المرور السريع لمياه السيول لا يعطي إمكانية لمياهها بالتوغل إلى باطن الأرض لذلك سوف لن تستفيد المياه الجوفية من هذه المياه الغزيرة ، لذا فإن

الهدف من إقامة هذه الحفر هي ملئها بمياه السيول وبالتالي نزول هذه المياه بهدوء إلى باطن العارض لتغذية المياه الجوفية ورفع مستوى مياه الآبار في المنطقة . وهناك العديد من هذه الحفر سيتم المباشرة بتنفيذها من قبل مشروع حماية التربة والمياه في تعز ، وكذلك يمكن حث المواطنين بالتوسع بإنشاء مثل هذه الخزانات الأرضية لرفع المياه في آبارهم التي يقوموا باستخدام مياهها لري أراضيهم الزراعية أو الاستفادة منها في تغطية حاجاتهم البشرية (27) .

7: الزراعة في خطوط كنتورية :

في المناطق ذات الانحدار القليل يمكن أن تعمل حواجز ترابية من خلال حراستها بالمحراث البلدي وتكون المسافة بين حاجز وآخر تتراوح بين 4 - 10 متر . ويتم الزراعة في أعلى المتن أما ما تبقى من المساحة فيكون مستجمع مائي وتحجز المياه في مقدمة خط الكنتور وغالبا ما تتم تقوية الأكتاف بالأحجار . يمر الماء خلال قناة رئيسية وتخرج أيضا من خلالها تلافيا لتدمير هذه الخطوط . ولوحظ أن بعض المزارعين يضع بعض الأحجار في القناة من أجل إبطاء حركة جريان الماء.

8: تحسين مجاري القنوات :

تعد القنوات الوسيلة المهمة والناقلة للمياه من المستجمع المائي إلى منطقة التخزين أو المنطقة المستفيدة مباشرة ، لذا فإنها حلقة وصل أساسية للكثير من تقنيات حصاد المياه وعدم صيانتها أو تدهورها يعني فشل تلك التقنيات ، لذا أصبحت مسألة تنظيف وصيانة هذه القنوات إحدى الهداف مشروع حماية التربة والمياه في تعز . حيث باشر هذا المشروع بتحسين الكثير من هذه القنوات وإعادة تبطينها وتبطين جوانبها وقد حققت القنوات التي تم تحسينها إمكانية عالية في نقل مياه السيول وصولا إلى المدرجات الزراعية.

9: السدود:

انشأ الإنسان اليمني السدود منذ القدم وذلك من أجل حجز مياه السيول بعد سقوط الأمطار ، ثم استخدام تلك المياه المتجمعة في مقدمة السد لأغراض مختلفة أهمها الأغراض الزراعية وكذلك لسد احتياجاته المختلفة .

وتمتاز محافظة نعر بطبيعتها الجبلية والتي تسيطر التي تسيطر على معظم مساحة المحافظة ، ونظرا لقلّة الغطاء النباتي وشدة انحدار معظم الوديان والعواصف المطرية الشديدة الغزارة والقصيرة المدى ، فإن وديانها تشهد سيولا عارمة ولفترة قصيرة وتجري بتصاريح عالية قد يصل معدلها أحيانا حوالي 300 م3 / ثا (28) . وانطلاقا من أهمية حصاد مياه الأمطار بتقنيات تحتجز كميات كبيره من تلك المياه يمكن استخدامها لتغطية احتياجات واسعة تم بناء 11 سد خرساني كبير في مناطق مختلفة من المحافظة لتتكون واحدة من تقنيات حصاد مياه الأمطار والتي لوحظت آثارها الإيجابية على المناطق المتواجدة فيها . ولأهمتها نورد بعض التفاصيل الخاصة بتلك السدود وكما يلي :

اسم السد	موقعه	ارتفاعه عن مستوى سطح البحر (متر)	منطقة التغذية (المستجمع المائي)	دوره في المنطقة المستفيدة	المحاصيل الزراعية اعتماداً على مياه السد	دوره في تنمية النباتات الطبيعية في المنطقة المستفيدة
سد الصبيح	عزلة عليسة ، مديرية دمنة خديير	1160	السيول القادمة من جبال رحيان وشعوب و القبّة وكوكبة ، خلال موسم الأمطار يكون معدل جريان السيول خلال موسم الأمطار حوالي 1450000 م ³ وتبلغ مساحة منطقة التغذية 34.8 م ³	1. رفع مناسيب المياه الجوفية وتغذية الآبار الموجودة أسفل السد و التي تستخدم لري الأراضي الزراعية أسفل منطقة السد. 2. تستخدم مياهه لري الأراضي الزراعية اعتماداً على الري السطحي عبر أنابيب تخرج من جسم السد لتضخ الماء في قنوات ترابية وصولاً إلى الأراضي الزراعية. 3. له دور في سد الاحتياجات البشرية في الشرب والاحتياجات المنزلية.	مانجو، نخيل، زيتون، ذرة، شامية ، طماطم، كوسية، خيار، بامبسا، بطاطس، كراث، ثوم، قسا، ن.	عسق، سقم، سدر، قرض، أثناب، التمر الهندي، مضاف، ديمن، حمر
سد الخائف	منطقة الخائف ، عند التقاء وادي جريان مع وادي حنظل، عزلة — نخيس مديرية ماوية	1160	تصله المياه من غيل وادي حنظل والببالغ تصريفه 30 لتر/ثانية ويصب فيه مجموعة من الغيول الصغيرة مثل غيل الذبينة وغيل دهنّة وغيل جريان	1. رفع مناسيب المياه الجوفية وتغذية الآبار 2. ري الأراضي الزراعية عبر القنوات الترابية التي تصلها المياه من السد. 3. استخدامه للشرب كونه ذو مياه نقية.	زيتون، ياساي، موز، نخيل ، طماطم، كوسة، بطاطس، كراث، فجل، خيا، فلفل التمر، الهندي، كوش، ذرة، شامية، قات	عسق، سقم، سد، ر، سمر، سلغف، القفل، الخدش، الطلح، خمار، الكافور، السشارب، الأثناب، السديم

عدد الكراسة	عند التقاء وادي الماشقي مع وادي حضاية في قرية الكدامة، عزلة المشالة العليا. مديرية المواسط	1020	تأتيه السيول من الجبال التي تحيط بالسد	1. يرفع من مستوى المياه الجوفية كونه يتموضع على أراضي هشة. 2. له دور كبير في إبطاء السيول وتحويلها حيث يتم حجز مياه السيول فيه لفترة قصيرة ثم يتم إخراجها عبر جدار الحماجز لتستخدم مباشرة في الري السطحي للأراضي الزراعية التي يكون أعلى أرضها	مانجو، زيتون، باباي، ليمون، نخيل، بسن، بطاطس، الذرة، طماطم، الخمر، والبيض.	عسق، قرص، سدر، أثاب، سم، شارب، الخلاص، الحنك، قصاص، العنق، ط، الحلة، الخوخة، السلق، السن، الزوزحة
	وادي ظمران - مديرية حيطان	1190	تأتيه السيول من وادي ظمران الذي تصب فيه مجموعة من الأودية الفرعية مثل وادي مكارا، ويصب فيه غيل الثوارة وهو دائم الجريان ويصب بالسد بكمية 1.5 لتر/ ثانية	1. تغذية المياه الجوفية وبنسبة ضئيلة 2. تستخدم مياهه في أعلى السد لتغطية احتياجات البناء فقط لأن مياهه راكدة وشبه ملوثة لذا يحتاج إلى تفرغ وتنظيف ليمنى من جديد بالمياه لتحقيق الاستفادة منه بشكل عملي.	باباي، ذرة حمراء وبيضاء، ذرة شامية، ذخن، (آسرع) بأراضي صغيرة ومحدودة المساحة، وليس مياه السد دور كبير في ري الأراضي الزراعية لبعدها عن موقع السد.	العسق، السدر، العوسج، الأثاب، القفل، الخلدش، السقم، السن، الأذخر

اسم السد	موقعه	ارتفاعه عن مستوى سطح البحر (متر)	منطقة التغذية (المستجم المائي)	دوره في المنطقة المستفيدة	المحاصيل الزراعية اعتماداً على مياه السد	دوره في تنمية النباتات الطبيعية في المنطقة المستفيدة
سد الشويفية	منطقة عققان، عزلة الشويفية - مديرية حبيشان	1280	تأتيه مياه السيول عبر وادي العشة الذي يبدأ من جبل الحرير وجبل النجاج، و تصب فيه مجموعة من الروافد الصغيرة و يلتقي مع وادي السرة الذي تتدفق فيه المياه معظم شهور السنة ويرتفع كمية مياهه المتدفقة صيفاً لتبلغ حوالي 50 لتر/ الثانية ويقبل في الشتاء فصل الجفاف	ليس له دور في ري الأراضي الزراعية كونها تعتمد على الأمطار ومن الممكن تطوير الزراعة خلال الفصل الجاف اعتماداً على مياه السد بعد معالجة التسفقات في جدرانها لزيادة احتفاظه بالماء خلال موسم الجفاف .	—	المسق، القفل، الآثاب، القرص، السقم، الخضال، الشارب، حمر
سد النمش	وادي النمش، دمنة أعبوس - مديرية حبيشان	1194	تصله المياه عبر مياه السيول، و المياه الواصلة له عبر وادي النمش الذي يتصدر من أعالي جبال الأعبوس وتصب فيه مجموعة من الأودية الفرعية مثل وادي الشرج و هنالك غيل النمش الذي يتدفق من تحت جسم السد و بكمية تصريف 50 لتر/ الثانية	1. رعد المياه الجوفية حيث أثر على استمرار بقاء المياه في الآبار الموجودة بعد أن كانت تجف خلال موسم الجفاف . 2. ري الأراضي الزراعي أسفل السد من خلال إيصال مياه السد لها عن طريق مواسير قطرها 3 أنش مسدودة على جانبي الوادي . 3. تغطية الاحتياجات المنزلية.	زيتون، باباي، جرز، نخيل، طماطم، ديمن، بطاطس، ثوم، كراث، بصل، خيار، ذرة حمراء و بيضاء	القرص، الآثاب، السدر، الخدش، القفل، الشارب، الخضال، السقم، العددين، النشم، السصب، حمر، الحناء، الحنفض، حناء الرياح، العيلية، السورق، السيسان
سد الدموم	وادي الساكن، قرية الدموم - عزلة السوالة، مديرية عاوية	1150	الجبال المحيطة حيث تنحدر إلى موقع السد بشكل مباشر مياه الأمطار لتتجمع في السد	1. ري الأراضي الزراعي أسفل السد عبر شبكة ري حديثة 2. نظراً لتفاوت مياهه فهو يستخدم في سد الاحتياجات المنزلية والشرب 3. ليس له دور... في رفع مناسب المياه الجوفية كونه يتموضع على صخور كتيمة.	مانجو، زيتون، ليمون، نخيل، بن، بطاطس، ذرة، الذرة الحمراء و البيضاء، الذرة الشامية، بصل، كراث	(الشوفا، السن، السدر، القرص، القفل، الطلح، الآثاب، البلس، الخدش، الشبت، الحنقص، الديدمن، السيسان)

اسم السد	موقعه	ارتفاعه عن مستوى سطح البحر (متر)	منطقة التغذية (المستجمع المائي)	دوره في المنطقة المستفيدة	المحاصيل الزراعية اعتماداً على مياه السد	دوره في تنمية النباتات الطبيعية في المنطقة المستفيدة
سد الجسد القفصية	وادي وهر في منطقة اللصب قرية القحفنة عزلة نجد القحفنة مديرية جبل جبشي	1150	تصله مياه السيول و بواقع عشرة سيول في الموسم عبر وادي وهر	1. تغذية المياه الجوفية حيث نجد أن الآبار الموجودة أسفل السد تمضيض عند امتلاء السد بالمياه خلال موسم الأمطار 2. حماية الأراضي الزراعية الواقعة أسفل السد من مياه السيول القادمة من الجبال العالية التي تحيط بموقع السد 3. تغطية الاحتياجات المنزلية 4. يساعد في احتضان الرمال والحصى والأطيان التي تنزل مع السيول والتي تولا وجود السد لطمرت الأراضي الزراعية	مانجو، مسوز، باباي، رمان، زيتون، نخيل، ذرة بيضاء و حمص، ذرة شامية.	السدر الأثاب العسق، القرض، المضاض، الشارب، السع، السلف، السقم، الحصال، الديدمن.
سد الرارون	وادي عبره، موقع الذئبة، قرية عبار - عزلة بني شيبه - مديرية الشامتين - مديرية انترية	1050	مساحة التغذية حوالي 5.85 كم ² لتتجمع عبر 3 فيول تتدفق للسد عبر طريق وادي عبره، بدأ من الليمسة والعشة والثقيل	1. رفع مناسيب المياه الجوفية والسني تستخدم في ري الأراضي الزراعية 2. يستخدم للشرب وتغطية الاحتياجات المنزلية	مانجو، مسوز، باباي، زيتون، كرات، نخيل، ذرة بيضاء و حمص، ذرة شامية، دخن	الفروب، السن، الفول، الحفنة، الخوصة، الخواغ، العنشا، الشواف.
سد الطاروف	قرية العدوف - عزلة الشيخ - مديرية الترية		تصله السيول عبر ثلاثة أودية رئيسية وهي وادي الجنيد، وادي بني غازي، وادي الصيرة، كلها تنقي في مصب واحد هو وادي الخيل الذي يلتقي بوادي المشاركة لتصب كلها في السد.	1. تغذية المياه الجوفية ورفع مستوى المياه في الآبار أسفل السد والتي تستخدم في ري الأراضي الزراعية. 2. تتعرض مياهه لتلوث بسبب صرف مياه مجاري المساكن المحيطة به في الأودية الغذائية للسد	مانجو، باباي، رمان، الليمون، زيتون، نخيل، البصل، البطاطس، العطاطم، دخن، فرب، ذرة شامية، شعير، قمح بلدي	أشجار حراجية وشجيرات وحشائش، مثل الشبث، الطلح، العث، شرب، الحنقن، العرسم، العبلية، القرض، السلف، التمر هندي، الأبي، الحصال، العنشا، الحمق، العصن.

اسم السد	موقعه	ارتفاعه عن مستوى سطح البحر (متر)	منطقة التغذية (المستجمع المائي)	دوره في المنطقة المستفيدة	الحاصلات الزراعية اعتماداً على مياه السد	دوره في تنمية النباتات الطبيعية في المنطقة المستفيدة
حاجز الري السبلي في التريه، وادي رسيان	التريه		يوجد على وادي رسيان الذي تتدفق منه مياه تقدر بـ 500 لتر / الثانية وتصب في هذا الوادي مجموعة من الأودية الهامة مثل وادي الضباب ، وادي شرعب ووادي عصيفرة وتصب أيضاً فيه مجموعة من الينابيع الحارة من منطقة حمام رسيان، وتتجمع المياه إلى هذا الحوض من ثلاثة مصادر رئيسية هي سد العامرة ، التريه و الجبال المحيطة بالحاجز.	1. له دور مهم في تحويل مياه السيول والأودية الأراضي الزراعية دون وصولها إلى البحر لغرض الاستفادة منها في ري الأراضي الزراعية. 2. مشكلة المياه أصبحت ملوثة بسبب مياه المجاري التي تصله عبر وادي عصيفرة وهذا له أثر على الحجاز الأراضي الزراعية وبقية الزراعة تقتصر على الحاصلات المقاومة للملوحة. 3. يكمن معالجة مشكلة مياه المجاري لتحقيق الاستفادة القصوى من هذه المياه المتجمعة زراعياً وجوياً و تغطية الاحتياجات البشرية.	نخيل ، ذرة شامية ، ذرة حمراء ، ذرة بيضاء ، دخن	الورك، الأثل ، السدر، السمرة ، الحنقن ، الرأى .
سلسل السامسة	الهشمة ، مديرية التعزية		تصله المياه عبر وادي القاضى ، ووادي عصيفرة ، ووادي كلابية	1. رفع منسوب المياه الجوفية في تعز 2. تصله المياه السيول النازلة عبر مشروع حماية مدينة تعز من مياه السيول لغرض ري الأراضي الزراعية. 3. مياهه ملوثة بسبب وصول مياه الصرف الصحي إليه.		—

المصدر : عبدا لقوي ، بشير نظير ، دراسة متكاملة عن السدود في محافظة تعز ، الهيئة العامة للموارد المائية ، مكتب تعز ، 2002 ، تقرير غير منشور ، ص 5 ، 11 ، 17 ، 19 ، 25 ، 38 ، 41 ، 46 .

10: المواجه :

وهي حواجز على شكل نصف دائرة أو هلال تواجه أعلى المنحدر، إذا كانت الأراضي قليلة الانحدار وتقع أسفل المنحدر أو ممكن أن تكون على المنحدرات الجبلية القليلة الميل والتي لا تزيد درجة انحدارها عن 15 % . وهذه إحدى تقنيات حصاد مياه الأمطار حيث تجمع المياه المنحدرة من المساقط المائية لتجمع أمام الحاجز فسي البقعة التي تزرع بها النباتات . يبلغ قطر الماغل بين 1 - 8 م وارتفاعه بسين 30 - 50 سم .

يستخدم على سفوح الجبال لزراعة وري الأشجار وبعض المحاصيل الحقلية مثل الذرة والخضروات ويمكن أن يستخدم في الأراضي المستوية لتنمية المراعي الطبيعية (29).

11: الحفر الصغيرة:

يمكن أن تستخدم هذه التقنية في حصاد مياه الأمطار والتي هي عبارة عن عمل حفر يتراوح قطرها بين 0.3 - 2 متر وعمقها بين 5 - 15 سم، في الأراضي الزراعية الصغيرة المساحة والقليلة الانحدار أو شبة المستوية حيث يمكن أن تملئ بالتربة إن كانت المنطقة حجرية أو قليلة التربة وتكون مكان جيد للزراعة الذرة أو الدخن أو بعض الأشجار ، وفي نفس الوقت هي أماكن تتجمع بها مياه الأمطار وتحتفظ التربة بها بالرطوبة .

12: الواح الجريان السطحي:

وهي ألواح مستطيلة عرضها يتراوح بين 5 - 10م وطولها بين 10 - 25 م وتحيط بها أكتاف ترابية ، وتعمل كمستجمع مائي في الأراضي المنبسطة أما الأراضي شبة المستوية فيمكن أن تكون نفس الألواح ولكن بحجم اصغر . يمكن استثمار هذه الإلماح بزراعة الأشجار المثمرة كالمانجو والزيتون.

13: شرائط الجريان السطحي:

هذه التقنية تتلاءم مع المناطق القليلة الانحدار والتي تسقط عليها أمطار قليلة ، حيث تقسم الأرض إلى شرائط يكون جزئها العلوي مستجمع مائي في حين تكون الزراعة في الجزء الأسفل من هذه الشرائط تحرث سنويا ويتم إضافة الأسمدة العضوية لها لضمان زيادة خصوبتها (30) .

14 : حصاد المياه من الرطوبة الجوية :

من التقنيات الحديثة هي جمع المياه من الرطوبة الجوية الموجودة في الجو وقد لوحظ أن هنالك بعض المواطنين في أعالي جبل صبر يعملون على سطوحهم غطاء من البلاستيك مساحته 5*4 م ويوجد بميل قليل يجمع الرطوبة المتكاثفة من بخار الماء الموجود في الجو ويتجمع كقطرات مائية على سطح البلاستيك ثم تنزل عبر ماسورة إلى خزان في الأسفل ويحصل بهذه الطريقة على مياه نقية. وبالإمكان تشجيع السكان في

أعلى صبر الذين يشكون من قلة الماء على ممارسة هذه التقنية لسد احتياجاتهم من مياه الشرب.

وينبغي الإشارة هنا إلى أن وزارة المياه والبيئة اليمنية تبحث مع شركات كندية إمكانية إقامة عدد من المشروعات الخاصة باستخراج المياه من الرطوبة الموجودة في الجو بعد أن أثبتت الدراسات الجدوى الاقتصادية لكميات المياه المنتشرة على هيئة بخار في أجواء المدن الساحلية أو المرتفعات والتي يمكن أن توفر ما مقداره 2 مليون م³ من المياه يوميا وذلك في إطار التخلص من شحة المياه . حيث ستقام عدد من المصانع والتي تعمل بتقنيات تكنولوجية متطورة في مجال حصاد المياه من الرطوبة الموجودة في الجو . وقد تبين أن تكلفة استخراج الماء من الهواء تعد منخفضة جدا إذ لا تزيد على 14 ريال للمتر المكعب الواحد من المياه وهذه المياه تكون نقية جدا وخالية من الملوثات بشهادة منظمة الصحة الدولية (31) .

- آلية اختيار مواقع تقنيات حصاد مياه الأمطار:

يتطلب تنفيذ أي تقنية من تقنيات حصاد مياه الأمطار توفر بيانات عن عناصر المناخ وخصوصا كميات الأمطار ومواسم هطولها ومعرفة المعدلات الشهرية لدرجة الحرارة ومعدلات التبخر وسرعة الرياح لما لذلك من اثر على الوضع المائي في المجتمعات المائية وأحواض التخزين . ومن المهم أيضا معرفة الوضع الطبوغرافي للمنطقة من حيث مستويات الارتفاع للتضاريس والأودية ومستويات الانحدار لأن ذلك له علاقة كبيرة بمناطق تغذية تقنيات الحصاد ومسالك السيول وصولا إلى أحواض التخزين . ويتطلب أيضا معرفة نوع التربة في المنطقة ونسجتها ومقدار مساميتها وقابليتها للاحتفاظ بالرطوبة ومدى مقاومتها لعمليات الجرف . ولا بد أن تتوفر للقائمين عن تنفيذ هذه التقنيات معلومات عن الجوانب الاجتماعية والعمل على إيجاد حلول مسبقة للكثير منها ، مثل تسوية حيازة الأرض وحقوق الملكية لتلافي الصراعات على الأرض والمياه مع ضمان حقوق المياه للمستفيدين المتواجدين في أسفل المجرى . إضافة إلى ضرورة معرفة الأوضاع الاقتصادية للمستفيدين .

وتعد الزيارات الميدانية ومعاينة الموقع والتصوير الفوتوغرافي والصور الجوية ونظم المعلومات الجغرافية كلها وسائل ترفد القائمين بالتخطيط وتصميم و بتنفيذ تقنيات

حصاد مياه الأمطار. ولا ننسى أهمية معرفة الغاية من إقامة أي تقنية من هذه التقنيات، فهي معده هل للزراعة أم للشرب لتحديد نوع الخزان الذي سيجمع به المياه وطريقة نقله من المستجمع للخزان.

- صيانة تقنيات حصاد مياه الأمطار:

من أجل أن تكون هنالك ديمومة في تنفيذ الأهداف التي صممت لأجلها مشاريع حصاد مياه الأمطار وكذلك لأجل أن تحقق أكبر فائدة في رفد المناطق المستفيدة بالمياه وحصاد أكبر قدر ممكن من الأمطار الساقطة سواء بشكل مباشر أو الواسلة لها من خلال السيول أو الغيول ، لابد من تنفيذ الإجراءات التالية :

1. لابد من العناية المستمرة بالأكتاف والقنوات ومنشآت التخزين والمفيضات ومنشآت التحويل .
2. إزالة الترسبات من المجاري التي تسلكها السيول أو القنوات أو أحواض التخزين باستمرار .
3. تقديم إرشادات للمزارعين حول الاهتمام بتقنيات حصاد المياه ومراقبتها وصيانتها باستمرار وكذلك توجيههم بترشيد الاستهلاك المائي من أحواض التخزين وإتباع الري حسب المقتن المائي وتحسين خصوبة التربة والحد من انجرافها.
4. إن كانت المياه المحجوزة في الخزانات مخصصة للشرب لابد أن يحافظ عليها من التلوث وعدم تركها مكشوفة
5. عدم ترك مياه الصرف الصحي تنصرف نحو الأودية التي ترفد السدود بالمياه حفاظا عليها من التلوث.
6. متابعة إزالة العوارض التي قد يقيمها بعض المزارعين في مجاري السيول .

الخلاصة

لقد باتت مسألة الاهتمام بموارد البيئة من المعطيات الأساسية التي تقع ضمن خطط التنمية لأي دولة ، وذلك لأهمية هذه الموارد وضرورة صيانتها وديمومة الاستفادة منها . والموارد المائية إحدى هذه الموارد التي تأخذ نصيبا كبيرا في التخطيط من أجل تنميتها تنمية مستدامة وذلك عبر المحافظة عليها وصيانتها . وبناء على ذلك جاء

الاهتمام بتفعيل تقنيات لحصاد مياه الأمطار في البيئات الجافة وشبه الجافة من اجل تحقيق الاستفادة القصوى من الأمطار الساقطة . سواء خلال فترة سقوطها أو في موسم الجفاف .

ويعرف حصاد مياه الأمطار على انه كافة العمليات التي تمارس لتجميع وتخزين ونشر مياه الأمطار ، بغية توفير المياه للمناطق التي لا تكفيها مياه الأمطار الساقطة عليها ، وذلك لسد احتياجاتها الزراعية أو البشرية ، كما أنها تعمل في نفس الوقت إلى تغذية المياه الجوفية من خلال حجز أكبر كمية ممكنة من مياه الأمطار وإعطائها فرصة كافية للتسرب داخل التربة ورفع مستويات المياه الجوفية .

تتكون منظومة تقنيات حصاد مياه الأمطار من ثلاثة مكونات أساسية وهي ، منطقة المستجمع المائي (منطقة التغذية) وهي المنطقة التي تسقط عليها الأمطار ومنها تخرج للتغذية المنطقة المستفيدة . وهذه المنطقة إما أن تكون صغيرة المساحة لا تتجاوز بضعة أمتار مربعة (منطقة طبيعية ، سطح منزل ، طريق معبد) ، أو تكون منطقة ذات مساحة واسعة تصل عدة مئات من الكيلومترات المربعة . أما المكون الثاني فهو منطقة التخزين ، وهي التي تمثل تقنية حصاد مياه الأمطار التي تصلها من منطقة المستجمع المائي . وهذه إما أن تكون فوق سطح الأرض أو تحته ، مكشوفة أو مغطاة واخذ أشكالاً وأحجاماً مختلفة تبعاً لاتحدار العارض وبعدها عن منطقة التغذية ومساحة المنطقة المستفيدة ونوع الاستفادة من المياه المخزونة فيها . إما المكون الثالث فهو المنطقة المستفيدة ، أي المنطقة التي تستفيد من المياه التي تم خزنها في مكون حصاد المياه (لري الأراضي الزراعية ، سد الاحتياجات البشرية ، الخ) ، وهذه الاستفادة يمكن أن تكون خلال موسم الأمطار كـري تكميلي أو خلال فصل الجفاف .

اليمن بشكل عام من البلدان التي مارس سكانها تقنيات حصاد مياه الأمطار منذ زمن بعيد ، لمعرفتهم بأهمية إنشاء هذه التقنيات في ظل سقوط أمطار موسمية متذبذبة بكمياتها . فبنو سد مأرب وغيره الكثير من السدود والحواجز والصحاريج . ومحافظه تعز واحدة من محافظات الجمهورية اليمنية التي مارس سكانها جمع مياه الأمطار عبر مختلف الأساليب التي صممها وبنائها لهذا الغرض . وهذه المحافظة تمتلك إمكانيات

تشجع سكانها على تطبيق هذه التقنيات ، فمن الناحية الطبوغرافية هذه المحافظة تقع ضمن إقليم المرتفعات الجنوبية ، حيث تمثل المرتفعات حوالي 61.89 % من مساحتها الكلية ، وما تبقى من أراضيها عبارة عن أراضي تنحدر بشكل تدريجي لنتهي عند البحر الأحمر بسهل ساحلي وهو جزء من سهل تهامة . مرتفعات محافظة تعز تتباين في مستويات ارتفاعها ، حيث يمثل أعلى ارتفاع لها في جبل صبر الذي يبلغ مستوى ارتفاعه حوالي 3600 متر فوق مستوى سطح البحر ، وتنتشر على سفوح الكثير من هذه المرتفعات المدرجات الزراعية ، كما تتخللها الكثير من الأودية والتي تنتشر على جوانبها الأراضي الزراعية والتي تجري خلالها مياه السيول. ونتيجة لاعتراض المرتفعات الجبلية الرياح الرطبة فأنها تتلقى كميات كبيرة من مياه الأمطار الساقطة عليها بمعدلات تراوحت بين 400 - 800 ملم سنويا ، تبعا لمعدلات ارتفاع هذه الجبال ، خلال فترات الربيع والصيف والخريف ، علما بان كميات الأمطار التي تسقط صيفا هي الأكثر . وقد تبين من خلال الدراسة أن مياه الأمطار تعد المورد المائي الأساسي في المحافظة والتي تعتمد عليها في تغطية كافة احتياجاتها الزراعية والبشرية ، حتى وان تعدت سبل الاستفادة من هذه المياه تبقى الأمطار مصدرها الرئيسي ، فالغيول والسيول والمياه الجوفية ترتبط بالتغذية الرئيسة لمياه الأمطار في المحافظة إضافة إلى الاستفادة المباشرة من الأمطار الساقطة لتغطية الاحتياجات الزراعية والبشرية . فتبين أن مدينة تعز والبالغ سكانها حوالي 500 ألف نسمة تعتمد في كل مرافقها واحتياجات سكانها من المياه على ما توفره الحياة الجوفية المستخرجة من خمسة أحواض رئيسة تابعة لمركز المدينة وبطاقة إنتاجية بلغت (7060081) م³ ومخزون مياه هذه الأحواض يرتبط بشكل رئيسي بتغذية الأمطار الساقطة في المحافظة ، لذا فان أي حجز لمياه الأمطار وبما يخدم تغذية هذه المياه يدخل ضمن تقنيات الحصاد والتي تلعب دور مهم في تحقيق ذلك الهدف . كما تعتمد الزراعة في محافظة تعز على مياه الأمطار أما بشكل سقوط مباشر أو على شكل جريان سطحي لمياه الأمطار على شكل سيول أو غيول ، أو عبر المياه الجوفية التي تغذيها مياه هذه الأمطار ، وينطبق هذا الشيء ذاته في اعتماد كل سكان المحافظة في تغطية احتياجاتهم من مياه الشرب أو الاحتياجات المنزلية أو لإرواء حيواناتهم على مياه

الآبار أو المياه التي تم خزنها من مياه الأمطار عبر أساليب حصاد المياه . وهكذا تبين لنا أن الأمطار مورد مائي أساسي لا بديل له في محافظة تعز ، لذلك لابد من المحافظة على مياه هذه الأمطار واستثمارها بشكل امثل خلال موسم سقوطها . وتأتي تقنيات حصاد مياه الأمطار على رأس أساليب المحافظة على هذه المياه ، لذا لابد من تطوير ما موجود من هذه التقنيات والاهتمام بها وصيانتها والمحاولة في تعميم تطبيق تقنيات حديثة تتلاءم مع بيئة المحافظة .

تبين من خلال الدراسة أن هنالك العديد من هذه التقنيات أهمها وأكثرها سعة وانتشارا هي نظم المدرجات الزراعية ، المخصصة لري المدرجات الزراعية المنتشرة على سفوح العديد من المرتفعات الجبلية في تعز ، وهذه النظم تؤدي دورين مهمين وهما المحافظة على التربة والمياه معا . ومن التقنيات الأخرى الحواجز وهي التي يبنيها المزارعون في مجاري الأودية لتهدئة مياه السيول وإعطاء إمكانية لري الأراضي على جانبي الوادي ، وفرصة لغيض المياه داخل التربة من اجل تغذية المياه الجوفية . وتشترك معها منشآت الري السيلي كواحدة من تقنيات حصاد مياه الأمطار ، في تحقيق هذه الأهداف . ومن التقنيات الأخرى ، المراهق ، وهي التي تنشأ أسفل المنحدرات الجبلية في أماكن صخرية يقوم المزارعون بتكتيفها لتصبح أحواض كبيرة تجمع بها مياه الأمطار أما من السيول أو من خلال ما يتجمع بها من سقوط مباشر من أمطار وتستخدم لي الأراضي الزراعية . ومن التقنيات الأخرى التي تنتشر بشكل كبير، البرك، وهذه البرك توجد أسفل المنحدرات لتصلها مياه السيول. وتتراوح سعة هذه البرك بين 150 - 3000 م³ . بعضها مكشوف والبعض الآخر مغطى، والذي يكون مغطى يخصص لشرب الإنسان. إما المكشوفة فتعد للزراعة وسد الاحتياجات المنزلية. غالبية هذه البرك قديمة يتم ألان العادة الكثير منها وترميمها من قبل مشروع حماية التربة والمياه في تعز، إضافة إلى إنجاز العديد من هذه البرك من قبل المشروع أعلاه. تبنى إلى جانب هذه البرك أحواض صغيره تمر بها المياه قبل النزول إلى البركة ، ويعمل هذا الحوض كحوض تصفية للمياه حيث تترسب فيه الأحجار بكبيره وتمنعها من الدخول للبركة . ولا ننسى إن هنالك الكثير من البرك التي تقع أسفل المنازل أو إلى جوانبها تزود بمياه الأمطار التي

تسقط على سطوح المنازل والتي تنزل إليها عبر ماسورة وتعد هذه البرك شأ تأساسي يلزم إنشاء الكثير من مساكن الأرياف والمساجد المنتشرة وهي تحقق أغراضها بشكل كبير في موسم الجفاف في تغطية الكثير من الاحتياجات المائية .

وتعد السدود أحد تقنيات حصاد المياه ذات السعة الخزن نية الكبيرة ، والتي يمكن أن تغطي بمخزونها المائي لموسم الجفاف مساحات واسعة من الأراضي الزراعية فضلا عن إمكانيةها في سد الاحتياجات البشرية لعدد كبير من السكان ودورها المهم جدا في تغذية المياه الجوفية . وقد تبين من خلال البحث أن المحافظة تمتلك 12 سد موزعة على في مديرياتها المختلفة ، تتحقق أغراضا جيدة في حصاد مياه الأمطار عن طريق السيول التي تصلها من مناطق تغذية بعيدة ليتم توزيعها من خلف السد للمناطق التي تليها كسري سطحي أو رفع منسوب المياه الجوفية إضافة لسد احتياجاتهم البشرية . ويرى الباحثان أن سد العامرة الذي يحتضن مياه السيول التي تصله عن طريق قنوات أعدها مشروع حماية تعز من كوارث السيول قد حرم أحواض المياه الجوفية المسئولة عن تزويد مدينة تعز بالمياه من الاستفادة من هذه المياه وذلك لأن القنوات الناقلة لمياه السيول مبطنه ، ولو أن سد العامرة قد يؤدي حجز المياه فيه هذا الغرض ولكن هنالك مشاكل تواجه المياه المتجمعة هنالك وأهمها تسرب جزء من مياه الصرف الصحي واختلاطها بمياه السيول . لذا يرى الباحث أن تحفر حفر عميقة في مواقع منتخبة من قنوات نقل السيول الرئيسية وهذه الحفر تكون مغطاة منعاً لئلا تكون بيئة ملائمة لتجمع البعوض وتوجد بها فتحات تسمح للماء أن يدخل بها ، والغاية من ذلك أن يحجز الماء في هذه الحفر لنترك له فترة كافية للتسرب في باطن الأرض وتغذية المياه الجوفية . ومن أساليب حصاد مياه الأمطار هي الخزانات التقليدية والتي هي عبارة عن حفر كبيرة يتم حفرها على جوانب الأودية لتمتلئ بمياه السيول التي تمر مسرعة في الأودية ، والغاية منها أن تحتفظ بجزء من مياه السيول لغرض تغذية المياه الجوفية .

لقد أوضحت الدراسة أن هنالك بعض التقنيات لحصاد مياه الأمطار يمكن أن يتم تنفيذها وتطويرها من أجل تحقيق استثمار امثل للأمطار الساقطة، مثل الحفر الصغيرة وألواح الجريان السطحي وشرايط الجريان السطحي وحصاد المياه من الرطوبة الجوية.

إن هذا البحث حاول أن يوضح أهم أساليب حصاد مياه الأمطار والتي تتلاءم مع طبيعة مناخ وطبوغرافية وتربة محافظة تعز ، وركز على أهمية مشاركة المواطنين في تنفيذ أي مشروع من مشاريع حصاد المياه كطرف إلى جانب الدولة ، كونه المستفيد الأول ومشاركته تجعله يحافظ على تلك المشاريع ويعمل على صيانتها باستمرار ، لتستمر في تحقيق الأهداف التي وضعت من أجلها .

الهوامش :

1. عبد الله عبد الجبار حسن، حماية الثروة المائية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2004، ص33.
2. أحمد سيف المطري ، تقنيات حصاد الأمطار في دولة الإمارات العربية المتحدة ، موقع على الانترنت .
3. نذير عويس ، برنيتز ، أحمد حاجم، حصاد تقانات تقليدية لتطوير البيئات الأكثر جفافاً ، المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (أيكاردا) ، ص 4 . موجود على الموقع الإلكتروني Icarda.org/arbic/publication/water-Hervest/Review 2
4. جمال احمد حسين البعداني ، الأساليب والتقنيات والممارسات اليمينية التقليدية في إدارة الموارد الأرضية ، برنامج إدارة البيئة المستدامة - وحدة البرنامج - الفرع الرابع (تقرير غير منشور) ، تعز ، ص24 .
5. لقاء أجراه الباحثان مع المهندس احمد سيف الأحمدى - رئيس مكون حصاد المياه والتربة في تعز وأب بتاريخ 2007/2/23م .
6. الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتنمية، الجهاز المركزي للإحصاء، تقرير العمليات الميدانية والمكتبة الخاصة بمسح وتحديث الخرائط والأطر الإحصائية والخدمات في محافظة تعز، ابريل، 2000، ص10.
7. الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجهاز المركزي للإحصاء، التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت، ديسمبر، 2004، ص 583.
8. نجيب عبد القادر سيف راجح الشميري ، توزيع المحلات العمرانية والخدمات الأساسية في محافظة تعز في اليمن (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة أسبوط ، مصر ، 2006 ، ص27 .
9. شاهر جمال آعا ، جغرافية اليمن الطبيعية للشطر الشمالي سابقاً ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنوار ، دمشق ، 1983 ، ص 55 .
10. نجيب عبد القادر سيف راجح الشميري ، توزيع المحلات العمرانية والخدمات الأساسية في محافظة تعز في اليمن مصدر سابق ، ص41 .
11. نجيب عبد القادر سيف راجح الشميري ، توزيع المحلات العمرانية والخدمات الأساسية في محافظة تعز في اليمن ، مصدر سابق ، ص42 .
12. المصدر نفسه ، ص43-61 .

13. محمد عبد الواسع الخراساني ، دليل المناخ الزراعي في اليمن (1881-2004) ، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي (مركز بحوث الموارد الطبيعية المتجددة) ، ذمار ، 2005 ، ص 26 .
14. الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، نتائج المرحلة الأولى من التعداد الزراعي (مرحلة الحصر) ، محافظة تعز ، صنعاء ، مايو ، 2002 ، ص 4 .
15. هادي احمد مخلف ، بعض المشكلات البيئية في اليمن وأثر العناصر الجغرافية فيها ، الندوة العلمية الأولى عن البيئة في الجمهورية اليمنية ، للفترة من 24-25 أكتوبر 1998 ، المنعقدة في جامعة أب ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر 2001 ، ص 9 .
16. عبدا لله عبدا لجبار حسن، حماية الثروة المائية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ص 34 .
17. عبدا لله عبدا لجبار حسن ، سالم علي الباتي ، استخدام المياه وطرق ترشيدها ، الندوة العلمية الأولى عن البيئة في الجمهورية اليمنية للفترة من 24-25 أكتوبر ، 1998 ، المنعقدة في جامعة إب ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، 2001 ، ص 91 .
18. عبدا لله عبدا لجبار حسن، حماية الثروة المائية، مصدر سابق، ص 18 .
19. الهيئة العامة للموارد المائية ، التغذية السنوية للآبار الإنتاجية التابعة لمؤسسة المياه والمغذية لمدينة تعز لعام 2005م ، ص 12 .
20. نور الدين محمد عبده، دراسة عن حصاد مياه الأمطار في مدينة تعز ، الهيئة العامة للموارد المائية ، مكتب تعز - أب (تقرير غير منشور) ، 2003 ، ص 3
21. جمال احمد حسين البعداني ، الأساليب والتقنيات والممارسات اليمنية التقليدية في إدارة الموارد الأرضية ، مصدر سابق ، ص 26 .
22. المصدر نفسه ، ص 27 .
23. لقاء أجراه الباحثان مع المهندس احمد سيف الأحمدي - رئيس مكون حصاد المياه والتربة في تعز وأب بتاريخ 2007/2/23م .
24. لقاء أجراه الباحثان مع المزارع دابوان عبد العزيز بتاريخ 2007/2/24م .
25. جمال احمد حسين البعداني ، الأساليب والتقنيات والممارسات اليمنية التقليدية في إدارة الموارد الأرضية ، مصدر سابق ، ص 32 .
26. لقاء أجراه الباحثان مع المهندس احمد سيف ، هيئة البحوث الزراعية بمكتب الزراعة - فرع تعز بتاريخ 2007/2/14م .
27. لقاء أجراه الباحثان مع المهندس احمد سيف الأحمدي - رئيس مكون حصاد المياه والتربة في تعز وأب بتاريخ 2007/2/23م .
28. عبدا لله عبدا الجبار ، أزمة المياه في اليمن وتأثيرها على التنمية -البدائل والحلول ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، اليمن ، الطبعة الأولى ، 2001 ، ص 31 .

29. لقاء أجراه الباحثان مع المهندس احمد سيف ، هيئة البحوث الزراعية بمكتب الزراعة - فرع تعز بتاريخ

2007/2/15 م

30. ذيب عويس ، برنيتر ، احمد حاجم ، حصاد تقانات تقليدية لتطوير البيئات الأكثر جفافاً، مصدر سابق ، ص

8 .

31. جريدة الشرق الأوسط ، العدد 9788 ، الخميس 2005/9/15 موجودة على الموقع الإلكتروني .www.

Aawsat. Com.

المراجع والمصادر:

- 1- أحمد سيف المطري ، تقنيات حصاد الأمطار في دولة الإمارات العربية المتحدة ، موقع على الانترنت . المناطق الجافة (أيكاردا) موجود على الموقع الإلكتروني - Icarda.org/arbic/publication/water-Hervest/Review 2
- 2- الجمهورية اليمنية ، وزارة التخطيط والتنمية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، تقرير العمليات الميدانية والمكتبية الخاصة بمسح وتحديث الخرائط والأطر الإحصائية والخدمات في محافظة تعز ، ابريل ، 2000 ، ص10
- 3- الجمهورية اليمنية ، وزارة التخطيط والتعاون الدولي ، الجهاز المركزي للإحصاء ، التعداد العام للسكان والمسكن والمنشآت، ديسمبر ، 2004 ، ص 583
- 4- الجمهورية اليمنية ، وزارة الزراعة والري، نتائج المرحلة الأولى من التعداد الزراعي (مرحلة الحصر) ، محافظة تعز، صنعاء ، مايو ، 2002 ،
- 5- جريدة الشرق الأوسط ، العدد 9788 ، الخميس 2005/9/15 موجودة على الموقع الإلكتروني [www. Aawsat. com.](http://www.Aawsat.com)
- 6- جمال احمد حسين البعداني ، الأساليب والتقنيات والممارسات اليمينية التقليدية في إدارة الموارد الأرضية ، برنامج إدارة البيئة المستدامة - وحدة البرنامج - الفرع الرابع (تقرير غير منشور) ، تعز .
- 7- ذيب عويس ، برنيتر ، أحمد حاجم ، حصاد تقانات تقليدية لتطوير البيئات الأكثر جفافاً ، المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة (أيكاردا)
- 8 - شاهر جمال أغا ، جغرافية اليمن الطبيعية للشطر الشمالي سابقاً ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأسوار ، دمشق ، 1983.
- 9- عبدا لله لجبار حسن ، حماية الثروة المائية ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن ، 2004 .
- 10 - عبدا لله عبد الجبار ، أزمة المياه في اليمن وتأثيرها على التنمية -البدائل والحلول ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، اليمن ، الطبعة الأولى، 2001 .

- 11- عبد الله عبد الجبار حسن ، سالم علي الباني ، استخدام المياه وطرق ترشيدها ، الندوة العلمية الأولى عن البيئة في الجمهورية اليمنية للفترة من 24-25 أكتوبر ، 1998 ، المنعقدة في جامعة إب ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، 2001 الأولى ، 2001.
- 12- عبد القوي ، نظير بشير، دراسة متكاملة عن السدود في محافظة تعز، (تقرير غير منشور) الهيئة العامة للموارد المائية، مكتب تعز، 2002.
- 13- محمد عبد الواسع الخرساني ، دليل المناخ الزراعي في اليمين (1881-2004) ، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي (مركز بحوث الموارد الطبيعية المتجددة) ، ذمار ، 2005.
- 14- نجيب عبد القادر سيف راجح الشميري ، توزيع المحلات العمرانية والخدمات الأساسية في محافظة تعز فسي اليمن (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب جامعة أسيوط ، مصر ، 2006 .
- 15- نور الدين محمد عبده ، دراسة عن حصاد مياه الأمطار في مدينة تعز ، الهيئة العامة للموارد المائية ، مكتب تعز - أب (تقرير غير منشور) ، 2003.
- 16- هادي احمد مخلف ، بعض المشكلات البيئية في اليمن وأثر العناصر الجغرافية فيها ، الندوة العلمية الأولى عن البيئة في الجمهورية اليمنية ، للفترة من 24-25 أكتوبر 1998 ، المنعقدة في جامعة أب ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر 2001 .





قسم علم النفس الواقع والظموح

د . عبد الرحمن علي راشد (*)



كعادته ولد قسم علم النفس في كلية الآداب والألسن في خضم المعاناة كتلك التي عانا منها علم النفس في الماضي ، واعقدها التشكيك بأحقيته كعلم مستقل بحكم ضعف المعرفة العلمية آنذاك وزهوة انتصار معرفة الخرافة وتابعيته لعلم الفلسفة . إلا أن جهود معشر علماء النفس المتفانية تمكنت من اختصار مراحل التطور التي قطعتها العلوم الأخرى وخلال قرن من الزمن وتحديداً من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين أوصلوا هذا العلم الفتى إلى مصاف العلوم التطبيقية والتجريبية الموضوعية مجسدين دعوة العالم السنوكي (واطسن) التي أطلقها بداية القرن التاسع عشر معنساً الأوان لنقل نشاط علم النفس إلى التجريب والقياس للظاهرة السلوكية القابلة للملاحظة وبمنهجية علمية حديثة تمكن الباحث من التحقق من صحة النتائج التي يتم التوصل لها ، ومن خلال فروض علمية أكثر منطقية (1) . وبهذا النجاح الذي يتمثل في دراسة أعقد مهمة علمية وهي دراسة النفس البشرية ، استحق الاعتراف به كعلم مستقل يهدف إلى دراسة الماهية الإنسانية . وعلى الرغم من عدم تمكن مختلف العلوم بحكم النظرة التكاملية بينها من التعريف النهائي لماهية الإنسان ، إلا أن علم النفس استطاع تعريف السلوك الإنساني الظاهر وربطه بالعمليات العضوية الداخلية كما استطاع من وصف وتفسير التحكم في سلوك الإنسان والتنبؤ به (2) .

(*) مدرس قسم علم النفس - كلية الآداب .

وإذا كانت ولادة قسم علم النفس في كلية الآداب والألسن كفرع شبيهة بولادة (الأصل) بمعنى أنه يحمل روح الأصالة ويكتسب الصفات الوراثية حسب المنظور النفسي الحيوي ، كما أنه يحمل في نفس الوقت روح المعاصرة ومؤشرات النجاح التي وصل لها نشاط قسم علم النفس وفي فترة قصيرة وفي ظل العدم الإمكانيات المادية شبيهة بالنجاحات التي حققها علم النفس بشكل عام في السنوات الأخيرة تؤكد صحة الطرح .

وفي الوقت الذي نأخذ دور العامل الوراثي في تكوين كل من شخصية (الأصل كعلم عام والقسم كخاص) في الوقت ذاته يؤكد على دور العامل الأخر (البيئي) في تطوير الاستعدادات والإمكانيات القطرية أو إعاقتها كمنجز للمنظور السلوكي. فظروف الولادة للأصل إذا ما أخذنا بالظروف البيئية واختلافها البسيط عن ظروف ولادة القسم (الفرع) في بعض الجوانب تؤكد التشابه في السمات المشتركة وتاريخ النشأة ، وخاصة إذا اعتمدنا ذلك الرأي الذي يرى أن الأم وظروف الولادة تمثل البيئة الأولى التي تؤثر في تكوين الشخصية ، ويمكن تعديلها إذا توفرت بيئة جديدة ملائمة بعد ولادة الجنين تختلف عن قساوة البيئة السابقة بحسب رأي السلوكيون⁽³⁾ .

لقد كانت ولادة قسم علم النفس شبيهة بولادة طفل من أم على خلفية زواج مبكر. بمعنى أنه تم تأسيس القسم بعد فترة قصيرة من تأسيس كلية الآداب والألسن كولادة طفل من أم لم تنضج بعد قدراتها العقلية والانفعالية والاجتماعية وبدون شك ستؤثر على تنمية الوليد حسب وجهة نظر مدارس مختلفة. وإذا أخذنا بالنظرة العلمية التي تؤكد أن الوالدان يشكلان البيئة المناسبة الأولى لنمو الطفل ودور كلاً منهما يكمل الآخر ويشكلان التربية الصالحة لنمو طفلهما وفي حالة فقدان أحدهما يؤثر على ذلك النمو . إلا أن ذلك النقص الذي خلفته الأم كبيئة وحيدة قبل الولادة وعنصر من عناصر البيئية بعد الولادة لم يستمر كثيراً بفعل نضج وفعالية العنصر الآخر المكون للبيئة بعد الولادة والمتمثل في دور الأب الذي شكل بمثابة البيئة الجديدة الملائمة إحدى طرق العلاج النفسي السلوكي ، التي ترى أن الاستجابات غير السارة التي اكتسبها الإنسان من مثيرات بيئية غير سارة تؤثر على تكيف الشخصية إلا أنه يمكن تعديلها بتوفر ظروف بيئية جديدة ملائمة تصدر

مثيرات سارة تؤدي إلى سلوك سوى كتعبير صادق عن تلك الاستجابات السارة التي نتجت عن نفس المثيرات⁽⁴⁾ .

وتوفر البيئة الجديدة الملائمة التي نقصدها هنا ذلك التراث العلمي لعلم النفس والخبرات العملية المتراكمة لدى فريق من النفسانيين (المجسد بشخصية الأصل) بذلوا كل ما يمتلكون من جهد وخبرات علمية لأنقاض الوليد ومعاتاته في مراحل التكوين الأولى. وهذا الفريق النفساني يمكن أن نطلق عليه أسم المؤسسين للقسم إنصافاً للأمانة العملية التي تتطلب الصدق والموضوعية هم الدكتور مسعد النجار والدكتور عبده الحميري. ومن شاركهم من جامعات يمنية أخرى أمثال الدكتور علي الطارق وآخرون . (سوف يعمل القسم على تدوينهم عند تدوين تاريخ القسم) .

إن تخيلنا للصورة الحقيقية لقسم علم النفس عند التأسيس في ظل انعدام ابسط المقومات العلمية والمادية تشبه صور الشخصية التي تصورها أدلر مؤسس التحليل الفردي الذي رأى أن دراستنا للشخصية يجب أن تعتمد طبيعة أهداف الشخصية المراد دراستها . فالشخصية السوية دائماً ما تضع أهدافاً طموحة وتثابر في سبيل تحقيقها وحتى وأن كانت الشخصية تعاني من نقص معين مثل ضعف أو شلل أحد أعضاء جسدها فدافع تعويض النقص ينشط بفيه الأعضاء لتؤدي وظيفتها وتعويض نقص العضو المشلول بهدف تحقيق الأهداف الطموحة متمثلاً بشخصيته كأساس لدراسة الشخصية من جانب وأساس مدرسة التحليل النفسي الفردي⁽⁵⁾ ، فالطاقم المؤسس لقسم علم النفس يمثل تلك الأعضاء الحية النشطة وانعدام الإمكانيات المادية يمثل العضو الخامل أو المشلول . ووضع الأهداف الطموحة من قبل أعضاء هيئة التدريس المؤسسة وحيويتها قد مكنتهم من تعويض ذلك النقص والنجاح الذي حققه القسم بعد خمس سنوات من عمره يعتبر المعيار التجريبي لصحة رأي أدلر القائل بأن الإنسان ذات طبيعة تفاؤلية ويسعى دوماً لتحقيق ذاته من خلال وضع أهداف طموحة⁽⁶⁾ ، وبعد المعالجة النظرية لموضوع الدراسة يمكن تتبعها كما هي في واقع من خلال الأهداف الآتية :-

1- التعرف على تاريخ نشوء قسم علم النفس .

2- التعرف على واقع القسم الحالي الوقائع

3- التعرف على طموحات القسم المستقبلية .

وأخيراً التوصيات والمقترحات

ولمعالجة الهدف الأول للدراسة نستعرض تاريخ القسم من وحي الوثائق

والمعالجات الرسمية المتوفرة لدى القسم على النحو التالي :-

يمثل تاريخ قسم علم النفس في كلية الآداب والألسن جامعة ذمار تاريخ متواضع بحكم حداثة وحدثة الكلية والجامعة بشكل عام حيث كان وضع أول تصور بتأسيس القسم عام 99م وأقر من قبل مجلس الكلية والجامعة بتأسيس القسم فعلياً قبول أول دفعة دراسية في العام الجامعي 2000 - 2001م لـ (250) طالبا وطالبة ، وعضو هيئة تدريس واحد من أعضاء الهيئة التدريسية في الكلية في الفصل الدراسي الأول ولحق به في الفصل الثاني من نفس العام عضو هيئة تدريس آخر ، وبمنهج متواضع جداً تم تحديثه ثلاث مرات بحكم تراكم خبرات أعضاء هيئة التدريس المؤسسة والمكملة لها من أعضاء هيئة التدريس المستعارة من الجامعات الحكومية اليمنية والعربية⁽⁷⁾ .

هكذا كانت البداية وتطورها تدريجياً خلال السنوات الخمس من عمره حتى أصبح يحتضن أربع مستويات بعدد (438) طلباً وطالبة بعد تخرج الدفعة الأولى للعام الدراسي 2003م - 2004م ويستعد لتخرج الدفعة الثانية هذا العام⁽⁸⁾.

حالياً يحتضن القسم (3) أعضاء هيئة التدريس بدرجة أستاذ مساعد وأربعة أعضاء هيئة تدريس مساعدة منهم اثنين مبعوثين للدراسات العليا، ماجستير ودكتوراه ، كما يستعين القسم بأعضاء هيئة التدريس عدد (3) محليون وعرب منهم اثنان بدرجة أستاذ مساعد وواحد بدرجة أستاذ مشارك . هذا الموجز التاريخي لقسم علم النفس يدعونا للحديث عن واقع القسم الفعلي الذي من خلاله نستخلص الرؤية المستقبلية لعملية التحديث المطلوبة.

إن عملية المراجعة والتقييم لأي نشاط كان من الوسائل العلمية المهمة لما يترتب على ذلك من تشخيص موضوعي لمستوى النجاح وتحديد مكامن الضعف وذلك بهدف تطوير جوانب الإيجاب والبحث عن بدائل تساعد على حل الصعوبات والمعوقات

التي تسببت في الإخفاق ، كما تساعد عملية المراجعة والتقييم في وضع الأهداف الطموحة وفق أسس علمية⁽⁹⁾ .

ومن المسلم به أن أي فكرة تحمل معاني التقدم والتغيير إلى الأفضل وترتبط بحاضر ومستقبل الجماعة التي تضعها كهدف تواجه جملة من الصعوبات الموضوعية والذاتية عند ولادتها ولا يوجد بديل لتلافي تلك الصعوبات إذا لم تخضع لعملية المراجعة والتقييم والتقويم المستمر بعد حدوث الممارسة العملية واكتساب الخبرات مع الاستفادة من تجارب الآخرين ومواكبه ما توصلوا إليه . وفي الوقت الذي نعترف فيه بفضل مثابرة السابقين المؤسسين للقسم والدور المتميز الذي قدموه قبل خمس سنوات من تأسيس القسم في الوقت ذاته نؤكد بأن واقع القسم اليوم غير ذلك الواقع عند التأسيس ، بل خطى خطوات متقدمة وحل جملة من الصعوبات التي وضعت القسم في موقع أكثر طموحاً مما يجعلنا وبكل ثقة أن نضع مستوى القسم في مستوى تلك الأقسام التي سبقته في التأسيس والولادة وفي أحضان جامعات يمنية عريقة مثل جامعة صنعاء وعدن ونقصد بالعراقة من حيث أسبقيتها في التأسيس ، وحادثة جامعة ذمار الذي ينتمي لها قسمنا في كلية الآداب والألسن ، ومن أجل الدفع بنشاط قسم علم النفس إلى الأمام وبما يواكب التوجه العام لجامعة ذمار والجامعات اليمنية بشكل عام ومواكبه التطور الذي طرأ على علم النفس في سنوات القرن الفات والقرن الحالي ، من أجل ذلك تتولد الضرورة لتشخيص واقعنا وبموضوعيه استجابة لمعالجة الهدف الثاني للدراسة من خلال الإجابة على التساؤلات التالية :-

- (1) ما هو واقع الهيئة التدريسية ؟
- (2) ما هو واقع المنهج ؟
- (3) ما هو واقع الإمكانيات المادية ؟
- (4) ما هي حقيقة علاقة القسم بالمجتمع ؟

وللحديث عن التساؤل الأول نوجز التالي :-

أن القسم يمتلك كادر محلي وعربي متخصص أي ثلاثة بدرجات أستاذ مساعد ضمن هيئة التدريس في الكلية وأستاذ مساعد يمني يعمل بنظام الساعات وأستاذ مشارك

زائر يقوم بتغطية المواد المساعدة وكذا أستاذ مساعد عربي يعمل كوافد وأربعة أعضاء هيئة تدريسية مساعد (ماجستير) منهم واحد يواصل الدراسة العليا الدكتوراه في الخارج ، وإذا استثنينا من هم مبتعثين للدراسة العليا التابعين للقسم إلى جانب العمل باللائحة الأكاديمية وشروطها التي تحدد الدرجة العلمية المخولة لها بالأداء الأكاديمي والإشراف على البحوث (بحوث التخرج) لوجدنا الوضع التالي :-

- أربعة مستويات دراسية عدد الطلاب (438) طالب وطالبة .
- ساعات العمل المطلوبة في الأسبوع (90) ساعة .
- الساعات المنفذة من قبل أعضاء هيئة التدريس ((3)) = 36 ساعة حسب اللائحة في الأسبوع .
- الساعات التي تغطي من قبل الوافدين والمحليين بنظام الساعات عدد (33) ساعة.
- الساعات التي تغطي من قبل الهيئة المساعدة تجاوزاً لللائحة (12) ساعة بمعنى أن هناك (9) ساعات تغطي من قبل أعضاء هيئة التدريس زيادة عن ما هو مقرر، ومن هنا يتضح وعلم الرغم من استخدام أسلوب الاستعانة ، إلا أن عضو هيئة التدريس اليمني والوافد يغطي 81 ساعة من (90) ساعة ، وتبقى (9) ساعات يتم تغطيتها فوق النصاب ، ومن خلال الأرقام أعلاه فإن ما يمتلكه القسم من أعضاء هيئة التدريس الفعلية يمكن المراهنة عليها وبصورة ثابتة بإمكانها أن تغطي (36) ساعة من الاحتياج وهذا ما يؤكد حاجة القسم في المستقبل من أعضاء هيئة التدريس عدد (4) أعضاء حسب قوام عضو هيئة التدريس في اللائحة الأكاديمية .

وإذا أخذ بالتخطيط المستقبلي لأعضاء هيئة التدريس المساعدة يمكن تغطية عدد (12) ساعة خلال السنوات الثلاث القادمة لعضو هيئة التدريس، والثلاثة الآخرون من أعضاء هيئة التدريس المساعدة يمكن التخطيط للاستفادة منهم خلال عشر سنوات قادمة ، بالإضافة إلى تغطية الساعات المدخلة على مفردات المنهج المقترح للتحديث ، حيث كانت مفردات المنهج (136) وحدة ، وأصبحت بعد التحديث المقترح (152)

وحدة، بالإضافة إلى تغطية وحدات التجريب إذا ما توفرت القاعدة المادية لذلك ، وتغطية مادة علم النفس في كليات الجامعة بمعدل (12) حسب معطيات عام 2005، والإشراف على بحوث التخرج، حيث ولأول مرة في تاريخ الإشراف العلمي يشرف عضو هيئة التدريس على (20 - 25) بحث ويناقش نفس العدد .

وبناء على ما تقدم فإن احتياج القسم من أعضاء هيئة التدريس المساعد وكادر فني يكون على النحو التالي :-

1- 4 درجات أستاذ مساعد

2- اثنين معيدين

3- اثنين فنيون مختبر

4- واحد للعمل على وحده الكمبيوتر .

وفي إطار الحديث عن واقع قسم النفس يمكن الحديث عن إنجازاته والقدرة الاستيعابية ومخرجاته خلال السنوات الخمس على النحو التالي :-

(1) - يستوعب القسم في الوقت الحالي حسب سياسة قبول سنوي عدد (438) منهم (299) طالباً و (139) طالبة ويتوزعون على أربع مستويات .

* مخرجات القسم :-

(1) - تخرج من القسم الدفعة الأولى للعام الدراسي 2003م - 2004م عدد

(94) طالب وطالبة ، حيث أنجزوا بحوث عملية ومن وحي دراسات ميدانية

لظواهر مجتمعية مختلفة تتوزع على النحو التالي :-

(1)- دراسات للأمراض النفسية الشائعة في المحافظات .

(2)- دراسات لواقع المعلم والطالب في المراحل الابتدائية والأساسية والجامعية أي

تشخيص لواقع العملية التربوية في محافظة ذمار .

(3)- عمالة الأطفال .

(4)- مشاكل المراهقة .

(5)- أسباب جنوح الأحداث .

(6)- العنف بشكل عام والعنف الأسري بشكل خاص .

- (7) - الزواج المبكر .
- (8) - الخلافات الأسرية .
- (9) - الميل نحو الوظيفية .
- (10) - تأثير الإعلام على سيكولوجية الشخصية .
- (11) - الحالات النفسية للسجناء .
- (12) - اتجاه كل من الرجل والمرأة نحو تعليم وعمل المرأة .
- (13) - أثر السجون على سيكولوجية السجين .

من واقع بحوث التخرج للعام الدراسي 2003 - 2004

هذه الدراسات التي أجريت في العالم الماضي قد شخصت الأسباب المؤدية لتلك المشاكل المجتمعية ، كما قدمه التوصيات حسب اتجاه الدراسة .

ويمكن القول أن تلك الدراسات وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت الباحث الخريج إلا أنه وبجهد أعضاء هيئة التدريس والعمل بصورة مباشرة ودائمة مع الباحث لتغطية جوانب نقص التجريب في السنوات الأولى ، نستطيع القول أنها جهد مشترك لأعضاء هيئة التدريس والباحث يمكن الوثوق بنتائجها منها 30% بحث ، بنسبة 100% عملية ، 40% منها يمكن الوثوق بها بنسبة 80% ، ومن هنا نوصي الجهات ذات العلاقة باستخدام تلك النتائج في الواقع

وفي هذا العام وجهنا البحوث نحو استكمال نواقص الدراسات السابقة وجوانب مجتمعية لم تدرس بعد وستكون في متناول الجهات المتخصصة خلال النصف الثاني من العام الحالي .

وبخصوص التساؤل الثاني - واقع المنهج ، فمن المتعارف عليه أن المنهج يشكل جوهر أي عملية تعليمية والحكم على فعالية المنهج من عدمها تخضع إلى شروط علمية دقيقة أهمها الديناميكية والتغيير وتلبية احتياجات المجتمع ومواكبة التطوير العلمي والمعرفي الحاصل الذي يتحقق من خلال التواصل مع الآخر مع العمل بشروط ومتطلبات العلم دون أي انتقاص نظراً وتجريبياً وعلى الرغم من العمل بالشروط الأول الديناميكية والتغيير في المنهج إلا أن العمل بهذا الشرط وما رافقه من تحديث كان دائماً يرافقه

أشراط الإمكانية المتوفرة وعدم القفز على الواقع. بمعنى آخر وعلى الرغم من إدراك أهمية التغيير والتحديث للمنهج إلا أنه لم يصاغ بصورته الطموحة بحكم عدم توفر الإمكانيات المادية والبشرية لمواكبه ذلك الطموح .

ولذلك كانت عملية التغيير والتحديث للمنهج تنطلق من مبدأ الممكن أي ما يمكن تحقيقه من تلك الطموحات وترحيل الأخرى على ذمة المستقبل . وأهم تلك المعوقات قلة أعضاء هيئة التدريس وبمختلف التخصصات التي يتطلبها علم النفس وفروعه المتخصصة ، القاعات الدراسية ، الكتب العلمية قديمة وجديده الدراسات الحديثة ، والمجلات العلمية، ندرة بعض المراجع في بعض التخصصات الحديثة في علم النفس ، عدم توفر قاعدة ربط النظرية بالتطبيق⁽¹⁰⁾ ، وذلك لانعدام مستشفى الأمراض النفسية والعقلية في المحافظة، معمل تجريبي ، صعوبة إجراء بعض الدراسات النفسية في بعض شرائح المجتمع محط اهتمام علم النفس مثل (الأسرة) والمشاكل التي تعاني منها المرأة وخاصة ربه البيت إلى جانب صعوبة التطبيق من قبل طالبات قسم علم النفس في أماكن أخرى خارج المحافظة .

وللأسباب السالفة الذكر نستطيع القول أن ما يؤديه القسم في نشاطه يتركز في الجانب النظري والفعالية التجريبية الوحيدة والتي تنفذ كضرورة لتخريج الطالب في المستوى الرابع والمتمثلة في إجراء الدراسات الميدانية لبحوث التخرج يتم إخراجها بجهود مكثفة من قبل أعضاء هيئة التدريس، بحكم عدم امتلاكه ناصية المعارف التطبيقية في المراحل الأولى لتعذر قاعدة التطبيق ، لذلك نستطيع القول أن القسم يؤدي نشاط النظري كجزء من موضوع وهدف علم النفس ويقصر في تأدية الجزء الأخر التجريبي الهام في علم النفس بعد أن أصبح إحدى العلوم التطبيقية التجريبية .

وما ينفذه في الحاضر من نسبة التطبيق والتجريب يشكل 5% من ما هو مطلوب كما أن ضعف احتكاك أعضاء هيئة التدريس مع أقرانهم في التخصص خارجاً وداخلياً بحكم عدم توفير الإمكانيات المادية والتشجيع يؤثر بدون شك على تحديث الأداء ومن خلال ما تقدم بالإضافة إلى تعقيدات الواقع الثقافي والاجتماعي وعدم توفر إمكانيات. التي تربط خدمات علم النفس بالمجتمع تتضح الصورة عن واقع علم النفس في عيون منتسبة

والمجتمع ، إن علم النفس كما كان في الماضي وقبل أن ينتقل إلى مصاف العلوم التجريبية وأصبح علم مستقل ما زال يعاني وخاصة في المجتمعات المختلفة والتي لا زالت أسيرة ثقافة الماضي تؤمن بالخرافة مثل ممارسة علاج السحر والشعوذة والإيمان بالغيبيات وعدم الوثوق به كتخصص يجلب مصدر الرزق لخريجه بحكم قلة فرص العمل وتجاهل احتياجات السوق له ، لأسباب ترجع منها للواقع وأخرى ترجع إلى حداثة العلم حالة دون تواصله مع المجتمع بدليل انتشار العيادة الصحيحة الطبية للأمراض العضوية في كل شارع من شوارع المدينة مع عدم توفر مصحة نفسية أو عيادة نفسية في المحافظة هذه المعطيات تجعلنا نحكم على واقع علم النفس .

في إطار الحديث عن الهدف الثالث للدراسة والمتضمن الطموحات المستقبلية

ونوجزها فيما يلي :

- (أ) توفير مختبر تجريبي .
- (ب) عقد الندوات والمؤتمرات العلمية النفسية لتقرير العلاقة بالمجتمع .
- (ج) تنظيم القبول وفق أسس علمية .
- (د) توفير المصادر العلمية .
- (هـ) فتح عيادة نفسية وخط التلفون الساخن .

وفيما يخص توفير المختبر التجريبي وقف القسم في احدى دوراته المكرسة بالتفاعل مع توجيهات رئيس الجامعة بتحديث العملية التعليمية في الجامعة بشكل عام وحددنا المقومات الأساسية العملية للتحديث ومن أولوياتها المختبر التجريبي بإعتباره مكملاً أساسياً لتأدية نشاط علم النفس بعد أن أصبح علم من العلوم التجريبية . والموضوعية وبدون المعمل سيظل نشاط القسم مقتصرأ على الأداء النظري ويخرج مخرجات لن تفي بالغرض الأساسي للعملية الأكاديمية وسوف تواجه صعوبات كبيرة في حقل الممارسة العلمية . والمعمل الحديث الذي يتطلبه نشاط علم النفس متعدد الأغراض، منها أجهزة قياس لقدرات العقلية والانفعالية والجسدية ناهيك عن المقاييس والاختبارات النفسية المكتملة تلك الأجهزة ووحدة الكمبيوتر تساعد في عملية التعليم وتطبيق لبعض المواد مثل الإحصاء التحليلي ومادة الكمبيوتر ويمكن الاستفادة منها كمصدر دخل للكلية

في طباعة البحوث والدراسات فمثلاً هذا العام تم طبع بحوث تخرج وإجراء العمليات الإحصائية بنظام SPSS بمبلغ وقدرة (600) ألف ريال - وهذا مصدر دخل للكلية والقسم إذا اعتمدنا رؤية صحيحة في البحث عن مصادر دخل للكلية يسهم في نشاطها ووفق رؤية حسابية أن قيمة المعمل وملحقاته سيتم إعادتها خلال فترة زمنية معقولة إذا حكمنا عليها من حيث وجهة نظر استثمارية وعلى الرغم أن أهمية المعمل علمية أهم من ذلك في تطوير قدرات ومهارات الخريج وتوفي بالشرط الثاني لأداء ونشاط علم النفس التجريبي . أما بالنسبة لربط علاقة القسم بالمجتمع ، فلن نتحقق إلا من خلال رؤية القسم بضرورة تنظيم الندوات والمؤتمرات العلمية النفسية لتتاول القضايا التي تهدف إلى دراسة الظواهر المجتمعية وتقديم الحلول والمعالجات المدروسة ، كما أنها ستسهم في تطوير أداء أعضاء هيئة التدريس من خلال ربطهم بالبحث العلمي وتمكين الطلاب في إعداد البحوث والدراسات العلمية وتكسيهم التجربة والخبرات أساس عملهم اللاحق ، كما ستسهم في الترويج لهذا العلم وخريجيه ، ودورهم في تربية وصحة الإنسان .

إن كل ما أشرنا إليه سلفاً من قضايا لن يكتسب صفة التحديث إذا لم يكن هناك اهتمام وتحديث للمكتبة في الكلية والجامعات وتوفير المتطلبات الخاصة بالأقسام العلمية من المراجع والمصادر العلمية وبتركيز على الكتب والدراسات والدوريات العلمية الحديثة ، فواقع الكتاب والمكتبة وأعني هنا المرجع الخاصة بقسم علم النفس لن يلبي حتى 3% من احتياجات القسم ، ولا أحد يتصور أن ما يقارب مائة خريج سنوياً يكتبون أبحاثهم وخاصة الجانب النظري من مراجع محدودة ومعظم الطلاب يستعبرونها من المشرفين العلميين ، ومن خلال التحليل لواقع القسم والصعوبات التي يواجهها ، ومنها عملية القبول في السنوات السابقة أظهرت الحاجة إلى إعادة النظر في طريقة القبول لهذا التخصص بحكم دقة نشاطه .

إن عملية القبول حسب شروط أكاديمية متعارف عليها من المسائل العلمية الهامة في الجامعات العالمية والعربية واليمنية وما يعزز قناعتني في هذا الاتجاه مقولة للعالم النفسي الروسي (أناتيف) عند ما قال ليس كل من درس علم النفس صالحاً أن يكون

باحثاً نفسانياً من هنا يجب أن لا نعتمد المعدل كشرط الأساسي وحيد لعملية القبول ، بل هناك مقومات أخرى يجب توافرها في المتقدم لدراسة هذا العلم أشرطتها خصوصياته ومهامه العلمية ، ومن أجل البدء في الممكن لضمان التطبيق لبعض المعارف النظرية للدراسة وكذا رابط خدمات القسم بالمجتمع نرى ضرورة فتح عيادة نفسية وخط تلفوني ساخن فالعيادة سوف تلبي غرضين ، الغرض الأول تقديم خدمات اجتماعية وتخفيف عناء كثير من الحالات النفسية وعلاجها بحكم عدم توفر مستشفى الأمراض النفسية في المحافظة والحد من ظاهرة العلاج بالخرافة (مثل الشعوذة والسحر) ، والثاني ترسيخ أهمية هذا العلم ، كما أنها ستلبي الحاجة إلى تطبيق المعارف النظرية من قبل الطلاب وذلك من خلال رصد بعض الحالات والتعريف بها بصورة مباشرة - كما أن العيادة والخط التلفوني الساخن سوف يسهمان في حصر بعض الحالات الشائعة في المحافظة وتوجيه الأبحاث العلمية نحوها كما سيسهم الخط التلفوني الساخن بعد أن أثبتت التجربة نجاحه في كل من صنعاء وعدن في اكتشاف حالات نفسية ومشاكل مجتمعية كثيرة يصعب كشفها وطرحها من قبل صاحبها بحكم تعقد الواقع الثقافي والاجتماعي في المجتمع وخصوصاً تلك المشاكل التي تعاني منها المرأة والتي تعكس نفسها على الأسرة بشكل عام كنواة في للمجتمع .

نستطيع القول أنه بدون توفير تلك المقومات العلمية أو التفكير بالبدء في توفير ما يمكن توفيره سنظل نقدم علماً منقوصاً وخريجاً غير كفواً وغير موثوق به في سوق العمل ويضل الحديث عن سوء مخرجات التعليم الجامعي وسنتحمل نحن جزء من المسؤولية التاريخية أمام هذا الجيل ومستقبل المجتمع .

ومن هنا ولضمان واقعية الطرح نقترح البدء في توفير تلك المتطلبات وحسب الأولوية:-

(1) اتباع عملية القبول حسب شروط مواصفات يقتضيها التخصص بالإضافة إلى

الشروط السابقة لضمان فعالية الخريج وخاصة القبول في قسم علم النفس .

(2) استغلال المبادرة الطوعية لأعضاء هيئة التدريس في قسم علم النفس بالقيام

بنشاط العيادة النفسية والموافقة على تصورات القسم لفتح عيادة نفسية وخط

- التلفون الساخن كخطوة أولية تحقق بعض الجوانب التطبيقية وتلبية الحاجة المجتمعية .
- (3) توفير معمل لقسم علم النفس خلال العام القادم كمطلب لا يقبل التأجيل بحكم علاقته بالأداء التدريسي .
- (4) رفق مكتبة علم النفس بالكتب العلمية والدوريات الحديثة وفق مقترحات القسم السنوية .
- (5) زيادة المخصصات المالية للبحث العلمي المتعدد الأوجه وربط ذلك بالتنفيذ ومحاسبة المقصرين .
- (6) وضع آلية عملية تضمن التعريف بالبحوث العلمية المنجزة وجعلها في متناول المؤسسات المختلفة للاستفادة منها .
- (7) إتباع آلية عملية للترويج بكفاءة الخريجين وخاصة تلك التخصصات التي أصبح لا غنى عنها في مجالات الحياة المختلفة مثل خريج قسم علم النفس (في التربية) والصحة ، القضاء ، السجون ، رياض الأطفال ، والمؤسسات ذات العلاقة بالأسرة والطفل ، ووسائل التوعية الإعلامية من خلال تنظيم ورش العمل والندوات ، ووسائل النشر المختلفة .

الهوامش :-

- (1) مدخل إلى علم النفس ، أحمد عزت راجح ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، الطبعة التاسعة .
- (2) قاسم حسين صالح ، نظريات معاصرة في علم النفس عام 98 ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء .
- (3) قاسم حسين وعلي الطارق ، الاضطرابات النفسية والفعالية للشخصية من منظور إسلامي ومدارس علم النفس
- (4) المدخل إلى علم النفس ، د . عبد الرحمن عدس و د . محي الدين توقي 1998 ، الطبعة الثانية ،
- (5) علم نفس الشخصية ، لمجموعة من المؤلفين الروس في علم النفس باللغة الروسية عام 98 ، سانتبتربورج ، ترجمة الباحث .
- (6) علم النفس العام ، مجموعة من المؤلفين الروس ، في علم النفس باللغة الروسية ، عام 1995 ، ترجمة:
- (7) دليل القسم الأول للعام 2001/2002 ، والثاني للعام 2002 .

- 8) إحصائية شؤون الطلاب بكلية الآداب للأعوام 2004 - 2005 .
- 9) المدخل لعلم نفس التعلم ، د . محمد عبد القادر ، بدون ، دار النهضة العربية ، القاهرة .
- 10) الشخصية بين التنظير والقياس ، قاسم حسين صالح ، صنعاء ، مكتبة الجيل الجديد ، 1997 .

المراجع :

- 1- أحمد عزت راجح ، مدخل إلى علم النفس ، العام : بدون ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، الطبعة التاسعة .
- 2- عبد الرحمن عدس ومحي الدين توقي ، المدخل إلى علم النفس ، 1998م ، الطبعة الثانية ، الأردن .
- 3- علي الطارق وقاسم حسين صالح ، الاضطرابات النفسية والعقلية للشخصية من منظور إسلامي ومدارس علم النفس ، مطابع الجيل الجديد ، صنعاء .
- 4- قاسم حسين صالح ، نظريات معاصرة في علم النفس ، عام 1998م ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء .
- 5- الشخصية بين التنظير والقياس ، د . قاسم حسين صالح ، 1997م ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء .
- 6- علم نفس الشخصية ، مجموعة من الباحثين الروس باللغة الروسية ، 1998 ، سانتبترسبورج ، ترجمة الباحث .
- 7- علم النفس العام ، مجموعة من المؤلفين الروس في علم النفس ، 1995م ، ترجمة وزارة الثقافة السورية .
- 8- الدليل الأول للقسم 2001 - 2002 ، والثاني 2002 .
- 9- إحصائيات شؤون الطلاب بكلية الآداب والألسن - جامعة ذمار 2004/2005م
- 10- المدخل لعلم النفس التعلم ، د . محمد عبد القادر ، العام : بدون ، دار النهضة ، القاهرة .



المرأة والتنمية في المجتمع اليمني " بحث في حجم المشاركة "



د. عبد الرزاق محمود الهيتي^(*)
د. عبد السلام أحمد الحكيمي^(*)

مقدمة:

تعد قضايا التنمية من القضايا التي باتت تثير الجدل والنقاش حولها من قبل العديد من الباحثين والمختصين في التنمية كما أصبحت قضية المرأة والتنمية من القضايا التنموية الملحة في الآونة الأخيرة ، وقد اقترحت أدبيات التنمية العالمية ثلاث مقاربات لدراسة موضوع التنمية والمرأة ، المقاربة الأولى هي مقاربة "المرأة في التنمية" وتركز على مشاركة المرأة الفعالة في المشروعات التنموية. وتسعى برامج هذه المقاربة إلى زيادة نسبة النساء في الاستراتيجيات التنموية. بينما المقاربة الثانية فتتمثل في مقاربة "المرأة والتنمية" وتسعى إلى وضع أوليات محددة تخص المرأة ووضع برامج لتلبية هذه الحاجات ، وتميل برامج هذه المقاربة إلى التركيز على الحاجيات المنزلية مثل تأمين مياه شرب نظيفة ، والأشغال اليدوية، وتحسين الخدمات العامة للنساء. أما المقاربة الثالثة فتتمثل في مقاربة " النوع الاجتماعي والتنمية (الجنس والتنمية) " وتنظر إلى التنمية على أنها عنصر من عناصر تقويم دور المرأة في الحياة العامة. وتسعى مشروعات هذه المقاربة إلى فحص تأثير التنمية الاجتماعية الاقتصادية في دور المرأة في المجتمع والى

(*) رئيس قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة تعز .

(*) قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة تعز .

تحدي الأعراف التي تحد من الفرص المتاحة للنساء. فمثلاً قد يسعى أحد مشروعات هذه المقاربة إلى نقل المرأة من مجال الحياة الخاصة إلى أماكن العمل العامة. وتستخدم معظم برامج التنمية في المنطقة العربية المقاربتين الأولى والثانية.

وبحسب عنوان هذه الورقة، فإننا سننطلق من المقاربة الثانية والتي تركز الاهتمام على المرأة والتنمية، وهي مقاربة حديثة نسبياً، ظهرت كإشكالية في مجتمعات العالم الثالث، تتناول دور المرأة ومشاركتها في هذه المجتمعات. وفي هذا الإطار يمكن القول انه قد ظهرت العديد من الدراسات قصد توفير معلومات كافية عن هذه المجتمعات، توضح حجم مشاركة المرأة في مختلف مجالات التنمية. واعتبرت نظرية المساواة التي تبنتها المجتمعات الغربية منطلقاً لمثل هذه الدراسات، والتي حاولت المرأة أو النساء عموماً - في بعض هذه المجتمعات - من خلالها الدخول في صراعات مختلفة مع الأنظمة السياسية سواء كانت عسكرية أو بيروقراطية أو محافظة أو ديمقراطية، من أجل حصول المرأة على فرص للمشاركة في مختلف البرامج التنموية.

تؤكد العديد من الدراسات على أن مشاركة المرأة في التنمية تعد من أهم مؤشرات تقدم أي مجتمع ورفقيه، حيث أن أي خطة تنموية لا بد أن تعتمد في جهودها على مشاركة المرأة بجانب الرجل بوصفها نصف القوى البشرية في المجتمع.

لذلك لا نستغرب أن تذهب بعض التوجهات النظرية إلى اعتبار تخلف بعض مجتمعات ما يعرف بالعالم الثالث أو النامي عائد إلى اقتصارها في مجوداتها التنموية على قوى الرجل دون الإناث، معتبرة أن تهميش دور المرأة في العملية التنموية، وحصره في عملها المنزلي هو من أهم أسباب تخلف وفقر هذه المجتمعات، وعدم قدرتها على تجاوز أزماتها الاقتصادية والاجتماعية لحقب طويلة من الزمان.

فعملية التنمية عملية متكاملة تهدف للارتقاء بالعنصر البشري دون تمييز بين فئاته، ولذلك ينبغي أن تستوعب في خططها كل فئات المجتمع، لأن الاهتمام بقضايا مشاركة المرأة أصبح من القضايا المهمة في حياة المجتمعات والشعوب المعاصرة، فعملية التنمية تحتاج إلى تسخير كل الطاقات المادية والبشرية، فضلاً عن كون التنمية تستخدم الإنسان أياً كان جنسه وسيلة لها في سبيل تحقيق أهدافها وأداة لتحقيق هذه

الأهداف، لذا يصبح الإنسان (ذكراً كان أم أنثى) هو المستهدف والغاية من عملية التنمية وهو في الوقت نفسه وسيلتها. ولعل أهم عملية استثمارية يقوم بها أي مجتمع، هي تنمية موارده البشرية، ولا شك أن المرأة في المجتمع - كما يقال عادة - تكون نصف الموارد البشرية التي يعتمد عليها في تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى دور المرأة في تكوين شخصية أطفال المجتمع، أو بمعنى آخر في تنمية الموارد البشرية الصغيرة.

لقد سعت معظم المجتمعات المتخلفة أو السائرة في طريق النمو إلى التقليل من الصعوبات التي تحد من المشاركة الفاعلة للمرأة في مختلف مجالات التنمية، والمجتمع اليمني من ضمن تلك المجتمعات التي أولت قضايا مشاركة المرأة ومساهمتها في التنمية اهتماماً متزايداً، وبخاصة بعيد تحقيق الوحدة المباركة في 22 مايو 1990، حيث أصدرت العديد من التشريعات التي تنظم هذه المسألة، ومنها دستور الجمهورية اليمنية والقوانين الخاصة بالعمل والخدمة المدنية والتي منحت المرأة اليمنية العديد من الحقوق، الأمر الذي عزز من بناء القدرات وزيادة مشاركة المرأة في العمل، ولم تحرم هذه النصوص والقوانين المرأة من المشاركة في أي مجال من المجالات المتعلقة بالعملية التنموية كما أن اليمن قد وقعت على معظم الاتفاقيات والمواثيق الدولية التي تقضي على جميع أشكال التمييز ضد المرأة. والتساؤل الذي يطرح هنا هو: هل استطاعت المرأة أن تحصل في الواقع الميداني على نفس فرص المشاركة التي نجدها في مختلف النصوص والتشريعات الوطنية ؟

المحور الأول: الإجراءات المنهجية

أولاً: إشكالية البحث:

من المعروف أن المجتمع اليمني، تحكمه خليط من قيم الأسرة الممتدة والنووية، ومفاهيم العلاقات العائلية والقبلية، إلى جانب مفاهيم المواطنة والمجتمع المدني والدولة الحديثة والديمقراطية وغيرها من المفاهيم التي تميز المرحلة المعاصرة، وفي ظل نظام عالمي وثقافي يؤثر بقوة على الاقتصاد المحلي أو الوطني، ويعمل على تكوين قيم ثقافية واجتماعية جديدة تتلاءم وطموحاته الاقتصادية المهيمنة محلياً وعالمياً.

وفي هذا الإطار تطرح إشكالية هذه الورقة، والمتمثلة بالتساؤلات الآتي :-

- ما مدى مساهمة المرأة ومشاركتها في مختلف البرامج التنموية ؟
- ما المجالات التي تمكنت المرأة من المساهمة فيها في إطار مشاركتها التنموية بشكل فاعل ؟

- كيف يمكن قياس حجم مشاركة المرأة في العملية التنموية؟
 - هل لعبت العادات والتقاليد الموروثة دوراً في الحد من مشاركة المرأة في التنمية؟ وهذه التساؤلات وغيرها يمكن إثارتها في إطار موضوع المرأة والتنمية.
- ثانياً:- منهجية البحث:**

نظراً لأن موضوع الدراسة يهدف إلى التعرف على واقع ومكانة المرأة اليمنية، ومدى مشاركتها في العملية التنموية، لذا سوف يتم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الظاهرة موضوع البحث من خلال تحليل ومقارنة مختلف المعلومات والإحصائيات المتعددة والوثائق التي تم الحصول عليها من مصادر وجهات مختلفة تعنى بمسائل المرأة وإدماجها في العملية التنموية وهو منهج يمكن التوصل من خلاله إلى نتائج علمية تحقق الأهداف المرجوة .

ثالثاً:- أدوات البحث:

تم الاستفادة من مصادر المعلومات والإحصائيات والأدبيات المكتوبة الرسمية وغير الرسمية في هذا الموضوع من أجل التعرف على واقع مشاركة المرأة اليمنية والصعوبات التي تواجهها وتعيق من مشاركتها الفعالة في العمل التنموي والسياسي في المجتمع اليمني.

رابعاً:- المفاهيم المستخدمة:

سيعتمد هذا البحث على عدد من المفاهيم، وحتى لا نخوض في تلك المفاهيم لعدد من القضايا وصورها وأشكالها، حتم علينا ضرورة تحديد بعض المفاهيم التي سنستعملها في هذا البحث حتى نبتعد من التكرار والتداخل بين المفاهيم. ومن بين هذه المفاهيم ما يأتي:-

1- مفهوم التنمية:-

بالرغم من العدد الكبير من التعريفات التي قدمت لمفهوم التنمية إلا أننا يمكن أن نعتمد تعريفاً يتسق وأهداف البحث فضلاً عن تبيينه لكل المفاصل التي يركز عليها علم

الاجتماع في تناوله لمثل موضع بحثنا، وبدون الدخول في جدل التباين والاتفاق بين التعريفات المختلفة يمكن النظر إلى التنمية بأنها كل الجهود المخططة والهادفة إلى نقل المجتمع من مرحلة التخلف والركود إلى مرحلة التقدم والنهوض بالمجتمع في كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتركيز على مبدأ المشاركة بجهود التنمية من قبل كافة الفئات المكونة للمجتمع من منطلق أن التنمية هي عملية تتم "بواسطة الناس ومن أجل الناس وبواسطة الناس" (1).

2. مفهوم المشاركة:-

يعد مفهوم المشاركة من المفاهيم التي حظيت باهتمام واسع من قبل الباحثين المهتمين والعاملين في مجال النوع الاجتماعي لما لهذا المفهوم من أهمية حيث أصبح ينظر إليه بأنه المشاركة في مختلف المجالات العامة من قبل الأفراد، ويعتبر مفهوم المشاركة من المفاهيم القديمة التي تم تناولها من خلال أفكار الفلاسفة السياسيين، حيث يعنى بتوفير الفرص لأخذ دور في النظام الديمقراطي للدولة، ومن خلاله تتاح الفرص للمواطنين لكي يعبروا عن آرائهم أو يصوتوا أو يشجعوا اتجاهاً سياسياً معيناً، ووصفها قاموس اكسفورد بأنها أخذ دور مع الآخرين في بعض الأعمال أو الموضوعات ويعرفها قاموس الخدمة الاجتماعية بأنها انغماس أو ارتباط أعضاء من الجمهور العام المحتمل تأثرهم بالتغيير الذي يحدث في السياسية الاجتماعية أو القانونية وغيرها، ويقصد بالمشاركة الشعبية بأنها العملية التي من خلالها يلعب الفرد دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية لمجتمعه وتكون لديه الفرصة لأن يشارك في وضع الأهداف العامة لذلك المجتمع ، وكذلك أفضل الوسائل لتحقيق وإنجاز هذه الأهداف، والمشاركة تعني المشاركة في مختلف النواحي السياسية والاجتماعية، وبالتالي فإن مشاركة المرأة قد تشمل الأنشطة السياسية والاجتماعية المباشرة وغير المباشرة (2)، ولهذا استخدمنا مفهوم المشاركة في هذا البحث والذي نقصد به مشاركة المرأة اليمنية في العمل التنموي والسياسي في المجتمع اليمني.

المحور الثاني :- وضع المرأة في المجتمع اليمني

سجل التاريخ اليمني للمرأة أنصع الذكريات، وظهر ذلك لدى عدد من النساء اليمنيات ممن كان لهن الريادة في المجال السياسي والعلمي مثل (الملكة بلقيس والملكة

أروى وغيرهن) ، إلا أننا نجدها قد تأخرت مقارنة بما وصلت إليه مثيلاتها في بعض المجتمعات العربية، ويعود ذلك إلى ما عانته المرأة في اليمن في الفترة التاريخية السابقة للثورة اليمنية والاستقلال، حيث كانت محرومة من المشاركة الفاعلة في جميع المجالات، وبالتالي لم يكن للمرأة أي دور يذكر في الحياة العامة نظراً للسلطة التي كان يتمتع بها الرجل وما يحظى به من امتيازات في المجتمع، ومن هذا المنطلق ظلت المرأة اليمنية في تلك الفترة تابعة للرجل وتقوم بادوار هامشية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من قيامها بأغلب الأعمال الزراعية حيث كان المجتمع يعتمد في حياته على الزراعة، ولهذا لم تشهد اليمن أي تغييرات جوهرية لصالح المرأة إلا بعد قيام الثورة والاستقلال في الستينيات من القرن العشرين.

ومع بداية السبعينيات من نفس القرن بدأ الاهتمام بمسائل المرأة، حيث شهد المجتمع اليمني بعض التغييرات، نتيجة زيادة نسب الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة، فخلال هذه الفترة بدأ خروج المرأة إلى العمل بأجر خارج المنزل. إلا أن هذا التمكين لم يكن في مستوى طموحات النساء نظراً لعدة عوامل اجتماعية وتعليمية وتدريبية ومهنية متداخلة. هذا إلى جانب الاختلالات الاقتصادية التي حالت دون القيام بمشاريع تنموية كبرى لاستيعاب الأعداد المتزايدة من مخرجات المؤسسات التعليمية والتدريبية، وقد تفاقمت حدة هذه المشكلات بعد العودة المفاجئة لأكثر من سبعمائة ألف مهاجر من الدول المجاورة، بعد حرب الخليج الثانية، كما كان لحرب عام 1994م الداخلية الأثر الواضح في تدهور الاقتصاد الوطني، وما صاحب ذلك من مشكلات اجتماعية واقتصادية تمثل في زيادة حدة التضخم والعجز في الميزانية العامة وانتشار معدلات الفقر والبطالة بين السكان الذين يتزايدون بمعدلات سريعة قدرت بحوالي (3.02%) مع نمو اقتصادي قدر بحوالي (2.5%).

ونتيجة لهذا الوضع الذي وصلت إليه اليمن، أعدت الحكومة برنامجاً وطنياً للبناء الشامل هدف إلى رفع معدلات النمو الاقتصادي، وتوسيع قاعدة الموارد وتقليص الاختلالات الاقتصادية هذا إلى جانب إصلاح النظام المالي والإداري وتشجيع الاستثمار، وتوفير المناخ الاقتصادي والاجتماعي الآمن للمستثمرين والذي افترض انه سيسهم في

توفير فرص عمل جديدة، وأنه سيحد من البطالة المتفاقمة، والتخفيف من الفقر في المجتمع اليمني وتفعيل دور المرأة في الجانب التنموي .

وهنا أصبح الاهتمام بقضايا المرأة ومشاركتها في التنمية من القضايا المهمة في الخطاب الرسمي اليمني، باعتبار ذلك من الأولويات التي تهتم بها المجتمعات والشعوب المعاصرة حيث ربط التقرير الدولي للتنمية البشرية موضوع تطوير أوضاع المرأة وإدراجه ضمن المجالات المختلفة للتنمية البشرية مثله مثل مسألة حقوق الإنسان والتعليم وحق العمل والحفاظ على البيئة، والتنمية القابلة للاستمرار، وعملية التقدم والتطور، وجعل ذلك من المؤشرات الهامة في عملية التنمية المتكاملة .

لذا فقد سعت الحكومة اليمنية إلى المصادقة على معظم القوانين الدولية التي تحد من التمييز ضد المرأة. وضمنت الدساتير والقوانين اليمنية الحقوق الخاصة للمرأة بشكل عام والمرأة العاملة بشكل خاص- كما سبق وأشرنا- فالدستور اليمني يضمن حق المساواة بين الجنسين وذلك حسب نص المادة (31) من الدستور اليمني المعدل بعد الوحدة والتي تنص بأن " النساء شقائق الرجال ولهن من الحقوق وعليهن من الواجبات ما تكفله وتوجبه الشريعة وينص عليه القانون" كما جاء في المادة (29) بأن " العمل حق وشرف وضرورة لتطور المجتمع ولكل مواطن الحق في ممارسة العمل الذي يختاره لنفسه في حدود القانون ، ولا يجوز فرض أي عمل جبراً على المواطنين " (3).

أما بالنسبة لقوانين الخدمة المدنية وقوانين العمل، فقد أكدت هي الأخرى على مبدأ المساواة بين الجنسين في التعيين والترقية والأجور وفقاً للدرجة الوظيفية التي يشغلها الموظف ذكراً كان أو أنثى. وتمكنت المرأة اليمنية بفضل ما أتيح لها من فرص التعليم والتدريب من الاستفادة من الفرص المتاحة لها في مختلف ميادين الحياة العامة والمشاركة الفاعلة ، وتحقيق بعض التكافؤ بينها وبين الرجل في الاستخدام والترقي والأجور والتدريب والتأهيل والتأمينات الاجتماعية مع مراعاة وضعها كأم وزوجة، فحددت لها ساعات العمل أثناء فترة الحمل والولادة ، وحضرت من تشغيل النساء في الصناعات والأعمال الخطرة والشاقة والمضرة صحياً واجتماعياً (4) .

وهذا أتاح للعديد من منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى الحكومية وغير الحكومية المساعدة إلى تقديم الخدمات والمساعدات التقنية والفنية والتدريبية، والدعم المادي المباشر وغير المباشر لبرامج مخصصة للنهوض بأوضاع المرأة وتمكينها من المشاركة الفاعلة في الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها، وذلك عن طريق ما يعرف بمنظمات المجتمع المدني.

المحور الثالث :- مشاركة المرأة في التعليم العام والجامعي من خلال نسب التمدرس

يعد التعليم الأداة الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة إلى جانب أنه يعتبر وسيلة تعليمية معرفية تزود الإنسان بالمعارف والمعلومات والمبادئ والقيم التي تصقل وتكون الذات وتبني الشخصية المستقلة القادرة على المشاركة الفاعلة في عملية التنمية .

وتشير مختلف الدراسات⁽⁵⁾، إلى أن ضعف مشاركة المرأة في التنمية يأتي بسبب الأمية وعدم الحصول على تعليم عال انطلاقاً من أن التعليم هو أساس هام من أسس التنمية، والأ تنمية بدون تعليم. ونقصد بالتعليم هنا كل الفرص المتاحة للحصول على المعرفة بدءاً بالتعليم ما قبل المدرسي وانتهاءً بالتعليم الجامعي وما بعده مروراً بالتعليم العام، والتعليم الفني والتقني.

من هنا يتضح أن تعليم الإناث يشكل احد أهم مقتضيات التطور، بل وضرورة من ضروريات العملية التنموية. فتعليم الإناث له أهميته في هذا المجال ، ويتجاوزته إلى مجالات أخرى أكثر أهمية، كتنظيم الأسرة، وخلق بيئة منزلية وأسرية تكوّن الأساس الأمثل لكل تعليم نظامي ناجح للأطفال في المستقبل، فقد أثبتت العديد من الدراسات أن هناك علاقة موجبه بين تعليم الإناث ومدى تنظيم الأسرة، والوعي بمسؤوليتها تجاه الأبناء واستمرارهم في الدراسة وغيرها من الأمور التي تتعلق بالمرأة ومشاركتها في التنمية.

لقد أصبح للتعليم قيمة اقتصادية وعامل حاسم في تحقيق التنمية الشاملة بعد قيام الثورة والاستقلال حيث تبنت الحكومات الوطنية سياسة نشر التعليم ومجانيته، وكان ذلك بمثابة شعار رفعتة تلك الحكومات لكسب شرعيتها في الحكم والقضاء على الأمية المنتشرة بين الأفراد الذين حرّموا من التعليم في الفترة السابقة، ونصت المادة (18) من

القانون العام للتربية والتعليم على أن " التعليم الأساسي تعليم عام وموحد لجميع التلاميذ من سن السادسة " (6) ومع ازدياد الطلب الاجتماعي على التعليم أدى ذلك إلى التوسع المستمر في الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة وفي مختلف التخصصات .

وهنا نتساءل عن نسب مشاركة الإناث في نظام التعليم وذلك بالاعتماد على نسب التمدرس أو الالتحاق بالتعليم في مراحله المختلفة كمؤشر هام يؤخذ به في دراسات التنمية والتخلف للإشارة إلى درجة تطور المجتمعات، وهو ما يعرف بمعدلات القيد الصافي ، والتي تعكس نسبة التلاميذ والطلاب المسجلين في مرحلة تعليمية معينة إلى عدد السكان في الفئة العمرية المقابلة لها، وهي تؤشر إلى مدى تحقق مبادئ ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه بين الذكور والإناث ومدى مشاركة الإناث في التعليم في إطار ما يُعرف بالتمثيل النسبي.

وفيما يلي نتناول نسب مشاركة المرأة في نظام التعليم حسب المراحل التعليمية ومخرجاتها من الإناث بالاعتماد على آخر البيانات الإحصائية.

جدول رقم(1)

نسب التحاق الإناث بمرحلة التعليم الأساسي للعام الدراسي 2002 / 2003

نسبة التمدرس	عدد المتحقين	إجمالي عدد السكان	الفئة العمرية 14.6
94.3	2297691	2437000	ذكور
55.4	1404880	2536000	إناث
74.5	3702571	4973000	الإجمالي

جدول رقم (2)

نسب التحاق الإناث بمرحلة التعليم الثانوي للعام الدراسي 2002/2003

نسبة التمدرس	عدد المتحقين	إجمالي عدد السكان	الفئة العمرية 18.15
44.6	381680	856000	ذكور
17.7	158245	893000	إناث
30.9	539925	1749000	الإجمالي

بالنظر إلى معدلات الالتحاق بمراحل التعليم الأساسي والثانوي وكذا إلى نسب التلاميذ الذكور والإناث إلى إجمالي التلاميذ لا تزال هي الأخرى متدنية حيث وصلت تلك النسب في التعليم الأساسي للعام الدراسي 2006/2005م إلى 60.1% للذكور مقابل 39.9% للإناث وفي التعليم الثانوي 68.83% للذكور مقابل 31.17% للإناث ، ومن هذه النسب والنسب الموضحة في الجدول يلاحظ أن نسب التمدرس لكلا الجنسين لا تزال ضعيفة مقارنة بما هو عليه الحال في بعض الدول المجاورة التي يصل فيها نسبة التمدرس إلى ما يزيد عن 90% ، ويمكن الإشارة إلى أن ذلك التدني يعود لعدة إلى الوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي لليمن ، لذا فمن الموضوعية أن نشير إلى تلك الأوضاع من خلال الملاحظات العامة الآتية :-

1. هناك زيادة كبيرة وملحوظة في نسب التحاق الإناث مقارنة بفترة ما قبل الثورة، حيث كانت بداية التعليم الحديث من لا شيء، فلم يكن هناك أي مجال للتحاق الإناث بالتعليم. فعلى سبيل المثال، سجلت أول مشاركة للإناث في مرحلة التعليم الابتدائي في العام الدراسي 1963/62 وبنسبة (9.2%)، وفي مرحلة التعليم الإعدادي في العام الدراسي 1965/64 وبنسبة (0.20%) ، وفي مرحلة التعليم الثانوي لم تتمكن الإناث من الالتحاق به سوى في العام الدراسي 1971/70 وبنسبة (9.1%) . أما في مرحلة التعليم الجامعي فقد التحقت أول طالبة بجامعة صنعاء في العام الجامعي 1971/70 في كلية الآداب من ضمن (58) طالباً التحقوا بأول دفعة سجلت بالجامعة ، ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة إلى نظام التعليم في المحافظات الجنوبية مع فارق في التجربة التعليمية. وهذه الزيادة ناتجة عن التزام حكومات ما بعد الثورة والاستقلال بتطبيق مبادئ تحقيق ديمقراطية التعليم وتكافؤ فرصه في السياسات التعليمية المتعددة رغم قلة الإمكانيات والظروف الموروثة من عهد ما قبل الثورة والاستقلال، وكذلك نتيجة للطلب الاجتماعي الشعبي المتنامي والمتزايد على التعليم المدفوع بقوة الرغبة في تجاوز حالة الحرمان والهامشية الاجتماعية من التعليم حسب عبارة عالم الاجتماع المشهور (بيير بورديو Pierre Bourdieu) والتي ميزت عهد

ما قبل الثورة والاستقلال، لذا وجد إجماع بعد الثورة على أنه لا سبيل لتجاوز هذه الحالة، وحالة التخلف عموماً، سوى بنشر التعليم وتعميمه على أغلب المساحة الجغرافية، وليصل إلى كافة الفئات الاجتماعية، وكان من أهم نتائج هذه الحركة أن تطورت معدلات الالتحاق بالتعليم بمختلف مراحلها، وأصبح نظرياً - على الأقل - في متناول كل راغب بغض النظر عن عوامل الجنس أو الانتماء الجغرافي أو الاجتماعي أو غير ذلك من العوامل التي تشجع أو تبخس من القيمة الاجتماعية للالتحاق بالتعليم .

2. من جهة ثانية يمكن القول أن هناك تدن ملحوظ في نسب التحاق الإناث بمراحل التعليم المختلفة ومخرجاتها، مقارنة بنسب الذكور، وهذا أمر طبيعي إذا ما درسنا هذا الفارق في إطار مختلف القيم الاجتماعية والثقافية من تعليم الإناث، وكذا في إطار العوامل التي أثرت سلباً أو إيجابياً على تطور نظام التعليم في المجتمع اليمني، والتي يمكننا من خلالها تفسير تطور أو تدني معدلات التحاق الإناث بالتعليم وكذا مخرجاته، وبالتالي مشاركتهم فيه ، وفي البرامج التنموية لاحقاً .

فتدني نسب التحاق الإناث بالتعليم بمختلف مراحلها تعتبر من المؤشرات الهامة لتدني مشاركتهم في العملية التنموية، وفي المجتمع اليمني يمكن تحديد العديد من العوامل التي حدت من نسب تدرس أو التحاق الإناث بالتعليم. وهي عوامل متداخلة ومتنوعة منها ما يتعلق بالسياسة التعليمية أو النظام التعليمي بصفة عامة، ومنها ما هو اقتصادي وثقافي واجتماعي بصفة عامة .

فعلى مستوى العوامل المتعلقة بنظام التعليم، فيمكن الإشارة على سبيل المثال إلى مسألة عدم تعميم التعليم وتطبيق مبدأ إلزاميته، وبالتالي لم تتمكن السياسة التعليمية من تلبية مجمل الطلب الاجتماعي الشعبي على التعليم في مختلف مراحلها وأنواعه، هذا بالإضافة إلى حالة الاكتظاظ في الصفوف الدراسية وعدم وجود مدارس خاصة بالإناث. وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أن مشاركة الإناث في التعليم الفني والمهني متواضعة للغاية وتقتصر على المعاهد الصحية بنسبة لا تتجاوز (12.7%) من إجمالي الملتحقين بهذا

النوع من التعليم للعام الدراسي 2003/2002 م، والمعاهد التجارية، دون التخصصات الأخرى التي ينظر إليها عادة بأنها من اختصاص الذكور وبالتالي لا مستقبل لدراسة الإناث بها. وهي نظرة قاصرة حول أهمية التعليم المهني للإناث وجدواه في العملية التنموية.

أما في مرحلة التعليم الجامعي لا تزال نسب الالتحاق هي الأخرى متدنية ولا تصل إلى تلبية الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (3)

نسب التحاق الإناث بمرحلة التعليم الجامعي للعام الجامعي 2003/2002 م

نسبة التمدرس	عدد الملتحقين	إجمالي عدد السكان	الفئة العمرية 24.19
10.8	130516	1207000	ذكور
3.5	45020	1287000	إناث
7.1	175536	2494000	الإجمالي

من الجدول يلاحظ أن نسبة الالتحاق في التعليم الجامعي لدى الذكور لا تتجاوز 11% من إجمالي السكان في تلك الفئة العمرية . بينما النسبة تنخفض بشكل ملحوظ لدى الإناث ، كما وصلت نسبة الطلبة الذكور من إجمالي الطلاب في العام الجامعي 2006/2005م 73.01% مقابل 26.99% للإناث كما تطرح بالإضافة إلى تدني نسبة مشاركة الإناث قضايا أخرى، كاختلال توزيع الإناث على مختلف التخصصات، حيث يتركز وجودهن في التخصصات الأدبية والإنسانية وما يترتب على ذلك من مخرجات (قوى عاملة) زائدة عن الحاجة في بعض التخصصات، يكون مصيرها البطالة بمختلف أنواعها. وهذا كما نعلم له تأثيره السلبي الواضح على برامج التنمية بمفهومها الشامل، حيث يصبح التعليم في هذه الحالة عاملاً معرقلاً لا مساعداً للتنمية.

وعلى مستوى العوامل الاقتصادية، فيبدو أن محدودية دخل الأسرة وقلة إمكانياتها في ظل كثرة عدد الأطفال، قد ساهمت بشكل فاعل في جعل قرار الأسرة مقتصرًا على إرسال الذكور دون الإناث إلى المدرسة، وهذا أثر بشكل واضح على تدني نسب التحاق الإناث بالتعليم .

أما على مستوى العوامل الاجتماعية والثقافية، فيمكن الإشارة إلى مسألة موافق وقيم مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية من تعليم الإناث، وعدم الوعي بأهميته، بسبب أمية بعض أولياء الأمور، بالإضافة إلى الزواج المبكر المنتشر في المجتمع اليمني، والذي عادة ما يتحدد موقف الأولياء من تعليم بناتهم في ظل توافقه أو تعارضه معه، بمعنى إذا كان التعليم سوف يؤمن فرصة زواج للبنات واصلت تعليمها، وإلا فإنهم يفضلون خروجها من المدرسة، وبالتالي عدم مواصلة الدراسة .

وبناء على ما سبق، يمكن القول أن تلك العوامل مجتمعة تؤسس لأيدولوجية تبخس من القيمة الاجتماعية لتعليم الإناث بمختلف أنواعه في المجتمع اليمني، وبالتالي تؤثر بشكل سلبي على مشاركتهن لاحقاً في مختلف البرامج التنموية، وبخاصة إذا ما اعتبرنا التعليم مشروعاً مجتمعياً هادفاً ويشكل نوع من الاستثمار لرأس المال البشري.

المحور الرابع:- مشاركة المرأة في المجال السياسي

تعود المشاركة السياسية للمرأة في المجتمع اليمني إلى ما بعد الوحدة اليمنية في 22 مايو 1990، عندما أعلنت التعددية السياسية أو الحزبية كشعار وتوجه استراتيجي هام لدولة الوحدة. هذا التوجه اعتبر أحد أهم دعائم الأمن والاستقرار الاجتماعي والسياسي، وبالتالي أهم آليات الحفاظ على الوحدة الوطنية، وهذا بدوره أفسح المجال واسعاً لظهور قوى اجتماعية وسياسية متعددة ومتصارعة تختلف في توجهاتها وفلسفاتها وبالتالي أيدولوجياتها... حول العديد من قضايا المجتمع اليمني ومنها مشاركة المرأة في المجال السياسي، والتي انقسمت حولها مختلف القوى الاجتماعية والسياسية إلى تيارين أساسيين:- معارض ومؤيد وكل منهما تشكل من عدة قوى اجتماعية وسياسية متباينة.

الأول، ينتمي إلى التيار "الديني" وكان يقف ضد أي مشاركة للمرأة في النشاطات المختلفة ومنها السياسية.

أما الثاني، فيمكن القول أنه يحاول مواكبة العصر والتطور الاجتماعي.

وعندما نتناول قضايا مشاركة المرأة السياسية في المجتمع اليمني بالدراسة والتحليل وخاصة قبل الوحدة وما بعدها، نستطيع تحديد محطات تاريخية مرت بها هذه المشاركة. وأهم هذه المحطات انتخابات مجلس الشورى لعام 1988 في المحافظات

الشمالية، والتي قرر خلالها سبع من النسوة ترشيح أنفسهن لعضوية المجلس، حينها بدا الأمر مثيرا للانتباه وغير معقول، الأمر الذي ولد ردود أفعال متباينة، فالقوى الاجتماعية ذات التوجه الديني، كانت غير متسامحة وبالتالي رفضت أي مشاركة للمرأة في التصويت أو في الترشح وكانت تعارض وبشدة حتى مسألة خروج المرأة من المنزل.

أما التيار الثاني، فقد طلب من أولئك النسوة اللاتي رشن أنفسهن أن يتريثن، وطالبوهن بالعدول عما حاولن القيام به، وبرروا ذلك بأن الوقت لم يحن بعد، وغير مناسب لان ترشح المرأة للمقعد النيابي، وأن طموحها إلى ذلك هو فوق طاقة واقع المجتمع اليمني في تلك الفترة، وبالتالي لا بد من الانتظار حتى يصل المجتمع إلى مرحلة تطويرية يمكن للمرأة معها من أن ترشح نفسها وتشارك بفاعلية.

نكن وبعد تحقيق الوحدة الوطنية والإعداد لانتخابات 1993، لوحظ انقلاب في توجهات التيار الديني تجاه مشاركة المرأة في النشاط السياسي، فبدلا من تحفظه على مسألة خروج المرأة وتحريم مشاركتها سياسيا، نجده يصدر العديد من الفتاوى التي تشجع على خروج المرأة ومشاركتها في مختلف النشاطات الاجتماعية بما في ذلك النشاطات السياسية، بل وذهب إلى اعتبار هذه المشاركة واجب ديني، الأمر الذي فاجأ الكثير من المراقبين السياسيين والمهتمين بقضايا المجتمع اليمني آنذاك في الداخل والخارج على حد السواء، بينما ظلت مواقف واتجاهات التيارات الأخرى محتشمة إلى حد ما تجاه مشاركة المرأة في النشاط السياسي، ولم تكن بنفس بحماس ونشاط التيار الأول نفسه الذي دفع بالمرأة بشكل مكثف في هذا النشاط (7).

من هنا أصبح يحسب لمشاركة المرأة حسابات متعددة، وبالتالي اعتبرت قوة اجتماعية هامة سعت أغلب القوى الاجتماعية بمختلف توجهاتها إلى الاستعانة بها في عمليات التصويت طمعا في ترجيح كفة هذا التوجه أو ذاك وفي مختلف النشاطات السياسية وخاصة الانتخابية.

وبغض النظر عن مفهوم المشاركة السياسية، وارتباطها بقضية التنمية الشاملة، وأنها احد أهم مؤشرات التنمية السياسية والتطور، وباعتبارها من أهم الأبعاد الأساسية للتنمية البشرية، فسوف نتناول حجم مشاركة المرأة في المجتمع اليمني في مختلف

النشاطات السياسية، من خلال البيانات الإحصائية المتوفرة، مركزين في ذلك على: نسبة مشاركة المرأة في العمليات الانتخابية المختلفة، وتمثيلهن النسبي في الوظائف الإشرافية العليا، وكذا في عضوية مختلف الأحزاب والتنظيمات السياسية والمنظمات غير الحكومية أو ما يعرف بمنظمات المجتمع المدني.

ورغم هذه المواقف المتباينة فقد عد ما سبق مؤشرات هامة على مواقف واتجاهات اجتماعية مشجعة على خروج المرأة ومشاركتها في مختلف النشاطات الاجتماعية، وبالتالي مؤشرات هامة على تغييرات هيكلية مسست العديد من جوانب المجتمع اليمني سياسياً وثقافياً واجتماعياً بصفة عامة تجاه قضايا مشاركة المرأة.

وبيانات الجدول رقم (4) توضح حجم مشاركة الإناث في النشاط السياسي بالاعتماد على المقيدات في سجلات الناخبين والمرشحات وعدد الفائزات في الانتخابات البرلمانية وانتخابات المجالس المحلية. كما تبرز الجداول (7،6،5) حجم مشاركة المرأة في العمل السياسي والمجتمعي والحزبي.

جدول رقم (4)

عدد المشاركات في مرحلة القيد والتسجيل، والمرشحات في الانتخابات

البرلمانية والمجالس المحلية⁽⁸⁾

الانتخابات	عدد المسجلات في مرحلة القيد	نسبة الإناث	المرشحون		الفائزون	
			إناث	ذكور	نسبة الإناث	نسبة الإناث
انتخابات 93	478790	٪18	42	3181	٪1.3	2
انتخابات 97	127207	٪4	23	3791	٪0.6	2
انتخابات 2003	3415114	٪42	11	1518	٪0.7	1
انتخابات السلطة المحلية 2001	-	-	147	24864	٪0.6	36

جدول رقم (5)

نسبة مشاركة المرأة في مؤسسات المجتمع المدني⁽⁹⁾

نوع العضوية	ذكور	إناث
أعضاء مجلس الإدارة	٪85.3	٪14.7
العاملون بأجر دائم	٪67.1	٪32.9
المتطوعون	٪70.9	٪29.1

جدول رقم (6)

عدد النساء اللاتي يشغلن وظائف عليا في الدولة

محل الوظيفة	مكتب رئاسة الجمهورية	مكتب رئاسة الوزراء	الخارجية	القضاء
ذكور	145	149	585	1037
إناث	14	18	23	31
الإجمالي	159	167	608	1062

جدول رقم (7)

الأحزاب السياسية الكبرى التي يوجد بها إناث في عضوية هيئاتها القيادية⁽¹⁰⁾

اسم الحزب	الهيئة القيادية العليا	الذكور	الإناث	الإجمالي	نسبة الإناث
المؤتمر الشعبي	اللجنة العامة	19	1	20	٪5
الأشترافي	المكتب السياسي	25	4	29	٪14
الإصلاح	-	-	-	-	-
الناصرى	الأمانة العامة	14	1	22	٪7
الرابطة	اللجنة التنفيذية	78	8	86	٪9

من خلال قراءة الجداول أعلاه يلاحظ أن حجم مشاركة الإناث في الانتخابات لا تزال دون مستوى الطموحات النسوية، حيث تطالعنا بيانات الجداول (5،4،7،6) والخاصة بالانتخابات البرلمانية للأعوام 1997، 1993، 2003، وانتخابات المجالس المحلية لعام 2001م، بأن نسب مشاركة المرأة متواضعة للغاية إذا ما قيست بحجم الجهود التي بذلتها مختلف الأحزاب والتنظيمات السياسية قصد إقحام المرأة في المجال السياسي، بالإضافة إلى التشجيع والدعم الذي حظيت به هذه الجهود رسمياً داخلياً وخارجياً. ونفس الملاحظة يمكن أن نقولها عن مشاركة المرأة في بقية المجالات

السياسية، كتبت مناصب سياسية وإدارية عليا، ومواقع اتخاذ القرار.... وغيرها من المجالات ذات العلاقة بهذه المسألة. فمن خلال البيانات أعلاه نلاحظ تباين في هذه المشاركة بين دورة انتخابية وأخرى. ففي انتخابات 1993 كان عدد النساء المترشحات (42) امرأة، بينما هبط العدد إلى (23) فقط في انتخابات 1997، وإلى (11) مترشحة لانتخابات 2003م. والشيء نفسه يمكن أن نلاحظه حول عضوية المجلس النيابي، حيث لم تنجح سوى امرأتين في انتخابات 1993 و1997، وواحدة فقط وصلت إلى المقعد النيابي في انتخابات 2003. أما في عضوية المجالس المحلية فقد كان تمثيل الإناث (0.5%). وفي الوظائف الإشرافية العليا واتخاذ القرار، فتسجل البيانات المتوفرة أن مشاركة المرأة في اتخاذ القرار لا تزال في مستوى جَدّ متدنٍ. ففي عام 2000، تم تعيين أول سفيرة يمنية في هولندا، واثنين بدرجة وزير مفوض، وفي عام 2001، تم تعيين امرأة كوزيرة لحقوق الإنسان، وامرأتين في المجلس الاستشاري، كما أن نسبة الإناث المديرات إلى مجموع المدراء العامين تقدر بـ (9.5%) وعدد الإناث اللواتي يترأسن دائرة في الحكومة لا تتجاوز (47) امرأة. وفي سلك القضاء توجد امرأة في محكمة الاستئناف، واثنان في محاكم القضايا الشخصية، وهناك ما يقارب (29) يشغلن في محاكم ابتدائية. أما في الأحزاب السياسية فهناك خمسة أحزاب فقط من بين الأحزاب المتعددة التي ظهرت بعد الوحدة، يوجد نساء في عضوية هيئاتها القيادية، وتدرج نسبة تمثيلهن من (14%) في الحزب الاشتراكي، و(9%) في حزب الرابطة، و(7%) في الحزب الناصري، و(5%) في المؤتمر الشعبي العام. ولا يوجد تمثيل للمرأة في هذا المستوى في حزب التجمع اليمني للإصلاح.

وتفسير هذه النسب المتواضعة لمشاركة المرأة في مختلف النشاطات السياسية، يمكن فهمه في إطار البنية الاجتماعية ومحدداتها الثقافية التي لا تزال تعوق نشاط المرأة في المجال السياسي، ذلك أن الموروث التاريخي ينعكس في الوعي الجمعي داخل المجتمع محدداً رؤية نمطية لأدوار المرأة يتم فيها الاستعانة بها حيناً وتهميشها أحياناً أخرى، باعتبار النشاط السياسي ميداناً ينتمي إلى المجال العام (خارج المنزل)، إضافة إلى أمية المرأة والتي تعكس ذاتها في استمرار تبعيتها للرجل ومختلف القيم الاجتماعية،

والثقافة النمطية التي ترسخ في وعي المرأة أن طبيعتها الأنثوية تحدد وجودها الاجتماعي وأدوارها في المجال الخاص (داخل المنزل)، والذي تعد المرأة من خلاله للأدوار المنتظرة منها في المستقبل عن طريق التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي.

كما يمكن تحديد عوامل أخرى لتفسير مشاركة المرأة وتواضعها في المجال السياسي، والمتغيرة من دورة انتخابية لأخرى، وهي عوامل ترتبط ببرامج بعض الأحزاب السياسية والتي تثير قضايا المرأة عند الاقتضاء (أثناء الاستعداد للانتخابات)، الأمر الذي يجعل هذه البرامج ذات طبيعة مناسبة مرتبطة بغايات ومصالح سياسية وحزبية، وبالتالي غير ملية لمختلف الطموحات الاجتماعية، ولمتطلبات التنمية الشاملة التي يشكل الفرد - ذكراً كان أم أنثى - وسيلتها وغايتها في الوقت ذاته .

المحور الخامس: مشاركة المرأة في المجال الصحي

لعل التنمية الصحية جزء لا يتجزأ من التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتتأثر بالعديد من العوامل، ولهذا فتدهور الوضع الصحي في أي بلد ينعكس سلباً على بقية العوامل في مختلف جوانب الحياة العامة لأن هناك علاقة طردية بين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والديمقراطية والوضع الصحي.

لقد عانى معظم الأفراد في المجتمع اليمني من تدهور كبير في الجانب الصحي قبل السبعينيات حيث كانت الخدمات الصحية ضعيفة وتكاد تكون شبه معدومة، وتتركز في المدن الرئيسية فقط، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى حالة الأمية المنتشرة بين الأفراد، وإلى معدل النمو السكاني المرتفع الذي لم يقابله زيادة في تحسن المؤسسات الصحية وإمدادها بالتجهيزات والأدوية اللازمة وكذا الأطر الصحية، كل ذلك أدى إلى زيادة انتشار الأمراض والأوبئة وبالتالي ارتفاع معدل الوفيات وبخاصة لدى الإناث. فقد كان معدل وفيات الرضع - على سبيل المثال - يزيد على (200) لكل ألف مولود حي، يصاحبه تدني في توقعات مستقبل الحياة عند الولادة إلى (40) سنة. بينما كانت معدلات وفيات الأجنة والمواليد مرتفعة حيث تراوحت بين (83 و110/في الألف) بالمقارنة مع المؤشرات الإجمالية (46 و60 في الألف) لمنطقة الشرق الأوسط. إلى ذلك، يُعتبر معدل الخصوبة الإجمالي للنساء (15 - 49 عاماً) مرتفعاً ويتراوح بين (6.5) في المدن و(8)

في الريف. كما أن معدلات وفيات الأمهات أثناء الولادة مرتفعاً تراوحت بين (1000 و1400) على التوالي مقابل كل (100،000) ولادة حية. وكما نعرف أن الوضع الإيجابي للمرأة يتأثر بموقعها الاجتماعي في المجتمع، ونفاذها المحدود إلى الموارد، ومشاركتها المتواضعة في عملية اتخاذ القرار في الحياة الخاصة والعامة. بمعنى آخر تُعتبر الصحة العامة والإنجابية للمرأة متدنية جداً بسبب ارتفاع معدلات الأمية وغياب برامج التربية والثقافة السكانية التي تعنى بصحة المرأة والطفل، فضلاً عن سنّ الزواج المبكر، ومعدلات الخصوبة والولادات المرتفعة، بما في ذلك الولادات المتتالية المتقاربة، وأعباء العمل.

ومع بداية التسعينيات بدأت الحالة الصحية تتحسن حيث ارتفع توقع الحياة إلى أكثر من (60) سنة وانخفض معدل وفيات الأطفال إلى أقل من (81) وفاة لكل ألف مولود حي في عام 1994م. أما بالنسبة إلى مشاركة المرأة في هذا المجال بحسب مسح القوى العاملة لعام 1999م بلغت (25%) يعملن كطبيبات وممرضات في مختلف المستشفيات والمستوصفات الصحية. هذا إلى جانب ما تقوم به بعض النساء في عدد من الجمعيات الحكومية وغير الحكومية مثل جمعية رعاية الأمومة والطفولة والاتحادات النسوية وغيرها من الجمعيات وانعكس هذا التحسن في الوضع الصحي للمرأة على زيادة نسبة الوعي لدى المرأة اليمنية ومشاركتها في العملية التنموية.

المحور السادس- حجم قوة العمل النسوية ومشاركتها في النشاطات الاقتصادية

تضطلع المرأة اليمنية بدور تنموي كبير على صعيدي الأسرة والمجتمع، يعكس هذا الدور علاقة المرأة بالعمل وحجم المشاركة الاقتصادية المنظورة وغير المنظورة لهذه العلاقة وخصائص قوة العمل النسوية وظروف عملها.

وتجسد المرأة الدور الرئيس والمهم في رعاية الأسرة والأطفال والتنشئة الاجتماعية لهم حيث سيشكلون جيل المستقبل للمجتمع في مختلف مجالات الحياة العامة، ولهذا نستطيع القول بأن المرأة تسهم وبشكل فعال في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع.

بالرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت من قبل الحكومة خلال السنوات الماضية للارتقاء بأوضاع المرأة بشكل عام والمرأة العاملة بشكل خاص إضافة إلى المساعدات والدعم الذي تقدمه المنظمات الدولية والبلدان الشقيقة والصديقة إلا أن كل تلك الجهود لم تعمل على تطوير أوضاعها بما يلبي الطموحات المرجوة. فمشاركة الإناث في مختلف البرامج التنموية لا تزال دون المستوى المطلوب فهي مشاركة متدنية تعرقل عملية التقدم الاقتصادي ونجاح عملية التنمية بمفهومها الشامل .

وتؤثر الخصائص الديموغرافية كالخصوبة والتركييب العمري للسكان وسن الزواج على مدى ونوعية مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية العامة. فارتفاع معدل الخصوبة من شأنه إضافة أعباء أسرية متزايدة خلال مدة الحمل وبعدها مما يشكل عائقاً أمام المرأة في الحصول والحفاظ على وظيفة دائمة ذات طموحات مهنية. أما الزواج المبكر فهو يؤثر على درجة التحصيل العلمي للنساء وبالتالي إضعاف قدراتهن على المنافسة في سوق العمل.

وبالرغم من تراجع معدل النمو السكاني في اليمن من (7.3%) عام 1994 إلى (5.3%) عام 2003م فلا يزال يعد من بين أعلى معدلات النمو في العالم مما يمثل أحد أهم التحديات الكبيرة ليس فقط من خلال القدرة الاستيعابية لسوق العمل، ولكن أيضاً على المستويات المعيشية من خلال ارتفاع نسب الإعاقة الاقتصادية التي قدرت بحوالي (416.8) بينما تقدر نسبة الإعاقة الحقيقية حوالي (316.8) وقد كان لهذه المؤشرات السكانية للمجتمع اليمني أثر كبير في ارتفاع متوسط حجم الأسرة إلى نحو (7) أفراد الأمر الذي يؤدي إلى ضغوط على الجهاز الحكومي في تقديمه للخدمات الاجتماعية. ويعد التركييب العمري للسكان من أهم الملامح الديموغرافية لكونه العامل الأساس في تحديد وبلورة الكثير من المتغيرات الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية، ففي هذا المجال بينت النتائج النهائية للمسح اليمني لصحة الأسرة لعام 2003م بأن المجتمع اليمني يتميز بتركييب عمري فتي شأنه شأن المجتمعات النامية، حيث تصل نسبة الذين تقل أعمارهم عن (15) سنة حوالي (46.8%) مضافاً إليها نسبة كبار السن البالغة (2.8%) من مجموع السكان على مستوى الجمهورية اليمنية.

جدول رقم (8)

يوضح توزيع السكان بحسب الفئات العمرية العريضة

الفئة العمرية	حضر	ريف	الإجمالي
14.0	46.9	46.8	46.8
64-15	50.5	50.3	50.4
56 فأكثر	2.5	2.9	2.8

يتبين من الجدول أعلاه أن المجتمع اليمني مجتمع فتي إذ لا تتجاوز نسبة الكبار الذين تبلغ أعمارهم (65) سنة أو أكثر عن (2.8%) وتبلغ نسبة الأفراد في الأعمار بين (15-64 سنة) (50.4%)، ومرد هذا الارتفاع في نسبة صغار السن في المجتمع اليمني يعود إلى ارتفاع مستوى الخصوبة والذي يصل إلى (6.2) وانخفاض وفيات الأطفال الذي وصل إلى (32.5) في الألف، وتشير أغلب الدراسات⁽¹¹⁾ التي أجريت في مجال الخصوبة في المجتمع اليمني إلى جملة من العوامل الاجتماعية والثقافية والقيمية المؤثرة في ارتفاع معدلات الخصوبة، والتي تنعكس في العادات والتقاليد والأعراف والقيم الاجتماعية والأنماط السلوكية التي يتصرف الفرد اليمني وفقها فتدفع إلى الزواج المبكر وتعدد الزوجات وتفضيل العدد الكبير من الأبناء والميل نحو الأسرة الكبيرة. وكما هو معلوم فإن ذلك سينعكس سلباً على المرأة ودورها الفاعل الذي يفترض أن تؤديه في مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع اليمني.

لقد أدى نظام التعليم دوراً ملحوظاً في تأخير سن الزواج لدى الكثير من الإناث إذ تشير نتائج المسح اليمني لصحة الأسرة لعام 2003م أن متوسط سن الزواج للمرأة ارتفع إلى (22.3) عاماً مقابل (25.5) عاماً للرجل. وهذا المؤشر يعتبر إيجابياً فسي إمكانية رفع مستوى مشاركة المرأة في مختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية. كما تشير البيانات أنه رغم التركيبة الفتية لقوة العمل إلا أن هناك تزايداً ملحوظاً في نسبة مشاركة المرأة في الفئات العمرية المختلفة خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار أن عمل المرأة لا يقتصر على من هن في الفئات العمرية الفتية كما هو الحال لدى الذكور.

جدول رقم (9)

يوضح التوزيع النسبي للقوى البشرية (15 سنة فأكثر) حسب الجنس والنشاط الاقتصادي في اليمن (حسب مسح القوى العاملة 1999م)

القوى البشرية	المشتغلون ساعة فأكثر			العاطلون الباحثون عن عمل وغير الباحثين			الإجمالي	
	ذكور	إناث	جملة	ذكور	إناث	جملة	إناث	جملة
حضر	27.8	11.5	23.8	30.7	54.1	34.1	15	25.1
ريف	72.2	88.5	76.2	69.3	45.9	65.9	85	74.9
الإجمالي	100	100	100	100	100	100	100	100

مما سبق يلاحظ أن السكان النشيطين اقتصادياً في اليمن من كلا الجنسين يشكلون بحسب تعداد 1994م حوالي (46%) من مجموع القوى البشرية بينما شكل غير النشيطين اقتصادياً حوالي (54%) أما نسبة المشتغلين من الذكور فتصل إلى حوالي (72.2%) في الريف وحوالي (27.8%) في الحضر وتشير الإحصائيات الخاصة بالنساء النشيطات إلى أنهن يشكلن حوالي (17%) من القوى العاملة منهن (11.5%) في الحضر مقابل (88.5%) في الريف، وهذا التدني للنساء في نسبة المشاركة يعود إلى عدة عوامل منها ما هو اجتماعي وثقافي يتعلق بالقيم والأعراف والتقاليد والعادات، أو تعليمي يتعلق بتعليم وأعداد وتأهيل المرأة، وهذا يؤثر على مشاركة المرأة في سوق العمل. أما ارتفاع نسبة المشتغلات في الريف فقد يعود إلى جملة من العوامل منها نزوح وهجرة الكثير من الذكور إلى المدن الكبيرة أو إلى الخارج، الأمر الذي يدفع بالإناث في الوسط الريفي إلى الاشتغال في الأعمال الزراعية والرعي وغيرها من النشاطات الفلاحية التي عرفت المرأة في المجتمع اليمني بمزاولتها لها في الوسط الريفي. بينما نجد أن نسبة النساء غير النشيطات اقتصادياً تبلغ حوالي (83%) مقابل (26%) للرجال وبلغت نسبة الاشتغال إلى إجمالي القوى العاملة حوالي (88.5%) من نتائج تعداد عام 1994م. وتبين من نتائج مسح القوى العاملة لعام 1999م بأن نسبة المشتغلين من الذكور

(75.4%) مقابل (24.6%) للإناث ويتركز فقط (23.8%) من المشتغلين في الحضر مقابل (76.2%) في الريف.

وتشكل الإناث ممن هن في سن (10 سنوات فما فوق) النشاط الاقتصادي (1441000) امرأة ويشكلن ما يقرب من (76%) منهن في الريف والبقية في الحضر ويشكلن نسبة (50%) من السكان النشيطين اقتصادياً مع ذلك فإن مساهمة الإناث في قوة العمل لا تتعدى (23%) فقط، وأظهرت نتائج مسح القوى العاملة لعام 1999 بأن نسبة الذكور تصل حوالي (76.2%) ذكراً من حجم القوى العاملة البالغ (4090680) فرد مقابل (23.8%) للإناث، ومن هذه النسب نستطيع القول بأن طاقات وإمكانات النساء لازالت غير مستغلة بشكل ايجابي وبما يخدم خطط التنمية الشاملة، وتتوزع مساهمة المرأة إلى حوالي (7.8%) في الحضر و (23.20%) في الريف فيما تتوزع قوة العمل النسوية بشكل عام إلى (15%) في الحضر و(85%) في الريف .

تشكل فئة ربات البيوت النسبة الأكبر من الإناث النشيطات اقتصادياً حيث تتجاوز (60.55%) في العمل غير المنظور. وقد حظيت مسألة اشتغال المرأة في الأنشطة المنزلية باهتمام الكثير من الباحثين وتركز البحث حول القيمة الاقتصادية لهذا النشاط، فالإعمال المنزلية تتضمن المساهمة في إنتاج الحاجيات والخدمات المختلفة والضرورية للأسرة والتي لولا النشاط الذي تقوم به المرأة في أدائها لاحتاجت إلى أن تقوم بشرائها من السوق، فضلاً عن رعاية المرأة للصغار واهتمامها بصحتهم وتربيتهم خاصة من ناحية التأثير في توجهاتهم وتأسيس المبادئ والقيم المشجعة للعمل الجاد والإنتاجية الفعالة والمعتبرة بمثابة تحضير وتطوير لما يعرف بالموارد البشرية التي سيقع عليها مسؤولية الإنتاج الاقتصادي في المستقبل وهذا ما يبرر اعتبار نشاط المرأة المنزلي ذو قيمة اقتصادية وجزء من عملية الإنتاج الاقتصادي⁽¹²⁾. تليها نسبة ربات البيوت العاملات (14.7%) ثم الطالبات المتفرغات (14.5%)، وتختلف النسبة بين الريف والحضر ولكنها تتباين بشكل حاد في نسبة ربات البيوت العاملات في الريف (18.5%) مقابل (2.8%) في الحضر وأيضاً في الطالبات المتفرغات فهي في الحضر أكثر من ثلاثة أضعافها في الريف، كما أظهرت نتائج مسح القوى العاملة بأن المشتغلين الذين يعملون

بصورة دائمة معظمهم من الذكور ويشكلون (92.1%) بينما تبلغ نسب الإناث (7.9%) فقط.

جدول رقم (10)

يوضح توزيع المشتغلين (15 فأكثر) بحسب الجنس وقطاع الملكية والحالة العملية حسب مسح القوى العاملة لعام 1999م (13)

النسبة من الإجمالي	نسبة الإناث	الإجمالي	إناث	ذكور	الحالة العملية
40	٪1	1396757	12293	1384464	يعمل بأجر
2	٪5	78323	3609	74714	صاحب عمل
32	٪19	1122623	209731	912892	يعمل لحسابه
26	٪61	901303	550667	350636	يعمل لدى الأسرة بدون أجر
0.3	٪26	11973	3110	8863	يعمل لدى الغير بدون أجر
100	٪22.2	3510979	779410	2731569	الإجمالي

يتبين من الجدول أعلاه أن نسبة النساء ممن يعملن بأجر لا يزال ضعيفاً جداً مما يدل على أن عمل المرأة خارج المنزل بأجر لا يزال تعترضه من الصعوبات الاجتماعية والثقافية المتعددة نتيجة للنظرة الاجتماعية السلبية تجاه عمل المرأة خارج المنزل بالرغم من أن هذه النظرة قد بدأت تتغير تدريجياً في الآونة الأخيرة، ولكن ما يفسر النسبة المتدنية لعمل المرأة بأجر يعود إلى معارضة خروج المرأة للعمل من قبل أغلب الشرائح والفئات الاجتماعية، نتيجة حداثة خروج المرأة إلى العمل خارج المنزل والذي بدأ في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي. أما بالنسبة لعمل المرأة كصاحبة عمل أو تعمل لحسابها الخاص فهذا النوع من العمل تمارسه شريحة من النساء في مجال بعض الأعمال مثل البيع والشراء لبعض السلع والمنتجات الفلاحية الأمر الذي يرفع نسبة مشاركة النساء في العمل للحساب الخاص. بينما يظل عمل المرأة لدى الأسرة بدون أجر ولدى الغير من أعلى النسب حيث تعمل الأسرة على توزيع بعض الأعمال على أبنائها الذكور والإناث بدون مقابل، ويعد ذلك مساهمة اقتصادية مع الأسرة التي تسعى لتلبية الاحتياجات المادية للجميع، ولهذا لا يحق لمن يعمل معها من أبنائها المطالبة بأجر على المجهود الذي يقوم به هذا إلى جانب عمل المرأة غير المنظور في المنزل.

أما بالنسبة لتوزيع المشتغلين بحسب النوع والنشاط الاقتصادي في عموم الجمهورية وفقاً لمسح القوى العاملة 1999م فكانت كما يلي :-

جدول رقم (11)

يبين توزيع المشتغلين (15 سنة فأكثر) بحسب النوع والنشاط الاقتصادي في عموم محافظات الجمهورية وفقاً لمسح القوى العاملة 1999م

نسبة الإناث المشتغلات من مجموع القوى العاملة %	نسبة الإناث المشتغلات من مجموع الإناث %	عدد العاملين			النشاط الاقتصادي
		الإجمالي	إناث	ذكور	
21.6	87.8	1927748	781299	1146449	الزراعة والصيد والحراجه
-	-	31389	-	31389	صيد الأسماك
0.03	1	17699	983	16716	التعدين والمقالع
0.6	3	1335659	23036	112623	الصناعات التحويلية
0.02	0.8	11731	751	10980	إمدادات الكهرباء والغاز والمياه
0.3	0.6	238246	1323	236923	الإشاعات
0.3	1	394144	11869	382275	تجارة الجملة والتجزئة وإصلاح المركبات الشخصية والأسرية
0.02	0.1	42857	891	41969	الفنادق والمطاعم
0.04	0.2	122309	1470	120839	النقل والتخزين والاتصالات
0.05	0.2	11056	1735	9321	الوساطة المالية
0.02	0.1	18912	878	18034	الأنشطة العقارية والإيجارية والمشاريع التجارية
0.3	1	357907	10252	347655	الإدارة العامة والدفاع والضمان الاجتماعي الإجباري
1.1	4	209195	38180	171015	التعليم
0.3	1	42350	10569	31781	الصحة والعمل الاجتماعي
0.1	0.5	53104	4041	49063	أنشطة الخدمة المجتمعية والشخصية الأخرى
0.06	0.3	5618	2247	3371	الأسر الخاصة التي تعين أفراد لأداء الأعمال المنزلية
0.007	0.3	534	252	282	المنظمات والهيئات غير الإقليمية
0.009	0.04	1221	334	887	غير مبين
24.9	100	3621679	890110	2731569	الإجمالي

يتبين من الجدول أن توزيع المشتغلين (15 سنة فأكثر) بحسب النوع والنشاط الاقتصادي في عموم محافظات الجمهورية حيث يلاحظ أن الزراعة والصيد والحراجة لا تزال هي المشغل الأساس للمرأة حيث تعمل بهذا القطاع حوالي (87.8%) من أجمالي الإناث العاملات ، ترتفع هذه النسبة في الريف إلى (94%) مقابل (7.7%) في الحضر يليها قطاع الصناعة التحويلية (2.9%) ثم التعليم (4.3%) والإدارة العامة (1.86%) فتجارة الجملة والتجزئة (3.1%) أما بقية الأنشطة فنسب كل منها اقل من (1%).

وفيما كانت الزراعة المشغل الأساس في الريف فإن التدريس في الحضر هو مجال العمل الأول للإناث (28.64%) فالإدارة العامة (16.96%) ثم الصناعة التحويلية (16.7%) تليها الصحة والعمل الاجتماعي (9.5%) ثم الزراعة (7.7%) والتجارة (6.5%) ومهنياً تتوزع النشاطات اقتصادياً إلى (83%) عاملات ماهرات في قطاع الزراعة والصيد (0.5%) مهنيات بسيطيات و (4.4%) عاملات الخدمات والبيع وأقل من (1%) عاملات التجميع والمسئولات في المشروعات وتختلف هذه النسب بين الريف والحضر ففي الريف تكون الغلبة للزراعة (91%) فالمهن البسيطة (3.3%) فالحرف (2.3%) أما في الحضر فالمهنيات المساعدات يشكلن (42%)، والحرفيات (14.8%) والعاملات بمهن مكتبية (12%) وفي المهن البسيطة (11.28%) ثم الخدمات والبيع (7.6%) والزراعة (7.4%) عاملات التجميع (40%) والمسئولات في المشروعات والمديرات (1.22%)⁽¹⁴⁾.

أما توزعهن حسب نظام الأجر فالعاملات بدون أجر هو (74%) والعاملات بأجر (9.8%) والعاملات لحسابهن (14.6%) وترتفع في الريف نسبة العاملات لدى الأسرة بدون أجر إلى (81.9%) وتقل نسبة العاملات بأجر إلى (13%) بينما يكون العكس في الحضر حيث تشكل نسبة العاملات بأجر (73%) ، ولا تشكل العاملات لدى الغير بدون أجر إلا نسبة بسيطة في الريف والحضر وهي (8.25%).

تتوزع الإناث الناشطات اقتصادياً حسب قطاعات الملكية وفق النسب الآتية (91.83%) يعملن في القطاع الخاص المحلي و (5.8%) في الجهاز الإداري للدولة و (1%) يعملن في القطاع العام و (0.10%) في القطاع المختلط و (0.22%) في القطاع

التعاوني و(0.12%) في القطاع الأجنبي، ومن خلال هذه الإحصائيات عن مشاركة المرأة في العمل التنموي نستطيع القول أن المرأة لازالت لا تسهم بفاعلية في مختلف الأنشطة الاقتصادية وهذا ما سينعكس على دورها الذي يفترض أن تؤديه في عملية التنمية الشاملة، ويعود تدني مشاركة المرأة في الأنشطة الاقتصادية إلى قصور النظرة الاجتماعية وسيادة بعض القيم السلبية تجاه تعليم وعمل المرأة خارج المنزل لدى بعض الشرائح والفئات الاجتماعية، فضلاً عن بعض أنماط السلوك الاجتماعي المبني على أعراف وعادات وتقاليد تحث على الزواج المبكر وعدم السماح لها بالعمل خارج المنزل فضلاً عن التعامل مع المرأة على أنها (مكلف) و (عار) يجب ستره وعدم إظهاره للناس سواء كان ذلك في سبيل الدراسة أو العمل .

مناقشة وتقييم

أثارت هذه الورقة كثيراً من القضايا المتعددة التي تهتم بمشاركة المرأة في مختلف النشاطات التنموية بمفهومها الشامل، وركزت بالأساس على حجم هذه المشاركة، ويمكن القول أنها خرجت بملاحظات عديدة، لعل من أهمها أن تغييرات هامة ومتلاحقة مست الموقف العام لمختلف الشرائح والفئات الاجتماعية، وبخاصة القوى السياسية تجاه قضايا المرأة ومشاركتها في المجالات التنموية المختلفة.

تعود هذه التغييرات إلى حقبة ما بعد الوحدة المباركة في 1990، والتي أوجدت خطاباً سياسياً وغير سياسي لدى مختلف قوى المجتمع يشجع على مشاركة المرأة والنهوض بأوضاعها الاجتماعية هذا من جهة. ومن جهة ثانية، فعلى الرغم من أهمية المؤشرات الرقمية التي اشرنا إليها خلال هذه الورقة وأهميتها في قياس التغييرات الاجتماعية والاقتصادية بما في ذلك مشاركة المرأة في مختلف النشاطات السياسية، وما إلى ذلك من المجالات التنموية والحياة الاجتماعية بصفة عامة، إلا أنه يجدر الالتفات إلى درجة المشاركة ونوعها ومستوياتها المتدرجة والمتنوعة من الأعمال الأكثر بساطة إلى المستوى القيادي والإبداعي، فإدماج المرأة في المجتمع والتنمية لا يتأتى بتوفير التعليم وفرص العمل لها فحسب، وإنما يجب أن يكون تعليم المرأة مظهراً من مظاهر تطور المجتمع بأكمله ولكافة أفراده، وأن يكون للتعليم دوافع أكثر من مادية تهتم الأسرة والاقتصاد، كأن يكون أداة لتحقيق الذات وتوسيع آفاق الحياة والعلاقات

للمرأة. وكذلك الحال بالنسبة لعمل المرأة فلا يكفي أن ترتفع نسبة مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي والإنتاجي، وإنما يجب أن تمتد مشاركتها إلى كافة المجالات التنموية وعلى جميع المستويات مما يعبر عن مدى تطور شخصيتها وقدراتها على المشاركة الفاعلة، بما في ذلك التخطيط واتخاذ القرارات على مستوى الأسرة والمؤسسة والمجتمع. فالهدف الرئيس للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية - كما هو معلوم - هو تحسين مستوى المعيشة ونوعية الحياة وتكريس كرامة الفرد وحصوله على حقوقه والقضاء على كافة أشكال التمييز والقمع ضده. لذا فإن الأسرة، وهي الوحدة الأساسية للمجتمع، وأفرادها - خاصة الإناث- يفترض أن يشاركون في عملية التنمية وبنسب متكافئة، وفي هذا السياق يجدر التأكيد على أهمية تقليص الفجوة بين الاعتراف بحقوق المرأة ودورها الذي تتضمنه النصوص والتشريعات والقوانين وبين الممارسة الفعلية للمجتمع تجاه المرأة وواقع وضعها الشخصي وفي مؤسسات المجتمع المختلفة .

الهوامش :

1. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: تقرير التنمية البشرية لعام 1993م ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1993، ص3.
2. محمد سيد فهمي : المشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة في العالم الثالث ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2004 ، ص68-69.
3. وزارة الشؤون القانونية : دستور الجمهورية اليمنية ، ص9.
4. وزارة الشؤون القانونية : قانون العمل رقم (5) لسنة 1995م وقانون الخدمة المدنية رقم(19) لسنة 1991م.
5. - لمزيد من التفصيل انظر : حمود شرف الدين ، ديمقراطية التعليم ... واقعاً وممارسة ، سوسولوجية الفرص الدراسية في المجتمع اليمني . أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة التونسية ، 1998 .
6. وزارة الشؤون القانونية : قانون رقم (45) لسنة 1992م بشأن القانون العام للتربية والتعليم ، الجريدة الرسمية ، (ملحق 24) ديسمبر 1992، ص9.
7. انظر:-

- مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان ، المشاركة السياسية للمرأة اليمنية ، تعز ، 2003 .
- مركز التدريب والدراسات السكانية ، أراء وموقف واتجاهات أئمة ووعاظ المساجد في مدينة تعز نحو قضايا النوع الاجتماعي . جامعة صنعاء ، 2002.

8. تم الاعتماد على بيانات كتاب الإحصاء السنوي للعام 2003م الصادر في يونيو 2004م بالنسبة للانتخابات البرلمانية، أما المجالس المحلية فقد تم الاعتماد على تقرير التنمية البشرية 2001/2000م ، علما أن هناك تناقض في البيانات بين مختلف المصادر التي تناولت هذا الموضوع .
9. تم الاعتماد على المسح الميداني الذي أجرته الشبكة العربية للمنظمات الأهلية والذي اشتمل على (154) جمعية ومؤسسة أهلية 1999م .
10. المجلس الأعلى للمرأة : تقرير عن وضع المرأة في اليمن 2003 ، اللجنة الوطنية للمرأة ، صنعاء مارس 2004 ، ص 30.
11. انظر على سبيل المثال :-
 - د/أحمد محمد شجاع الدين وآخرون، السكان والتنمية، مركز التدريب والدراسات السكانية التابع لجامعة صنعاء، صنعاء، 2003م.
 - مجموعة دراسات تقديم أحمد محمد شجاع الدين، دراسات في الخصوبة البشرية في اليمن، مركز التدريب والدراسات السكانية التابع لجامعة صنعاء ، صنعاء، 2001م.
12. هدى زريق، دور المرأة في التنمية الاجتماعية _الاقتصادية في البلدان العربية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد 109 مارس 1988م، ص 97-98 .
13. وزارة العمل والتدريب المهني والجهاز المركزي للإحصاء: التقرير النهائي لنتائج مسح القوى العاملة 1999م ، صنعاء ، نوفمبر 2000، ص 273.
14. كل ما سيرد من إحصائيات في هذا المجال مأخوذ من : المجلس الأعلى للمرأة : تقرير وضع المرأة في اليمن 2003، ص 20.

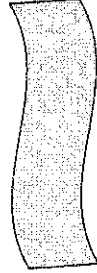
قائمة المراجع:

- (1) محمد سيد فهمي : المشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة في العالم الثالث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 2004، ص 68-69.
- (2) وزارة الشؤون القانونية : دستور الجمهورية اليمنية ، ص 9.
- (3) وزارة الشؤون القانونية : قانون العمل رقم (5) لسنة 1995م وقانون الخدمة المدنية رقم (19) لسنة 1991م.
- (4) وزارة الشؤون القانونية : قانون رقم (45) لسنة 1992م بشأن القانون العام للتربية والتعليم ، الجريدة الرسمية (ملحق 24) ديسمبر 1992، ص 9.
- (5) الجهاز المركزي للإحصاء : كتاب الإحصاء السنوي 2003م ، صنعاء ، يونيو 2004، ص 9.
- (6) إنصاف عبده قاسم : المرأة والتنمية في اليمن ، صنعاء ، مارس 2004م ص 5.
- (7) وزارة التربية والتعليم : التقرير العام لنتائج المسح التربوي الدوري لعام 2003/2002م ، صنعاء ، يناير 2004م ، ص 23.
- (8) المجلس الوطني للسكان: وثائق المؤتمر الوطني الثالث للسياسة السكانية، صنعاء، أكتوبر 2002م ص 85.
- (9) عبد السلام الحكيمي : تعليم المرأة وعلاقته بتركيبة الأسرة الحضرية في اليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم علم الاجتماع - جامعة صنعاء 1999 م .

- (10) المجلس الأعلى للمرأة : تقرير عن وضع المرأة في اليمن 2003 ، اللجنة الوطنية للمرأة ، صنعاء مارس 2004 ، ص30.
- (11) وزارة العمل والتدريب المهني والجهاز المركزي للإحصاء: التقرير النهائي لنتائج مسح القوى العاملة 1999م ، صنعاء ، نوفمبر 2000، ص273 .
- (12) خالد شيخ راجح : دور مساهمة المرأة اليمنية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، بحث مقدم إلى ندوة المرأة وسوق العمل 1999م ، من ص6-14.
- (13) المجلس الأعلى للمرأة : : تقرير وضع المرأة في اليمن 2003، من19-21.
- (14) عبد الله هزاع: أوضاع التشغيل والبطالة في اليمن ،الاتحاد العام لنقابات عمال اليمن- المكتب التنفيذي، صنعاء،(بدون تاريخ) ص25 .
- (15) وزارة التخطيط والتنمية : تقرير التنمية البشرية لعام1998 ، صنعاء ، ص20.
- (16) خالد راجح شيخ ومحمد محسن محمد :القطاع غير المنظم في اليمن- مسح ميداني ورؤية ومشروع نقابي، بحث مقدم للاتحاد العام لنقابات عمال الجمهورية ، صنعاء يوليو 2004م ص19.
- (17) حمود شرف الدين، ديمقراطية التعليم في اليمن ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدم لقسم الاجتماع بجامعة تونس الأولى ، 1998م.
- (18) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: تقرير التنمية البشرية لعام1993م ، مركز دراسات الوحدة العربية ن بيروت، 1993.



الأدب المقارن ونبض العصر



أ. د. صبري مسلو حمادي (*)

قد لا تخضع بعض الظواهر الأدبية للمنطق الصارم ، إذ إنّ الانفتاح بين الشعوب في هذه المرحلة من مراحل التطور الإنساني يفترض أن يصل إلى أقصاه في ظل وسائل الاتصال المتوافرة ووسائل النقل العملاقة والمحطات الفضائية الغزيرة وشبكة المعلومات الدائية ، ومعنى هذا أن تزدهر الدراسات الأدبية المقارنة أقصى الازدهار ولاسيما الدراسات الأدبية المقارنة في الوطن العربي إذ تبدو دراسات الأدب المقارن نادرة ومنبئة عن المشهد الأدبي العالمي ، ولسنا بصدد تفسير ذلك بناءً على الظرف السياسي القاهر الذي يعيشه وطننا العربي إذ لا بدّ أن يكون هذا العامل جوهرياً في هذا الانقطاع عن المشهد الأدبي العالمي إلا فيما ندر ، ويمكن أيضاً أن نعلل مثل هذه الظاهرة بافتقار عنصر الدهشة في عصرنا هذا إذ يمكنك أن ترى فيه وبالصورة المتحركة والملونة مصحوبة بنبرات الصوت الحي ما نشاء من معتقدات وطقوس ومفاهيم وأفكار تخص الآخر الذي تفصلك عنه آلاف الكيلومترات بل ربما تكون أنت في جهة من هذه الكرة الأرضية ويحلّ الآخر في الجهة الأخرى منها ، وقد تكون في فجر يومك وهو في أواخر يومه في غضون اللحظة ذاتها .

بيد أن تخصص الأدب المقارن لم يفقد بريقه الأخاذ وسعة صدره ونكهته الخاصة التي لا نجد لها في تخصصات الأدب الأخرى فضلاً عن أنه بطريقة وبأخرى يقرب بين

(*) أستاذ ، رئيس قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة ذمار .

الشعوب ويردم الفجوات السحيقة التي قد تفصل بينها ، بل إنه يثبت بما لا يدع مجالاً للشك وحدة الهم الانساني وإن ما يشغل الإنسان في شرق الأرض يشغله في غربها وشمالها وجنوبها ، إنه البحث عن المحور المشترك والنبؤرة الأساس التي لفتت أنظار النابهين من أبناء الأجيال المتتالية والباحثين والدراسين والمهتمين الذين من شأنهم رفد هذا التخصص الشيق بالجديد و المبتكر .

ومما يميز تخصص الأدب المقارن أنه لا يمتلك جذوراً عميقة في التراث الأدبي العالمي قياساً بالأنواع الأدبية العريقة كتاريخ الأدب والنقد الأدبي وسواهما ، فقد ظهرت نواة الأدب المقارن وبداياته منذ أقل من قرنين من الزمان وفي هيئة ملاحظات غالباً ما تندرج تحت إطار أنماط أخرى من أنماط الأدب وفنونه ، ولم يستقل هذا النمط من التخصص الجديد وأعني به الأدب المقارن إلا في أوائل القرن الميلادي السابق الذي شهدنا خاتمته (القرن العشرين) حيث استقر له كيان مستقل إلى حد ما وتبلورت له مفاهيم وخصائص مميزة ولاسيما في ظل الدراسات الأكاديمية وفي أروقة الجامعات التي شهدت بزوغ المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن .

وتختلف آراء الأوربيين وتحديداتهم لدائرة اهتمام تخصص الأدب المقارن ، ففي الوقت الذي يرى فيه فان تيجم وهو أحد رواد المدرسة الفرنسية للأدب المقارن أنه : " دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض " (1) فإن جويار الذي ينتمي للمدرسة الفرنسية ذاتها والذي أفاد من سلفه فان تيجم يعرف الأدب المقارن على أنه " تاريخ العلاقات الأدبية الدولية فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ، ويراقب مبادلات الموضوعات والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب " (2) ، وبهذا فإن جويار يشير إلى الجذر التاريخي لهذا النمط من التخصص ولا سيما في إطار المدرسة الفرنسية التي لا تعترف بالمقارنة بين أدبين أو ظاهرتين أدبيتين إلا بعد وجود ما يثبت التأثير والتأثير ولا يتم هذا إلا بالاستعانة بكتب التاريخ ، بيد أن هذا لا يعني التطابق بين الأدب المقارن وتاريخ الأدب فلكل من التخصصين مجاله وحدوده .

ويتأكد لنا انتماء الدكتور محمد غنيمي هلال إلى المدرسة الفرنسية من خلال توكيده على الجذر التاريخي للأدب المقارن وعبر تعريفه له بأنه " ذو مدلول تاريخي ،

ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو في ماضيها ، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر أياً كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثير" (3) .

ومساهمة الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن إضافة رائدة في ميدان الأدب المقارن العربي ، وهي خطوة نادرة في حينها لا سيما أن الدكتور هلال تمثل أدب أمته العربية واستوعب أسرارها وحين ذهب إلى فرنسا دارساً وضع يده على محاور أساسية وفيما يتعلق بهذا التخصص المهم وأعني به الأدب المقارن ، وعلى الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على مصنفه المهم في الأدب المقارن فإن غزارة ما ورد فيه من موضوعات تصلح مادة للأدب المقارن ما تزال ركيزة مهمة للدراسات المقارنة اللاحقة .

وثمة مدرسة أميركية نشأت بوصفها رد فعل للمدرسة الفرنسية الرائدة ، وهذه المدرسة الأميركية ضاقت ذرعاً بما وصفته بضيق المدرسة الفرنسية ومحدودية رؤيتها للأدب المقارن ولذلك فقد رأت أن الأدب المقارن هو " البحث و المقارنة بين العلاقات المتشابهة في الآداب المختلفة ، وبين الآداب وبقية أنماط الفكر البشري كلاً متكاملًا ومتداخلاً ، ولا يمكن فصل النتاج الأدبي عن غيره من أنماط النتاج الفكري الأخرى من علوم وفنون" (4) . ومن الواضح إن توسيع دائرة اهتمام الأدب المقارن بمثل هذه الصورة لا يخدم هذا التخصص بل يقحمه في صعوبات جمّة لا قبل له بها ، إذ كيف يتاح لباحث واحد أن يلم بالآداب و العلوم و الفنون كي يتسنى له أن يفيد منها جميعاً في دراسة مقارنة ، يضاف إلى هذا أن اتساع ميدان الأدب المقارن بمثل هذه الصورة سيضيع عليه فرصة أن يكون أكثر دقة ومنهجية حيث ستكون أحكامه وفقاً لهذه الرؤية المتسعة نسبياً أبعد عن الدقة والمنهجية ، وبهذا تضيع فرصة التوصل إلى حقائق أدبية مستجدة مستوحاة من طبيعة هذا التخصص وبوساطة أدواته المنهجية وأسلوبه الخاص في التوصل إلى تلك الحقائق .

ولا نجد مثل هذه الرؤية المتسعة لدى رينيه ويليك وإن كان من رواد المدرسة الأميركية للأدب المقارن ، فهو وإن أشار إلى أن مفهومه فان تيجم للأدب المقارن ضيق

ومحدود لأنه يحصر مادته في طرفين اثنين فحسب هما الطرف المؤثر والطرف الآخر المتأثر به فإنه عرف الأدب المقارن بأنه " الدراسة الأدبية المستقلة عن الحدود اللغوية والعنصرية والسياسية ، ولا يمكن حصر الأدب المقارن بمنهج واحد فالوصف والتشخيص والتفسير والرواية والتقويم عناصر لا تقل أهمية عن المقارنة فيه ⁽⁵⁾ . ويبدو أن المفهوم الواسع للأدب المقارن تبلور على يد باحثين أميركيين آخرين ، ومنهم ريماك الذي عرف الأدب المقارن بأنه " دراسة العلاقات بين الآداب من ناحية والمجالات الأخرى للمعرفة والاعتقاد كالفنون (الرسم والنحت والعمارة والموسيقى مثلاً) والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم والدين الخ) من ناحية أخرى ⁽⁶⁾ ولا يخفى ما في التعريف من شمول وسعة يضع فيها الباحث الفرد ، ولا يمكن الإمام بكل هذه العلوم والفنون إلا في ظل فريق عمل أو مؤسسة تضم بين جوانحها مختصين في كل هذه التخصصات وفي مثل هذا الكم من المختصين هل يمكن التوصل إلى حقائق أدبية جديدة تصب في تخصص الأدب المقارن ؟ نحن لسنا في مواجهة مع التخصصات المجاورة ، ولكن التداخل مع هذه التخصصات جميعاً قد يضع هوية الأدب ويطمس خصوصيته .

ولكي نوضح رؤية كل من المدرستين الفرنسية والأميركية على صعيد الميدان التطبيقي فإن مقارنة بين إنيادة فرجيل الروماني و الكوميديا الإلهية لدانتي أليجيري هي مقارنة معترف بها وفقاً للمدرسة الفرنسية وذلك لأن دانتي أليجيري اتخذ من فرجيل دليلاً له في الكوميديا الإلهية وليس ثمة أدنى شك بتأثره به ، ومثل ذلك يقال عن تأثير الإنيادة والأوديسة في الإنيادة لفرجيل إذ إن الفضاء المكاني للملاحم الثلاث (الإنيادة والأوديسة والإنيادة) ينطلق من طروادة وحدث اجتياح أسوارها بحيلة الحصان الخشبي التاريخية ، إذن لا خلاف على أن فرجيل في الإنيادة قد تأثر بالمحمتين الخالديتين (الإنيادة والأوديسة) وإن كان فرجيل في إنيادته لم يرتفع إلى مستوى هو ميروس في ملحمتي الإنيادة والأوديسة من وجهة نظر الدكتور محمد غنيمي هلال لا من حيث الوحدة ولا من حيث ترتيب الأفعال وتقديم الحدث ، وإن كان الدكتور هلال يعترف بالإضافة المهمة التي أضافها فرجيل في الإنيادة وهي في " عجائب العالم الآخر و الرحلة إليه مما امتاز بها

فرجيل أكثر من هو ميروس فهي أقرب إلى عجائب العالم المسيحي الأخرى " (7) ويبسندو أن هذه الرحلة إلى العالم الآخر هي التي لفتت أنظار دانتي الجيبري إلى أنباذة فرجيل .

ولكن مقارنة بين ملحمة جلامش السومرية والملاحم التي تلتها كملحمتي الإلباذة والأوديسة الاغريقيتين أو ملحمة الإلباذة اللاتينية أو الشاهنامة الفارسية أو المها بهاراتا الهندية أو سواها من الملاحم هي مقارنة غير ممكنة من وجهة نظر المدرسة الفرنسية إذ لم يثبت التأثر أو التأثير في حين أن مقارنة كهذه ممكنة في إطار رؤية المدرسة الأميركية للأدب المقارن ذات الطابع المتسع المرن ومن منطلق أن نسق الملاحم في الحضارات القديمة متقارب من حيث المضامين والتقنيات وظروف الإنسان آنذاك ، وعلى هذا الأساس ذاته يمكننا أن نقارن بين الشاعر الانكليزي جون كيتس و الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي ولكن المدرسة الفرنسية لا تعترف بمثل هذه المقارنة إذ لم يثبت التأثر والتأثير ومثل ذلك يقال عن مقارنة ما بين الشاعر الانكليزي (تي أس اليوت) والشاعر العراقي بدر شاكر السياب في حين لا ترى المدرسة الأميركية باساً في مثل هذه الدراسات المقارنة أو فيما يناظرها من محاور وموضوعات ، ولا تختلف المدرستان الفرنسية والأميركية بشأن المقارنة بين الروايات التاريخية التي كتبها السير ولترسكوت الذي وصف بأنه أب للقصة التاريخية في أوروبا وبين الروايات التي صاغها جرجي زيدان وفقاً لمنطلقات المدرسة الفرنسية لأن جرجي زيدان اعترف بتأثير السير ولترسكوت عليه مما لا يدع مجالاً للشك في أن رواياته التاريخية خضعت للنسق ذاته الذي ابتدعه السير ولترسكوت .

ويصعب علينا أن نميز خصوصية أو فريدة فيما يدعى بالمدرسة الاشتراكية في الأدب المقارن لأن هذه المدرسة - إن جاز لنا أن نسميها كذلك - قد تقرب من رؤية المدرسة الفرنسية في بعض منطلقاتها وربما اقتربت من المدرسة الأميركية في منطلقات أخرى لها ، بيد أن الخط العام لها يتقيد بدراسة " الأسس الاجتماعية والاقتصادية والأسس الطبقيّة وتاريخ الحضارة لتجعل من ذلك كله إطاراً للظاهرة الأدبية التي تدرسها " ولا نفاجاً بمنطلقات هذه المدرسة فهي معروفة ولسنا بصدد اختفاء هذه المدرسة بعد انهيار الكتلة الاشتراكية الأوروبية بيد أن الاستنتاج المهم المستقى من طبيعة هذه الرؤية

للأدب المقارن هو أن مفهوم الأدب المقارن يتأثر بالضرورة بالمنطلقات الفكرية والسياسية السائدة ، وهو استنتاج قد يقترب من البديهيات والمسلمات .

وكان الأديب الألماني الفذ جوته قد تبنى مصطلح الأدب العالمي أو أدب العالم مؤسساً لوجهة النظر الألمانية وجذور الأدب المقارن لديهم " وحين أصبحت الدراسات المقارنة تأخذ طابعاً خاصاً تبناها مصطلح علم الأدب المقارن وهم يركزون على موضوعات الموروث الشعبي ونظرية الحقب الأدبية وحاولوا التمايز بهذه الدراسات عن المنهج الفرنسي ، ونلاحظ انفتاحاً عالمياً ألمانيا وخاصة على الآداب الشرقية من قبل الكلاسيكيين الألمان تحت تأثير مصطلح جوته " (9) .

ويبدو أن مصطلح الأدب المقارن منذ نشأته يثير مشاعر متضادة بين المتحمسين له والرافضين له ، وممن سجل رفضه البات للأدب المقارن بينيد يتو كروتشي ومنذ عام 1903 إذ دافع عن وجهة نظره وفحواها " أن الأدب المقارن هو لا موضوع وهكذا وباحتقار شديد رفض فكرة أنه يمكن اعتبار الأدب المقارن دراسة أكاديمية منفصلة ، وناقش التعريف القائم بأن الأدب المقارن بحث في التحولات و التغيرات والتطورات والاختلافات المتبادلة للموضوعات والأفكار الأدبية عبر الآداب ، وانتهى إلى أنه لا يوجد حقل أكثر إجاباً من مثل تلك الدراسات ، فهي على حد قوله يمكن تصنيفها ببساطة واختصار تحت بند الحذلقة العلمية واقترح أن ما يجب دراسته بحق هو تاريخ الأدب بدلاً من ذلك الذي نطلق عليه الأدب المقارن " (10) . ولكن بعض العلماء والباحثين المتحمسين للأدب المقارن عظموا شأن هذا التخصص بل بالغوا في ذلك ومنهم تشارلس ميلز جيلي وهو أحد مؤسسي الأدب المقارن في أميركا الشمالية إذ يذكر أن الأدب المقارن بوصفه وسيلة " متميزة ومتكاملة للفكر وتعبير مشترك ومجمع للإنسانية يختلف بلا شك حسب الظروف الاجتماعية للفرد وحسب المؤثرات والفرص والقيود العرقية والتاريخية والثقافية واللغوية التي تحكم هذه الظروف ولكنها وبغض النظر عن العمر أو الشكل تحثها احتياجات وطموحات إنسانية مشتركة " (11) ، ويرفض فرانسوا جوست عام 1974 مفهوم الأدب القومي الذي لا يمكن إلا أن يكون مداناً بسبب عشوائية منظوره المحدود - كما عبر - في حين إن الأدب المقارن " يمثل ما هو أكثر من دراسة أكاديمية،

فهو يقدم نظرة شاملة للأدب ولعالم الكتابة ، وهو دراسة للبيئة البشرية ونظرة أدبية للعالم ورؤية شاملة وواقفية للكون الثقافي " (12)

وتتساءل بعد هذا الاستعراض السريع لمدارس الأدب المقارن ، ترى هل يمكننا أن نطمح إلى رؤية خاصة للأدب المقارن تتبع من أدبنا العربي الغزير ؟ وهل يمكننا في الأقل أن ننظري على بعض الجوانب في الأدب المقارن خصوصية لأنها مما يهمننا ويؤكد دورنا الحضاري ؟ بعيداً عن المبالغات ولاسيما في هذه المرحلة ، ولكي نجيب عن سؤال كهذا ينبغي أن نشير إلى ضرورة أن يكون لدينا باحثون يجيدون الاطلاع على الأدبين العربي والأدب الآخر وباللغة الأخرى الأصلية ، وإذا ما نشأ لدينا كم من الباحثين في مجال الأدب المقارن وإضمامة منتقاة من الدراسات المقارنة التي تحمل طابعنا الخاص فإن ذلك يمكن أن يكون نواة للمفهوم الذي نريده (13) .

ولعل شعوباً أخرى غير الغرب الأوربي انتبهت إلى تخصص الأدب المقارن وسعت إلى ما نسعى إليه " فبدأت برامج دراسية جديدة في الأدب المقارن في الصين وتايوان واليابان وعدة دول آسيوية أخرى وهذه الدراسات لا تركز على أية فكرة كونية أو عالمية ولكن على ذلك الجانب من الدراسة الأدبية الذي حاول القائمون على المقارنة في الغرب إنكاره ألا وهو خصوصية الآداب القومية ، وكما عبر عن ذلك سوابان ماجو مدار : بسبب ذلك التفضيل للأدب القومي والذي أثارت منهجيته استياء النقاد الانجليز والأمير كان فإن جذور الأدب المقارن قد تأصلت في أمم العالم الثالث وخاصة في الهند ، ويذهب جانيش ديفي أبعد من ذلك عندما يقول : إن الأدب المقارن في الهند يرتبط ارتباطاً مباشراً بظهور القومية الهندية الحديثة ، ويذكر أن الأدب المقارن قد استخدم لتأكيد الهوية الثقافية القومية ، ولا يوجد إحساس هنا بأن هناك تناقضاً بين الأدب القومي والأدب المقارن " (14) .

ونجد أنفسنا مع وجهات النظر التي أنصفت الأدب المقارن ورأت فيه منفذاً يقوي الأواصر الثقافية بين الشعوب دون أن تضحى بكنهته المحلية بل بالعكس من ذلك تماماً إذ تكون المحلية لوناً خاصاً يمنح الأدب القومي كما قد يسميه بعض الباحثين فريدة

وخصوصية لاسيما أن مجال البحث في الأدب المقارن هو مجال فسيح جداً وهو يشر نب إلى آفاق الثقافات الأخرى التي من شأنها أن تثري الأدب القومي وأن تفيد من عطائه⁽¹⁵⁾. وبشأن فكرة صراع الحضارات التي شاعت أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن فإنها مما غذته الأفكار المتطرفة وصاغتها الأحقاد واحتضنتها الرؤى المستغلة المشحونة بوهم التفوق وإلغاء الآخر مما يجافي طبيعة هذا التخصص الذي يمكنه تماماً أن يخفف من حدة هذا التضاد الموهوم بين الحضارات والآداب ويمكنه أيضاً أن ينطلق في مساحات إنسانية مفعمة بالهموم والطموحات الموحدة لأدباء العالم ومفكره وعلى مر الأجيال لاسيما أن هؤلاء الأدباء هم مرايا شعوبهم وليس أدل على ذلك من الفولكلور الذي يحمل سمات متقاربة لدى كل الشعوب وإن نفاي بيئات إنسانية متباينة ، ويمكن للفولكلور أن يمد الأدب المقارن بفيض من الموضوعات والظواهر والرؤى ومنها على سبيل الاستدلال النسق الأسطوري وتقنيات الملاحم وعناصر السيرة الشعبية وبنية الحكايات ومضامين الأمثال وإيقاعات الأغاني الشعبية ومفارقات الطرفة الذكية وسوى ذلك كثير .

إن الباحث إذا ما دلف إلى رحاب تخصص الأدب المقارن فإنه ينبغي أن يتطهر من مزلقين متضادين أحدهما وهم التفوق المطلق على الآخر وهو ورم سرطاني يحول دون الرؤية الدقيقة و المزلق الآخر هو هذا الإحساس بالنقص إزاء الآخر بمعنى أن المرأة المحدبة أو المقعرة لا يمكن أن تعكس لك الوجه الحقيقي للأدب المقارن وينطبق هذا تماماً على مظاهر الفكر وحقائق الحياة بوجه عام .

ويظل الباب مفتوحاً لإثراء هذا التخصص بالجديد في هذا الشأن علماً بأن ثمة مجالات وآداباً أخرى يمكن أن تكون مادة لدراسات مقارنة جديدة ومنها تلك التأثيرات المتبادلة بين الأدب العربي والآداب الشرقية التي قد تبدو أكثر اقتراباً من الأدب الغربي كالأدب الهندي والفارسي والتركي والصيني والياباني وسواها من الآداب الشرقية الأخرى.

إن عطاءنا الأدبي يتيح لنا من خلال مادة الأدب المقارن رؤية أكثر شمولاً له ويضفي عليه دلالات أغزر وإيحاءات أبعد أثراً . وبهذا فإن دورنا من خلال مجمل نتاجنا الأدبي يبدو أوضح وأقوى فعلينا إذن أن نهتم بهذا النمط من التخصص على أن لا يكون مدعاة للتعبير عن النقص بحيث يكون هدفنا منه مجرد السعي للحصول على الإطراء

والمديح لماضينا الأدبي الزاهر . وإنما أن نساهم في رفق هذا التخصص الجديد نسبياً بما يضيف إليه من مبتكر ومتميز .

الهوامش :-

- (1) فان تيجم ، الأدب المقارن ، ترجمة دار الفكر العربي ، القاهرة دون تاريخ ، ص 62 .
- (2) ماريوس فرانسوا جويار : الأدب المقارن ، ترجمة د . محمد غلاب ، مطبعة لجنة البيان العربي ، بيروت 1956 ، ص 5 .
- (3) د. محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار العودة ، ط 5 بيروت 1981 ، ص 9 (ط 1 عام 1953م) .
- (4) د. محمد عبد السلام كفاقي ، في الأدب المقارن ، بيروت 1972 ، ص 24 .
- (5) رينيه ويليك ، مفاهيم نقدية ، ترجمة د . محمد عصفور ، مطابع الرسالة ، الكويت 1987 ، ص 318 .
- (6) د . عبد الحكيم حسان ، الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي و الأمريكي ، مجلة فصول ، المجلد الثالث ، العدد الثالث ، القاهرة 1983 ص 15 - 16 .
- (7) د. محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، ص 149 .
- (8) عز الدين المناصرة ، مقدمة في نظرية المقارنة ، دار الكرمل ، عمان ، 1988 ، ص 21 - 22 وينظر كذلك : د. جميل نصيف ود . داود سلوم ، الأدب المقارن ، مطبعة التعليم العالي، بغداد 1989 ص 116 .
- (9) عز الدين المناصرة ، مقدمة في نظرية المقارنة ، ص 20 .
- (10) سوزان باسنيت ، الأدب المقارن ، مقدمة نقدية ، ترجمة : أميرة حسن نويرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1999م ، ص 6- 7 .
- (11) نفسه ، ص 7 .
- (12) نفسه ، ص 7 - 8 .
- (13) أتوه هنا ببعض دراسات الأدب المقارن للدكتور . حسام الخطيب والدكتور / صفاء خلوصي والدكتور / عدنان محمد وزان ولا سيما في كتابه مطالعات في الأدب المقارن ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة 1403 هـ 1983 م ، وكتابه الأخر : صورة الإسلام في الأدب الأنجليزي، دراسة تاريخية نقدية مقارنة ، دار اشبيليا ، الرياض 1419 هـ - 1998م .
- (14) سوزان باسنيت ، الأدب المقارن ، ص 9- 10 .
- (15) د . محمود طرشونة ، مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة ، مؤسسات باباي ط 3 تونس 1997م ص 5 (ط 1 عام 1986)





التطور الدلالي للألفاظ الدالة على مراتب الحب



د. عبدالكريم مصلح البهلة^(*)

يشتمل التراث الأدبي العربي ، ولا سيما الغزلي منه على كثير من الكلمات التي تدل على الحب ، فغالباً ما تفسر الكلمات (الهوى ، والجوى ، والعشيق ، والكلف واللوعة ...) بالحب ، و الحقيقة غير ذلك ، فكل لفظ من تلك الألفاظ يدل على مرتبة من مراتب الحب ، ودلالاته تختلف عن دلالات الألفاظ الأخر ، وقد أشار أصحاب المعجمات اللغوية إلى المعاني الدقيقة لكل لفظ من هذه الألفاظ حين يكون دالاً على الحب . وهذا يعني أن لهذه الألفاظ دلالات أحر - كما هو حال الألفاظ العربية كلها - وما يحدد الدلالة المطلوبة هو السياق الذي يرد فيه هذا اللفظ أو ذاك ، فضلاً عن الصيغ الصرفية والحركات التي تتعاوره .

وإذا أنعمنا النظر في المعجمات العربية لرأينا أن الجذور اللغوية للألفاظ الدالة على مراتب الحب تحمل عدداً من الدلالات ، قد تكون في بعض الجذور نقيضاً للحب ، وفي بعضها الآخر تدل على الأمراض والأسقام التي قد تصيب الإنسان أو الحيوان . وهذا يعني أن دلالة هذه الألفاظ على الحب ودرجاته كانت نتيجة لتطور دلالي حدث لتلك الألفاظ، إما عن طريق المجاز أو عن طريق الاستعارة . ومما يؤخذ على أصحاب المعجمات اللغوية ، ولا سيما المتأخرون - أنهم لم يركزوا على التطور الدلالي للألفاظ ، إذ لم يبدؤوا بذكر الدلالة الحسية للفظ ، ثم يذكرون الدلالات المعنوية التي نقلت منها ،

(*) أستاذ اللغة العربية المساعد ، كلية الآداب .

ويبينون العلاقة الموجبة لذلك النقل. وسأقوم في هذا البحث - مستعيناً بالله - بتوضيح التطور الدلالي للألفاظ الدالة على مراتب الحب ، اعتماداً على الحقيقة المعروفة أن الدلالة الحسية تسبق الدلالة المعنوية ، وسأقصر هذا البحث على الألفاظ التي ذكرها أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) إذ قال : " أول مراتب الحب الهوى . ثم العلاقة ، وهي الحب اللازم للقلب . ثم الكلف ، وهو شدة الحب ثم العشق ، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب، ثم الشغف ، وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج فإن تلك حرقه الهوى ، وهذا هو الهوى المحرق . ثم الشغف ، وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه ، وقد قرئنا جميعاً " شغفها حبا " . ثم الجوى ، وهو الهوى الباطن . ثم التيم ، وهو أن يستعبده الحب ، ومنه سمي " تيم الله " ، أي : عبد الله ، ومنه رجل متيم . ثم التبل ، وهو أن يسقمه الهوى ، ومنه رجل متبول . ثم التدليه ، وهو ذهاب العقل من الهوى ، ومنه رجل مدله . ثم الهيوم ، وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم " (1) فالألفاظ التي ذكرها الثعالبي في هذا النص أربعة عشر لفظاً ، وسأتناولها حسب ترتيبه لها ، بادئاً بلفظ الحب كونه أساس الموضوع .

حب

الحُبُّ في اللغة : نقيض البغض ، وهو الوداد والمحبة (2) . وقد ذكر اللغويون لهذا الجذر اللغوي دلالات أخر منها ، الحبة و الحب ، يقال في الحنطة و الشعير ونحوهما و حبة القلب ، وهي سويداؤه ، شبهت بالحبة في الهيئة (3) . قال الأعشى : (4)

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبحت حبة قلبها وطخالها

وقد أرجع الراغب معنى الحب إلى هذا المعنى إذ قال : " وحببت فلاناً يقال في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه ، نحو شغفته ، وكبدته ، وفأدته . وأحببت فلاناً جعلت قلبي معرضاً لحبه ، لكن في التعارف وضع (محبوب) موضع (محب) واستعمل (حببت) أيضاً في موضع (أحببت) " (5) . ويبدو أن ابن فارس كان أكثر دقة فيما ذهب إليه في أصل هذا المعنى ، فأحد ثلاثة الأصول التي ذكرها لـ (الحاء والباء) دلالته على اللزوم والثبات . ورأى أن هذا المعنى مأخوذ من قولهم : (أحب البعير) أي برك ، فلم يتحرك من شدة المرض ، فيلزم الأرض حتى الموت (6) . قال أبو محمد الفقعسي : (7)

قمت إليه بالقفيل ضرباً
وقال أبو الفضل الكناني (8) :

محب كإحباب السقيم ومابه
سوى أسف أن لا يرى من يُثاور

وقد أرجع ابن فارس معنى الحب إلى هذا الأصل ، قال : " وأما اللزوم فالحب والمحبة اشتقاقه من أحبه إذا لزمه ، والمحبة : البعير الذي يحسر فيلزم مكانه " . (9)
فدلالة هذا اللفظ على الملازمة و الثبات استعمل للدلالة على الحب ، على سبيل الاستعارة ، لأن المحب ملازم لذكر محبوبه ، ولا يكاد ينساه . يقال : " أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس ، هذا الأكثر وقد قيل محب على القياس . قال عنتره (10) .

ولقد نزلت فلا تظني غيره
منى بمنزلة المحب المكرم

و حكى الأزهري عن الفراء قال : وحببته لغة . قال غيره : وكره بعضهم حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول عيلان بن شجاع النهشلي :

أحب أبا مروان من أجل تمره
وأعلم أن الجار بالجار أرفق

فأقسم لولا تمره ما حببته
ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

... وحقى سيبويه حببته بمعنى وأحببته " (11) . و الحب : الحبيب . مثل خدن وخدين .

ويأتي الحبيب تارة بمعنى المُحب كقول الشاعر : (12)

أتهجر ليلى بالفراق حبيبها
وما كان نفساً بالفراق تطيب

أي محبها . ويأتي تارة بمعنى المحبوبة كقول ابن الدمينه (13) :

وإن الكئيب الفرد من جانب الحمى
إلى وإن لم آته لحبيب

أي لمحبوب . والحب : المحبوب ، وكان زيد بن حارثة (رضي الله عنه) يدعى حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقد فرق أبو هلال العسكري بين الحب و السود ذاكراً " أن الحب يكون فيما يوجبه ميل الطباع و الحكمة جميعاً ، والود من جهة ميل الطباع فقط ، ألا ترى أنك تقول : أحب فلاناً وأوده ، وتقول : أحب الصلاة ، ولا تقول أود الصلاة " (14) .

هوى

الهوى في اللغة : الخلو والسقوط . وقد ذكر اللغويون أن أصله الهواء ، وهو ما

بين الأرض والسماء ، سمي لخلوه (15) . قال امرؤ القيس (16) :

لا كالتى في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب
ويقال لكل خال هواء (17) . قال الله تعالى في الكافرين : " وأفندتهم هواء " (18) .
أي خالية لا تعي شيئاً (19) . يقال : هوى الشيء يهوى : سقط ، والهاوية : جهنم ،
سميت بذلك لأن الكافر يهوى فيها ، أي يسقط ، و الهاوية كل مهواة (20) . والهوى ،
مقصود ، هو الحب ، يقال : هوى فلان يهوى ، فهو هو ، وامرأة هوية (21) . وقد أرجع
ابن فارس هذا المعنى إلى المعنيين السابقين جميعاً ؛ لأنه خال من كل خير ، ويهوى
بصاحبه فيما لا ينبغي " (22) . أو أنه من المهواة ، وهي الملاجة ، كما ذكر أبو عمرو ،
أو شدة السير كما ذكر أبو عبيدة قال ذو الرمة : (23)

فلم تستطع مي مها واتنا السرى ولا ليل عيس في البرين سوام
فإن كان من الملاجة ، فلأن كل واحد منهما يحب هوى صاحبه . وأما إن كان
من شدة السير فلما في ذلك من ترامي الأبدان عند المسير (24) .

والهوى لا يكون محموداً إلا إذا نعت بالحسن ، وكان موافقاً للصواب ، أما إذا
تكلم به مطلقاً فلم يكن إلا مذموماً . كأن دلالاته قد خصصت بمحبة الإنسان الشيء وغلبته
على قلبه بما لا ينبغي ، ولذلك ذم الهوى في القرآن الكريم قال تعالى في وصف الرسول
(صلى الله عليه وآله وسلم) : (وما ينطق عن الهوى) (25) . وقال جل شأنه : "
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه " (26) . وقال سبحانه وتعالى : " ونهى النفس عن الهوى " (27)
أي نهى النفس عن شهواتها ، وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل (28) . وقد فرّق
أبو هلال العسكري بين الهوى و الشهوة بقوله " (أما الشهوة فهي توقان النفس وميل
الطباع إلى المشتهى ، وليست من قبيل الإرادة ... الهوى لطّف محل الشيء من النفس
مع الميل إليه بما لا ينبغي ؛ ولذلك غلب على الهوى صفة الذم ، وقد يشتهى الإنسان
الطعام و لايهوى الطعام " (29) .

علق

العلق في اللغة : إناطة الشيء بالشيء العالي ، ونشوبه به (30) . قال الخليل :
" العلق ما يعلق به البكرة من القامة " (31) . فهو إذا اسم لشيء مادي محسوس ، قد
يكون من خشب أو حديد ، أو نحو ذلك . وأرى أن هذه الدلالة هي الدلالة الأصلية لهذا
اللفظ ، ثم توسعت هذه الدلالة ، إذ دلت على أمور حسية أحر قال جرير : (32)

إذا عاقت مخالبه بقرن
وأطلق على الطين الذي يعلق باليد علق ، وعلى النبت الذي يتعلق بالشجر
العليق وعلى المرحلة الثانية من مراحل نمو الجنين في بطن الأم علقه ؛ لأنها تعلق في
رحم الأم ، وعلى الدويبة الصغيرة التي تكون في الماء علقه ؛ لأنها تعلق في حلق
الشارب سواء أكان إنساناً أم حيواناً ، ويقال له معلوق (33) . ثم نقلت هذه الدلالة الحسية
إلى الدلالة المعنوية على سبيل الاستعارة ، إذ اطلقت على الناقة التي تألف ولد غيرها .
قال أفنون التغلبي (34) :

وكيف ينفع ما تعطي العلوق به
فانتقل التلازم الحسي بين الشينين إلى تلازم معنوي . سواء أكان في الحب أو
العداوة فقد ذكر اللغويون أن معنى علق فلان بفلان : خاصمه ، (35) لأن المتخاصمين
يلتزم كل منهما الآخر عند الخصومة . أما في الحب فإن المحب يعلق قلبه بمن يهواه ،
وفي المثل (نظرة من ذي علق) أي ذي هوى قد علق قلبه بمن يهواه . قال الأعشى (36) :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً
وعلقته فتاة ما يحاولها
وعلقته عرضاً وعلقت رجلاً
وعلقته فتاة ما يحاولها
وعلقته عرضاً وعلقت رجلاً
وعلقته فتاة ما يحاولها
وعلقته عرضاً وعلقت رجلاً
وعلقته فتاة ما يحاولها

وقال عنتره : (37)

علقتها عرضاً وأقتل قومها
وعلق من النساء : المحبة لزوجها ، ومعنى المعلقة في قوله تعالى : " فتذروها
كالمعلقة " (38) هي التي لا تكون أيماً ولا ذات بعل (39) . ويقال : امرأة معلقة لا ذات زوج
ولا مطلقة ، و يقال : لو علّقها لما علّقها (40) .

كـ

الكّف - كما يرى اللغويون - : الولوع بالشيء (41) . وأرى أن هذا ليس المعنى
الأصلي لهذا اللفظ ؛ لكونه معنوياً ، ولأن هناك دلالة حسية لهذا اللفظ ذكرها أصحاب
المعجمات ، وهي أنه يدل على لون بين السواد و الحمرة يعلو الوجه ، فبغير بشرته (42) .
ومثل هذا اللون يكون اشدّ ظهوراً في الوجه الأبيض وأكثر ملازمة له ، فكان هذا الوجه
قد حمل لوناً آخر غير لونه ، وقد أثر عليه وغيره ، و أرى أن هذا المعنى هو المعنى

الأصلي لهذا اللفظ ، ثم نقلت هذه الدلالة الحسية إلى دلالة معنوية ، هي تحمل المشاق والأعباء ، وتجشم الصعاب ، يقال : فلان يتكلف لإخوانه الكلف و التكليف ، ويقال : من لم يصبر على الكلف لم يصل إلى الزلف (43) . قال زهير : (44)

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً لا أباك يسأم
وقال الممزق العبيدي (45) :

أكلفنتي أدواء قوم تركتهم وإلا تداركني من البحر أغرق
والمتكلف الذي يتعرض لما لا يعنيه (46) . وكأنه يحمل نفسه تبعات ذلك . قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) : " قل لا أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين " (47) . فدلالة هذا اللفظ على التحمل و التغيير استعير للدلالة على شدة الحب ، لأن المحب يتحمل المشاق و المتاعب، ويتغير حاله . قال أبو صخر الهذلي (48) :

فتيقتي أن قد كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم
وقال عمرو بن أبي ربيعة (49) :

فيها ثلاث كالدمي وكاعب ومسلف
قلت فإنني هائم صب بكم مكلف

عشق

العشق عند اللغويين : هو تجاوز حد المحبة (50) . قال الفيروزبادي : " العشق والمعشق ، كمقعد : عجب المحب بمحبوبه ، أو إفراط الحب ، ويكون في عفاف وفي دعارة ، أو عمى الحس عن إدراك عيوبه ، أو مرض وسواس يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصورة " (51) . يقال : عشق يعشق عشقاً وعشقاً ، وفلان عشيق فلانة ، وهي عشيقته ، وهؤلاء عشاق وعشاشيق فلانة (52) . وقد ذكر أصحاب المعجمات أن العشقة : شجرة لها زيول ، وأنها تخضر ثم تدق وتصفّر (53) . وأرى أن الزمخشري على صواب فيما ذهب إليه من أن اشتقاق العشق من العشقة التي هي اللبلابة (54) ؛ لأنها تلتوي على الشجرة وتلفها بذبولها ولأنها تنحل وتصفّر . والعاشق مثلها إن لم ينل مراده من محبوبه . وقد فرق أبو هلال العسكري بين العشق والمحبة إذ قال : " إن العشق شدة الشهوة لنيل المراد من المشوق إذا كان إنساناً ، والعزم على موافقته عند التمكن منه ، ولو كان العشق مفارقاً للشهوة لجاز أن يكون العاشق خالياً

من أن يشتهي النيل ممن يعشقه ، ولا تسمى شهوته لشرب الخمر وأكل الطيب عشقاً ، والعشق أيضاً هو الشهوة التي إذا أفرطت وامتتع نيل ما يتعلق بها قتلت صاحبها ، ولا يقتل من الشهوات غيرها ، ألا ترى أن أحداً لم يمتهن من شهوة الخمر و الطعام الطيب ، ولا من محبة داره ، أو ماله ، ومات خلق كثير من شهوة الخلوة مع المعشوق والنيل منه " (55) قال المتنبي : (56)

ليالي بعد الظاعنين شكسول طوال وليل العاشقين طويل
بين لى البدر الذي لا أريده ويخفين بدمراً ما إليه سبيل

وقال :

جربت من نار الهوى ماتنطفي نار الغضى وتكل عما يحرق
وعذت أهل العشق حتى نذته فعجبت كيف يموت من لا يعشق
وعذرتهم وعرفت ذنبي أننى عيرتهم فلقيت منه مالمقوا

شعف

الشَّعْفُ في اللغة : أعالي الشيء ورأسه . فالشَّعْفَةُ : رأس الجبل ، وتجمع على شَعَفَاتٍ وشَعَفٍ . وشَعْفَةُ القلب : رأسه عند معلق النياط (57) . والشعف : الفرع الشديد الذي يذهب بالقلب . قال أبو ذؤيب في ثور (58) :

شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا أرى الصبح المصدّق يفرع

والمشعوف : الذاهب القلب ، ويقول أهل هَجَرَ للمجنون مشعوف . والشعف شدة الحب ، وقيل إحراق الحب القلب مع لذة يجدها . وقيل ، الشُّعَافُ : أن يذهب الحب بالقلب (59) . وقد قرئ قوله تعالى : " قد شعفها حباً " (60) بالعين المهملة ، أي تيمها ، قال كعب بن زهير (62) :

أتى ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشعوف .

وقد أرجع اللغويون هذه الدلالة المعنوية إلى شعفة القلب ، أي رأسه ، قال ابن فارس : " وشَعْفَةُ القلب : رأسه عند معلق النياط ؛ ولذلك يقال : شعفه الحب ، كأنه غشى قلبه من فوق " (63) . إلا الأزهري ، فقد أنكر ذلك ، جاء في اللسان : قال الأزهري : ما علمت أحداً جعل للقلب شعفة غير الليث ، و الحب الشديد يتمكن من سواد القلب لا من طرفه" (64) . وهذا ما يقوى احتمال نقل هذه الدلالة عن معنى آخر ، أو أنها قد نقلت عن

المعنيين معاً . فقد جاء في اللسان : " يقال : شعف الهناء البعير إذا بلغ منه ألمه . وشعفت البعير بالقطران إذا أشعلته به . والشعف : إحراق الحب القلب مع لذة يجدها كما أن البعير إذا هنى بالقطران يجذله لذة مع حرقة " (65) . قال امرؤ القيس (66) :

أيقتلني أني شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

أي أحرقت فؤادها بحبي ، كما أحرقت الطالي هذه المهنوءة ، ففؤدها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة . وهذه الدلالة أكثر توافقاً مع ما ذهب إليه النعالبي من أن الشعف ، هو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها المحب . وأرى أنه قد نقل من هذه الدلالة على سبيل الاستعارة ، وليس عن شعفة القلب .

لوع

اللوعة في اللغة : وجع القلب ، وقيل حرقة فيه من مرض ، أو هم ، أو حزن أو حب (67) . يقال : " أتان لاعة الفؤاد إلى جحشها ، قال الأصمعي : أي لاعة الفؤاد ، وهي التي كأنها ولهى من الفرع وأشد الأعشى (68)

ملمع لاعة الفؤاد إلى جحشها ففلاه عنها فيئس الفالي

وفي حديث ابن مسعود : إنني لأجد له من اللاعة ما أجد لولدي . اللاعة و اللوعة : ما يجده الإنسان لولده وحميمه من الحرقة وشدة الحب " (69) . ويبدو أن هذا المعنى وهو وجع القلب وحرقته ، قد نقل للدلالة على الحب عن طريق المجاز المرسل بعلاقة المسببية ؛ لأنه أطلق المسبب ويراد السبب ، أي أطلق لفظ اللوعة ، وهو مرض القلب ، أو حرقته ، وأريد السبب وهو الحب . قال قيس بن ذريح (70)

ألا ليت لبني في خلاء تزورني فأشكو إليها لو عني ثم ترجع

لجع

اللجع في اللغة : الحرقة (71) . ويبدو أنه أطلق أولاً على حرقة الجلد ونحوه ، جاء في اللسان : " ولعجه الضرب : ألمه ، وأحرق جلده . واللجع : ألم الضرب وكل محرق " (72) . قال عبد مناف بن ربيع الهذلي : (73)

إذا تأوب نوح قامتا معه ضرباً أليماً بسبت يلجع الجلدا

ثم نقل هذا المعنى إلى الدلالة على حرقه القلب على سبيل الاستعارة ؛ لأن الحزن والهم والحب، قد تحرق القلب كما يحرق السوط الجلد، ثم استعير للدلالة على الحب على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المسببية ؛ لأنه أطلق المسبب وأريد السبب قال الشاعر: (74)

فواكبدا من لاعج الحب والهوى إذا اعتاد نفسي من أميمة عيدها .

شغف

الشَّغاف في اللغة : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب، وقيل : حبة القلب ، أو سويداؤه (75) . وقد استعير هذا اللفظ للدلالة على الحب على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المحلية ؛ لأن الحب مكانه القلب . وهو لا يطلق إلا على الحب الذي يصل إلى شغاف القلب . قال أبو عبيدة : " الشغف أن يبلغ الحب شغاف القلب ، وهي جلدة دونه . يقال : شغفه الحب أي بلغ شغافه " (76) قال النابغة (77) :

وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الأصابع
وقال قيس بن الخطيم (78) :

إني لأهواك غير كاذبة قد شَفَّ منى الأحشاء و الشغف
وقال عبيد الله بن قيس الرقيات (79) :

يعلم الله أن حبك منى في سواد الفؤاد وسط الشغاف
وقد قرئ قوله تعالى : " قد شغفها حباً " (80) بالغين أي وصل إلى شغاف قلبها (81) .

جوى

الجوي - بالياء - في اللغة : كراهة الشيء . يقال : أجتويت البلاد ، أي كرهتها وإن كنت في نعمة (82) . قال زهير (83) :

نسأت بنيتها وجويت عنها وعندي لو أردت لها دواء

والجوي : الماء المنتن . و الجوى مقصور : كل داء يأخذ في الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقيل إنه داء يأخذ في الصدر ، يقال : جوي جوى ، فهو جوي وجوى ، وصف بالمصدر ، والمرأة يقال لها جوية (84) . قال الفيروزبادي : " الجوى : هوى باطن ، والحزن ، والماء المنتن ، والحرقه ، وشدة الوجد ، والسل ، وتطاول المرض ، وداء في الصدر " (85) . وأرى أن المعنى الأصلي لهذا اللفظ هو الداء الباطن في الإنسان مهما كان ، ثم استعمل للدلالة على الكراهة ؛ لأن الإنسان يكره كل ما يؤلمه ويعكر صفو

حياته ، أما دلالاته على الحب فقد استعيرت على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المسببية ؛ لإطلاق المسبب، وهو الجوى ، وإرادة السبب ، وهو الحب ؛ لأن الحب الذي يجاوز الحد ، قد يفعل بالإنسان ما تفعله به الأمراض من آلام وحرقة . قال المتنبي (86)

مالنا كلنا جوٍ يارسول أنا أهوى وقلبك المتبول

تيم

التيم في اللغة : العبد ، ومنه " تيم الله " أي عبد الله (87) . وقد ذهب كثير من اللغويين إلى أن التيم هو الذي يستعبده الحب . جاء في اللسان : " التيم : أن يستعبده الهوى ، وقد تامته ، ومنه تيم الله . وهو ذهاب العقل من الهوى ، ورجل متيم . وقيل ، التيم : ذهاب العقل وفساده " (88) . وقيل إن دلالة هذا اللفظ مأخوذة من التميمة ؛ لأن المحب يعلق بمحبوبه كما تعلق التميمة ، وقيل : إن معنى تيمته : ضلته ، وإن هذا المعنى مأخوذ من التيماء ، وهي المفازة المضلة (89) .

فإذا كانت دلالة هذا اللفظ على الحب قد أخذت من المعنى الأول ، وهو العبادة ، فإنها حينئذ قد نقلت على سبيل الاستعارة ؛ لأن العلاقة بين المعنيين المشابهة ؛ لأن المحب خاضع مطيع لمحبوبه كخضوع العبد وطاعته لسيده . وكذلك إذا كانت قد أخذت من التميمة ؛ لأن المحب يعلق بمحبوبه ، كما تتعلق التميمة بصاحبها . أما إذا كانت هذه الدلالة قد أخذت من التيماء ، وهي المفازة المضلة المهلكة فإن هذا النقل يكون على سبيل المجاز . قال المنخل اليشكري (90)

يا هند من لمتيم يا هند للعاني الأسير

وقال قيس بن زريح (91) :

صحا كل ذي لب وكل متيم وقلبي بلبني ما حييت مروع

تبيل

التبيل عند اللغويين : العداوة ، وما تجره من أحقاد وثرارات (92) . قال الأعشى (93) :

وعلقتني أخيري ما تلامني فأجمع الحب حباً كله تبيل

أي : تار . ويقال : " تبلم الدهر وأتبلم ، أي أفنهم ، وتبلم الدهر تبلاً رماهم بصروفه " (94) . قال الأعشى (95) :

أن رأيت رجلاً أعشى أضربه ريب المنون ودهر متبل خبل

وقد أشار اللغويون إلى أن من الدلالات التي يحملها هذا اللفظ ، دلالاته على الأخذ وسلب الحق قال الخليل : " التبل : الذحل ، وتبلي فلان ، أي وترني ، وتبلمهم الدهر رماهم بصروف الموت " (96). ومعنى الذحل "طلب مكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أتيت إليك" (97) . ومعنى وترني فلان ، أي سليني حقي ، أو امتنع من إعطائي إياه . قال المقدم التميمي (98) :

أبي الله أن الغدر منكم وأنكم بني مالك لا تدركون لكم تبلا

وأرى أن هذا المعنى ، وهو سلب الحق أو أخذه ، والامتناع من إعطائه ، هو المعنى الأصلي لهذا اللفظ ، وهو سبب العداوة ؛ إذ لا يمكن أن تكون عداوة من دون سبب ، وغالباً ما تنشأ العداوات بسبب أخذ الحق ، أو إغماطه ، وعدم الاعتراف به وإعطائه ؛ ولذلك يجب أن يكون هذا المعنى ، هو المعنى الأصلي ؛ لأنه السبب ، والسبب لا يأتي بعد المسبب . وأرى أن دلالة هذا اللفظ على الحب قد أخذت من هذا المعنى . قال ابن فارس : " و التبل غلبة الحب على القلب ، يقال : قلب متبول" (99) أي مأخوذ أو مسلوب ، وليس مصاباً بتبل كما ذكر أصحاب المعجمات ، وهم يفسرون التبل بالحقد والذحل والعداوة ، إذ كيف يحمل قلب المحب لمحبيه الحقد و العداوة ، وقد أوصله حبه له إلى هذه المرتبة . قال كعب بن زهير (100) .

بانئت سعاد فقلب اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

دلله

الدله في اللغة : يدل على ذهاب الشيء، يقال: دلَّه دَمُ فلان دَلَّها ودَلَّها أي بَطْلًا (101) ويبدو أنه قد خصص بذهاب الفؤاد ، إذ كثر استعماله في ذلك . قال : دلَّهت المرأة على ولدها ، ودلَّهت إذا فقدته ، أي ذهب فؤادها من الحزن (102) . قال أبو داود الإيادي (103) :

بُعْرَى دونها وتُقْرَن بالقيـمِ ظ وقد دلَّه الرباع البغام

ولدلالة هذا اللفظ على ذهاب العقل أو الفؤاد ، فقد استعير للدلالة على الحب الذي يُذهب عقل المحب . قيل : " و المدلُّه كمعظم : الساهي القلب الذاهب العقل من عشق ونحوه ، أو من لا يحفظ ما فَعَلَ أو فُعِلَ به " (104) وهذا من أعلى مراتب الحب ، إذ لم تبق بعده إلا مرتبة واحدة من المراتب التي ذكرها الثعالبي ، وهي مرتبة الهيام

هيم

الهيم والهيمان عند الغويين : العطش الشديد (105) . والهيم : الإبل العطاش والهيم ، وقيل الهيم : ما كان من الرمل يابساً دقاًقاً يبتلع الماء . والهيماء : مفازة لا ماء فيها. (106) وقيل إن الهيم وجع يصيب الإبل في أمعائها ، فلا تروى من شرب الماء ، فتهم في الأرض لا ترعوي (107) . قال سهم بن حنظلة الغنوي (108) :

إننا نحسهم بالمشرفي وهم كالهيم تغشى بأيدي الزادة الخشبا

وقال تعالى في وصف حال الكفار في جهنم : " فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم " (109) . أي شرب الإبل المصابة بهذا الداء ، فهي لا تروى أبداً . قال ابن قتيبة : " والأدواء إذا كانت علي (فعال) أتت بضم الفاء ، مثل القلاب ... و العطاش ، والهيم " (110) . وأرى أن هذا المعنى الأصلي لهذا اللفظ ، ثم استعير للدلالة على شدة العطش على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية ، إذ أطلق السبب ، وهو الهيم ، وأريد المسبب وهو العطش الشديد . ولما كانت الإبل المصابة بهذا الداء تهيم على وجهها بحثاً عن الماء ، لتطفي لهيب هذا الداء في جوفها ، استعير هذا اللفظ للدلالة على شدة الحب ، وكان المحب يهيم على وجهه في الأرض كما تهيم الإبل الهيم . جاء في الزاهر : " وقولهم (فلان مستهام) قال أبو بكر : فيه قولان ، قال قوم : المستهام : الذهاب العقل ، وقالوا هو مشتق من هام الرجل يهيم إذا ذهب على وجهه لذهاب عقله . وقال قوم : المستهام : العليل القلب الذي يجد في جوفه هياماً ، و الهيم : وجع يجده البعير في جوفه ، فلا يروى من شرب الماء ويستعمل ذلك في الناس أيضاً " (111) . وأرى أن القول الثاني هو الأكثر صواباً ؛ لأنه قد يكون سبباً في حصول المعنى الأول . قال أبو دواد الإيادي (112) :

من ينم ليله فقد أعمل الليـــــــــــــــــل وذو البث ساهر مستهام

وقال مالك بن حريم الهمداني (113) :

أهيم بها لم أقض منها لبانة وكنت بها في سائف الدهر موزعا

ويعد الهيم أعلى مراتب الحب ؛ ولذلك كثر استعمال قيس بن الملوح (مجنون

ليلي) لهذا اللفظ ؛ وحبه قد بلغ أعلى مراتب الحب ، كما تذكر كتب الأدب العربي من ذلك قوله (114) :

أفي الحق هذا أن قلبك فارغ
وقلبي مما قد أجنّ يهيم
وقوله : (115)

ألا ليت عيني قد رأت من رآكم
لعلني أسلو ساعة من هياميا
وقال : (116)

بي اليوم ما بي من هيام أصابني فإياك عني لا يكن بك ما بيا

ونرى من خلال ما سبق أن الألفاظ التي تستعمل للدلالة على الحب ، تختلف دلالة كل واحد منها عن دلالات الألفاظ الأخرى . فكل لفظ يعبر عن مرتبة من مراتب الحب . ونرى أيضاً ، أن دلالات هذه الألفاظ على مراتب الحب قد حصلت نتيجة لتطور دلالي ، إذ انتقلت هذه الدلالات من الدلالات الحسية لتلك الألفاظ ، إما على سبيل الاستعارة ، أو على سبيل المجاز ؛ لعلاقة بين الدالتين . ورأينا أيضاً أن أغلب الدلالات الحسية لتلك الألفاظ كانت على الأمراض والأدواء التي تصيب الإنسان والحيوان ، وعلى التلازم بين الشيين الحسيين . وهناك ألفاظ أخر تدل على الحب ، لم يذكرها الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) حين ذكر مراتب الحب ، مثل (الصبابة ، والذنف ، والود ، والوجد ، والغرام ، والولة ، والولوع) وغيرها . وسأتناولها - إن شاء الله - في بحث آخر .

الهوامش

- (1) أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، شرح وتقديم ، ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، ط2 ، بيروت ، 1420هـ ، 2000م ص 211 .
- (2) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، انتشارات أسوه ، ط1 ، قم ، إيران ، 1414هـ ، ج3 ص 31 ، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية . القاهرة . 1306هـ . ج2/212 .
- (3) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . مقاييس اللغة ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت . 1420هـ 1999م . ج2 ص 26 ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . ط1 ، 1417هـ 1997م . ج1 ، ص 144 .
- (4) الأعشى ، ديوان الأعشى الكبير ، شرحه وضبطه ، د محمد أحمد قاسم ، المكتب الإسلامي ، بيروت 1994م ، ص 64 .
- (5) الراغب الأصفهاني ، معجم مفردات القرآن الكريم ، تحقيق ، نديم مرعشلي ، دار الكاتيب العربي ، بيروت . 1392هـ - 1972م ص 103 ، 104 .
- (6) ينظر : مقاييس اللغة : 2/26 ، والقاموس المحيط : 1/145 .

- 7) أبو سعيد عبد الملك بن قريب (الأصمعي) ، الأصمعيات ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، طبعة بيروت ، ط 5 - 1383هـ ، 1963م . ص163 .
- 8) نفسه : 78 .
- 9) مقاييس اللغة : 26/2 .
- 10) أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعطقات العشر وأخبار شعرائها ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1424هـ - 2003م ، ص151 .
- 11) ابن منظور المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1997م . ج2 ص7 ، أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق ، عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، د ت ، ص38 .
- 12) لسان العرب : 7/3 .
- 13) ابن الدمينة ، ديوان ابن الدمينة . صنعة أبي العباس ثعلب ، ومحمد بن حبيب ، تحقيق أحمد راتب النفاخ ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، د ت ص110 .
- 14) أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، طبعة وحققه ، حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د ت ، ص99 .
- 15) ينظر : مقاييس اللغة : 15/6 ، والقاموس المحيط : 1764/2 .
- 16) امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1404هـ - 1983م . ص77 .
- 17) ينظر : مقاييس اللغة : 15/6 ، والقاموس المحيط : 1764/2 .
- 18) سورة إبراهيم آية 43 .
- 19) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف ، تحقيق ، عبدالرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ط2 ، 1421هـ - 2001م ج2 ص528 .
- 20) ينظر : مقاييس اللغة : 15/6 .
- 21) ينظر : العين : 1910/3 ، والقاموس المحيط : 1764/2 .
- 22) ينظر : مقاييس اللغة : 16/6 .
- 23) غيلان بن عقبة العدوي ، ديوان شعر ذي الرمة ، تحقيق ، زهير فتح الله ، دار صادر ط1 . بيروت 1995م ، ص497 .
- 24) ينظر : مقاييس اللغة : 16/6 - 17 .
- 25) سورة النجم آية 3 .
- 26) سورة الجاثية آية 23 .
- 27) سورة النازعات آية 40 .
- 28) ينظر : الكشاف : 698/4 .
- 29) الفروق اللغوية : 98 ، 101 .
- 30) ينظر : العين : 1270/2 ، ومقاييس اللغة : 125/2 ، 126 .
- 31) العين : 1269 /2 .
- 32) العين : 1270 /2 ، ومقاييس اللغة : 126 /4 ، وأساس البلاغة : 312 ، وقد جاء البيت في ديوان جرير برواية أخرى هي :

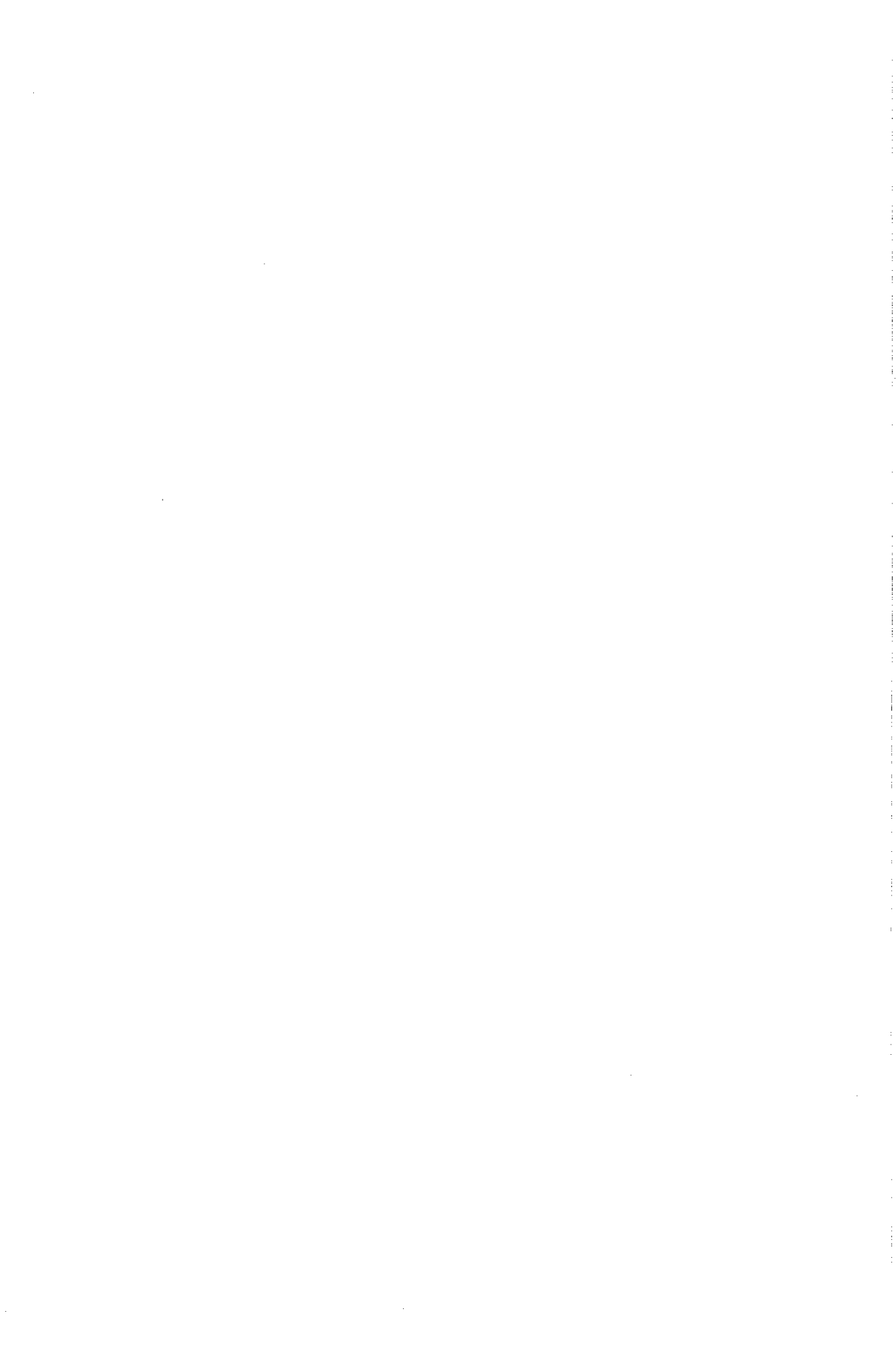
إذا علقت حبالك حبل عاص رأي العاصي من الأجل اقترابا

- بأن السيف ليس له مرد إذ أقرى عمن الرثة الحجابا
ديوان جرير ، شرح د. يوسف عيد ، دار الجيد ، ط 1 ، بيروت ، ص 30 .
- (33) ينظر : العين : 1269/2 ، ومقاييس اللغة : 126/4 ، والقاموس المحيط : 1207/2 — 1208 .
- (34) العين : 1269/2 .
- (35) ينظر العين : 1270/2 ، ومقاييس اللغة : 126/4 .
- (36) شرح المعلمات العشر ص 204 ، 205 .
- (37) نفسه : 15 .
- (38) سورة النساء ، آية 129 .
- (39) ينظر : الكشاف : 606/1 .
- (40) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق ، عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، 1402هـ - 1982م . ص 312 .
- (41) ينظر : العين : 1591/3 ، ومقاييس اللغة : 136/5 .
- (42) ينظر : مقاييس اللغة : 136/5 ، والقاموس المحيط : 1132/2 .
- (43) ينظر : العين : 1591/3 ، والقاموس المحيط : 1132/2 .
- (44) شرح المعلمات : 86 .
- (45) الأصمعيات : 166 .
- (46) ينظر : العين : 1591/3 ، ومقاييس اللغة ، 136/5 ، وأساس البلاغة : 397 .
- (47) سورة : ص آية : 86 .
- (48) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق د ، حاتم صالح الضامن ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط 2 ، بغداد ، 1987م ج 1 / 585 .
- (49) عمرو بن أبي ربيعة ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق ، محمد محي الدين عبدالمجيد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1960 ص 461 .
- (50) ينظر : مقاييس اللغة : 321/4 ، والقاموس المحيط : 1206/2 .
- (51) القاموس المحيط : 1206/2 .
- (52) ينظر : العين : 1209/2 ، ومقاييس اللغة : 321/4 .
- (53) ينظر : مقاييس اللغة : 321/4 ، والقاموس المحيط : 1206/2 .
- (54) ينظر : أساس البلاغة : 302 .
- (55) الفروق اللغوية : 99 ، 100 .
- (56) أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبى ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبى ، شرح ناصيف اليازجي ، دار القلم ، بيروت ط 2 ، 1887م ص 369 ، ص 23 .
- (57) ينظر : العين : 924/2 ، ومقاييس اللغة : 189/3 .
- (58) لسان العرب : 446/3 .
- (59) ينظر السابق : 446/3 .
- (60) سورة يوسف ، آية 30 .
- (61) ينظر : الكشاف : 436 / 2 .

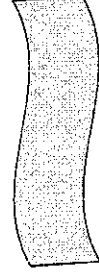
- (62) كعب بن زهير ، ديوان كعب بن زهير - تحقيق وشرح ، د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، ط 1 ، بيروت ، 1415 هـ - 1995 م ، ص 58 .
- (63) مقاييس اللغة : 3 / 189 ، وينظر : أساس البلاغة : 237 ، والقاموس المحيط : 2 / 1099 .
- (64) لسان العرب : 3 / 446 .
- (65) نفسه : 3 / 446 .
- (66) ديوان امرؤ القيس : 142 .
- (67) ينظر : العين : 3 / 1663 ، والقاموس المحيط : 2 / 1021 .
- (68) لسان العرب : 5 / 536 .
- (69) نفسه : 5 / 536 .
- (70) قيس بن ذريح، ديوان العذريين ، شرح ، د . يوسف عيد، دار الجبل ط 1 بيروت، 1413 هـ-1992م ، ص 386 .
- (71) ينظر : مقاييس اللغة : 5 / 254 ، وأساس البلاغة : 419 ، و القاموس المحيط : 1 / 314 .
- (72) لسان العرب : 5 / 503 .
- (73) مقاييس اللغة : 5 / 254 ، ولسان العرب : 5 / 503 .
- (74) العين : 3 / 1640 .
- (75) ينظر : السابق : 2 / 926 ، ومقاييس اللغة : 3 / 195 ، وأساس البلاغة : 237 .
- (76) لسان العرب : 3 / 449 .
- (77) النابغة الذبياني ، ديوانه ، تحقيق وشرح ، كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، د. ت ص 79 .
- (78) الأصمعيات : 198 .
- (79) عبيد الله بن قيس الرقييات ، ديوان عبيد بن قيس الرقييات ، تحقيق ، محمد يوسف نجم دار صادر، بيروت، 1958 ص 37 .
- (80) سورة يوسف ، آية 30 .
- (81) ينظر : الكشاف : 2 / 436 .
- (82) ينظر : مقاييس اللغة : 1 / 491 ، ولسان العرب : 1 م 493 .
- (83) العين : 1 / 331 ، ومقاييس اللغة : 1 / 491 ، ولسان العرب : 1 / 493 ، وقد جاء البيت في ديوان زهير برواية أخرى هي :
- غصصت بنينها فبشمت عنها وعندك لو أردت لها دواء
ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص 14 .
- (84) ينظر : العين : 1 / 331 ، ولسان العرب : 1 / 493 .
- (85) القاموس المحيط : 2 / 1669 .
- (86) ديوان المتنبي : 446 .
- (87) ينظر : مقاييس اللغة : 1 / 361 ، والقاموس المحيط : 2 / 1429 .
- (88) لسان العرب : 1 / 320 .
- (89) ينظر : أساس البلاغة : 41 ، ولسان العرب : 1 / 320 .
- (90) الأصمعيات : 61 .
- (91) ديوان العذريين : 386 .

- 92) ينظر : مقاييس اللغة /1 /363 ، ولسان العرب : 1 /294 .
- 93) شرح المعلقة : 205 .
- 94) لسان العرب : 1 /294 .
- 95) شرح المعلقة : 206 .
- 96) العين : 1 /215 .
- 97) نفسه : 1 /618 .
- 98) أساس البلاغة : 36 .
- 99) مقاييس اللغة : 1 /363 .
- 100) ديوان كعب بن زهير : 84 .
- 101) ينظر : مقاييس اللغة : 2 /293 ، وأساس البلاغة : 135 .
- 102) ينظر : العين : 1 /591 ، وأساس البلاغة : 135 .
- 103) الأصمعيات : 189 .
- 104) القاموس المحيط : 2 /1635 .
- 105) ينظر : العين : 3 /1915 ، والقاموس المحيط : 2 /1542 .
- 106) ينظر : العين : 3 /1915 ، ومقاييس اللغة : 6 /26 .
- 107) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : 1 /252 ، ومقاييس اللغة : 6 /26 .
- 108) الأصمعيات : 56 .
- 109) سورة الواقعة ، آية 55 .
- 110) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - أدب الكاتب - دار صادر ، بيروت - د. ت ص 605 .
- 111) الزاهر في معاني الكلمات الناس : 1 /251 - 252 .
- 112) الأصمعيات : 185 .
- 113) نفسه : 63 .
- 114) ديوان العذريين : 118 .
- 115) نفسه : 137 .
- 116) نفسه : 144 .





غزال المقدشية شاعرة ومصلحة اجتماعية



أ. عبدالقوي العنبري (*)

إذا كان الإنسان كما يقال - ابن بيئته (1) - فإن بيئة ذمار تلقي بظلالها اليوم على العديد من الباحثين ليزيخوا الستار عما حفلت به هذه المدينة العظيمة من شخصيات تاريخية وأدبية ومعالم ، ظلت عالقة في ذاكرة الإنسان اليمنى على مر العصور والأيام . ووقوفنا عند الماضي لمحافظة ذمار - لا يعني الوقوف على الأطلال - كما فعل الشعراء القدامى حين وفقوا وتباكوا كقول امرئ القيس : (قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل) بل ووقوفنا نابع مما يسمى عند النقاد بـ (التراث والمعاصرة) باعتبار أن الماضي المضيء يمكنه أن يساهم في رسم فكرنا وصورتنا المحتملة في المستقبل ، وهذا ما يستوجب التوقف عنده طويلاً . كما أن الوقوف عند تلك المحافظة لا يعني انحيازية البحث ، بل يعد نقطة انطلاق (2) لأبحاث موسعة تشمل ربوع وطننا الحبيب .

ومما يجدر بالإشارة إليه ، أن الأدب بشكل عام يفرض وجوده في أي فعالية أو ندوة ، نظراً للعلاقة المتداخلة بينه وبين العلوم الأخرى ومن هذا التداخل عرفت العبارة القائلة (الشعر ديوان العرب) بما فيه الشعر الشعبي .

لقد عرفت ذمار هذا اللون الشعري منذ القدم حينما جاء ليحمل رسالة بالغة ، وأفكاراً عميقة تدعو إلى احترام ذات الإنسان ، حيث يقف شعر غزال المقدشية في طليعة هذا الشعر .

(*) مدرس بكلية الآداب - جامعة ذمار .

غير أن السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن ، لماذا خلد هذا الصوت الشعري بالذات؟ مقارنة بغيرها من الشعراء ، رغم أن الفترة التي عاشت فيها تلك الشاعرة لا تسمح لها برفع صوتها أو ذكر اسمها باعتبار ذلك عيباً صارخاً لا يتفق مع عادات مجتمعها . زد على ذلك الرؤى النقدية التي سحبت بساط الشعر من اليمن- في الماضي - باعتباره ضجيجاً لا قيمة له ، ورغم ذلك فقد دوى هذا الصوت الشعري من قرية إسبيل إحدى قرى المقادشة الواقعة في منطقة عنس ، لأنه وقف في مواجهة الإحتراب الأهلى والتمزق العشائري ، فضلاً عن تفوق هذه الشاعرة ذكاءً وحساً على الشاعرات اللاتي سبقنها في العصور الماضية كالشاعرة المرهيبية* ، أو ظبية النميرية* التي عاصرتها . ف شعرها كما يرى الدكتور عبد العزيز المقالح (نفذ إلى القلوب، وصار كأشعار الحكماء الريفيين كـ علي بن زايد أو حميد بن منصور)⁽³⁾ وهذا النفاذ له دلالة واضحة ، لأنه يحمل مضامين نفسية وحياتية تتعلق بذات الإنسان وهمومه وما يعانيه في كل زمان ومكان .

والأهم من ذلك أن هذه الشاعرة ظهرت في عصر لم يكن تعليم المرأة فيه معروفاً - كما أشار الدكتور/ عبدالعزيز المقالح - بل لقد كان تعليم المرأة من الكبائر ، وهو ما يؤكد قول الشاعر حين يسخر من تعليمها :

قالوا قد الغيد بتقرا يا عماد ما قد سمعنا بحرمة قارية⁽⁴⁾

فهو يرى التعليم مجلبةً للعار ، باعتباره يذهب بحياء وعفاف المرأة ، ولاشك أن الشاعرة غزال قد حرمت من التعليم في عصرها كشأن بقية النساء في تلك الفترة . ولذلك يمكن القول أن بيئة عنس لها أثر في التكوين الشعري لها ، وكأنها أرض خصبة للشعر والشعراء ، فما الأصوات الشعبية التي سمعنا بها كصوت محمد ناصر صبر العنسي والأصوات التي نسمعها اليوم كصوت الهروجي والمقدشي وغيرهم ، إلا صورة صادقة لعطاء شعري تمتد جذوره إلى الشاعرة غزال المقدشية ، وبيئتها .

والحق أن الشاعرة (غزال) تمثل صوتاً شعرياً مميزاً في محافظة ذمار ، فلم يطمسه غبار الزمن ولن يخلو من ذاكرة الناس ، إلى اليوم . وهو ما يؤكد الشاعر

الكبير والناقد عبدالله البردوني بقوله : (إن هذه الشاعرة - ويعني غزال - لو دخلت مدرسة تماثل مدرسة نازك الملائكة وفدوى طوقان لماتلتهما في النبوغ الشعري) . (5)

لقد كان لهذه الشاعرة دور نقدي فاعل داخل حركة المجتمع وذات الإنسان ، وكان لها دور في إيضاح إشكالية العلاقة بين الناس ، وفي علاقة السلطة بالمجتمع ، فغالباً ما كانت هذه العلاقة حادة ومتوترة ، لأنها عاشت في فترة مشبعة بالسلم الطبقي حين كان ينظر الإنسان لأخيه الإنسان بالدونية والتعالي وهو ما نلمسه في قولها :

قالوا (..) وأمها (..) بنات الخمس ما به خمس يا عباد الله ما به سدس
من قد ترفع لوى رأسه وعد البقش وقال لا بأس كم يحبس وما يحتبس
سوا سوا يا عباد الله متساوية ما حد ولد حر والثاني ولد جارية
عيال تسعة وقالوا بعضنا بيت ناس وبعضنا بيت ثاني عينه ثمانية (6)

والتأمل لهذا المقطع الشعري ، يحس بفكر نفاذ ، ورصانة مدهشة وكأنه أمام شاعر وخطيب وواعظ لما يحمله المقطع من هندسة لفظية ذات تأثير عميق ، حيث يتمثل ذلك في استخدام الرمز العددي (الخمس ، السدس) الدال على السخرية والتحقير فإذا كانت الشاعرة بهذه التقنية العددية تنفي القيم التي تجزئ إنسانية الإنسان ، فإن الدلالة الجزئية للعدد ، ستفقد المتلقي حتماً لمعرفة الناتج الصحيح لهذه المسألة الاجتماعية ، إذ يظهر الناتج في آخر المقطع حين تصرح بقولها : (عيال تسعة) وكأننا أمام مسألة رياضية تحمل معطيات الكسور العشرية (خمس، سدس) لها قانون رياضي تحل بموجبه ويتمثل ذلك بالعدد الصحيح (تسعة) ، وهي إشارة محملة بمعاني الإنسانية ، استمدت من قوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) * وهكذا نرى الفارق الذي وصفه أصحاب النزعات العرقية يتهدم في وجدان الشاعرة ، ويتعزز ذلك حين يشع من المقطع العبارة القائلة (شر البلية ما يضحك) فيمتزج النصح والإرشاد بالسخرية ، سيما في البيت الذي تقوله فيه :

(من قد ترفع لوى رأسه وعد البقش وقال لا بأس كم يحبس وما يحتبس)

فتجلى في مخيال المتلقي صورة قائمة لشخصية مدججة بالغرور والكبرياء دلت عليها الأفعال (ترفع ، لوى) في حين يأتي لفظ (البقش) للدلالة على مؤثرات المال

على صاحبه ، حين يخرج من دلالاته المألوفة التي تحمل معنى الحياة ورغد العيش إلى دلالة أخرى فيتحول إلى وسيلة من وسائل الإدلال والظلم وهو ما أوحى إليه (كم) المعبرة عن التفكير المفعم بالشرور (كم يحبس) .

فيما تأتي الألفاظ (سوا ، سوا ، متساوية) نابضة بروح العدل والمساواة ، بغية خلق مجتمع نظيف خال من التفرقة الطائفية والعنصرية ، ويتصاعد إحساس الشاعرة جراء هذه القضية عبر النفي المتكرر (ما) المتأزر مع الصورة الضدية التي تكمن في (الحر ، الجارية) بغية كبح مدركات خاطئة تمثلت في استهلالها للمقطع (قالوا ...) وأمها (... بنات الخمس) ، وهو ما يذكر المتلقي بالمقولة التي تنسب إلى عمر بن الخطاب (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) .

وما أن ننصرف إلى مقطع آخر ، إلا ونجدها تتناول قضية أخرى وهي قضية الحرب والثأر تلك القضية التي أرقتها ، فهي تنظر للحرب بنظرة تخالف الشعراء الذين عاصروها ، فإذا كانت هناك أصوات شعرية تدوي بالأخذ بفكرة الثأر وإشعال الحروب ، فإن صوتها يمثل وسيلة من وسائل إخمادها وكأن صوتها قد التقى بصوت الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى في معلقته حين قال :

(وما الحرب إلا ما علمتهم وذقتهم وما هو عنها بالحديث المرجم) وهو ما يتضح في قولها :

الدهر غاوي عند إجرة غتوب	حران ما ينقطع مجرانها
فتحت باب الشقاية والحروب	لا ما نكمل حبوب مخزاتها
وأربعمائة ذي معك خلف الثقوب	ما ينفعك لا عكر دخاتها
هو سيلنا لا نزل شل الصلوب	وكل وادي قلع عضيانها (7)

حيث تتشكل القضية المشار إليها مفرزة الهم الذي يتأجج بأعماق الشاعرة حين ترسم الزمن المنبثق من لفظ (الدهر) في مخيلتها بصورة مريعة دل عليها اللفظ (غاوي) لتحفر في ذاكرة التلقي محنة القضية ومساوئها ، مما يعكس غياب الوعي بين

الأطراف المتحاربة التي دلت عليها الإشارة المكانيّة (أجرة غتوب) وبهذه الصورة تتراءى للمتلقّي صورة لمنطقة تشهد لوناً من الصراع الدموي .

ويفتح ضمير الخطاب المقرون بالفعل (فتحت) والمتخّم بالإدانة والتحذير ، صورة ضدية خفية تنقل أفق التلقّي إلى زمن غائب يتمثّل بزمن السلم ، وزمن حاضر يتمثّل بزمن الحرب الذي دلّ عليه حدث الفعل (الفتح) وكأنّ العبارة القائلة (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) قد تجلّت في المقطع . وهو ما يدفع المتلقّي بالحدس عن طبيعة ذلك الصراع ونتائجه الحتمية .

ويأتي الفعل المضارع الذي يكمن في القول (لا ما نكمل حبوب مخزاتها) للإرهاص بنتائج القضية ، حيث يقف الجانب الاقتصادي المتفاقم التي دلت عليه الألفاظ (حبوب ، مخزاتها) . أول المآسي للحروب وكان الشاعرة قد أفادت من قول علي بن زايد في الحروب حينما قال : (أول الحرب عدامة وأوسطها غرامة وبعدها ندامة) .

وأقول : في السياق ذاته ، أن الشاعرة غزال تتابع كل القضايا من خلال الشعر البالغ التأثير ، فما إن فرغت من حديثها عن الحرب ومساوئه ومؤثراته نجدها في آخر المقطع تلوح بالفخر حين تقول :

(هو سيلنا لا نزل شل الصلوب وكل وادي قلع عضيائها)

وهذا لا يعني أنها تصب الزيت على النار - كما يقال - بل هذا العدول له مبررات نفسية تتعلق بالطرف الآخر الذي لا يعي النصح ، فضلاً عن الصورة الشعرية التي أُلقت على المقطع ظللاً فنية ، وكان الصورة الشعرية التي عبر عنها الشاعر المخضرم بشار بن برد بقوله : (وجيش كجبح الليل يزحف بالحصى) ماثلة في مخيال التلقّي . إذ تتحول القبيلة عبر سياق استعاري إلى سيل عارم ، لتبوح بمعاني القوة والانتقام عبر ألفاظ تضج بالرعب والخوف تكمن في الفعلين (شلّ ، قلع) الرامزة للخراب والدمار وهي إشارة لافتة تفضح الظنون الشعبية التي تجعل من السعي لتجنب الحروب ضعفاً . لأن الشاعرة تدرك أزمت معقدة . زد على ذلك أن هذا التصوير المتقن والتعبير الصاخب يتسم بالقوة والصلابة ، لأنها تواجه مجتمعاً يحتاج إلى النصح والإرشاد من جانب والقوة من جانب آخر .

إن الشاعرة غزال ، في ملاحظتها تهدم المقولة المتوارثة ، والتي تقلل من شأن المرأة ودورها باعتبارها (ناقصة عقل ودين وميراث) إذ نجد عقلها يتسع باتساع مجتمعا وقضاياه ونلاحظ ذلك عبر فضاء قضائي ينم عن بداياتها ورجاحة عقلها . وهو ما يذكرنا بسيرة الأميرة ذات الهممة ⁽⁸⁾ حيث تقول (أي غزال) :

غزال قالت تعالوا يا وجيه القبل أدي لكم حكم لا ينزل ولا يندول
الهيج به هيج والنعجة لها رخل حاكبشتي يوم قلتم يا غزال الغزال ⁽⁹⁾

يأتي التصريح باسم الشاعرة لإبانة الدور الذي قامت به في السراهن المعتم (غزال قالت) حيث يمنح هذا الاستهلال ذات الشاعرة ملامح المبادرة الموجهة للطرف الآخر (وجيه القبل) الدالة على حدة الفكر ونفاد البصيرة . في حين تفضح هذه المبادرة ملامح ضدية ، نشي بتوتر مغلف بالحيرة والإلتباس والتخبط يتوارى فيها الطرف الآخر (وجيه القبل) ويتجلى ذلك - كما يسمى في مجال القضاء أو العدل - (الجزم في الحكم) الوارد عبر شذرات إيقاعية تكمن في قولها (الهيج به هيج والنعجة لها رخل) . وهي تقنية لها صداها في مخيال التلقي ، تكشف قاعدة قضائية مستمدة من قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) ⁽¹⁰⁾ وهو ما جعل الدكتور عبدالعزيز المقالح يضعها ضمن شعراء الأحكام.

إن شعر غزال كان خاصاً بالقضايا العامة ، غير أن ذلك لا يعني خلوه من قضايا ذاتية ، فما دامت تعيش في عصر يطحن كل شيء بفكيه ، فتسحق الآمال والبسمات ، والحياة تظل دوامة وفوضى مستمرة ، فلا بد من ظهور ما يسمى عجز الإرادة فتتجلى ملامح الضعف حين نقرأ قولها :

يا لله يا منصف المظلوم بك نتكل لانتبه مهل يا إله العرش فاتا عجل
أنصفت لي من على صالح جميزة قتل جعل له الصوب يمس من رسيها يزل
ما عاد احد يبكي الميت وقل له بحل وبعض الأصحاب عين صحبته ماتحل

فالقارئ لهذا المقطع يحس بأثر الضعف المنساب من صيغة الدعاء (يا الله ، يا منصف المظلوم) فهي إشارة دالة على الإحترق النفسي الذي أفرزه الطرف المصرح به

(على صالح جميزة) وتأتي الصورة الضدية الكامنة في صيغة الخطاب الروحي لله عز وجل (لانت مهل / فانا عجل) للإيحاء بعمق المعاناة . والشاعرة بهذا الأسلوب المشتعل تعكس أصداء انتقامية عاجلة ، بغية التخفيف من لوعتها وتأزمها . غير أن البيت الثاني ربما يكون أشد تأثيراً من البيت السابق وكان ما يسمى بـ (المشاركة الوجدانية) قد تجلت في نفسية المتلقي ، عبر مديات الصوت المرتفع الكامن في قولها (جعل له الصوب) وهي صيغة تصل بالقارئ إلى ذروة الإحترق الحاد الذي يعكس ملامح التشظي والتهشم ، كما ينساب منها إيقاع حزين يشعل هالة من الحزن والأسى ، إزاء الكيان المسحوق . وكان نبرة الذنب والصراخ تكاد تشع من المقطع .

والملاحظ أن تلك الملامح لم تسلب قوة الشاعرة الإبداعية والجسدية ، ويتجلى ذلك عندما نقف على مقطع شعري آخر ، يسجل بجرأة منقطعة النظير أول تحد من نوعه للمتنفذين وولاة العهود المظلمة - كما عبر الدكتور عبدالعزيز المقالح - حين تهاجم (المثمر) وهو (محصل الزكاة) فتقول :

يا رجال البلد	قد المثمر مخالف
جاء يطوف الذرة	أو جاء يطوف المكالف
قال يشتي غزال	و إلا يزيد الغرامة
باضربه في بالقدال	و إلا اربطه بالعمامة
لا رجع يا رجال	ما شي علينا ملامة (11)

فإذا كانت الشجاعة قد تجلت بكل معانيها ، فإن المقطع لن يخلو من تلميح سياسي في تعريضها (للمثمر) وهي إشارة تحمل في طياتها الظلم القائم على استغلال المنصب بدافع الأهواء الذاتية ، فتتجلى في مخيلة القارئ صورة قاتمة للوضع السياسي آنذاك . بدلالة حرف التحقيق (قد) الذي قام بوظيفة الفضح السياسي والمتأمل للنص يلحظ طبيعة أنثوية متباينة ، فغالباً ما تجعل المرأة من تعدد الخطاب وسيلة للفخر ، غير أن مثل هذه الطبيعة نجدها تتبدد عند الشاعرة ، بفعل التهكم والسخرية ، دلت عليها الأفعال المدججة بالفتك والشراسة (باضربه ، واربطه ..)

وثمة بؤرة فنية تتمحور حول صوت الباء الذي تكرر في الأفعال السابقة - والذي عده علماء اللغة من الأصوات الانفجارية ، وهو ما يتفق مع طبيعة الموقف والحالة النفسية عند الشاعرة إزاء الوقاحة المتدنية التي أصفقتها بشخصية المثمر . هذا هو الفكر والإتجاه الذي سلكته هذه الشاعرة في ذلك الزمن الشاحب ، فشعرها ظل علامة بارزة ومضيئة في عصر تلاطمه أمواج الحروب والنزعات الطائفية والعرقية والظلم فظل متناقلاً إلى يومنا هذا ، فقد رأيناها وهي تصارع الكثير من القضايا ، فتجلت بملامح المصلح والثائر ، وذلك عبر أسلوب شعري متميز يرتكز إلى موهبة فذة تعكس رؤى الشاعرة إزاء الكون والحياة .

ولا يسعنا في الختام إلا أن نذكر ما قاله الدكتور عبدالعزيز المقالح في شعر(غزال) : (إننا إزاء موهبة شعرية لم تستطع ظروف البيئة الخاصة ولا ظروف اليمن عامة ، ولا جهل الشاعرة بالقراءة والكتابة أن تعوق نموها ، أو تحول بينها وبين أن تفرض نفسها على الأدب والأدباء ، فقد وضعت اسمها بجدارة في قائمة المشاهير من شعراء العامية) . (12)

وبعد - فلن ننسى المقولة التي ترى أن ذمار منبع الشعر والشعراء وهو ما يدفعنا للالتفات إلى الشاعر الشعبي/ محمد الميثالي حين اختزل في قصيدته " من فيض نهديها " القضايا التي عبرت عنها الشاعرة/ غزال المقدشية ، وأضاف لها قضايا عصرية يحس بها إنسان اليوم ، مما يؤكد وظيفة الشعر الحقيقية .

الهوامش :-

- * هذه المشاركة أقيمت في المؤتمر الذي احتضنته جامعة ذمار ، عام 2005م (ذمار بين الأصالة والمعاصرة) .
- (1) رحلة في الشعر اليمني قديمة وحديثة . عبدالله البردوني ، دار الفكر بدمشق ، ط 5 ، 1995م ، ص 19 .
- (2) لقاء مع الدكتور مهبوب عميد كلية الآداب جامعة ذمار ، بتاريخ 6/أبريل/2005م .
- * سورة النساء ، من الآية (1) .
- * المرهبة ، شاعرة يمنية من قبيلة حاشد تعود على العصر الإسلامي ، ينظر رحلة في الشعر اليمني قديمة وحديثة ، ص : 28 .
- (3) غزال المقدشية ، د . عبدالعزيز المقالح ، مجلة اليمن الجديد ، مجلة ثقافية شهرية ، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، الجمهورية اليمنية . العدد الأول - السنة السابعة (يناير - فبراير) ، 1978م ص 24 .

- (4) غزال المقدشية ، مرجع سابق ص25.
- (5) رحلة في الشعر اليمني قديمة وحديثة ص333 .
- (***) تم حذف الأسماء المصروفة (غزال ، سرعة) بسبب إفادة أحد المقادشة ، مدعياً أن هذا الشعر منتحل والحذف يدفع إلى تحقيق وتقصي شعر غزال المقدشية .
- (6) غزال المقدشية ، مرجع سابق ص25.
- (7) نفسه ص31.
- (8) ملاح الشخصية العربية في سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسات في الدلالات الشعرية ، د. هاني العمدة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، 1988م .
- (9) غزال المقدشية مرجع سابق ص 28 .
- (10) المائدة ، الآية (44) .
- (11) غزال المقدشية ، مرجع سابق ، ص 26 .
- (12) نفسه ، ص 31 .





الجانب الديني عند العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث



د. عبد الكريم عبد الحميد الخلف^(*)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أما بعد :

مدينة ذمار مدينة العلماء كما هو معروف عنها ، هي التي أنجبت العالم الشاب أحمد بن عبد الوهاب الوريث ، كما أنجبت غيره من العلماء والفقهاء .

إن ظهور الشخصيات وتفوقها على أقرانها لا يتأتى بما حصلت هذه الشخصيات من مطالعات ومقالات وقراءات ، أو حصولها على المؤهلات والشهادات ، وإنما الظهور الحقيقي لها يتمثل بما تعلمت وفقهت وحفظت وأدركت ، وبمقدار كسبها ونجاحها يكون التطبيق العلمي في حياتها العملية.

وهذا هو العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث قرأ فحفظ ، وطالع فتعلم وتعلم ففهم وفقه وأدرك أبعاد ما تعلم فكان ظاهراً على أقرانه ، ومن أسباب ظهوره رغم عمره القصير أنه كان شجاعاً جريئاً في زمن كثر فيه الجبناء ، وكان صريحاً مقداماً في حين

(*) كلية التربية - جامعة ذمار .

كثُر في زمانه النفاق والمنافقون ، وكان عالماً مجتهداً نافذ البصر والبصيرة في زمن
كثُر فيه الجهلة والمقلدون .

ومن أسباب ظهوره أيضا :

أنه انفتح على جوانب الحياة جميعها ، انفتح على العلم والحديث والتطور
والتقدم والعدل ، حيث كان غيره مغلق على نفسه لا يرى من حوله شئ إلا ما يخدم
مصلحته .

إذاً هي العبقرية الوريثية التي غدها بأفضل الأغذية كالعلم والفهم والجد والعمل
والجرأة وربما أقول : أن سبب موته المبكر هو هذه العبقرية وإتي لأتمثل هذا العبقرية
الغد وهو يحمل في جعبته الكثير والكثير من الأفكار التي تحتاجها الأمة الإسلامية ، كما
أني أراه ماثلاً أمامي وهو يقول حاربوا كل الأفكار الفاسدة الهدامة انفتحوا على العالم
من حولكم اتحدوا انتصروا قاتلوا الظلم فإنه مهلك الأمم من قبلكم . رحم الله العلامة
أحمد عبد الوهاب الوريث فأسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب .

أولاً اسمه ونسبه :

هو : السيد العلامة أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن يحيى بن
أحمد الوريث بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الإمام المنصور بالله القاسم (1) بن
محمد الحسين المعروف كسلفه بالوريث ، وهو من حفدة عبد الله بن الإمام القاسم
صحافي يمني كان أبوه من أهل ذمار وولى القضاء بيريم وهي تبعد عن مدينة ذمار 35
كم نشأ في يريم ، وانتقل إلى صنعاء وأقبل على العلوم الدنية والأدبية (2) فتولى رئاسة
تحرير مجلة الحكمة اليمانية وكتب فيها مقالات كثيرة ومتنوعة العلوم وتوفي شاباً في
صنعاء (3) .

ثانياً مولده ونشأته :

ولد العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث في شهر رمضان المبارك سنة
1331هـ الموافق 1912 ، ونشأ في بيت والده والذي كان زاخراً بالعلم والعرفان ،
ودرس في مدارس مدينة ذمار مسقط رأسه ، ومنها تخرج أتم بكثير من علوم
عصره ، ومنها الفقه وأصوله ، وأصول الدين ، والحديث النبوي الشريف ، والتفسير

وعلموه ودعم علومه الشرعية هذه بعلم اللغة وفروعها من نحو وصرف وبيان بدأ حياته العلمية بمقالات نشرت في الصحف الداخلية والخارجية ثم ترأس تحرير مجلة الحكمة اليمانية ويعتبر من مؤسسيها ومن خلالها أسس قواعد ثابتة للبدايات الصحيحة للصحافة اليمانية (4) .

ثالثاً- مشائخه والكتب التي درسها واطلع عليها :

- 1- نشأ العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث كما ذكرنا آنفاً في حجر والده وتخرج به وأخذ عنه في صحيح البخاري ، وشرح العمدة لابن دقيق العيد والجامع الصغير وبلوغ المرام ، والروض النضير ، وشرح مجموع الإمام زيد بن علي ، وشرح الغاية في أصول الفقه ، والنحو والمنطق (5) .
- 2- وأخذ العلامة الوريث عن السيد العلامة/ عبد الله بن محمد بن حسين السوسوة شرح الأزهار في الفروع الفقهية كاملاً ، وأصول الفقه ؟ وأصول الدين ، والحديث النبوي الشريف ، والنحو والصرف .
- 3- وأخذ رحمه الله عن السيد العلامة/ علي بن عبد الله الأكوخ ، المناهل الصافية .
- 4- وأخذ عن السيد العلامة حمود بن حسين بن قاسم الحسني، علم الكلام وما يتعلق به.
- 5- وانتفع بمراجعاته لوالده في علوم التفسير والحديث النبوي الشريف والفقه وأصوله والمعاني والبيان والنحو والصرف ، واللغة والتاريخ والأدب النفع التام (6) .
- 6- أجازته والده رحم الله الجميع إجازة عامة بأسلوب شعري ، ونص القصيدة التي

تتضمن الإجازة على النحو الآتي :

تهدي نصيحته إلى الإرشاد	بني خذ عني مقالة ناصح
بنواجد واحرص على الإسناد	إلزم عري التقوى وعض على العلى
غلط بفهم ثاقب منقباد	بتثبت عن كل تصحيف وعن
حلاً تُعدُّ به من النقباد	وانهض لحل المشكلات إذا أتت
رتب المعالي رتبة الامجاد	حتى تكون مجلياً وتحوز من
ودراية بتثبت وسداد	ولقد أجزتك يا بني رواية
في سنة المختار طه الهادي	فارو الدفاتر مسنداً لاسيما
فعلومهم تروي غليل الصادي	من كتب أهل البيت سادات العلا

والأمهات وغيرها يا حبيذا أسند ولا تنتظر ملام معاد (7)

رابعاً - ثقافته وتحصيله العلمي :

كان العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث رمزاً للثقافة ونبراساً في العلوم بأنواعها وعلى رأسها العلوم الشرعية ، وكان عميق النظر والفكر له تطلعات وطموحات كثيرة ، ومن خلال الوقوف على مقالاته العلمية الدينية منها والأدبية ، والتي نشرها في مجلة الحكمة اليمانية .

ين أنه كان يتمتع بنفس مؤمنة عالية وعقل راجح كبير ووجدان ظاهر وضمير حي وشعور صادق كما أنه يتمتع بثقافة عالية وفهم عميق وإدراك راسخ حاملاً بين جوانحه هوى ملحا لدينه ووطنه ، ومن خلال كتاباته يظهر أنه كان فصيح البيان في مساجلاته ومحادثاته وأعماله التي زاولها خلال عمره القصير .

ومن خلال الإطلاع على حياته العلمية تبين أنه تخرج بمدنية ذمار وشارك

مشاركة قوية في كثير من العلوم وهي على النحو التالي :

1- شارك ويشكل فعال :

في العلوم الدينية حتى قام بنشر بعض المقالات في موضوع الأصول وأوغل في الفروع الفقهية وله مطالعات عديدة في علم الحديث النبوي الشريف ، وهو من المطلعين على التفسير وعلومه ، وكذلك له باع طويل وواقر في علم اللغة العربية وآدابها ونحوها وصرفها ومعانيها وبيانها وهذا ما أعانه على التحصيل في التفسير وغيره من العلوم الشرعية.

2- وكان لهذا المناصب شأن في التاريخ :

حيث أنه جنح جنوحاً صادقاً إلى دراسة آثار كثيرة من رجالات العصر الحاضر وما يتصل به فهذه المطالعات التاريخية طوعت له ملكة قوية في الفهم وإطلاعاً واسعاً على كثير من زوايا التاريخ العربي القديم وعلى وجه الخصوص التاريخ الإسلامي فهذه العلوم المتنوعة الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها كانت سببا في ظهوره ظهوراً يعتد به فلذلك عينه وزير المعارف آنذاك وكلفه بتأليف قسم التاريخ اليماني .

خامسا شخصيته الاجتماعية :

العلامة النابغة السيد/ أحمد بن عبدالوهاب الوريث شخص نشأ وترعرع على التقوى والعبادة ، ويتحرى الحلال والحرام ويتقى الشبهات ما أمكن له ذلك وكان من صفاته الشخصية عزة النفس وشرفها يتمثل بطهارة التقوى وآثارها وبهجة الصحة وعواملها كان صدوقاً عدلاً شجاعاً وفيماً مقدماً تلحظ في عيونه وميض الأمل وسمو الغاية ، وفي حركته تتمثل قوة الإرادة والسزيمة يشبه القواد العظام ، رجل في حركاته ورجل في كل مجالات الحياة تراه دائم التفكير إذا مشى كأنه جبل يتقلع ، وعليه مسحة الوفاق والجلال مهيب الطلعة مشرق الروح متين الأخلاق وقوى النفس مصلح من المصلحين البارعين سمح الطبيعة فياض الخاطر مصقول الذهن قوى الذاكرة واسع الإطلاع حر الفكر شديد الشكيمة طاهر السريرة (8) .

سادسا - مكانته العلمية ونشاطه خارج القطر :

لقد درس العلامة أحمد بن عبدالوهاب الوريث كما أسلفنا على أيدي المشايخ وامتاز على زملائه ومشايخه بفكره الثاقب وبيانه الناصع وفي سن المراهقة قام بتأليف كتاب ((نور القلوب في معرفة علام الغيوب)) وبلغ على حداثة سنه في فنون العلم إلى أعلى المراقي والمراتب وقد تأثر تأثراً كبيراً بالمطالعات العصرية في دروسه ومحاضراته وخطبه ثم يعد ذلك في مقالاته التي كانت تنشر في مجلة الحكمة اليمانية واتسعت شهرته وظهرت مكانته حتى أن البريد الذي كان يصل إليه من خارج القطر يزيد عن بريد الإمام نفسه فاستدعاه الإمام إلى صنعاء ليكون تحت رقيبته وقويت علاقته بالعلماء المتنورين في عصره ولقد ذكر العزي صالح السنيدار في مذكراته أن الشهيد أحمد بن أحمد المطاع قد التقى في زمار بالعلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث وهذا ما أشار إليه القاضي عبدالله الشماحي في كتابه ((اليمن والإنسان والحضارة)) (9) .

وأما نشاطه العلمي خارج القطر على مستوى الوطن العربي كانت صلته قوية ووثيقة مع كثير من المفكرين الإسلاميين العرب ومن أمثال هؤلاء (الأمير شكيب أرسلان- والمؤرخ أمين سعد) وكان على صلة دائمة بالصحف المصرية واللبنانية حيث انه كان يرسلها وتراسله وكان ينشر مقالاته في المجلات ذات الطابع الإسلامي

كمجلة الشورى ومجلة العلم لصاحبها محمد علي الطاهر وغير ذلك من الصحف والمجلات تحت اسم مستعار هو ((اليميني الغيور)) .

وحج بيت الله الحرام ثلاث مرات والتقى بالأمير شكيب أرسلان في مكة المكرمة لأنه كان يعتبر الحج مؤتمراً إسلامياً كبيراً فكان يستغل موسم الحج لنشر أنشطته هناك . ومن أثاره العلمية أيضاً أنه : كتب نبذة في تاريخ ما قبل الإسلام بأسلوب شيق ومما يظهر الجانب الديني عند العلامة النابغة الوريث ما كتب من مقالات في مجلة الحكمة اليمانية وهي تحت عنوان ((ما في المسلمين وحاضرهم وعوامل انحطاطهم بعد العلوم))⁽¹⁰⁾ ونجد في مقالاته صدى لأسلوب عبد الرحمن الكواكبي وتجسيداً عصبياً للتفكير العقلي المعتزلي الذي احتفظ به اليمينيون كعرف ثقافي .

وهذا من أهم روافد تفكيرهم الديني ، وكذلك نجد من الواضح للعيان أن أحمد بن عبد الوهاب الوريث كان ينهج نهج الأفغاني ، وكان هدفه في الحياة إقامة دولة عربية إسلامية قوية تقف أمام أعداء الإسلام والعروبة ، لأنه كان يعتبر الاستعمار والاستبداد مصيبة كبيرة لا يزيلها إلا دولة إسلامية عربية قوية ومتحدة ، ياله من رجل .
وخلاصة ذلك أن الوريث كانت له مكانة علمية واجتماعية كبيرة عند علماء عصره في الداخل والخارج .

سابعاً - رثاء أهل العلم له من علماء وأدباء :

1- كلمة رثاء من قلم تحرير مجلة الحكمة اليمانية ، وكلمة الرثاء هذه تدل على مكانة النابغة والأديب الشاب أحمد بن عبد الوهاب الوريث ، حيث جاء في ذلك ما نصه :
(هنا يتعثر القلم ، هنا يقف الفكر وقفة مشدوه حيران ، وهنا يخفق القلب خفقات متتالية ، فتهتز له التجاليد ، وتجاوبها الأشلاء ، وتضطرب المشاعر ، وهنا تبرز الحقيقة فتراها ماثلة نصب عينيك فتحاول أن تتواري عنها وأن تزحزح شبحها من أمامك ولو لحظة ما فلا تستطيع منها فكاكاً ، ولن تجد من سلطانها مفرأً ، ولا من مرارتها ملتحداً ، ومن هنا يستنزل الكاتب البارح وحي الوجدان والطبيعة ، ووحى الحياة والضمير ، فيستعصي عليه القول ويلتوي على براعة البيان .

ومن هنا أريد أن أرسم على صفحات هذه المجلة كلمة الرثاء والوداع الأخير ربان سفينة هذه المجلة ، وناشر زينتها ، وهاديها إلى وجهتها التي أعدت لها ، والغاية التي

تطمح إليها ، هنا نرثي ونودع الكاتب البارِع الذي نشرت هذه المجلة مقالاته الضافية من أول يوم برزت فيه إلى الوجود إلى الشهر المنصرم ، وذلكم هو السيد العلامة والأديب الشاب أحمد بن عبدالوهاب الوريث، وكلمة الرثاء طويلة اقتصرنا على هذه السطور خشية الإطالة .

4- ورثاه العلماء والأدباء بمرات كثيرة نشر بعضها في مجلة الحكمة اليمانية ، وهي ترفع كلمات العزاء لأسرة الفقيد ، وأقاربه وذويه وترجو من الله ألا يفجعهم في عزيز بعد ، وتسجل كلمات الشكر لكل من شاطرهم الحزن وعزاهم في الراحل .
ومن لطيف المراثي هذه الأبيات المنظمة لتاريخ الولادة والوفاة لسماحة السيد العلامة رئيس لجنة التاريخ اليمني محمد بن محمد زيارة الحسني ومطلعها :

مات نجل الوريث نجل القواسم	ورضيع الهدى ربيع المكارم
عمره سبعة وعشرون عاماً	بين مسترشد ومفت وعالم
ولقد عاش نائراً درر الحكمة	بين الوري بصدق العزائم
عاش عيش المجاهدين يربنا	كيف يستصغر العظيم العظام
مرشاً غيوراً نصوحاً	مخلصاً لا يخاف لومة لائم
قدم الباقيات شوقاً	إلى الخيرات في الخلد والنعيم الدائم
موته رابع المحرم أرخ	أحمد فائز بحسنى الخواتم ⁽¹¹⁾

ثامناً - وفاته :

توفي العلامة السيد أحمد بن عبدالوهاب الوريث سنة 1359 هـ الموافق 1940م حيث فارق الدنيا في ريعان شبابه ، ولم يتجاوز العقد الثالث من العمر ، وبالرغم من قصر حياته في الدنيا ، ترك أثراً واضحاً ومشرقاً وذكرى ناصعة صالحة ففي يوم الاثنين عام 1940م فاضت روحه مليية نداء ربها وهي تحمل معاني السمو والكمال، تواقفة إلى كل معاني الرشد والجلال ، رجعت إلى ربها بعد أن عملت في ميدان الإنسانية ما هيأتها لها الظروف عاجلته المنية بعد مرض عشرين يوماً تحير الأطباء في مرضه ، ولبث الفقيد تحت سيطرة المعركة المرضية أياماً حيث وإن المرض يتوثب بين دماغه

وأمعانه فيشتد عليه حيناً ، ويرفق به حيناً ، وفاضت روحه إلى خالقها ، وكانت الصلاة عليه في الجامع المقدسي ، ودفن بجربة الروض بجوار والده رحم الله الجميع (12)

الهوامش

- (1)- ينظر كتاب الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الحادية عشره سنة 1955م (166/1) .
- (2)- ينظر كتاب نشر العرف ، مطبعة وزارة الأوقاف ، محمد زباره الحسني ، (145/1)
- (3)- ينظر مجلة الحكمة اليمانية ، العدد (9) سنة 1358هـ (ص/68) .
- (4)- ينظر نبيل الوطر ، للعلامة محمد زباره الحسني ، وزارة الأوقاف ، سنة 1992م (ص/113) .
- (5) ينظر كتاب ، نشر العرف ، محمد زباره الحسني ، وزارة الأوقاف ، العدد (139/1) .
- (6)- ينظر مجلة الحكمة اليمانية ، وزارة المعارف ، العدد (4) سنة 1358هـ (ص/55) .
- (7)- ينظر مجلة الحكمة اليمانية ، العدد (9) سنة 1358هـ (ص/79) .
- (8)- المصدر نفسه ، (ص/74) .
- (9)- ينظر كتاب ، اليمن والإسنان والحضارة ، للقاضي عبدالله الشماحي ، مطبعة صنعاء الكبرى ، الطبعة الأولى ، (ص/141) .
- (10)- ينظر مجلة الحكمة اليمانية ، مجلة علمية جامعه ، العدد (7) وزارة المعارف صنعاء (91/?)
- (11)- ينظر نشر العرف ، محمد بن محمد زبارة ، مطبعة وزارة الأوقاف ، (153/1)
- (12)- المصدر نفسه ، (171/1)



التّضمين التّحوي دراسة ونقد

د/ عبد الله عبد القادر الطويل (*)



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، ورضي الله عن صحابته . وبعد :

يتناول هذا البحث قضية بارزة في الدّرس النحوي ، نالت عنايةً من لدن القدماء والمعاصرين كشفت عنها تعدد المؤلفات التي تناولتها موضوعاً للدراسة . وقد اختلفت الآراء فيها وتعددت المذاهب في تفسيرها ومن ثم اختلفت مناهج دراستها وتعددت . بيد أنّي لم أقف في حدود ما اطلعت عليه من مظان تناولت هذا الموضوع على دراسة وافية لها في المنهج والموضوع . وأخص تحديداً ناحية المنهج . إذ كانت الدراسات منصبة على تناول (فرضية) الخلاف بين البصريين والكوفيين . فتناولت حدّ التضمين لغةً واصطلاحاً وفائدته وأنواعه وحقيقة اختلاف النحويين في مسألة تناوب حروف الجر وتفسيرات النحويين لأمثلة التضمين ، مناقشاً تارةً ومرجحاً أخرى مع البحث عن حقيقة الآراء المنسوبة إلى النحويين القدماء واستقرائها من أصولها فهي منبع الحقيقة لمن يبتغيها .

(*) قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة ذمار .

حدُّ التّضمين لغتاً واصطلاحاً :

أ - التّضمين لغتاً :

قال ابن فارس : (ضَمِنْتُ الشَّيْءَ ضَمَانًا : تَكَفَّلْتُ بِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ فِي وَعَاءٍ شَيْءٍ فَقَدْ ضَمِنْتَهُ إِيَّاهُ) (1).

وقيل: ((ضَمِنَ المال عنه : كَفَلَ له به .. ومن المجاز : ضَمِنَ الوعاءُ الشَّيْءَ وتضمَّنه وضَمِنْتَهُ إِيَّاهُ ، وهو في ضَمِنِهِ . ويقال : ضَمِنَ القبرُ الميْت ، وضَمِنَ كتابُه وكلامُه معنىً حسنًا ، وهذا في ضَمِنَ كتابه ..)) (2).

وقيل أيضًا: ((ضَمِنَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ : أودعهُ إِيَّاهُ، كما تودعُ الوعاءُ المتاعَ والميْت القبر)) (3).

ويظهر من هذه المفهومات اللغوية لمادة (ضمن) في المعجمات أنها لا تخرج عن معنى (الإيداع والكفالة) . والكفالة أن ينوب الشخص مناب آخر فيقوم بعمله . وهو من هنا لم يبتعد عن المفهوم الاصطلاحي الذي وضعه العلماء له .

ب - التّضمين اصطلاحاً : (هو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف) (4).

ويقول ابن هشام : (قد يُشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك تضميناً) (5) . وتابعه في هذا الأشموني (6) . والصّبّان (7) . ومحمد محيي الدين عبدالحميد (8) . والملاحظ في هذه الحدود إطلاق مصطلح التّضمين ليشمل اللفظ كله . وهو مذهب انفرد فيه هؤلاء النحويون كما سيتبين لاحقاً .

شمولية التّضمين لأقسام الكلم وعدمها :

ذكرت فيما سبق الحدود الاصطلاحية للتّضمين عند بعض العلماء وكان الملمح البارز في حدودهم تلك عدم اقتصار التّضمين على لفظة دون أخرى وإنما اشتمل مفهومهم له اللفظ مطلقاً ، وحدّ الزركشي معنى اللفظ بالاسم والفعل والحرف . وهذا الرأي ارتضاه الدكتور إبراهيم السامرائي (رحمه الله) إذ قال : (التّضمين : أن تستعمل مادة فعلاً كان أو اسماً أو أداة محل غيره مع قرينة : قولية ، أو حالية تشير إلى المعنى الذي استعمل) (12).

ويلاحظ أنه اشترط القرينة التي تفصح عن المعنى (*) وهو أمر ذكره القدماء من قبل ويبدو أنه أمر صائب إذ يحدد الظاهرة ويقيدها بشروط تمنع الاستخدام المطلق لها والذي سيؤدي بلا شك إلى الخطأ في الكلام .

ويمكن أن نعد ما تقدم من أقوال النحويين مذهباً خاصاً انفرد بالقول بشمولية التضمين وعدم اقتصره على لفظ دون آخر ، وثمة من ينحو منحى آخر في النظر إلى هذا الأمر وسأعرض لهذه الاتجاهات على وفق ما يأتي :

أولاً : عدّ بعض النحويين والباحثين التضمين مقتصرًا على الأفعال ومن هؤلاء الزمخشري فيما نقله عنه السيوطي ، قال : (من شأنهم أنهم يضمنون الفعل معنى فعل آخر فيجرونه مجراه ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى التضمين) (13).

وممن قال بهذا أيضًا السيد الجرجاني في حاشيته على الكشاف إذ قال : (التضمين أن تقصد بلفظ معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدل عليه بذكر شيء من متعلقاته ، كقوله : (أحمد إليك فلاناً) لاحظت فيه مع الحمد معنى الإنهاء ودللت عليه بذكر صلته ، أعني "إلى" ، أي أنهى حمده إليك) (14). ونقل الشهاب الخفاجي عن السيد السند قصره التضمين أيضًا على الأفعال (15).

وقد ذهب إلى هذا بعض المعاصرين وفي مقدمتهم مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد قصروا التضمين في قرارهم على الفعل وما يؤدي معناه فذكروا أن : (التضمين : أن يؤدي فعل أو ما في معناه إلى التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطي حكمه في التعدي واللزوم) (16).

وقد ارتضى الباحث (عبد الله صالح باعير) هذا المذهب وذكر حدًا للتضمين أحسبه أنضج من الحدود الأخرى . قال : (التضمين : أن ينوب فعل و ما في معناه عن فعل آخر أو ما في معناه ، فيحمل الغائب معنى المنوب عنه ، بفعل النيابة لا بأصل الوضع تاركًا المعنى الذي كان عليه في أصل وضعه قبل النيابة ، ويقضي حمل المعنى أن يحمل النائب العمل الإعرابي للمنوب عنه أيضًا ، أي : مقتضيات تركيبه من حيث التعدي واللزوم ونوع الحرف المتعلق به) (17).

وحدد ملامح مفهومه الذي وضعه : بإخراج الحروف والأسماء المبنية من دائرة التضمين واقتصاره على الأفعال ، وعدّ التضمين صورة من صور النيابة ، وعدّ الفعل المذكور في اللفظ لا يؤدي بلفظه إلى معنى واحد هو معنى الفعل المتوب عنه بعد أن تخلى هو عن معناه الذي كان عليه في الأصل ، وهذا الأمر ذكره من قبل الكفوي أيضاً قال : (إذا ضمنت كلمة معنى كلمة أخرى ، ووصلت بصلتها لم يبق معناها الأول مراداً) (18).

ويبدو لي أن هذا الأمر لا يمكن إطلاقه هكذا ؛ لأنّ الفعل إن تخلى عن دلالاته المعجمية ليحمل معنى الفعل المسقط سينفي دلالاته هو والذي تميّز به عن غيره ومن ثم اقتضى الأتيان به هنا ليفيد دلالة أقوى على معنى الكلمتين .

وفائدة التضمين كما ذكر العلماء : (إعطاء مجموع معنيين وهو أقوى من إعطاء معنى فذ) وهو (أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين) فالإتيان بالمفردة بدلاً عن أخرى وتضمن المعنيين يعطي - فيما أرى - دلالة أقوى على المعنى ما كانت لتؤديها المفردة الأولى ، وإلا لماذا إذن أيدل الفعل بفعل آخر؟ . هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار مسألة تعدي الفعل بالحرف وعدمه ولعل الغريب في الأمر أن الباحث الفاضل مع إطلاقه هذا الأمر قد صرح بأن ثمة دلالة ممتزجة من الفعلين ترسخ في الذهن إذ يبقى في ذهن المتلقي شيء من دلالة الفعل المذكور . قال : (إذ يبقى في ذهن المتلقي شيء من دلالة الفعل المذكور لفظاً - وهي التي وصفها الكفوي بأنها غير مراده - ممتزجة في الذهن بدلالة الفعل المضمن معناه في المذكور) (19).

ألم يشترط الباحثون -وهو منهم كما سيأتي - وجود المناسبة بين الفعلين وتقارب معانيهما ، ووجود القرينة ومن ملامح هذه المذكور أنّها العمل الإعرابي الذي يحمله النائب من المنوب عنه (مقتضيات التركيب) . وحدوثه مرتبط لحمل النائب دلالة المنوب عنه ، وهذا الأمر يؤكد أن ثمة دلالة في الفعل الأول ينبغي أن يحملها الفعل النائب .

أنه أيضاً اشتراط ما ذهب إليه المجمع اللغوي القاهري من تقارب المعاني ووجود القرينة .

الإشارة هاهنا إلى أمر على جانب من الأهمية وهو رأي ابن جنسي في هذه المسألة اعني اقتصار التضمين على الأفعال (فقد ذكر الباحثان الفاضلان الدكتور عبد الله صالح بابعير⁽²⁰⁾ والدكتورة ندى سامي⁽²¹⁾ أن ابن جنسي أراد بقوله : (أعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر ، فإن العرب قد تتسع ، فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، إيداناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر)⁽²²⁾. أما اقتصار التضمين على الأفعال فهو أمر فيه نظر :

لذي يظهر من نص ابن جنسي أنه لم يقتصر التضمين على الأفعال حسب وإنما يتعداه إلى الحروف بقوله (فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه) هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن ابن جنسي ذكر هذا الكلام تحت باب عنوانه (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) قال : (.... وذلك أنهم يقولون : إن (إلى) تكون بمعنى (مع) ويحتجون بقول الله سبحانه : ((مَنْ أَنْصَارِي إِلَى آلِهِ))⁽²³⁾ أي : مع الله ، ويقولون : إن (في) تكون بمعنى (على) ويحتجون بقوله عز اسمه : ((وَلَاصَلْبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)) أي : عليها، ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا : لكننا نقول : أنه يكون في معناه في موضع دون موضع على حسب الأصول الداعية إليه ، والمسوغة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا)⁽²⁴⁾.

وكلام ابن جنسي ههنا ينفي ما قيل في اقتصاره التضمين على الفعل دون الحرف ألا ترى إلى قوله : (إن (في) تكون بمعنى (على) ... ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا) فهو لا يعترض على جواز تضمين الحروف معنى حرف آخر لكنه يقصر على تقارب المعاني ووجود المسوغ .

نأى على ما تقدم يمكن ان نستنتج من كلام ابن جنسي أمرين . أولهما : أنه قصر التضمين في الفعل والحرف وهو رأي انفرد به عن غيره من النحويين . أما الآخر : فإنه يكشف رأي عالم بصري في مسألة جواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض المسألة التي انتابها الاضطراب في نسبة الآراء إلى البصريين والكوفيين وسأفصل القول في هذا لاحقاً .

ومن صور التضمين في الأفعال :

1) تضمين اللازم معنى المتعدي :

من ذلك قولك (رَحِبْتَكَ الدَّارُ) فالفعل (رَحِبَ) لازم ، لكنه عُدِي إلى المفعول به (الكساف) لتضمنه معنى (وسعتكم) (25).

2) تضمين المتعدي معنى اللازم :

ومن ذلك قول ذي الرمة :

وإن تَعَبَّرَ بِأَنحِلٍ مِن ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى الصَّيْفِ يَجْرَحُ مِنْ عَرَاقِيبِهَا نَضِي

فقد حمل النحويون (يَجْرَحُ) على تضمينه معنى (بَعَثَ أَوْ يُفْسِدُ) (26) ومن ذلك قوله

تعالى: ((وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا)) (27). إذ حمل (لا تعد)

المتعدي في الأصل على تضمينه معنى (لا تتصرف) اللازم ، فعُدِي بِـ (عن) (28).

3) التضمين بين الأفعال المتعدية :

أي أن يضمّن المتعدي إلى مفعول معنى آخر مثله في التعدي ، كقوله تعالى ((فَأَمَّا تَهُ

اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ)) (29) إذ يتضمن ((فَأَمَّا تَهُ)) معنى (البنه) (30).

ويشمل التضمين في الفعل دلالاته الزمنية أيضاً وقد عرض الزركشي لهذا الامر وذكر أن

التضمين قد يأتي : (للتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه) (31).

وهو أمر قد قال به من قبل النحويون ومنهم المبرد فقد ذكر في (باب الجزاء) أنه (قد

يجوز أن تقع الأفعال الماضية في الجزاء على معنى المستقبل) (32). ومن أمثلة ذلك قوله

تعالى: ((أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)) (33). إذ حمل ((أَتَى)) على

(يأتي) (34). (والله أعلم) .

ثانياً : قصر آخرون التضمين على الأسماء ، والأفعال ومنهم ابن القيم الجوزية (رحمه

الله) (إذ عدّ التضمين ((أن تضمن أسماً معنى اسم لإفادة معنى الأسمين فتعديه تعديته في

المواطن ، وهو أربعة أقسام :

الأول : قوله تعالى: ((حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)) (35) ، ضمن (حقيق) معنى (حريص) ليفيد أنه محقق بقول الحق وحريص عليه .
والثاني : أن تضمن فعلاً معنى فعل لإفادة معنى الفعلين .

والثالث: قوله تعالى: ((إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا)) (36). ضمن (لتبدي) معنى (لتخبر به) ، أو لتعلم ليفيد الإظهار معنى الاخبار ؛ لأنّ الخبر قد يقع سراً غير ظاهر .

الرابع : قوله تعالى: ((عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)) (37) ضمن (يشرب) معنى (يروي) أو معنى (يلتذ) ليفيد الشرب والري أو الشرب والإلتذاد جميعاً (38). وقد ذهب إلى هذا بعض الباحثين المعاصرين (39).

ويلاحظ في نص ابن القيم أن الاسم فيه جاء وصفاً مشتقاً ، وقد يأتي المصدر أيضاً متضمناً معنى مصدر آخر نحو قوله تعالى ((أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)) (40). فقد ضمن الرفث معنى الإفضاء أي ناب عنه باحتلال موقعه في سياق التركيب فحمل معناه مقتضيات تركيبه، فعدي بـ (إلى) وهو معدى في الأصل بالباء أو مع (41).

ولا يخفى أن الوصف المشتق والمصدر يحملان دلالة على الحدث ومن ههنا أجاز الباحث عبد الله بابعير التضمين في الاسم المشتق والمصدر ؛ لأنهما يحملان معنى الفعل وهو الحدث (42).

ثالثاً : التضمين في حروف الجر :

شغلت مسألة نيابة حروف الجر بعضها مناب بعض حيزاً كبيراً في كتب اللغويين والنحويين حتى تبادر إلى أذهان بعض الباحثين أن موضوع التضمين إنما يخص حروف الجر حسب .

ولا يقدر هذا في أمر التضمين شيئاً بقدر ما يقدمه طريقة تناول هذا الموضوع إذ بنيت دعائم هذا الموضوع على (فرضية) شاعت في الدرس النحوي مفادها

(الخلاف بين البصريين والكوفيين في مسألة تناولت حروف الجر) فلا يكاد مؤلف بحث التضمين في مؤلفه من الابتداء بطرح هذه الفرضية مقدمة لموضوعه .

ولعل هذا الأمر من أكثر الأمور التي عقدت من جزئيات هذا الموضوع ؛ لأنها أدت إلى القول بتفسيرات على لسان المنسوب إليهم المنع أو الجواز فيها أو لم يقولوا بها مما أدى إلى تعدد هذه التفسيرات والتي تؤدي كثرتها والمبالغة فيها بلا شك إلى فقدان الغاية المرجوة من الموضوع والإنشغال بها عن مسائل أخر ، ولو كانت قد درست لأدت في تقديري إلى نتائج أفضل كالاتمام بتقعيد قواعد للتضمين بعد استقراء النصوص ومحاولة جمع هذه النصوص التي اشتملت على التضمين ، أو صنع معجم تاريخي يجمع هذه الألفاظ المتضمنة معنى ألفاظ أخرى للحفاظ عليها ومن ثم فهي بلا شك تثرى اللغة وتوسع استعمالاتها .

وعلى أية حال فالقول في اختلاف البصريين والكوفيين في مسألة إنابة حروف الجر بعضها عن بعض قد قال بها النحويون المتأخرون وتبعهم في هذا طائفة كبيرة من الباحثين المعاصرين .

قال ابن هشام : (مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم والنصب ... والكوفيين والمتأخرين بعضهم لا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفاً) (43). وقد ذهب إلى هذا بعض النحويين المتأخرين (44). وتابعهم طائفة من الباحثين المعاصرين منهم أحمد الأسكندري (45). ود. مهدي المخزومي (46). ود. إبراهيم السامرائي (47). ود. أحمد عبد الستار الجواري (48). (رحمهم الله) . والسيد خليل إسماعيل العاني (49). والدكتور عبد الإله إبراهيم (50). والدكتور عبد الرسول سلمان (51). ود. محيي الدين عبد الرحمن رمضان (52). ود. عبد الله با بغير (53). والدكتورة ندى سامي (54). والأستاذ أحمد زقلام (55). ود. فاضل السامرائي (56). والذي يبدو أن ما عزي إلى البصريين أمر يفتقر إلى الدقة وليس رأيهم الصورة التي نقلت عنهم وبيان ذلك فيما يأتي :

إن القارئ لأقوال سيبويه في الكتاب يلمح إشارته إلى اختصاص بعض الحروف بمعان أصلية فيها وأنها قد تخرج اتساعاً في الكلام إلى تأدية معانٍ أخر. قال سيبويه:

(وباء الجر إنما هي للإلحاق والاختلاط ، وذلك كقولك : خرجتُ يزيد ، ودخلتُ به ، وضربته بالسوط : ألزمتُ ضربك إياه بالسوط . فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله) (57) .

وقال : (وأما (في) فهي لنوعاء . تقول : هو في الجراب ، وفي الكيس ، وهو في بطن أمه ، وكذلك : هو في الغل ، لأنه جعله إذا أدخله فيه كالوعاء له . وكذلك : هو في القبة ، وفي الدار . وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا ، إنما تكون كالمثل يُجاءُ به يقارب الشيء وليست مثله) (58) .

ويلاحظ في قول سيبويه : (وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا ، وإنما تكون كالمثل يُجاءُ به يقارب الشيء وليس مثله) إنه يشير إلى مسألة اتساع الحرف بخروجه لتأدية معانٍ آخر (59) .

وبهذا قال الأخفش الأوسط أيضًا لكنه صرح بتناول حروف الجر في مواضع بعينها. منها : وقال : ((فَوَسَّوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ)) (60) . والمعنى : فوسوس إليهما الشيطان . ولكن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل)) (61) .

وقال : (وكذلك قال : ((رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ)) (62) . يقول : أسكنت من ذريتي أنا ، ودخلت الباء على واد كما تقول : هو بالبصرة ، وهو في البصرة) (63) .

وبهذا قال المبرد أيضًا في كتابه الكامل : ((وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع . قال الله جل ذكره ((وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ)) (64) . أي : على ...)) (65) .

وإلى ذلك ذهب أبو بكر بن السراج أيضًا إذ قال : ((وأعلم : أن العرب تتسع فيها "يريد في حروف الجر" فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني .. فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز)) (66) .

وقد تقدم رأي ابن جني في هذه المسألة فيما سبق (67) .

هذه إذن حقيقة رأي البصريين في هذه المسألة وخلصا الأمر أنهم قالوا بالتناوب في حروف الجر إذا تقاربت المعاني ودعت مقتضيات السياق ولم يحملوا الأمر في المواضع التي جازت فيها الإتيان على شذوذ إتيان كلمة عن أخرى كما نسب لهم (68). والله أعلم .

وأود الإشارة هنا إلى أن الباحث (محمد عبد الرسول سلمان) قد تنبه على حقيقة رأي البصريين في هذه المسألة (69). وتتضمن الأمانة العلمية الإشارة إلى هذا على وفق ما فعلت .

ذكرت سابقاً أن التفسيرات التي وجهت بها أمثلة التضمين أغلبها بناء على ما قيل من اختلاف المذهبين البصري والكوفي في هذه المسألة ، وهي توجيهات كثيرة لا يسع البحث لذكرها جميعاً، ولذلك سأقتصر على أشهر تلك التوجيهات :

1. تأويل المثال تأويلاً يقبله اللفظ، كاستعارة الحرف الذي تعدى به الفعل المذكور

لمعنى الحرف الذي ينبغي أن يتعدى به (70). نحو قوله تعالى ((مَنْ أَنْصَارِيَّ

إِلَى اللَّهِ)) (71). فلما كان المعنى : من ينضاف في نصرتي إلى الله ؟ جاز أن

يؤتى بـ (إلى) أو حمل التعدية أو اللزوم في الفعل على سبيل نيابة بعض الحروف عن بعض شذوذاً لا عن طريق القياس (72). وهذا الأمر كما أوضحت سابقاً قد قال به المتأخرون ونسبوه إلى النحويين البصريين .

2. وقوعه مقتصرًا على موضع دون آخر ، وبحسب أحوال دعت إليه وسوغته وبالتحديد (تقارب المعاني) وهو ما ذكره ابن جني ومن قبله النحويون البصريون كما ذكرت آنفاً .

3. إن للحرف معنى أصلياً ، ومعاني أخر ترجع إلى المعنى الأصلي ، فاللأم تفيد الاختصاص وهو معنى لها وتفيد معنى التعليل (73). وهذا التأويل ينسجم مع فائدة التضمين ، فالحرف بهذا يُعطي أو يفيد معنيين وهو أقوى من إعطاء معنى واحد .

4. التناوب حملاً على الضد . وهذا ما ذكره ابن جني من مذهب الكسائي في وقوع

الحرف موضع غيره نحو قول الشاعر :

إِذَا رَضِيَّتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

(فعليّ) في موضع (عني) ؛ لأن الرضى عن الشيء حُبّه ، والإقبال عليه ، فقد حمل (رضي) على (سخط) ، كما يحمل على نظيره ، وقد استمعن أبو علي الفارسي هذا المذهب وذكر ابن جني أن هذا من مذهب سيبويه في المصادر من حمل أحدهما على ضده (74).

5. التناوب لغة قوم . وأمثلة على ذلك فيما روي عن أبي زيد الأنصاري والأخفش،

والفراء ، في نحو قول الشاعر :

لَعَلَّ أَبِي الْفُؤَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ

فذلك لغة عقيلية ، وأنكرها قوم وتأولوا البيت (75). يقول الدكتور أحمد عبد الستار الجواري (رحمه الله) : ((إن المادة اللغوية قد جمعت من لهجات قبائل عديدة في رقعة من الأرض واسعة ليست بالمحدودة ولا الضيقة ، ولا غريبة أن تتعدد استعمالات الألفاظ وتختلف بين القبائل في البقاع المختلفة ، ولهذا يرد تعدد المعاني في اللفظ الواحد ويكون احتمال ذلك مقبولاً في العقل والمنطق)) (76).

6. اللفظ على معناه حقيقة أو مجازاً . وقد اختلف الأقدمون في هذه المسألة فهناك

من قال بالمجاز في أحد المعنيين واختلفوا في نوعه، وذهب آخرون إلى أن الداليتين حقيقتان، وحاول فريق ثالث أن يوفق بين الرأيين فقال بوجود الحقيقة والمجاز معاً في اللفظ المحمول على التضمين (77).

7. التناوب من الترادف ، وهو ما حاول البعض تفسير ظاهرة التضمين به وذكروا

أنه شاهد على ما ينكر وقوع لفظين في اللغة بمعنى واحد (78). وجعلوا منه قوله

تعالى : ((أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)) (الرفث)

بمعنى (الإفشاء) ، و ((هَلْ لَكَ)) في قوله عز وجل: ((فَقُلْ هَلْ لَكَ

إِلَى أَنْ تَرَكَى)) بمعنى : أدعوك إلى .

وهذا الأمر فيه نظر ؛ لأنّ الترادف في ألفاظ القرآن الكريم ما لا يرتضيه كثر من الباحثين وهو أمر صائب فيما يبدو ، لأننا لو تأملنا الخطاب القرآني لوجدنا أن كل حرف فيه أو كل لفظة مقصودة في ذاتها التي هي عليها فلا تغني عنها كلمة أخرى ؛ لأنّ المعنى افتضى أن يكون هذا الحرف أو اللفظ في موضع من الكلام لأداء الغرض المطلوب والمقصود ، هذا فضلاً عن أن المعاني لو كانت متماثلة بين اللفظين أو الحرفين لصح إبدال حرف بآخر أو لفظة بأخرى .

ولعالمنا الجليل الدكتور فاضل السامرائي مباحث طويلة في مسألة اختلاف المعاني لاختلاف التراكييب ، ومن كلامه في هذا المقام : أن التعليل يؤدي باللام وقد يؤدي بالباء وبمن وبفي ولكنه يذكر بأن معنى التعليل في هذه الأحرف غير متماثل فكل منها معنى خاصاً ، وإن كانت كلها تفيد التعليل فلا يصح مثلاً في قوله تعالى : ((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ))⁽⁷⁹⁾ . أن تقول : (وإذ استسقى موسى بقومه أو في قومه) لأداء المعنى نفسه⁽⁸⁰⁾ .

ولهذا فإن القول بالتضمين في القرآن الكريم أمر ينبغي النظر فيه — فيما أحسب — لدقة تعبيرات هذا الكتاب المعجز في كل حرف ، وكل لفظ ، وكل آية . وأغلب تفسيرات أمثلة التضمين لا يمكن أن تخضع النص القرآني إليها (والله أعلم) .

أما في الكلام فلا مانع من القول بالتضمين ما دام يعطي قوة في المعنى بالجمع بين المعنيين وبلاغة بالتعبير عنهما بأرفع أسلوب ، وما دامت الألفاظ لدينا في الغالب تغني عنها مثيلاتها ، ولاشك في أن هذا سيثري اللغة ويوسع استعمالها ، والله أعلم بالصواب وهو الهادي إلى سواء السبيل .

الهوامش

1. مجمل اللغة، أحمد بن فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م. (ضمن) (ص: 2/ 566).
2. أساس البلاغة، للزمخشري، دار ومطابع الشعب، القاهرة: 1960. (ضمن) (ص568).
3. لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، 1968م. (ضمن) (ص 126/17).
4. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: 1376هـ - 1957م (ص 3/ 338).
5. معني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة (ص 2/ 685).
6. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) ومعه كتاب أوضح المسالك لتحقيق منهج السالك لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية. ط3، د.ت. : (ص2/ 244).
7. حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان، القاهرة: 1366هـ - 1947م. : (ص 2/ 95).
8. أوضح المسالك لتحقيق منهج السالك في حاشية شرح الأشموني لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية. ط3، د.ت. : 2004/2، وينظر: التضمين في أفعال القرآن الكريم / 7.
9. الكشف للزمخشري، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت). : (ص2/ 717)، وينظر: التضمين في أفعال القرآن الكريم: (ص 10).
10. معني اللبيب : 2/ 685.
11. التضمين في حروف الجر في القرآن الكريم، خليل إسماعيل العاني، رسالة ماجستير / كلية الآداب / جامعة بغداد، 1968م: (ص 9)، وينظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي، مطبعة التعليم العالي 1990م: (ص 3/ 14).
12. فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين ببيروت، ط4، 1987م. : 218.
- وقد سبق مجمع اللغة العربي في القاهرة الدكتور إبراهيم السامرائي في هذا إذا اشترطوا ثلاثة شروط لقياسية التضمين في الأفعال حسب وهي: تحقق المناسبة بين الفعلين، ووجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ومؤمن معها اللبس، وملاءمة التضمين الذوق العربي.
13. الأشباه والنظائر لسيوطي: تح: طه عبد الرؤوف السعد، مكتبة الكليات الأزهرية: 1395هـ - 1975 م. : (ص 1/ 133)، وينظر: التضمين في أفعال القرآن الكريم دراسة صرفية نحوية دلالية، ندى سامي ناصر، (أطروحة دكتوراه) / كلية التربية / الجامعة المستنصرية 2001م. : (ص 5).
14. حاشية الجرجاني: 97/1 نقلاً عن: معاني النحو: 3/ 12-13.
15. حاشية الشهاب: 211/1 نقلاً عن ظاهرة النيابة في العربية (أطروحة دكتوراه): 260.
16. مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة (قرار التضمين): ج1، 1934م، ص 180-181.

17. ظاهرة النيابة في العربية (أطروحة دكتوراه) عبد الله صالح بابعير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية 1997م : 271.
18. بديع الفوائد : 21/2 نقلاً عن ظاهرة النيابة في العربية : 267 .
19. ظاهرة النيابة في العربية : 267 .
20. المصدر نفسه : 259 .
21. التضمين في أفعال القرآن الكريم : 6 .
22. الخصائص لأبي الفتح ابن جني : تحـ : محمد علي النجار، دار الثقلون الثقافية العامة، بغداد: 1990م .: (ص 310/2) .
23. الصف : 14 .
24. الخصائص : 308/2 - 310 .
25. مغني اللبيب : 525/2 ، ينظر ظاهرة النيابة في العربية : 273 .
26. مغني اللبيب : 521/2 وينظر معاني النحو : 15-14/3 .
27. - الكهف: 28
28. الأمالي الشجرية : 147/1-148 ، نقلاً عن ظاهرة النيابة في العربية : 274 .
29. البقرة : 259 .
30. مغني اللبيب : 530/2 وينظر ظاهرة النيابة في العربية : 274 - 275 .
31. البرهان 3 / 372 - 377 ، وينظر : التضمين في أفعال القرآن الكريم : 11
32. المقتضب للمبرد ، تحـ : محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، 1385هـ — 1988م .: (ص 50/2) ، وينظر التضمين في أفعال القرآن الكريم : 11 .
33. النحل : 1
34. التضمين في أفعال القرآن الكريم : 15 .
35. الأعراف : 150 .
36. القصص : 10
37. الأنعام : 6 .
38. الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) : 17 ، نقلاً عن التضمين في حروف الجرف في القرآن الكريم : 7-8 .
39. وهي الدكتوراة ندى سامي ، ينظر : التضمين في معاني القرآن الكريم : 8 .
40. البقرة : 187 .
41. ينظر الخصائص : 310/2 ، ومغني اللبيب : 685/2 .
42. ظاهرة النيابة في العربية : 270-271 .
43. مغني اللبيب : 11/1 .
44. ينظر . الجني الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحـ : طه محسن ، جامعة الموصل : 1396هـ - 1976م : (ص 108 - 109) ، وحاشية الصبان : (210/2) .

45. التضمين : مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة : عدد 19341 ص 184-185 .
46. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، لبنان، ط3 ، 1986م . : (ص 283 - 284) .
47. فقه اللغة المقارن : 213 .
48. حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر . مجلة الجمع العلمي العراقي : م / 32 ، 1981م ، ص56 .
49. التضمين في حروف الجر في القرآن الكريم ، د. أحمد عبدالستار الجواري ، مجلة المجمع العلمي العراقي / مج، 32 / 1401هـ - 1981م . : (9ص ، 10 ، 11) .
50. شبه الجملة في اللغة العربية، عبد الإله إبراهيم عبدالله (رسالة ماجستير) كلية الآداب ، جامعة بغداد: 1983م . (ص 98) .
51. الدراسات النحوية والصرفية واللغوية في صحاح الجوهري ، عبدالرسول سلمان إبراهيم ، رسالة ماجستير / كلية الآداب/ جامعة بغداد ، 1986م .: (ص 231) .
52. تفسير أوجه استعمال حروف الجر، مجلة المجمع العلمي العراقي: ج / 43 م/ 40 : 1989 / ص 255-285-259 .
53. ظاهرة النياحة في العربية : 261 .
54. التضمين في أفعال القرآن الكريم : 8 - 9 .
55. تناوب الصيغ في التعبير العربي - كلية الدعوة الإسلامية : 404 / ص 36 .
56. معاني النحو: 3 / 6 .
57. الكتاب ، سيبويه ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار القلم : 1385هـ - 1966م . : (ص 4 / 217) .
58. الكتاب : 4 / 266 .
59. ينظر : شبه الجملة في اللغة العربية : 100 ، وحقيقة التضمين . ووظيفة حروف الجر : 156 ، والبحث النحوي في تهذيب اللغة للأزهري ، محمد عبد الرسول سلمان ، رسالة ماجستير / كلية التربية / الجامعة المستنصرية : 1997م . : (ص 233) .
60. الأعراف : 20 .
61. معاني القرآن : 296/2 .
62. الأعراف : 86 .
63. معاني القرآن : 2 / 207 .
64. طه : 71 .
65. الكامل، للمبرد ، عارضه بأصوله ، وعلق عليه ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة . د. ت . : (ص 97/3) ، وينظر : المقتضب : 319/2 - 320 .
66. الأصول في النحو، لأبي بكر بن السراج ، تح: د. عبد الحسين الفتلي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : 1407هـ - 1987م . : (ص 415-414/1) .
67. ينظر : ص من البحث .
68. ينظر : البحث النحوي في تهذيب اللغة للأزهري : 235 .

69. ينظر: المصدر نفسه.
70. تفسير أوجه استعمال حروف الجر : 256 ، وظاهرة النيابة في العربية : 261 .
71. آل عمران : 52 .
72. ظاهرة النيابة في العربية : 261 .
73. تفسير أوجه استعمال الحرف الجر : 257-258 ، وأود الإشارة إلى أن معاني حرف اللام قد أوصله ابن هشام إلى اثنين وعشرين معنى ، ينظر مغني اللبيب : 208/1 .
74. الخصائص : 313/2 ، وينظر تفسير أوجه استعمال حروف الجر : 259-260 .
75. ينظر : تفسير أوجه استعمال حروف الجر : 260 .
76. حقيقة التضمن ووظيفة حروف الجر : 164 .
77. ينظر فقه اللغة المقارن : 218 ، وظاهرة النيابة في العربية : 262 ، وقد استوفى الشيخ ، ياسين في حاشيته على التصريح أقوال النحاة والبلاغيين في هذه المسألة ، ولخصها الشيخ أحمد الاسكندري وأضاف لها أقوالاً أخرى، لا يتسع المجال لذكرها ههنا وينظر : حاشية ياسين : 704/2 ، والتضمنين : 187 - 188 - 189
78. ينظر : تفسير أوجه استعمال حروف الجر : 260 .
79. البقرة : 60 .
80. المعاني المشتركة بين حروف الجر، د. فاضل صالح السامرائي ، مجلة المجمع العراقي ، ج4، ص 39، 1409هـ - 1988م. (ص 240-24) .



مواطن التفريق بين الزوجين في الشريعة الإسلامية



د: محمد سرحان التمر^(*)

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد .

من المعلوم أن الفقه الإسلامي يشمل كل نواحي الحياة، من عقيدة، وعبادة، واجتماع، واقتصاد، وأحكام أسرة، وهي من أهم موضوعات الفقه الاسلامي؛ لأنه يتصل بحياة كل فرد من أفراد المجتمع، لأن فقه الأسرة يقوم أساساً على إزالة ضرر يلحق بأحد الزوجين إذا استمرت الزوجية. وهذا الضرر قد يكون بسبب عيوب جسدية، أو أمراض معدية أو منفرة تكون في أحدهما، وقد تكون بسبب منع الزوجة من النفقة أو المعاشرة الزوجية، وقد تكون بأسباب أخرى. ولما كان للأسرة من الأهمية أحببت أن أكتب بحثاً أتحدث فيه عن قضية من أهم قضايا الفقه الإسلامي، ألا وهي مواطن التفريق بين الزوجين. وفيما يلي بعض الأمور التي تلحق بالزوجة الضرر والمشقة وهي تتمثل فيما يأتي :

(*) رئيس قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية ذمار .

أولاً: التفريق للإعسار:

لا خلاف بين الفقهاء في وجوب نفقة الزوجة على زوجها، ولا خلاف بينهم في أن الزوجة إذا رضيت بالمقام مع زوجها المعسر هو الأفضل، وحينئذ فلا فسخ ولا تفريق. أما إذا أعسر الزوج ولم ترتض الزوجة المقام معه على ذلك فالفقهاء على ثلاثة مذاهب:

★ المذهب الأول:

للزوجة طلب التفريق، وللقاضى بناء على ذلك الحكم بالتفريق بينهما. وبهذا قال جمهور الفقهاء: وروي عن عمر، وعلي، وأبي هريرة، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وربيعة واليه ذهب مالك، وأحمد الشافعي في أظهر قوليه. لكن قال مالك: إن تزوجته عالمة بإعساره، فلا يحق لها طلب الفسخ. (1)

★ المذهب الثاني:

ليس للزوجة حق طلب الفسخ بسبب الإعسار. وبذلك قال أبو حنيفة، وهو قول للشافعي اختاره المزني من أصحابه، وهو مذهب الظاهرية، بل قال ابن حزم: يجب على الزوجة الغنية الإنفاق على زوجها. (2)

فإذا مضى زمن، ولم ينفق على زوجته، فهل تستقر النفقة عليه، أم تسقط بمضي الزمان؟ قال أبو حنيفة: تسقط مالم يحكم بها حاكم، أو يتفقان على قدر معلوم، فيصير ذلك ديناً باصطلاحيهما عليه، وقال مالك: والشافعي وأحمد في أظهر روايته: لا تسقط نفقة الزوجة بمضي الزمان، بل تصير عليه ديناً لأنها في مقابل التمكين والاستمتاع. (3)

★ المذهب الثالث:

ذكر ابن القيم في المسألة تفصيلاً، وهو أن الزوجة إذا تزوجته عالمة بإعساره، أو كان عند الزواج موسراً ثم أعسر فلا حق لها في طلب الفسخ. أما إذا غرها عند الزواج بأنه موسر ثم تبين لها إعساره فلها الفسخ. (4)

الأدلة ومناقشتها

★ أولاً: احتج جمهور الفقهاء بما يلي:

1 - قوله تعالى: (ولا تمسكوهن ضرراً لتعتدا) (5)

وجه الدلالة: أن الإمساك مع عدم القدرة على النفقة، فيه إضرار بالزوجة واعتداء عليها، وقد نهت الآية عن ذلك، فإذا طلبت دفع ذلك عنها فعلى القاضى أن يدفعه بالتفريق.

2- واحتجوا أيضا بحديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعمل، قيل: ومن أعول يا رسول الله؟ قال: امرأتك تقول: أطعمني والا فارقني، خادمك يقول: أطعمني واستعملني، وذلك يقول: إلى من تتركني). (6)

3- والقول بمنعها من طلب الفسخ فيه اضرار بليغ بالزوجة لا يخفى على أحد، والقاعدة الشرعية تقول (لا ضرر ولا ضرار) (7).

*ثانياً: احتج أصحاب المذهب الثاني بما يلي:

1- قوله تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً) (8) قالوا: فإذا أعسر الزوج ولم يجد سبباً يتمكن به من تحصيل النفقة فلا تكليف عليه كما دلت على ذلك الآية. (9)

اعترض الجمهور على دليل أصحاب المذهب الثاني: فقالوا: إننا لم نكلفه النفقة عند الإعسار، وإنما أثبتنا للزوجة حق طلب فسخ النكاح، لتكسب بنفسها أو تتزوج من يعولها. (10)

*ثالثاً: احتج أصحاب المذهب الثالث بقول النبي صلى الله عليه وسلم - (من غشنا فليس منا). (11)

قالوا في وجه الدلالة: أن الزوج قد غش، وما كان عن غش فليس له حرمة في الشرع، والزوج قد غرها وغشها فلها طلب الفسخ. (12)

وما ذهب إليه الجمهور هو ائراجح ، لقوة أدلته من الكتاب والسنة.

ثانياً: التفريق للغيبية:

قبل أن ندخل في ذكر تفاصيل هذه المسألة ينبغي التنبيه إلى أمر وهو: أن الأسير في أرض العدو لا يفسخ نكاحه من زوجته، فلا تتزوج غيره ولا تقسم تركته حتى تعلم وفاته بيقين، أو يبلغ سنه منذ ولادته حداً لا يعيش أكثر منه عادة، واختلف في ذلك: فحده بعضهم بسبعين سنة، وزاد بعضهم على ذلك حتى أوصله البعض إلى مائة وعشرين سنة، هذا لا أعلم فيه خلافاً بين الفقهاء ونقل البعض الإجماع على ذلك.

أما غير الأسير من الغائبين، فإنه فيما يتعلق بتقسم تركته فالأكثررون على أن حكمه في هذه الناحية كحكم الأسير الذي سبق ذكره، وفيه بعض خلاف، وأما بالنسبة إلى فسخ النكاح من زوجته، وهو المقصود من هذا المبحث، فهنا ينبغي التفريق بين نوعين من أنواع الغائبين.

- النوع الأول: الغائب غيبة عادية، - والنوع الثاني: المفقود.

إذن فالمقصود بالغائب هنا: هو غير الأسير الذي سبق حكمه، وغير المفقود الذي سيأتي الكلام عنه، إذا عرفت هذا نقول:

الغائب إذا طلبت زوجته التفريق بينها وبينه فلا بد هنا من النظر إلى السبب الذي من أجله طلبت التفريق، فإذا كان سبب ذلك النفقة فهنا لا يخلو إما أن يكون الزوج الغائب موسراً أو معسراً، فإن كان معسراً فالخلاف فيه يعود إلى حكم التفريق بسبب الإعسار، أما الذين قالوا بالتفريق للإعسار فهنا قد اختلفوا: فقال المالكية: إذا لم يترك مالا ولا وكل وكيفا ولا أسقطت عنه النفقة حال غيابه، فهذا إن كان لا يعلم مقره، أو علم ولكن كان بعيداً لمسافة عشرة أيام، فإن القاضي في هذه الحالة يؤجله مدة يجتهد في مقدارها، وعبادات المالكية في تحديد المدة تدور مابين الشهر والشهرين، فإذا انقضى الأجل ولم يقدم الزوج ولا بعث بنفقة ولا ظهر له مال، وثبت هذا عند القاضي، فإن له أن يطلق عليه، أما إذا كان قريب المكان، كمسافة ثلاثة أيام، فهذا ينذره القاضي ويرسل إليه: إما أن يأتي، أو يرسل بالنفقة، أو يطلق عليه.

ومذهب الحنابلة شبيه بذلك، فقد قالوا: إذا لم يستطع القاضي تحصيل النفقة من

مال الغائب أو وكيله فإن للزوجة طلب الفسخ.⁽¹³⁾

أما الشافعية والإمامية فقد اختلفوا: فمنهم من جعل للزوجة حق طلب الفسخ عند

تعذر الإنفاق، ومنهم من منع ذلك. وتكلم المالكية والحنابلة في المسألة:

فقال الحنابلة: ليس للرجل أن يغيب عن زوجته بغير عذر أكثر من ستة أشهر، فإن غاب أكثر من ذلك من غير عذر وعلم مكانه كتب إليه الحاكم، فإن أبي أن يرجع كان للمرأة طلب الفسخ، وحجتهم في ذلك حادثة رويت عن عمر - رضي الله عنه - خلاصتها: أنه سمع شعراً من امرأة غاب عنها زوجها في الجهاد وفهم من الشعر الذي رددته أنه لولا

خشية الله تعالى لوقعت في المعصية، فلما سمع ذلك دخل على ابنته - أم المؤمنين - حفصة، فقال: يا بنية كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت سبحان الله، مثلك يسأل مثلي عن ذلك؟ فقال: لولا أريد النظر للمسلمين ما سألتك، فقالت: خمسة أشهر، ستة أشهر، فبيعت عمر إلى المرأة امرأة تكون معها، وأرسل إلى زوجها فأعاده، ووقعت للناس في المغازي ستة أشهر: يسيرون شهراً، ويقيمون أربعة أشهر، ويسيرون شهراً راجعين.⁽¹⁴⁾ أما المالكية فإنهم قد فصلوا ووضعوا شروطاً حاصلها. أن الزوجة إذا تضررت بالغيبة بحيث خشيت على نفسها الوقوع في الزنا وطالت المدة - وقد قدرها السبعين سنة، وقدرها آخرون بما زاد على ثلاث سنين - فإن طلبت الزوجة الفسخ بسبب ذلك، فهنا ينظر: فإذا كان الزوج معلوم المكان وأمكن إيصال الرسائل إليه فإنه يكتب إليه: بالحضور، أو ترحيل زوجته إليه، أو يطلق، فإن امتنع، فإذا علم القاضي أن امتناعه عن تعنت كان له أن يطلق عليه فوراً، وإلا فإن للقاضي أن يمهل مدة يجتهد في مقدارها لعله يعود عما هو عليه، فإن مضت المدة ولم يعد طلق، أما إذا لم يعلم مكان الزوج، أو كان في مكان تتعذر مراسلته إليه، فإنه يسقط شرط المراسلة فقط. وتبقى بقية الشروط على حالها، أي: ليس للقاضي إيقاع الطلاق إلا إذا طالت المدة على نحو ما ذكرته، وخشيت المرأة الوقوع في الزنا، كما أن له أن يجتهد في إيقاع الطلاق فور طلب الفسخ أو تأجيلها إلى مدة يحددها باجتهاده.⁽¹⁵⁾

ورأى المالكية فيما أرى ظاهر الجودة، فالرسول عليه السلام يقول: (لا ضرر ولا ضرار)⁽¹⁶⁾ ولا أعلم ضرراً يمكن أن يلحق بالمرأة أكبر من إيصالها إلى درجة يخشى عليها معها من السقوط في المعصية. أما المفقود: وهو الذي فقد بغيبه منقطعة ولا يعلم عنه شيء فهذا قد اختلف الفقهاء في أمر زوجته:

1- الحنفية، والشافعي في الجديد، قالوا: تنتظر وتبقى على نكاحها، حتى يثبت طلاق الزوج أو موته.

2- أما المالكية فقد فصلوا بما حاصله: أن من فقد في بلاد الإسلام بغير قتال يبحث عنه الحاكم، فإن لم يجده أجل زوجته أربع سنين، ثم اعتدت عدة الوفاة وحلت،

أما من فقد في بلاد غير المسلمين فحكمه حكم الأسير وقد سبق الكلام عليه، وأما من فقد في القتال: فهذا إذا كان قد فقد في قتال بين المسلمين، وشهد شهود بأنه قد حضر القتال فعلاً، فهذا يفتش عنه ويستقصى أمره، فإن لم يعلم عنه شيء، اعتدت زوجته عدة الوفاة وحلت، ومثل هذا حكم من فقد في بند انتشر فيه وباء: كالتعاون ونحوه، أما إذا شهد الشهود أنه خرج مع الجيش فقط دون أن يعلم ما إذا كان قد حضر القتال أم لا فهذا حكمه حكم المفقود في بلاد المسلمين وقد سبق الكلام عنه، أما المفقود في قتال بين المسلمين والكفار فهذا يستقصى خبره فإن لم يعلم عنه شيء أجل الحاكم زوجته سنة، من حين رفع الأمر إلى الحاكم أو من حين استقصاء خبره على خلاف بين المالكية في ذلك، فإذا انقضت السنة ولم يظهر له أثر اعتدت زوجته وقسمت تركته.

3- بينما روي تأجيل زوجة المفقود أربع سنين من غير تفصيل بين مفقود بقتال من غيره عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وكثير من التابعين ومن بعدهم، وإليه ذهب أحمد الشافعي في قوله القديم، إلا أن أحمد قيد ذلك بمن غاب غيبة ظاهرها الهلاك، أما من انقطع خبره لغيبة ظاهرها السلامة، كسفر تجارة في غير مهلكة، فإن رأيه في هذا موافق لرأي أبي حنيفة ومن سبق ذكره.

الأدلة:

احتج الحنفية ومن وافقهم:

1- بما روي عن المغيرة، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها الخبر) أي 54: خبر موته. رواه الدار قطني.

لكن هذا الحديث في إسناده أكثر من راو متروك: فلا يحل الاحتجاج به. (17)

2- واحتجوا أيضاً: بأنه قد روي عن علي أنه قال في امرأة المفقود: هي امرأة ابتليت فلتصبر حتى يأتيها موت أو طلاق.

قالوا: وعن ابن مسعود مثله.

لكن هذه الروايات كلها مرسلة، والموصولة الصحيحة عن علي هي التي ذكرناها فيما سبق.

إذا عرفت هذا فإن الروايات الثابتة عن الخلفاء الثلاثة: عمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم - خلاصتها: أن زوجة المفقود إذا رفعت الأمر إلى الحاكم فإنه يؤجلها أربع سنين من حين رفع الحكم إليه، فإذا مضت وأرادت الطلاق أمر وليه أن يطلق فإذا طلق اعتدت المرأة عدة الوفاة، فإذا انتهت العدة جاز لها أن تتزوج، ولو جاء زوجها الأول بعد ذلك فإنه يخير بين الصداق وبين أن تعود امرأته إليه. (18)

وقبل أن أذكر الرأي الذي أختاره في هذه المسألة لا بد من بيان عدة أمور:

• الأول: هل هناك حاجة إلى تطبيق المرأة قبل أن تبدأ العدة؟ المنصوص عن الخلفاء الراشدين أنه لا بد من ذلك. (19)

• الثاني: لو اختار الأول بعد عودته الصداق، فأى صداق يأخذ؟

قال ابن حزم: جمهور القائلين بهذا القول ذهبوا إلى أن الأول يأخذ الصداق الذي كان قد دفعه هو، ويأخذه من الثاني.

• الثالث: لو اختار الأول عودة المرأة إليه فمتى يكون له ذلك؟ وكيف؟ الذي عليه الخلفاء الراشدين أن له ذلك سواء دخل بها الثاني أم لا، وبذلك قال أحمد. وقال مالك الأول أحق بها ما لم يدخل بها الثاني، أو يختلي خلوة صحيحة. وقال بعض أصحاب أحمد: إذا انقضت العدة فلا سبيل للأول عليها (20).

والرأي الراجح ما ذهب إليه الإمام أحمد، وذلك لأن ما ذهب إليه موافق لقضاء الراشدين، وحكم المسألة أخذ عنهم. (21)

• الرابع: هل يحتاج عودها للأول إلى طلاق من الثاني، وعدة وعقد جديد؟ بالنسبة لوجوب الطلاق من الثاني قبل العودة للأول فهي واجبة بلا خلاف. وأما بالنسبة لوجوب عقد جديد لزوجها الأول عليها فإني لا أعلم أحدا من متأخري الفقهاء صرح بوجوبه، بل المنصوص في مذهب أحمد: أنها تعود إليه بالعقد الأول. إذا عرفنا هذا، فإن الذي أراه راجحاً في المسألة كلها هو ما يلي:

هذه المسألة لم يرد في بيان حكمها نص في الكتاب أو حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما ثبت عن الخلفاء الراشدين القضاء فيها، وحيث كان الأمر كذلك فإن إتباعهم في ذلك أمر لا بد منه؛ لأن حكمهم فيها شاع وانتشر، ولم

يعلم من طريق صحيح عن أحد من الصحابة أنه خالف ذلك، فكان هذا بمثابة الإجماع وعليه فإذا حصلت قضية كهذه فانه لا يجوز للأفراد الاستبداد بها، لكن إذا رأت المرأة أنها قد تضررت بسبب فقد زوجها وأرادت إزالة هذا الضرر فإن عليها في هذه الحالة رفع ذلك إلى ولي الأمر والقضاء النائب عنه، فإذا رفع الأمر فلا بد من ضرب مدة أربع سنين واستقصاء البحث عن المفقود، فإذا لم يعلم عنه شيء حتى انقضت المدة وطلبت الزوجة التفريق، فلا بد من أن يأمر القاضي الولي بإيقاع الطلاق، فإن لم يفعل أو لم يوجد ولي حكم القاضي بالتفريق؛ فالتفريق القضائي أمر لا بد منه: إما بإيقاع الولي الطلاق بأمر القاضي، وإما بتفريق القاضي نفسه، أما ما قاله البعض من أن الولي لا يحق له إيقاع الطلاق، وأن التفريق لا معنى له؛ لأن أمرها بعدة الوفاة معناه: حكم عليه بالموت، فالجواب عليه:

إننا في أمر من أمور النكاح، والاحتياط فيه أمر لا بد منه بالاتفاق، وهذا ما فعله الخلفاء الراشدون: فحكموا بإيقاع الطلاق، لاحتمال أن المفقود مازال حياً، وحكموا بعدة الوفاة؛ لاحتمال وفاته، وهكذا حصل الاحتياط لثنتي الاحتمالات.

أما القول: بأن الولي لا يحق له إيقاع الطلاق، فهذا أمر مسلم، ولكننا لم نقل بأن التفريق قد حصل بتطبيق الولي، وإنما بأمر القاضي للولي بالتطبيق والفرق بين الأمرين واضح، فالاعتماد هنا على قضاء القاضي، وأمر الولي بإيقاع الطلاق احتياط آخر. فإذا حصل ذلك وجب على المرأة أن تعدد عدة الوفاة، فإذا انقضت عدتها حل لها الزواج، فإذا جاء الزوج وقد تزوجت من آخر، فهو بالخيار بين أن يأخذ من الثاني الصداق كما سبق أو عود المرأة إليه؛ فإن اختار الصداق استمرت مع الثاني، وهل يجب على الثاني تجديد العقد؟ الصحيح من مذهب أحمد وجوب تجديده، والذي يبدو لي: أن ذلك أحوط لكنه لا يجب؛ وذلك لأن فرقة الزوجة عن الأول جاءت بتفريق قضائي صحيح مستوف لجميع الشروط، وتوفرت فيه جميع الإحتياجات اللازمة، وجاء عقد الثاني على المرأة بناء على هذا التفريق، فيكون عقداً صحيحاً فإذا لم يختار الزوج الأول إبطاله دفعاً للضرر عنه لتعود إليه امرأته فإنه لا يبطل. وقد وقعت مثل هذه الحادثة في عهد الراشدين أبي بكر وعمر

وعثمان "رضي الله عنهم" ولم يختار الأول الرجوع إلى امرأته ومع ذلك لم يرد في شيء من الروايات أنهم أمروا الثاني بتجديد العقد .

وأما إذا اختار الأول عود المرأة إليه فهنا لا بد من حكم قضائي بالتفريق من الثاني والرد على الأول، أو ما يقوم مقام ذلك وهو طلاق الثاني وعقد الأول عليها؛ ولا بد قبل عود الأول عليها من أن تعتد من الثاني، أما القول بأن التفريق والرد لا حاجة إليهما لأنه قد تبين بطلان العقد الثاني.⁽²²⁾ فهذا فيه نظر، لأن العقد صحيح بني على تفريق صحيح، غايته أن هذا التفريق قد أوقع ضرراً بالزوج الأول، ومن حقه أن يطلب دفع الضرر عنه بعود زوجته إليه، ولكن هذا الضرر لم يقع جزافاً، وإنما وقع من طريق حكم قضائي؛ والحكم القضائي له اعتبار فلا ينقض جزافاً وإنما لا بد من حكم قضائي آخر ينقضه؛ وإنما قلت: أن طلاق الثاني وعقد الأول من جديد يقومان مقام القاضي بالتفريق والرد؛ ذلك لأنهما يؤديان نفس الغرض في الوقت الذي يتفوق فيه هذا الإجراء على الحكم القضائي في الحسم وفي دفع أية شبهة؛

لذا فالذي أراه: هو أن يأمر القاضي الثاني بالطلاق، فإن أبقى حكم هو بالتفريق، ثم لا بد من العدة، ثم بعد ذلك عقد جديد للأول أو حكم بالرد وما قلته صحت فيه الرواية عن عمر رضي الله عنه.

ففي إحدى وقائع هذه المسألة: جاء المفقود إلى عمر - رضي الله عنه - بعد أن تزوجت امرأته فقال له عمر: (إن شئت رددنا إليك امرأتك ، وإن شئت زوجناك غيرها)⁽²³⁾ ورواية خيره عمر بين امرأته وبين الصداق، فاختر الصداق .

وفي واقعة أخرى : (أن امرأة غاب زوجها ، فأنت عمر فأجلها، ثم أمرها أن تتزوج ففعلت، فلما عاد زوجها الأول خيره عمر بين امرأته وبين الصداق ، فاختر امرأته ، ففرق عمر بينهما وردها إليه)⁽²⁴⁾ فانظر النص في الرواية الأولى :

(إن شئت رددنا إليك امرأتك) وفي الرواية الثانية: (ففرق عمر بينهما وردها إليه) كلها تدل على أن الأفراد لا يستبدون بشيء؛ وإنما لا بد من حسم ولي الأمر والقضاء لهذا الأمر، فمسألة كهذه يجب أن لا يترك فيها مجالاً لشبهة. بقي أن نعرف: أن القاضي إذا حكم بالتفريق، ثم عاد الزوج قبل أن نعرف: أن القاضي إذا حكم بالتفريق، عاد الزوج

قبل أن تتزوج من آخر فما هو الحكم؟ الذي يبدو لي قياساً على ما سبق: أنه إذا عاد قبل انقضاء المدة، فهنا إما أن يراجع زوجته، أو يطلب من القاضي إبطال حكم التفريق، وإن عاد بعد انتهاء العدة: فإما أن يعقد عقداً جديداً أو يطلب إبطال الحكم. والله أعلم.

خلاصة المذاهب في مدة انتظار المفقود:

1- إن فقد في حالة يغلب فيها الهلاك بأن خرج لحرب فلم يعد أو كان في سفينة غرقت ونجا بعض الركاب. فمدة انتظاره أربع سنوات من يوم فقده ثم يحكم القاضي بموته. وهذا عند الحنابلة .

2- وإن فقد في حالة يغلب عليها السلامة كأن خرج للتجارة أو طلب العلم أو سياحة وينتظر حتى يبلغ تسعين عاماً من يوم ولادته ثم يحكم القاضي بموته. فإن رجع بعد الحكم بموته وقسمة ماله بين ورثته بطل حكم القاضي ويرجع على الورثة ويأخذ ماله الموجود عندهم ويأخذ مثل المستهلك إن كان مثلياً وقيمته إن كان قيمياً أي لا يوجد مثله في السوق. وهذا عند الشافعية والحنفية. (25)

ثالثاً: الضرقة بسبب العيوب الجسدية:

إذا تم عقد الزواج مستوفياً شروطه وأركانه، ثم ظهر في أحد الزوجين عيب من العيوب، سواء كان ذلك العيب من العيوب التناسلية كالعنة، أو الجب في الرجل، أو الرتق، أو القرن في المرأة أو غير ذلك مما ينفر أحدهما عن الآخر، أم كان من غير التناسلية، كالجنون والجذام والبرص فإن لكل واحد من الزوجين الحق في طلب الفرقة إذا لم يرض بذلك العيب، ويفرق القاضي بينهما. وتكون هذه الفرقة بائنة، لأن المقصود من التفريق هو دفع الضرر، ولا يحصل إلا بالبينة، بخلاف ما إذا كانت رجعية فإن الزوج يستطيع أن يراجع زوجته أثناء العدة بدون رضاها وبدون عقد ومهر، وإذا صح ذلك فإن الضرر الذي كانت الفرقة بسببه لم يرتفع، وتكون الفرقة بائنة لا خلاف في ذلك. (26)

العيوب المثبتة للخيار تسعة: ثلاثة منها يشترك فيها الرجال والنساء، وهي الجنون والجذام، والبرص، والجذام علة: تتآكل منها الأعضاء وتتساقط .

والبرص: بياض: يظهر في الجسد لعة، وهما يثيران نفرة في النفس تمنع قربانه، ويخش تعديه إلى النسل فيمنع الاستمتاع. وإثنان يختصان بالرجال، وهما الجب، والعنة. وأربعة تختص بالنساء، وهي: القرن، والرتق، والفتق، والعقل.

فالجِب: قطع الذكر، والعنة: العجز على الجماع لعدم الانتشار.
والقرن: عظم يكون في الفرج فيمنع من الوطء. والرتق: انسداد الفرج.
والفتق: انخراق ما بين محل الوطء، ومخرج البول، وقيل ما بين القبل والدبر.
والعقل: لحم يكون في الفرج، وقيل رطوبة تمنع من لذة الجماع. (27)
وإنما اختص الفسخ بهذه العيوب، لأنها تنافي مقصود النكاح، إذ الغرض منه قضاء
الوطر، وحدوث الأنس والألفة بين الزوجين .
أقوال الفقهاء في الخيار والرد بالعيب:

- 1- أبو حنيفة : لا يثبت للرجل الفسخ في شيء من ذلك بحال، ويثبت الخيار للمرأة
في الجب والعنة فقط .
- 2- ومالك والشافعي يثبتانه في ذلك كله إلا في الفتق.
- 3- وأحمد: يثبت في الكل، فإن حدث ذلك في الزوج بعد العقد، وقيل الدخول تخيرت
المرأة عند مالك و الشافعي وأحمد، وكذا بعد الدخول إلا العنة عند الشافعي، وإن
حدث العيب بالزوجة فله الفسخ على الراجح من مذهب الشافعي ، وهو مذهب
أحمد، وقال مالك والشافعي في أحد قوليه: لا خيار له. (28)

قائدة:

وإذا عتقت المرأة، وزوجها رقيق ثبت لها الخيار عند أبي حنيفة مادامت في
المجلس الذي علمت فيه، ومتى علمت ومكنته من الوطء فهو رضا.
وللشافعي أقوال: أصحها أن لها الخيار على الفور. والثاني: إلى ثلاثة أيام. والثالث:
مالم تمكنه من الوطء.
ولو عتقت زوجها حر فلا خيار لها عند الثلاثة ، وقال أبو حنيفة: يثبت لها الخيار
مع حره. (29)

رابعاً: حرمان الزوجة من النفقة:

يرى جمهور الفقهاء: أن النكاح لا يفسخ بسبب الإمتناع عن النفقة، لأنه يمكن أخذ النفقة
من الزوج بدون علمه، أو يحبس و تؤخذ منه جبراً.
ويرى المالكية: أنه إن كان له مال ظاهر أخذ منه قسراً، وإلا يقال له: إما أن تنفق
وإما أن تطلق، فإن لم ينفق ولم يطلق عليه الحاكم، وتكون الفرقة فرقة طلاق بائن

لا فرقة فسخ، بخلاف المعسر فإن الطلاق عنه يكون رجعيًا عندهم، فإن أسير في العدة فله الرجعة والا بانت منه. (30)

خامساً: الفرقة بسبب الإعسار بالصدّاق:

إذا أسر الزوج بالصدّاق الحال فزوجته مخيرة بين أن تصبر عليه حتى يتيسر وبين أن تطالب بفراقه.

وتكون الفرقة فسخ عند جمهور الفقهاء، فلا تنقص من عدد الطلاق، ولا تجوز إلا بحكم الحاكم، لأنه مختلف فيه، فافتقر إلى الحاكم كالفسخ بالعيب، وبالإعسار بالنفقة. ويرى المالكية: أنه يفرق بينهما من قبل القاضي وتكون فرقة طلاق لا فرقة فسخ، وتنقص من عدد الطلاق الذي يملكه الرجل، ويكون طلاقاً باتناً بخلاف الفرقة بسبب الإعسار بالنفقة فإنها تكون طلاقاً رجعيًا عندهم.

وقال بعض فقهاء الحنابلة: ليس لها فسخ سواء أكان قبل الدخول أو بعده، وقال بعضهم: لها الفسخ إن أسر قبل الدخول فقط. (31)

سادساً: الفرقة بسبب عدم الكفاءة بين الزوجين:

الكفاءة في اللغة: هي المساواة، وفي اصطلاح الفقهاء: مساواة الرجل للمرأة في أمور مخصوصة، وعلى ضوء هذا التعريف فإنها معتبرة في الرجل دون المرأة، فقد نقل عن بعض الصحابة وغيرهم أنه كان يعتق جاريتَه ويتزوجها، ولأن الولد يشرف بأبيه لا بأمه. وهي حق للمرأة وأوليائها جميعاً.

وقال بعض الفقهاء: إن الكفاءة معتبرة في المرأة أيضاً، أي: أنها مساواة بين الزوجين. وهو قول محمد و أبي يوسف من الحنفية.

فلو تزوجت المرأة بغير كفء فأوليائها حق الاعتراض عليها فإن لم يرضوا فلهم الفسخ، ويكون النكاح باطلاً، وهذا قول في مذهب الشافعية والحنابلة، ولأن الكفاءة حق لجميعهم، وفي قول آخر لهم وهو مذهب المالكية: أن النكاح لم يبطل وإنما يثبت الخيار لمن لم يرض، وهذا القول موافق للدليل، وقال الحنفية: إذا رضيت المرأة أو بعض أوليائها سقط حق الباقيين في الفسخ ولزم العقد.

والكفاءة في الدين شرط لصحة الزواج، وقد نقل الاتفاق على ذلك. واختلفوا في الكفاءة في غير الدين من حيث حكمها، ومن حيث الأمور المعتبرة فيها. فمذهب الجمهور من الفقهاء: أنها ليست شرطاً لصحة الزواج وإنما هي شرط للزومه، فإذا رضيت الزوجة وأولياؤها بغير الكفاءة صح النكاح وكان لازماً، ومن لم يرض منهم فله الفسخ. (32)

سابعاً: الفرقة بسبب النشوز:

ونشوز المرأة حرام بالإجماع، مسقط للنفقة، ويجب على كل واحد من الزوجين معايشة صاحبه بالمعروف، وبذل ما يجب عليه من غير مظل ولا اظهار كراهية، فيجب على الزوجة طاعة زوجها وملازمة المسكن، وله منعها من الخروج بالإجماع، ويجب على الزوج المهر والنفقة. (33) قال الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) (34) وقال سبحانه: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (35).

ثامناً: الفرقة بسبب الملاعنة:

- اللعان لغة: مصدر لاعن من اللعن، وهو الطرد والإبعاد. (36)

- وشرعاً: كلمات معلومة جعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطم فراشه، والحق العار به. (37) وأجمعوا على أن من قذف زوجته، أو رماها بالزنا، أو نفي حملها، وأكذبتة، ولا بينة له أنه يجب عليه الحد، وله أن يلاعن، وهو أن يكرر اليمين بلفظ أشهد بالله أربع مرات إنه لمن الصادقين، ثم يقول في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فإذا لاعن لزمها حينئذ الحد، ولها درؤه باللعان، وهو أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين، ثم تقول في الخامسة: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، فان نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد عند مالك والشافعي وأحمد. إلا أن الشافعي يقول: إذا نكل فسق، ومالك يقول: لا يفسق حتى يحد، وقال أبو حنيفة: لا حد عليه، بل يحبس حتى يلاعن، أو يفسر، وان نكلت الزوجة حبست حتى تلاعن، أو تفر عند أبي حنيفة، وفي أظهر الروايتين عن أحمد، وقال مالك والشافعي: يجب عليها الحد.

وفرقة التلاعن واقعة بين الزوجين بالاتفاق واختلفوا بماذا تقع؟ فقال مالك: تقع بلعانها خاصة من غير تفرقة الحاكم، وهي رواية عن أحمد، وقال أبو حنيفة وأحمد في

أظهر روايته: لا تقع إلا بلعانهما، وحكم الحاكم، فيقول: فرقت بينهما، وقال الشافعي: تقع بلعان الزوج خاصة، كما ينتفي النسب بلعانه، وإنما بلعانهما يسقط الحد عنهما.⁽³⁸⁾

تاسعاً: امتناع أحد الزوجين عن الإسلام :

إذا أسلم الزوجان معاً فهما على النكاح، سواء كان إسلامهما قبل الدخول أم بعده، وسواء كانا كتابيين أم غير كتابيين، ما لم يكن بينهما نسب أو إرضاع، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء.

وإن أسلم أحد الزوجين وامتنع الآخر عن الإسلام. فإن كانت الزوجة كتابية فالنكاح باق على حاله ، سواء كان قبل الدخول أم بعده ، لأن الكتابية محل لنكاح المسلم ، ونقل الاتفاق على ذلك . وإن أسلم الزوج أو الزوجة وهي غير كتابية، مجوسية أو وثنية مثلاً، وهو كتابي أو غير كتابي، فإن كان إسلام أحدهما حصل قبل الدخول وقعت الفرقة بمجرد الدخول في الإسلام، وتكون فسخاً لا طلاقاً، إن أسلم بعد الدخول كان النكاح موقوفاً على انقضاء العدة، فإن أسلم الآخر قبل انقضاء العدة فهما على النكاح وإن أسلم بعد انقضائها وقعت الفرقة منذ اختلاف الدينين، فلا تحتاج إلى استئناف في العدة ، وهذا مذهب الشافعية والحنابلة. ويرى المالكية: أن هناك تفصيلاً بين إسلام الزوجة وإسلام الزوج.

فقالوا: إن أسلمت الزوجة بعد الدخول فإن أسلم في عدتها فهي باقية على عصمته، مجوسياً كان أم كتابياً، فيعتبر إسلامه كالارتجاع فيعتبر كالطلاق الرجعي من حيث جواز إرجاع المدخول بها مادامت في العدة، أما إذا كانت غير مدخول بها فإن أسلم في عدتها فهي عدتها فهي باقية على عصمته، مجوسياً كان أم كتابياً، فيعتبر إسلامه كالارتجاع فيعتبر كالطلاق الرجعي من حيث جواز إرجاع المدخول بها مادامت في العدة، أما إذا كانت غير مدخول بها فإن أسلم زوجها في الحال وهو مكانه بقي على النكاح، وإن لم يسلم فلا رجعة له عليها ولا عدة عليها.⁽³⁹⁾

عاشراً: الفرقة بسبب الردة:

إذا ارتد أحد الزوجين انفسخ النكاح بنفس الردة في الحال سواء كان قبل الدخول أم بعده، وهذا مذهب الحنفية. ويرى الشافعية والحنابلة: أن الفرقة تتعجل إن ارتد الزوج أو الزوجة قبل الدخول، أما إذا ارتد أحدهما بعد الدخول فإن رجوع إلى الإسلام قبل انقضاء العدة فهو أحق بها. وفي رواية عن الإمام أحمد أن الفرقة تتعجل مطلقاً. وكذلك الحكم فيما إذا ارتد ا معاً فهو كما لو ارتد أحدهم في مذهب جمهور الفقهاء، وهو القياس في مذهب الحنفية وهو قول زفر من فقهاءهم. واحتجوا لذلك: بأن العرب لما ارتدت في زمن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ثم أسلموا لم يفرق بينهم وبين نسائهم، وكان ذلك بمحض من الصحابة. وتكون الفرقة فرقة فسخ في مذهب الجمهور.⁽⁴⁰⁾

حادي عشر: الفرقة بسبب الخلع:

والخلع طلاق بائن عند أبي حنيفة ومالك ، وفي إحدى الروايتين عند أحمد ، والصحيح الجديد من أقوال الشافعي الثلاثة ، وقال أحمد في أظهر الروايتين : وهو فسخ لا ينقص عدداً ، وليس بطلاق ، وهو القديم من قولي الشافعي، واختاره جماعة من متأخري أصحابه بشرط أن يكون ذلك مع الزوجة ، وبلفظ الخلع ، ولا ينوي به الطلاق ، وللشافعي قول ثالث : انه ليس بشيء .⁽⁴¹⁾

ثاني عشر: الفرقة بسبب الايلاء:

1- لغة: هو الحلف.⁽⁴²⁾

2- وشرعاً: الحلف على ترك وطء الزوجة. وهو حرام للإيذاء،⁽⁴³⁾

وقد ذكره القرآن الكريم بقوله. عز وجل (للذين يؤولون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم).⁽⁴⁴⁾

يرى جمهور الفقهاء: أن الفرقة بسبب الايلاء تكون طلاقاً رجعيّاً، سواء أوقعه بنفسه أو طلق عليه الحاكم إذا امتنع عن الطلاق بنفسه. وهذا هو الراجح.⁽⁴⁵⁾

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج المتوصل إليها:

من خلال البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

بعد جولة سريعة في رحاب الفقه الإسلامي الأصيل توصلت إلى النتائج الآتية :-

- 1- النكاح على التأييد لا التأييت.
 - 2- النكاح سكن للزوجين، لكي يسعد كل منهما صاحبه ويعفه.
 - 3- إذا استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم فالمخرج هو الفراق
 - 4- رفعت الشريعة الإسلامية الحرج والمشقة عن الزوجة.
 - 5- والفراق يكون سبب الإعسار، والغيبه، والعيوب المنفرة، وحرمان الزوجة من النفقة، والإعسار بالصداق، وعدم الكفاءة بين الزوجين، النشوز وعصيان الزوج، ويكون بالملاعنة، وامتناع أحد الزوجين الدخول في الإسلام، وخاصة إن كان الممتنع الزوجة غير الكتابية، وللردة، والخلع، والايلاء.
- هذا وبالله التوفيق - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

1. ينظر مسائل من الفقه المقارن 128/2.
2. المصدر نفسه 128/2.
3. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لأبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي (ت780هـ) تحقيق علي الشربجي- وقاسم النوري مؤسسة-مؤسسة الرسالة ص455.
4. مسائل من الفقه المقارن 128/2.
5. سورة البقرة (231).
6. مسند أحمد 425/2 رقم 10406 مؤسسة قرطبة مصر-بدون تاريخ.
7. الطلاق/7.
8. مسائل من الفقه المقارن 132/2/2.
9. رواه الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم. المستدرک 2/9.

10. ينظر مسائل من الفقه 133/2.
11. المصدر نفسه 135/2.
12. المصدر نفسه يتصرف 137/2.
13. المصدر نفسه 136/2.
14. المصدر نفسه 136/2.
15. المصدر نفسه 137/2.
16. المصدر نفسه 137/2.
17. المصدر نفسه 138/2.
18. المصدر نفسه 139/2.
19. المصدر نفسه 139/2.
20. المصدر نفسه 139/2.
21. المصدر نفسه 140/2.
22. المصدر نفسه 141/2.
23. المصدر نفسه 141/2.
24. المصدر نفسه 142/2.
25. ينظر: رحمة الأمة في اختلاف مصدر سابق ص 400.
26. ينظر: أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية د/علي أحمد القليصي ط6 سنة 2002- دار النشر للجامعات.
27. ينظر: رحمة الأمة في اختلاف مصدر سابق ص 401.
28. المصدر السابق نفسه ص 401.
29. المصدر نفسه ص 401.
30. ينظر: أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية د/علي أحمد القليصي مصدر سابق 124-125.
31. ينظر المصدر نفسه ص 123.
32. ينظر المصدر نفسه ص 127.
33. ينظر: رحمة الأمة في اختلاف الأئمة مصدر سابق ص 408.
34. سورة النساء/19.
35. سورة البقرة/228.
36. ينظر المصباح المنير بتصرف، أحمد بن علي المقرئ الفيومي، دار القلم لبنان بيروت 760/2.
37. ينظر: رحمة الأمة في اختلاف الأئمة مصدر سابق ص 428.
38. المصدر السابق نفسه ص 429.
39. ينظر: أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية مصدر سابق ص 136/137.

40. المصدر نفسه ص 138.
41. ينظر: رحمة الأمة في اختلاف الأئمة مصدر سابق ص 409-410
42. المصباح المنير للقيومي 28/1.
43. ينظر رحمة الأمة في اختلاف الأئمة -بتصرف ص 423.
44. سورة البقرة (226).
45. ينظر: أحكام الأسرة للقلبي مصدر سابق ص 134.



Obscurity in Eliot's 'Portrait of a Lady'



Dr. Ismaeel Saleem Alshami *

The poem is spoken by a young man who describes three visits to an older lady who treats him as a friend. "I have saved this afternoon for you"(I.3) though in the end she declares that the friendship has failed. He reports some of what she says to him and some of his reactions, and speaks a short, meditative epilogue. We know nothing of what happens between these meetings. We know the lady only through her speeches: we have no other way of telling her feelings, expectations, or intentions. We do not know what her visitor says, nor are we told explicitly what he thinks of the lady, or of himself. Eliot has begun the process of writing fairly long poems without a narrative or discursive framework that he was to take further in 'The Love Song of J. Alfred Prufrock' and still further in The Waste Land .

* Head of English Department, Faculty of Arts , Thamar Uiniversity .

Thomas R. Rees has compared the poem to ‘a condensed novella in verse’.¹ Christopher Ricks warns that ‘many critics of Eliot are novelists manqués’,² yet it is true that ‘Portrait’ is unlike ‘Prufrock’ in that it does invite us to make a coherent story out of what we are given. It is like many tales by Henry James in that the psychological drama unfolds in the consciousness of one person. Leonard Unger finds it is ‘primarily a portrait of the man who speaks the poem’.³ As such it is incomplete. His behaviour to the lady cannot be judged exactly, because we never hear what he says to her. Eric Sigg supposes that he keeps an ‘eerie silence in the lady’s presence’, but that would make it hard to guess why she values his friendship. Line 14 reports a conversation, not a monologue, and ‘you knew? you are not blind!’ (l. 22) implies that he has at least made a sympathetic noise. Probably we should imagine that he makes some polite remarks and talks amiably on general topics. Opinions about him differ widely. At one extreme Rees compares him to a Jamesian hero in his ‘moral solicitude, his grave self-doubts and dissatisfactions’; at the other, Grover Smith finds only the complacency and ‘moral callousness’ of a man ‘too thick-skinned to be hurt’.⁴

About the lady, however, critics agree: she is indeed deplorable, and too ridiculous to be taken seriously, though she may deserve charity or compassion. Edmund Wilson refers to ‘her dampening efforts at flattery and flirtation through the medium of cultured conversation – her slightly stale and faded gush about Chopin and her memories of Paris in the spring’.⁵ Hugh Kenner

asks, 'Is not her behaviour outrageous?'.⁶ Rees is disgusted by 'the sickly sentimentalism of the lady's syrupy dialogue' (p. 88). Sigg mentions her 'complacent, guilt-inflicting intimacies and cloying preciousness' (p. 101). Much of this criticism seems cued by Aiken and by some comments from Eliot's narrator. A cultural bias against the lady's milieu also has its effect: Grover Smith writes that 'The pair have become allied through a snobbish interest in music' (p. 11), and Rees thinks Eliot 'is making a veiled satiric thrust at the preciousness and egoistic dilettantism of the Chopin cult' (pp. 84-5).

Even worse than this elitism, the lady has been convicted of sexual designs on her visitor. Smith says that she 'speaks to him as to a possible lover', and describes their relationship as her 'last chance' (pp. 11, 10). Kenner refers to her 'grotesque unspoken proposal' and 'the impossible [answer] she is fishing for' (pp. 22-3). Lyndall Gordon is scornful of her 'absurd romantic ploys', but still sees her as a temptress who 'points up [Eliot's] pallid appetite for what others might readily desire'. Laurie J. MacDiarmid detects the 'sexual innuendo' of the 'dissolute Lady': she 'works out her aggression toward the young narrator on a lilac that she "twists ... in her fingers" ... The narrator is "strangled" by the woman's expression of thwarted desire'.⁷ Miller (pp. 148-9) thinks she is 'not really in any serious sense a "lady"', and suspects a sexual subtext to her overtures, chiefly on the grounds that Eliot and Pound mention 'Portrait' in the same letters as the obscene 'King Bolo' poems.

Any interpretation must rest on impressions or inferences that are open to challenge, and the one that follows is no exception. Its particular aim is to rescue Eliot's lady from this universal condemnation. Unanimity among critics may rest on slight grounds or none, as Ricks (pp. 12-24) shows in his discussion of the women 'talking of Michelangelo' in 'Prufrock'. Most commentators see that the poem implies some criticism of the young man, yet they have taken the lady at his valuation, even though the way he reports her and responds to her is the chief means by which he himself is characterised. A good example is the discussion by Hugh Kenner, which is lively and observant but written from the point of view of the narrator at his most satirical (pp. 22-6).

To take an independent view of the lady is difficult, but not impossible so long as we remember that the young man's voice is not the authorial voice of Eliot. I am not so much concerned to do justice to the memory of Miss Moffatt as to rebalance our reading of the poem, which captures, it seems to me, a relationship in which neither person can accept the gifts or satisfy the preferences of the other.

As a preliminary, let us dispose of the notion that the lady is issuing a sexual invitation. Neither sex nor love is mentioned in the text. She describes herself as 'one about to reach her journey's end' (l. 67), which for a middle-class woman of her time and place would mean she is well into her sixties. Perhaps, for the

sake of pathos, she is exaggerating her age; if so, she is not planning a seduction. Women in their sixties may of course be sexually active, and some great courtesans of that age have kept their allure. But we are discussing a respected elderly lady in Boston about 1909-10. That such a person should try to seduce an undergraduate, a man forty years younger than herself, is most unlikely: it would have violated her own ideas of refinement as well as contemporary morals. If, driven by uncontrollable desire, she had offered such invitations, they could hardly have been kept secret and would have given Aiken something more interesting to write about than her exquisite serving of tea.

Accusations we can take more seriously are that she is 'precious', over-emotional, and makes excessive emotional demands. There is something in each of these charges, but not enough to justify the derision that has been heaped upon her. Her manner has been well discussed by Kenner, including the stately melancholy, the dying fall of her phrases, and her trick of repetition (which a listener of goodwill would quickly learn to ignore). In looking afresh at the poem I shall pay more attention to her meaning than her manner. Her visitor's reactions will, I think, show that his character makes him respond particularly badly to her offers of friendship, which in themselves are neither ridiculous nor repulsive.

It is the young man whose characterisation begins first, as he tells his thoughts when she invites him in after they have been

to a piano recital. In her own mind the lady has enrolled him among her friends, with some reason. Critics sometimes write as though she had kidnapped him to further her designs, but he associates with her of his own free will, they must have met before, and there will be at least two other meetings. It must therefore be that he has some regard for the lady, as she has for him. Yet for a friend and guest his attitude is surprisingly critical. He feels distaste for the mannerisms of the pianist they have been hearing (ll. 8-9); he suspects the conversation which follows to have been planned in advance (ll. 2, 7); he is oppressed by the intimate candlelight setting, which to him suggests Juliet's tomb (l. 6). When the lady speaks his satirical imagination supplies a musical accompaniment, in which the violins play a pathetic air and the vulgar sound of the cornets is muted as though by distance (ll. 16-17, 29-31). He attentively records the small affectations, the repetitions, and what he feels is the excessive emotion in her speech. He is alert for a 'false note' (l. 35). His speech thus far defines him as a reserved, ironical, fastidious, slightly malicious person, as 'precious', perhaps, in his own way as the lady. As a narrator he is no more neutral than the Duke in Browning's 'My Last Duchess'.

What may have fascinated Eliot about the lady's speech was 'not knowing what to feel' about it: a tension between the absurd and (in both meanings) the sensible, something to be accepted and something rejected. From a *précieuse*

one expects exaggerated refinement and a show of cultivation, and these are what we get in the lady's first speech (ll. 10-13), with its cherishing of sensibility and its French turns of phrase:

‘So intimate, this Chopin, that I think his soul
Should be resurrected only among friends
Some two or three, who will not touch the bloom
That is rubbed and questioned in the concert room.’

But the matter is less absurd than the manner. There is no reason to doubt her genuine love of Chopin, which Eliot may not have shared but would not have thought ‘snobbish’. ‘Intimate’ is exactly the right word for his Preludes, which were intended for salon performance. That the soul of an artist might be evoked by his works is not a sentimental fancy of the lady's but was a nineteenth century commonplace, only partly metaphorical. It is used by Browning in ‘Old Pictures in Florence’, vi, and light-heartedly by Max Beerbohm in *Zuleika Dobson* (1911), chapter 9, where Chopin's spirit attends a performance of his own *Marche funèbre*.

More important is the idea of ‘friends’ in the closer sense, a community of persons with similar tastes who can share the enjoyment of such music and other experiences. The lady goes on to make an emotional statement which has little to do with preciousness. Its climax is her assertion of the supreme value of friendship. She confesses how much of ordinary life is disgusting to her (ll. 21-2, 28); other sensitive people (including Eliot) have

felt the same. This is an intimate revelation that invites a return in kind. She gives her visitor an honoured place among those who make life tolerable, and tells him how much it means to her that she can confide in him in this way (ll. 19-28). She flatters him with 'How keen you are!' (l. 23), but not falsely, as he is in fact intelligent and sensitive and she recognises his quality (cf. ll. 61-3).

There is nothing either precious or ridiculous about putting such a high value upon friendship: E. M. Forster would have agreed. If there is anything false about the lady's speech, it is in assuming an intimacy which does not exist. But she hopes it will: in speaking so freely she is inviting the young man to do the same, taking a chance on his being sympathetic and responsive. Now or later he may respond by returning her confidences, but for the moment what she needs is that he should show appreciation, and tell her convincingly how valuable her friendship is to him.

Unluckily she has misread his character. A warm-hearted and genuinely close friend could have said what was wanted; so could a practised hypocrite. The young man she addresses is neither. He does not feel such closeness, we must assume that he has never encouraged the lady to believe in it, and he resists the opportunity of moving towards it now. This resistance is partly a matter of his integrity, though a hostile critic might call it priggishness. It would be dishonest for him to make a show of feeling more than he does, and to abandon his own dry, witty and oblique style to reply in her more emotional language would have

violated his own sensibility, cherished by him as the lady's is by her. There may also be, though at this stage we cannot be sure, a resistance to emotional involvement of any kind. We cannot know what reply he made, but we guess that it was inadequate.

Yet he feels uncomfortable, perhaps ungenerous, and oppressively shut in. As the tom-tom (l. 32) sounds a warning he longs for a situation free of emotional complications. He reacts by imagining a spell in the open air with nothing claiming attention but the monuments one is expected to admire, the events one is expected to discuss, the simple satisfactions of clocks and bocks (ll. 36-40). This alternative is so banal, devoid not only of emotion but of any intelligent life, that merely to describe it is to satirise it. A. D. Moody assumes that the young man is complacently asserting this as his world, the 'real world' by contrast with the lady's 'over-refined one'.⁸ But the sophisticated narrator to whom we have been introduced could never be at home in such a world. His momentary escape into it mocks itself and the escaper, and the neat end-rhyme of clocks and bocks sounds a note of ironical satisfaction as his fantasy proves at least as absurd as any indulged by the lady.

The next section begins with a meeting in April, presumably of the following year; we do not know whether there have been other meetings since the Chopin recital. The lady's dissatisfaction with life has deepened into something like anguish; one would guess that despite the friends she so often mentions she suffers from loneliness. She sits 'Slowly twisting the lilac stalks'

without realising what she is doing, performing in a concrete way the ignorant wasting of life she has reproached the young man with, 'you who hold it in your hands' (ll. 41-6). The young man's perception of this makes him seem the more aware of the two, despite being told that cruel youth smiles at situations it cannot see (ll. 48-9). Here, 'I take it, the lady refers to the opportunity for friendship that she is beginning to feel may be wasted, because youth is so much less conscious than age of the shortness of life. Her reproach is not likely to improve matters, but I am not sure why Kenner finds that 'she so manoeuvres the conversation as to make reticent expression of compassion impossible' (p. 24). Had he cared to, the young man could easily have made a reply that would have expressed sympathy while lowering the emotional temperature.

Instead, we have 'I smile, of course, / And go on drinking tea'(ll. 50-1). At first this seems a joke we can enjoy at the expense of the lady, whose emotion is undercut by the social ritual and the tea. We also sympathise with the visitor, in a position where he must go on doing what he is reproached for doing. On a second reading, though, we may question 'of course'. Is it really so much of course to smile in the face of distress, of whatever kind? Would it not be more of course to sympathise, or at least to assume a serious and sympathetic expression? But the young man refuses to do the expected, because he can feel the lady expecting it. An obtuse person might smile from complacency, but the young man we have met is not like that. If he smiles it is because he does not

wish to give the slightest appearance of an emotional response. He feels his integrity and sense of style to be at stake, as before, but in the face of the lady's pain such determination to keep things cool also suggests a degree of fear. What looks like self-possession now seems to be a mask hiding a dread of involvement.

Faced with this unresponsiveness the lady tries to take a more cheerful view, and mentions experiences that make her feel 'immeasurably at peace'. The April sunsets and Paris in the spring sound like romantic clichés now, though they may have been real enough to her. What is unexpected is the appearance among them of 'My buried life' (l. 53). The lady is of a generation that revered Matthew Arnold, and we can be sure that in her drawing-room

Upon the glazen shelves kept watch
Matthew and Waldo, guardians of the faith,
The army of unalterable law.⁹

'The Buried Life' is one of Arnold's best poems, intuitively anticipating to some extent Freud's theory of the unconscious. Its main themes are the difficulty of locating one's deepest emotional self, and finding someone with whom that self can communicate. Whether or not the lady is aware of it, the allusion is highly relevant to the predicaments of these two human beings, which, it reminds us, are perennial and grievous. Its effect has been misread because the power and truth of Arnold's poem have been undervalued. For A. D. Moody it expresses only 'nostalgias and

vague longings', the 'dying romanticism' for which in his view the lady stands (p. 22); Martin Scofield likewise refers to 'its Victorian melancholy, its soul-weariness'.¹⁰ Eliot himself is unlikely to have underrated the poem in this way.

The lady's single line of remembering hardly amounts to prolonged reminiscences, and there is nothing in her words to suggest a pose. Although the lady offers no sexual threat, the disapproving 'concupiscences' suggests (whether Eliot realised it or not) a sexual element in the young man's fear of involvement. Eliot was wise to delete these rather clumsy lines and continue to characterise the young man obliquely.

He feels irritation, almost contempt, when 'The voice returns like the insistent out-of-tune / Of a broken violin on an August afternoon' (ll. 56-7). Yet the words the lady goes on to speak are touching:

'I am always sure that you understand
My feelings, always sure that you feel,
Sure that across the gulf you reach your hand.'
(ll. 58-60)

It is unlikely that the young man has given her any grounds for feeling so sure of his sympathy and understanding. But she is not really sure of them: the over-emphatic assertion of belief betrays its opposite. What the words express is her need, and a hope undermined by fear. The lady has always been above any

facile assumption that friendship is easy, as is shown again by her awareness of 'the gulf' – whether between herself and her visitor, between youth and age, or between any two persons. The metaphor recalls another poem of Arnold's that she would have known. 'To Marguerite – Continued' compares human beings to islands: once joined, perhaps, and longing to be joined again, but now separated by 'The unplumb'd, salt, estranging sea'. Like the allusion to 'The Buried Life', the metaphor reminds us that the issues are not trivial.

The hoped-for assurance is not given, and for the first time the lady shows her sense of a hardness in the young man, though she expresses this through a compliment: 'You are invulnerable, you have no Achilles' heel' (l. 61). Given that her visitor, like Eliot, is talented, determined and ambitious, the lines that follow ('You will go on ...') are generous and perceptive. By comparison to the life that she foresees for him, she feels that her present existence holds little to enrich their relationship, and that her tea-time entertainments are trivial. Perhaps she often feels this: in the notebook draft, what is now line 22 begins 'Indeed I am not social' (Inventions of the March Hare, p. 327). There is sadness and self-pity here and in lines 66-8, but I cannot agree with Kenner that she is 'placing him in the intolerable position of one who expects always to take value received' (pp. 22-3). Rather, she shows a realism she has not been given credit for.

Her visitor's comment, 'how can I make a cowardly amends / For what she has said to me?' (l. 69), suggests that he is both gratified and confused by her praise. 'Cowardly' and 'amends' are both surprising words, the second emphasised by being a rhyme-word. In all senses given by OED, amends means reparation for an offence or a fault, and logically it would be impossible for the young man to make amends for anything said by the lady; a more logical word would be return. The natural return would be to thank the lady warmly for her encouragement, and give her some assurance of the friendship she now feels may be lost. If such a return is felt to be cowardly, it must be because the young man still feels that any emotional response would compromise his integrity, and that to keep his flag flying he must withhold the kind of reply that gratitude, kindness and good manners demand. Yet he senses that in this resistance there is something which requires amends – something priggish, squeamish, even cowardly. The two words are significant for his state of mind, but he does not bring them clearly to bear, perhaps because to do this would require painful self-inspection.

It seems that he refuses yet again to make a generous response. Instead, taking his hat, he escapes into another fantasy of himself as a man solitary and self-possessed, on whom other human beings impinge only as they can be held at arm's length in the crime and gossip columns of his newspaper (ll. 71-6). Those lines might have been written to illustrate a passage in 'The Buried Life':

And then we will no more be rack'd
 With inward striving, and demand
 Of all the thousand nothings of the hour
 Their stupefying power;
 Ah yes, and they benumb us at our call!
 (ll. 67-71)

And as, in Arnold's poem, this benumbed state is disturbed by 'airs, and floating echoes' from the depths of the soul, so in Eliot's poem the fantasy of a similar state is disturbed, as though by a song played on a street piano, or by the smell of hyacinths. Such sounds and scents can stir emotions normally suppressed. The lady's last appeal seems to have had such an effect on the young man, and it cannot be totally dispelled, though he tries to devalue the experience (comparing it to 'some worn-out common song') or disown it ('things that other people have desired').

In Arnold's poem these effects cause melancholy, in 'Portrait' something more disturbing. 'Are these ideas right or wrong?' (l. 83) is the first indication of serious self-questioning by the young man. It is both sweeping, as though he feels that a complete reorientation may be needed, and extremely vague, showing how far he is from being ready to undertake such a project. In any case, his self-questioning comes too late.

His third meeting with the lady, in October, is the last recorded in the poem, and he approaches it with sensations of

weariness and discomfort, feeling as if he had crawled up the stairs to her drawing-room (ll. 86-7). The discomfort is at least partly due to his sense of guilt, of amends being needed, left by a previous meeting or meetings. But his journey abroad is planned, and he looks forward to writing her amusing letters, something much easier to manage than these demanding interviews (ll. 93-5). The lady too expects a correspondence, but makes a surprising remark which forms the dramatic climax of the poem:

‘I have been wondering frequently of late
(But our beginnings never know our ends!)
Why we have not developed into friends.’

This disconcerts the young man comically and completely. Of course he feels a sense of injustice, that the lady who elevated him to the status of a friend should now cast him down again; and when she mentions the opinions of other friends (ll. 102-4), he may wonder how firm their status is. But the chief reason the lady's remark is so devastating is that it is true. They have not developed into friends as the lady prefers to understand the word, implying warmth and intimacy, and for this the young man is to blame, though she is too polite to tell him so explicitly. She has faced the fact that they will probably remain no more than acquaintances. She now takes the dominant role, no longer pleading for his friendship but putting him in the position of one who has been tried and found wanting. She is neither vindictive, nor, pace Kenner (p. 23), full of histrionic self-pity: the gentle

grieving of lines 102-8 is restrained, and says nothing of pain or disappointment but simply mourns an opportunity missed.

Another person might have managed to accept the lady's statement with humour and grace, and welcomed the new, less demanding terms of the relationship. This visitor is unmanned by the implied reproach, which he senses may be deserved; and he is taken aback by being seen, not as the idealised friend she had wished to make of him, but as someone who has proved cold and unfriendly, an aspect of himself of which he is not often aware:

I feel like one who smiles, and turning shall remark
Suddenly, his expression in a glass. (ll. 99-100)

One usually dislikes the image thus seen. His poise shattered, the young man has quickly to find new poses with which to shield himself from this awareness and bring the terrible conversation to an end (ll. 110-13). Like a dancing bear, he performs clumsy tricks because he is suffering pain. He tries to produce some airy chatter and steer the conversation towards a decent close, but can hear his own voice (a parallel to the glimpse in the glass) making meaningless and ridiculous sounds, as of a parrot or an ape. He has put on these shapes because his ordinary social self (perhaps a fragile construct) has been disabled, and once more he longs for the impossible anaesthesia of the tobacco trance.

In the short epilogue the narrator speaks in a more relaxed style as he looks back on his relationship with the lady. He begins, unexpectedly, by imagining her death. 'Well! and what if she should die some afternoon' (l. 114) may echo a similar turn in a poem by Laforgue:

Eliot's lines are gentler than Laforgue's; the young man's epilogue, with its lingering description of smoky sunsets, is almost nostalgic and almost tender. They differ too in that instead of pursuing the satirical treatment of a woman they look inwards, questioning the speaker's own role. Many people haunted by memories of a shameful or deeply embarrassing experience have felt that they would not be free from the episode until the other party or parties had died. The young man has been thinking on these lines, as would have been obvious if 'should' in line 114 had been printed in italic. Yet it would be as illogical for him as for Marlowe's Barabas, in the poem's epigraph, to expect to be absolved from sin by the woman's death. He reflects that her dying would make no difference: he would still be reproached by her memory, still not know what to feel about it. At their last meeting the lady gained not only a tactical but a moral 'advantage' (l. 121), which her death would confirm by making the situation irremediable. The young man will never be secure in the 'right to smile', to think of her as a merely comic figure.

Kenner describes the narrator as 'a sensitive jeune premier at whom [the poet] cannot really look' (p. 26). In fact the poem

looks at him rather thoroughly through the way he speaks to us and the way he behaves. He speaks more lines than the lady does, if we include those spoken by his alter ego of the clocks and comics. Their relationship illuminates him at least as much as it does her, and the allusions to Arnold (the buried life, the gulfs between human beings) put his withholding of contact into perspective. It would be more accurate to say the narrator cannot really look at himself, though he comes closer to doing this as the story unfolds. There is a difference between the confident, superior, hypercritical young man of the first section and the same man at the close, troubled by guilt and the stirring of buried emotions, shaken by implied criticism, 'Not knowing what to feel or if I understand' (l. 119).

We cannot say just how far he has gone towards seeing himself as the poem has shown him to be: a person whose satirical habit of mind, pride in his own style, and (above all) fear of emotional involvement lead him to behave unkindly and ungenerously towards someone more vulnerable. He is all too aware of 'The awful daring of a moment's surrender / Which an age of prudence can never retract', but does not seem ready to say that 'By this, and this only, we have existed'. Eliot's critical presentation of this character may have been a small part of the process by which he became able, ten years later, to write those lines (ll. 403-5) of *The Waste Land*.

I do not believe 'Portrait' is a piece of autobiography in verse. It may be, though, that the young man corresponds with a certain side of Eliot's character more closely than the lady corresponds with the sketch given by Aiken of Miss Moffatt. Though the young Eliot could be charming, biographers have noted his reserve, a shyness closer to arrogance than to modesty, his intolerance, and a difficulty in making emotional contact except with a chosen few. It would not be surprising if these traits caused hurtful behaviour to those attracted by his charm. To some extent they are the obverse side of his integrity: Gordon remarks that 'It was his nature to have scruple within scruple' (p. 11). They also reflect what he described, a few years later, as his very suspicious and cowardly disposition – where 'cowardly' echoes line 69 of 'Portrait'. Properly read, the poem shows a remarkable success in presenting this side of himself objectively, and the lady is there partly to help display these negative traits.

Few readers of Browning's 'My Last Duchess' will accept the Duke's judgement upon his wife. It is not so easy to set aside the narrator's judgement in 'Portrait of a Lady', since Eliot's lady is not an ideal figure of youthful innocence and charm, and his young man is a witty observer and not a murderer, though he is led to imagine the lady's death. His judgement is far less explicit than the Duke's, and seems to end by being less satirical than it began. But whatever we take his final view to be, the lady we see in the poem is neither a monster nor a laughing-stock. Little of her part is covered by the précieuse formula. We are shown an elderly

single woman, emotional, often unhappy; a cultivated and travelled person, making the most of the status this confers; shoring up her life with social activities and an enjoyment of the arts, and with a strong belief in personal relationships. She is perceptive about her visitor, but not perceptive enough. She recognises his quality, is eager to make a close friend of him, and takes the risk that he will not take, inviting intimacy by speaking in an intimate way. Kept at a distance, she is clear-sighted enough to admit defeat, and in doing so turns the tables on the unresponsive young man. She is sometimes sorry for herself, and her way of speaking is over-intense for an ordinary social relationship, which is all that he is prepared to offer. Hugh Kenner admires the 'rare comic talent' with which the poem makes fun of her (p. 23). To me there seems to be more pathos than comedy in the story of such a woman, striving to win the kind of relationship she values until she sees it is impossible.

Work Cited

- 1- Rees, The Technique of T. S. Eliot (The Hague, 1974), ch. 4, 'A Dual Portrait of the Speaker and his Lady', p. 79. This is the fullest treatment of the poem I have seen.
- 2- Ricks, T. S. Eliot and Prejudice (1988), p. 15.
- 3- Unger, T. S. Eliot: Moments and Patterns (Minneapolis and London, 1960), p. 173.
- 4- Sigg, The American T. S. Eliot (Cambridge, 1989), p. 98, and cf. James E. Miller, Jr., T. S. Eliot: The Making of an American Poet (University Park, Pa., 2005), p. 150; Rees, The Technique of T. S.

- Eliot, p. 80; Smith, T. S. Eliot's Poetry and Plays (Chicago and London, 1956), pp. 14, 10.
- 5- Axel's Castle (New York and London, 1948), p. 103.
 - 6- Kenner, The Invisible Poet (1960; repr. 1965), p. 24.
 - 7- Gordon, T. S. Eliot: An Imperfect Life (rev. edn., 1998), pp.37-8 , identifying the lady's visitor straightforwardly with Eliot; MacDiarmid, T. S. Eliot's Civilized Savage (2003), pp. 31-3.
 - 8- Moody, Thomas Stearns Eliot: Poet (Cambridge, 1979; repr. 1980), p. 22.
 - 9- Eliot, 'Cousin Nancy', ll. 11-13.
 - 10- Scofield, T. S. Eliot: The Poems (Cambridge, 1988), p. 65.



Arts Journal
Quarterly Referred Journal on Humanities
 Issue No. (3)- March, 2007.

Contents

Topic	p.g	Name
Patron's Word	7	Prof. Ahmed Mohammed Al-Hadhrani Rector of Thamar University
Editorial	9	Dr. Mohammed Hezam Al-Amari
Trading relations between South Arabia, Helal Khaseeb and Egypt in the 1 st millennium BC	11	Dr. Mahyoob Ghaleb Ahmed
Estimate in speech and action	35	Dr. Nasser Saleh Habtour
Yemeni Condemned Phenomena "Dhamar as a sample"	69	Prof. Adel Muhei-Dein Al-Alousi
Al-Madrasa al shamsia in Dhamar and the role of Some of its scholars in education	81	Prof. Sadiq Yaseen al-Helew
Al-Qadhi Ismail Bin Ali Al-Aqwa' as a historian	97	Dr. Kareem Zagheer Al-Maleki
Historical Interpretation of Intellectual Arabic Islamic Heritage	117	Dr. Sa'ad Ibraheem Al-Alawi
Climatic Properties of Otma District	149	Dr. Abdul-Qader Assaj
Geographical Study of Techniques of utilizing the rains in Taiz	159	Dr. Esam Al-Salem & Hana Da'qan
Psychology Department: Reality and Ambition	199	Dr. Abdul-Rahman Rashed
Woman and Development in Yemeni Society	213	Dr. Abdul-Razaq Mahmoud Al-Heiti & Abdul-salam Ahmed al-Hakeemi
Comparative Literature and Modernism	243	Dr. Sabri Muslem Hammadi
Semantic Progress of terms referring to Love Grades	253	Dr. Abdul-Kareem Saleh Al-Bahla
Ghazal Al-Maqdashia as a Poetess and a Peacemaker	271	Abdul-Qawi Al-Ofeiri
Religious Experience of Ahmed bin Abdul-Wahab al-Wareeth	281	Dr. Abdul-Kareem Abdul-Hameed Al-Khalaf
Grammatical Embodiment	289	Dr. Abdullah Abdul-qader al-Taweel
Separation of Partners in Islamic Law	305	Dr. Mohammed Sarhan Al-Tamer
Ambiguity in Eliot's "Lady's Painting"	323	Dr. Ismail Saleem Al-Shami

- Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not necessary reflect those of the journals.
- The order of articles in the journal is subject to technical considerations.

Arts

*Biannual Refereed Journal of
Humanities
3rd Issue March, 2007*

Patron

Prof. Ahmed Mohammed Al-Hadhrani

Editor

Dr. Mohammed Hizam Al-Ammari

Assistant Editor

Dr. Muse'd Ahmed Al-Najjar

Managing Editor

Prof. Kareem Zagheer Al-Maleki

Members of Editor Committee

Prof. Sadiq Yaseen Al-Helew

Prof. Sabri Muslem Hammadi

Dr. Abdul Qader Assaj

Dr. Ismail Al-Shami

Dr. Madeeha Rashad

Proof-reading

Dr. Ahmad Abdullah Al-Nashami

Dr. Abdullah Al-Hetari

Editor Secretary

Masha'al Nasser Sharhan

Produced by

Jameel Mohammed Al-Omaisyy



Published by : Faculty of Arts

Consultant Committee

Prof. Ameen Abdullah Al-Hemyari

Prof. Ahmed Abdu Salih

Prof. Abdul Aziz Al-Magaleh

Prof. Ahmed Abdullah Al-Sawfi

Prof. Ahmed BaTai'a

Prof. Mahyoob Ghalib Ahmed

Prof. Maresh Ahmed Saeed

All Correspondences are addressed to :

*Thamar University – Faculty of
Arts*

Post Box : 87246 Thamar, Yemen

Tel. Fax : 06/509584

E-mail : arts96@yahoo.com

Arts Journal

All rights reserved

*No part of the publication may be
reproduced without the prior written
permission of the publisher*

*No part of the publication may be quoted
without mentioning the source*

Arts



Published by:

Faculty of Arts

Biannual refereed journal
of humanities

³rd Issue March, 2007